











الدكتور الشيخ محمد هادي الأميري





مكة





# مکة

بقلم  
الدكتور الشيخ

محمد باقر الاسدي

GLX  
PRE  
AMH  
8276

LEHMAN

DS

248

.M4

A555

1993g

اسم الكتاب : مكة  
المؤلف : الدكتور الشيخ محمد هادي الأمين  
الناشر : مكتب نشر العلم والادب — طهران  
المطبعة : مطبعة جامعة طهران  
تاريخ الطبع : الطبعة الاولى — ذوالحجة ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م  
الكمية المطلوبة : ٥٠٠٠ نسخة  
التوزيع : دارالكتب الاسلامية  
حقوق الطبع محفوظة للناشر



إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا، وَهُدًى  
لِّلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ دَخَلَهُ  
كَانَ آمِنًا.

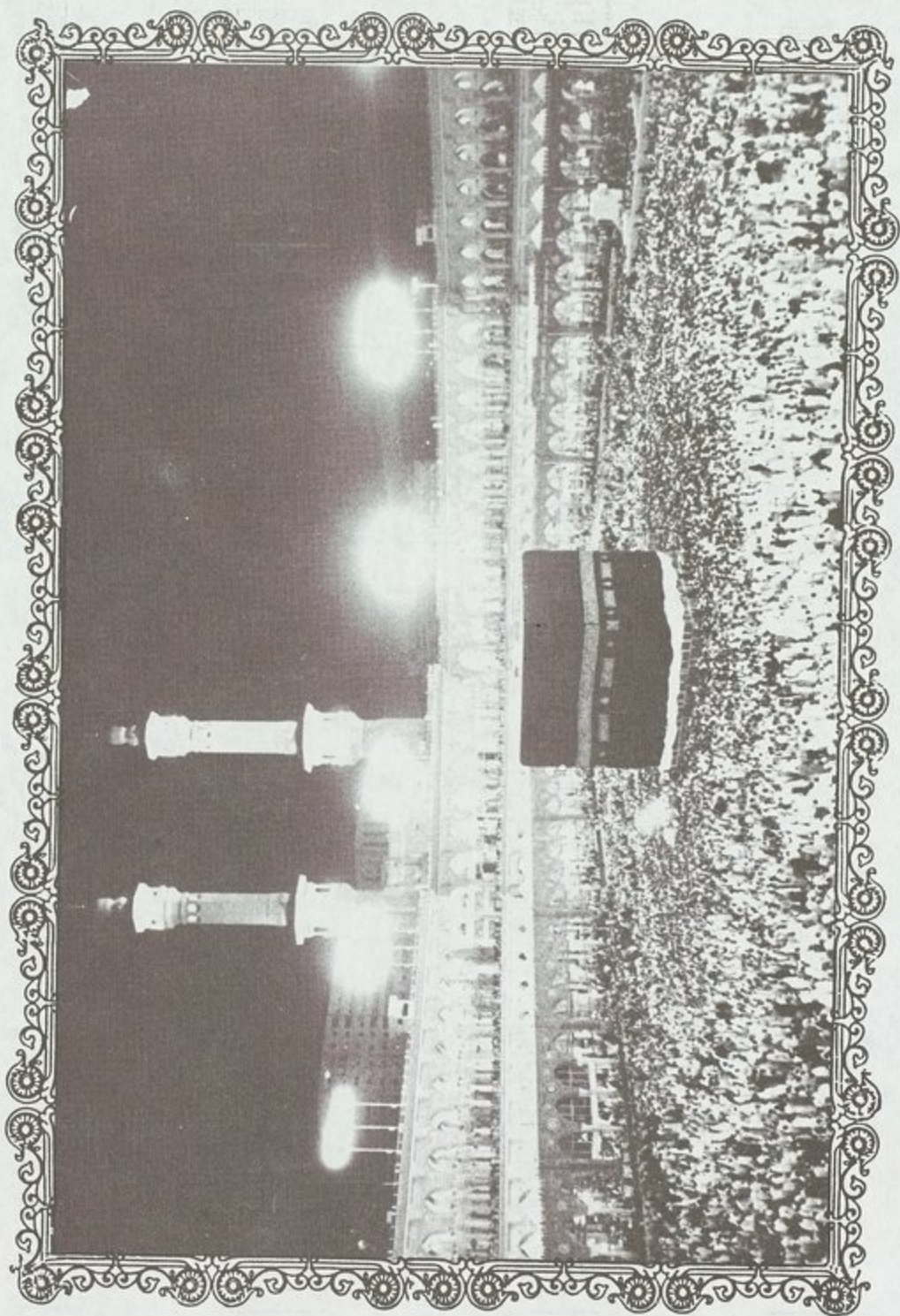
آل عمران/ ٩٦

إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يَحْرَمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِمَرِيءٍ  
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضُدَ  
بِهَا شَجْرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)  
فِيهَا فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذِنْ لَكُمْ.  
وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حَرَمَتُهَا  
الْيَوْمَ كَحَرَمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ.

الرسول الأعظم (ص)

صحيح مسلم ٩٨٧/٢

أللهم... ارزقني حج بيتك الحرام في عامي هذا، وفي كل عام، ما أبقيتني في  
يسر منك وعافية، ولا تخلي من تلك المواقف الكريمة، والمشاهد الشريفة.  
أللهم... اجعل لي في عامي هذا إلى بيتك الحرام سبيلا، حجة مبرورة متقبلة  
زاكية خالصة لك تقرّ بها عيني، وترفع بها درجتي.  
أللهم... اكتبني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجهم، المشكور سعيهم،  
المغفور ذنوبهم، المكفر عنهم سيئاتهم.



المقدمة





لكل بحث أو كتاب قصة... قصة عن البواعث والأسباب الدافعة إلى تأليفه، وسرده، وتصنيفه، ومن ثم إعطاء صورة موجزة عن أبعاده، وجوانبه التي تناوها المؤلف أو الكاتب بالدراسة والتحليل.

أما قصة هذا الكتاب... فالعوامل الموجبة إلى تأليفه، ووضعه هي قصة مكة الدامية التي حدثت في بداية الشهر الثاني عشر من عام ١٤٠٧ الهجري. وتناقلتها وكالات الأنباء، وحملتها أمواج الأثير، إلى كافة الأنحاء المعمورة، من مشارق الأرض ومغاربها. فوقف الجميع على جوانب المجزرة الدامية وصورها التي إن دلّت على شيء فإنها تدل على مدى تغلغل، ونفوذ، وسيطرة روح الحمجية، والوحشية، والبربرية الرعناء في أعماق وعروق وشرايين، أبطال القصة، وجزاروها المناكير الجبناء.

قصة... لأكبرية القصص وستظل حية طرية جديدة على امتداد التاريخ، ومادامت الإنسانية المعذبة... والبشرية الضعيفة المضطهدة... تتناقلها الأجيال، وتتداولها الركبان، وتثبتها المؤلفون، وتتحدث بها الأمهات والآباء، وأخيراً الآخر، تبكي لها الدنيا وتبكي لها الدهر...

قصة مجزرة حدثت في عصر العلم، والنور، والحضارة. في العصر الذي بلغ الإنسان فيه من العلم والمعرفة، أن قام بتسخير القمر والكواكب واستخدامها من أجل مقاصده الإستعمارية... وهي لا تقرأ ولا تودع جانباً، كلا وألف كلا... لأنها لم تكن تخص أفراداً وإنما هي قصة شعب بكامله، وامة بمجموعها ثارت بوجه البغي والعدوان والظلم، فحطت كابوس الديكتاتورية والإستعمار والإستعباد، ودمرت قصور الفراعنة، والطواغيت، وشقت طريقها نحو الحرية والتحرر والإنطلاق، وقادت سفينتها إلى شواطئ الأمن والسلام. بحول الله سبحانه وقوته.

شعب واحد... وامة إسلامية كبرى... كسرت قيود الذل، والاستعباد، والاستسلام، والخنوع. وقابلت وعانقت الشهادة... بالعز والشرف والفخر والإبتسام... وقدّمت القرابين والضحايا بكل اعتزاز في سبيل عقيدتها الخالدة ورسالتها الإنسانية التي تستمد جذورها من القرآن الكريم... والشريعة السمحاء... ومازالت تواصل نضالها العقائدي، والوطني من غير أن يعتريها ضعف وهوان:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة  
فلا بد أن يستجيب القدر  
ولا بد لليل أن ينجلي  
ولا بد للقيد أن ينكسر

أجل في هذا الكتاب عرض بسيط لتاريخ مكة... التربة المقدسة التي حدثت فيها  
المجزرة... وارتقت عليها الدماء الطاهرة النقية... ووقعت عليها ضحايا البطش والفتك  
والبغي... وعذبت فيها النفوس المؤمنة المطمئنة التي ذهبت إلى ربها راضية مرضية...  
عرض بسيط لتاريخ مكة... لأن تاريخها العريق القديم، يفتقر إلى مجلدات  
ومجلدات، ووقت متواصل مستمر، وصبر جميل... غير أننا توخينا الإختصار رعاية للوقت،  
ولأن يكون البحث متكامل الجوانب بقدر الإمكان، مع الإعتراف أنه لم يكن بصورة كاملة  
وبشكل أو في، بعد أن وضعت حول تاريخ مكة مجلدات، ومؤلفات كثيرة خلال القرون  
السالفة.

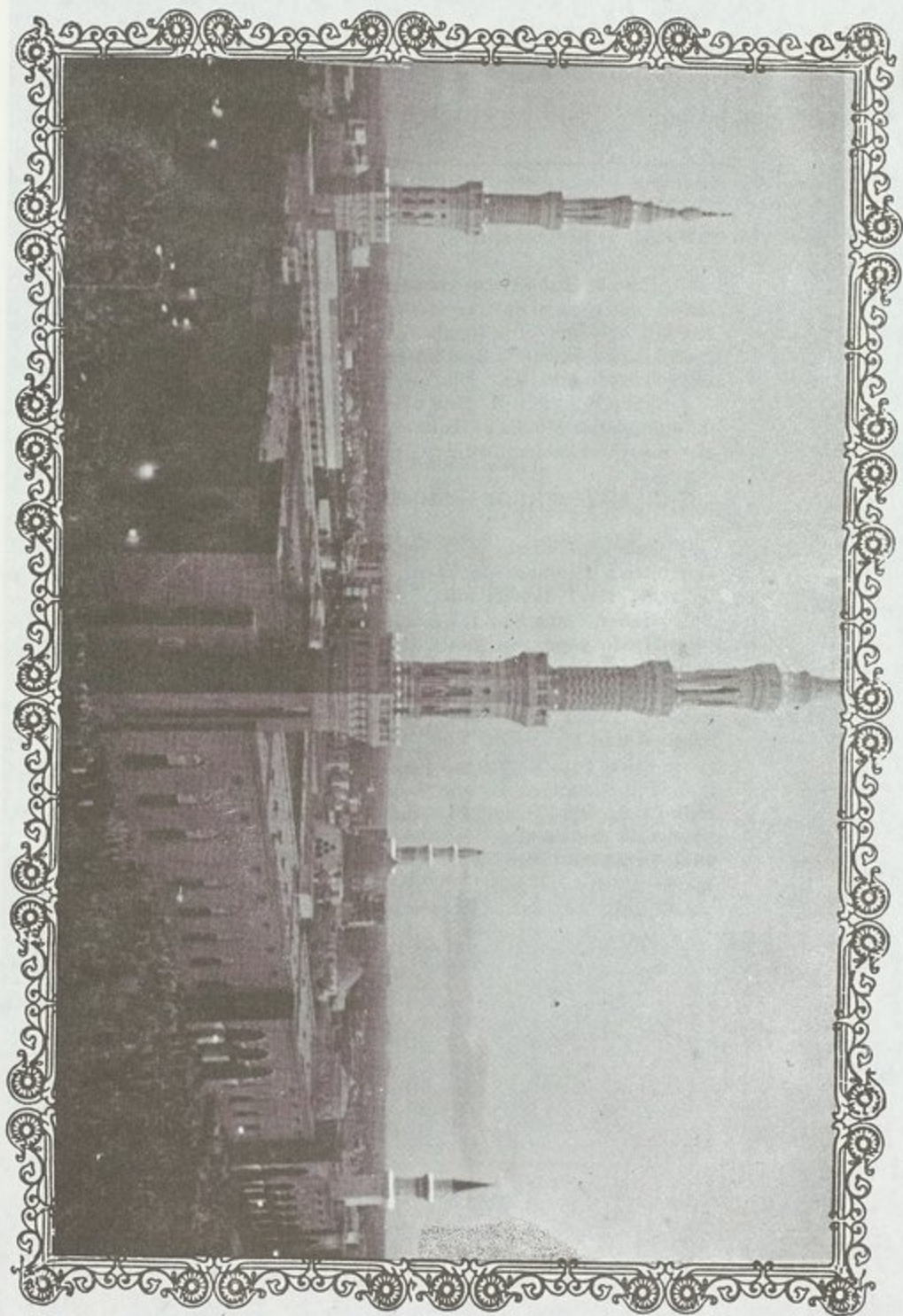
والله سبحانه وتعالى أسأله التوفيق والعون، لما فيه عز الإسلام وخير المسلمين،  
وصلاحهم، ونصرتهم، إنه نعم المولى والمنصور.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٤٠٨ هـ

١٣٦٧ شم

محمد هادي الأميني





إذا كان لكل القضايا والأحداث، محورا أساسياً تبتنى عليه، وتنطلق وتصدر منه وإليه تعود... ولكل قطر وبلدة وحاضرة أتما لها الشرافة، والجلالة، والعظمة، والكبرياء على غيرها من المدن والبقاع في الشرق والغرب... فبحق ينبغي أن تكون مكة، منذ تدرج الإنسان على الأرض أم الأقطار، والبلاد، والخواضر العالمة، كما هي في الواقع لا أم القرى فحسب. وقد سميت بهذا الأسم لأنها أصل كل بلدة، ومنها دحيت الأرض ولهذا المعنى يزار ذلك الموضع، من جميع نواحي الأرض. بالإضافة إلى أنها (أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات، مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمناً (١) لذلك نجد كافة الأقطار بصورة عامة تتجه فيها النفوس المطمئنة الآمنة المستسلمة لله الواحد الأحد... في أكثر الأحيان إلى أمها تستلهم منها المتعة المعنوية، والحيوية الروحية، شأن الرضيع الذي يستعطف أمه في حالات إفتقاره إلى الارتواء والتغذية.

إن مكة... أو بكة... أو أم القرى... (٢) مازالت منذ قدم الإنسانية محوراً لكافة الأمصار لما تضم في قلبها أول بيت وضع للناس مباركاً، وهدى للعالمين ومن دخله كان آمناً... ولا يدل هذا القول على أنه أول بيت خلقه الله تعالى، ولا أنه أول بيت ظهر في الأرض، بل ظاهر الآية على أنه أول بيت وضع للناس، وكونه موضوعاً للناس يقتضي كونه مشتركاً فيه بين جميع الناس. فأما سائر البيوت فيكون كل واحد منها مختصاً بواحد من الناس، فلا يكون شيء من البيوت موضوعاً للناس. وكون البيت مشتركاً فيه بين كل الناس لا يحصل إلا إذا كان البيت موضوعاً للطاعات، والعبادات، وقبلة للخلق. فدل قوله تعالى: (إن أول بيت وضع للناس) على أن هذا البيت، وضعه الباري سبحانه موضعاً ومكاناً للطاعات والخيرات والعبادات والقربات، فيدخل فيه كون هذا البيت قبلة وكعبة للصلوات، وموضعاً خاصاً للحج، ومحلاً ومكاناً يزداد ثواب وأجر العبادات والطاعات فيه، (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. ثم ليقتضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق. ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له) (٣).

هذا وقد جاء أنّ المراد كونه أولاً في الوضع والبناء، وأن يكون المراد كونه أولاً في كونه مباركاً وهدى. وهنا للمفسرين قولان:

١ — أنه أول في البناء والوضع كما جاء عن الإمام محمد الباقر عليه السلام عن آبائه عن النبي (ص) قال: إنّ الله تعالى، بعث ملائكته فقال: إبنوا لي في الأرض بيتاً على مثال البيت المعمور، وأمر الله تعالى من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور، وهذا كان قبل خلق آدم.

وأيضاً: ورد في سائر كتب التفاسير عن عبدالله بن عمر، ومجاهد، والسدي، أنه أول بيت وضع على وجه الماء عند خلق الأرض والسماء، وقد خلقه الله تعالى قبل الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء، ثم دحيت الأرض تحته. قال القفال: في تفسيره، روى حبيب بن ثابت، عن ابن عباس أنه قال: وجد في كتاب موضوع في المقام أو تحت المقام فيه: (أنا الله ذوبكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر، وحرمتها يوم وضعت هذين الحجرين، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء).

ب — أنّ آدم (ع) لما أهبط إلى الأرض شكا الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة، وطاف بها ودام إلى عهد نوح (ع) فلما أرسل الله الطوفان، رفع البيت إلى السماء السابعة حيال الكعبة، يتعبد عنده الملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك سوى من دخل من قبل فيه. وبعد الطوفان إندرس موضع الكعبة وبقي مختفياً إلى أن بعث الله سبحانه جبريل إلى إبراهيم (ع) ودلّه على موضع البيت ومكانه، وأمره بعمارتها فكان في الحقيقة المهندس الخبير جبريل، والبناء إبراهيم، والمساعد اسماعيل (ع).

ومهما يكن من أمر الكعبة حسب مفهوم الروايتين، كانت موجودة في زمان آدم (ع)

وهو الصحيح، لبواعث أساسية:

١ — أن تكليف الصلاة كان لازماً في كافة أديان الأنبياء عليهم السلام، كما دلت عليه الآية الكريمة: (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً (٤) فالأنبياء كانوا يسجدون لله، والسجدة لا بد لها من قبله، فلو كانت قبله هؤلاء الأنبياء موضعاً آخر غير الكعبة لبطل العباد بالله قوله: (إنّ أول بيت وضع للناس ببكة) فيجب القول: إنّ قبله أولئك الأنبياء المتقدمين هي الكعبة، فذل هذا على أن هذه الجهة كانت منذ القدم والأبد، مشرفة مكرّمة.

٢ — أنّ الباري سبحانه عبر عن مكة بأمر القرى في قوله: (وهذا كتاب أنزلناه

مبارك مصدق الذي بين يديه ولتندر أم القرى. ومن حولها، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون (٥) وتقتضي الآية أنها كانت سابقة على سائر البقاع، والأمصار في الفضل والشرف منذ كانت موجودة.

٣ — قول رسول الله (ص) في خطبته يوم فتح مكة: — إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة — (٦) وتحريم مكة لا يمكن إلا بعد وجود مكة.

٤ — إن الآثار والأخبار الواردة عن النبي الأقدس (ص) وأهل البيت الطاهر عليهم السلام، والصحابة والتابعين، فيها دلالة صريحة وحجة كافية أنها كانت قبل عهد إبراهيم (ع). وجاء في خبر عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رجلاً قال له: أهو أول بيت؟ قال: لا قد كان قبله بيوت، ولكنه أول بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى، والرحمة، والبركة، وأول من بناه إبراهيم، ثم بناه قوم من العرب من جرهم، ثم هدم فبناه العمالقة وهم ملوك من أولاد عمليق بن سام بن نوح، ثم هدم فبناه قريش (٧).

هذا وقد قيل من قبل أن شرف المكان بالمكين... وقد تشرفت أرض مكة بالبيت بالمجاورة، وعمت قد سيته وافضليته وشرافته وجلالته جميع نقاطها، وأصبحت بمجموعها ذات أمن وأمان وشرافة وهداية وعظمت، تخص الناس جميعاً من دون تمييز أو تفاضل، لأنها كما مر القول منا وضع للناس أجمع. وإلى هذا المعنى تشير الآيات الكريمة في قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً) (٨) يعني مكة وما حولها من الحرم. وقوله: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً) (٩) أي مكة بلداً آمناً ذا أمن كما يقال: بلد أهل أي ذو أهل. وقيل: معناه يأمنون فيه كما يقال: ليل نائم إي ينام فيه. قال ابن عباس: يريد حراماً محرماً لا يصاد طيره، ولا يقطع شجره ولا يختلى خلأوه. وإلى هذا المعنى يؤول ماروي عن الإمام الصادق عليه السلام من قوله: من دخل الحرم مستجيراً به فهو آمن. من سخط الله عز وجل، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى، حتى يخرج من الحرم (١٠). و قوله تعالى: (والتين والزيتون. وطور سينين. وهذا البلد الأمين) (١١) يعني مكة البلد الحرام يأمن الخائف في الجاهلية والأسلام، فالأمين يعني المؤمن، يؤمن. من يدخله. وقيل: يعني الأمن (١٢).

\*\*\*

هنا بين المفسرين، نقاش حاد حول لفظ مكة... وبكة... واشتقاقها؛ فمنهم من قال: بكة، ومكة إسمان لمسمى واحد، والعرب تبدل الباء ميماً لأنها حرفان متقاربان في

المخرج، فيقام كل واحد منها مقام الآخر، فيقال: هذه ضربة لازم، وضربة لازب. ويقال: هذا دائم ودائب، ويقال: راتب وراتم. ويقال: سمد رأسه، وسبده. ومنهم من ذهب القول: أنّ مكة الحرم كله، ويدخل فيه البيوت. وبكة المسجد. وجاء: بكة موضع البيت والمطاف، ومكة إسم البلدة وعليه الأكثر (١٣).

كما أن في اشتقاق بكة وجهان:

١ — أنه من البك الذي هو عبارة عن دفع البعض بعضاً. يقال: بكه بيبكه إذا دفعه وزجه. وتباك القوم إذا ازدحوا. فلهذا قال سعيد بن جبيرة: سميت مكة بكة، لأنهم يتباكون فيها أي يزدحون في الطواف. وذهب إلى تصحيح هذا لإمام محمد الباقر عليه السلام، ومجاهد، وقتادة. قال بعضهم: رأيت محمد بن علي الباقر يصلي فمرت امرأة بين يديه، فذهبت أدفعها، فقال: دعها فإنها سميت بكة لأنه يبك بعضهم بعضاً. تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي، والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي، لا بأس بذلك في هذا المكان. فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة، من داخل المسجد الحرام (١٤).

وفي حديث مجاهد: — من أساء مكة: بكة. قيل: بكة موضع البيت، ومكة سائر

البلد (١٥).

٢ — سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة والطواغيت، أي تدّقها. لا يريد بها جبار وظالم بسوء، إلا إندقت عنقه. قال قطرب: تقول العرب بككت عنقه أبكه بكا، إذا وضعت منه، ورددت نخوته. أو أنها تبك أعناق الجبابرة، إذا ألدوا فيها بظلم ولم يهلوا. والبك دقّ العنق (١٦).

وهناك رأي تفرّد به صاحب مجمع البحرين، فقال: وروي سميت بكة لبكاء

الناس حولها وفيها (١٧).

وفي اشتقاق لفظ مكة وجوه أثبتوها وهي:

١ — أن اشتقاقها من الملك لأنها تمك الذنوب أي تزيلها كلها. من قولك أمتك الفصيل ما في ضرع الناقة، إذا مص مصاً شديداً حتى لا يبقى منه شيء. ومك المشاش مكا إذا تمشش بفيه.

٢ — سميت بذلك لا جتلاها الناس من كل جانب من الأرض. ويقال:

تمككت العظم، إذا استقصيت مافيه.



٣ - عرفت بمكة لقلة مائها، كأن أرضها أمتكت ماءها.

٤ - قيل: إن مكة وسط الأرض والعيون والمياه، تنبع من تحت مكة. فالأرض كلها تمك من ماء مكة. إلى غيره من الوجوه التي لا يمكن الإعتماد عليها، وأخذها بعين الإعتبار والصحة.

وقال الأكثرون: مكة إسم للمسجد، والمطاف. وبكة إسم البلد، والدليل عليه أن قوله تعالى: (للذي ببكة) يدل على أن البيت حاصل في بكة، ومظروف في بكة، فلو كان بكة إسماً للبيت لبطل كون بكة ظرفاً للبيت. أما إذا جعلنا بكة إسماً للبلد، استقام هذا الكلام (١٨).

وقد عبر الله سبحانه عن الكعبة بثلاثة أسماء في القرآن الكريم وهي:

١ - الكعبة، قال تعالى: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام) (١٩) قال المفسرون: سميت الكعبة كعبة لتربيعها، وإنما قيل للمربع كعبة، لتواء زواياه الأربع، والكعوبة التواء، ومنه كعب الانسان التواءه، وكعبت المرأة إذا تتأثديها. وكعبت بمعناه، والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة. وقيل: سميت كعبة لا نفرادها عن البنيان، وهذا أيضاً يرجع إلى الأول، لأن المتفرد من البنيان كعبة لتواءه من الأرض. وقيل: أن هذا الأسم يدل على الإشراف والإرتفاع، وسمي الكعب كعباً لإشرافه وإرتفاعه على الرسخ، ولما كان هذا البيت أشرف بيوت الأرض وأقدمها زماناً وأكثرها فضيلة سمي بهذا الإسم.

٢ - البيت العتيق، قال سبحانه: (ثم ليقضوا نفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) (٢٠) وقال أيضاً: (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق) (٢١) فجاء في إشتقاقه أن الكعبة إنما سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أن يكون ملكاً لأحد من المخلوقين، ومن أن يملكه العبيد بصورة عامة، وهذا القول ذهب إليه مجاهد، وسفيان بن عيينة، وأبي مسلم، وعليه أكثر المفسرين من الخاصة والعامة.

وجاء: إنما سمي عتيقاً لأنه أعتق من أن تصل الجبابرة إلى تخريبه، وما قصده جبار في الجاهلية والاسلام، إلا أهلته الله تعالى.

وقيل: العتيق معناه القديم، وأنه أقدم بيوت الأرض بل عند بعضهم، أن الله خلقه قبل الأرض والسماء. وجاء أن الله أعتقه من الطوفان، ففرقت الأرض بتمامها حيث رفعه إلى السماء. وقيل: أنه عتيق بمعنى أن كل من زاره أعتقه الله تعالى من النار.

٣ — المسجد الحرام، قال تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير) (٢٢) والمراد بالمسجد الحرام هنا مكة، ومكة والحرم كلها مسجد. وقال الحسن، وقتادة، وكان الاسراء من نفس المسجد الحرام. والمقصود بالمسجد الحرام، الحرم لإحاطته بالمسجد، والتباسه به. وعن عبدالله بن عباس، الحرم كله مسجد (٢٣).

ويقول أبو الوليد الأزرقى، في تاريخه بهذا الصدد: وكانت مكة لا يقر فيها ظالم، ولا باغ ولا فاجر إلا نفي منها، وكان نزها بعهد العماليق وجرهم، جبابرة فكل من أراد البيت بسوء، أهلكه الله فكانت تسمى بذلك الباسة.

ويروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أنه قال: سميت بكة لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة.

وحدثني جدي قال: ويروى عن عبدالله بن الزبير انه كان يقول: سمي البيت العتيق لانه عتق من الجبابرة أن يسطوا عليه.

وحدثني جدي، وابراهيم بن محمد الشافعي، قالوا: حدثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن خيثم، قال: كان بمكة حيي يقال لهم العماليق، فأحدثوا فيها أحداثاً فجعل الله تعالى يقودهم بالغيث ويسوقهم بالسنة، يضع الغيث أمامهم فيذهبون ليرجعوا فلا يجدون شيئاً، فيتبعون الغيث، حتى ألحقهم بمساقط رؤس آباءهم، وكانوا من حمير، ثم بعث الله عليهم الطوفان. قال أبو خالد الزنجي: فقلت لا بن خيثم: وما الطوفان؟ قال: أُموت.

حدثني جدي عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي، عن عطاء، عن ابن عباس، إنه كان بمكة حيي يقال لهم العماليق، فكانوا في عزة وكثرة وثروة، وكانت لهم أموال كثيرة من خيل، وإبل وماشية ترعى بمكة وما حولها، من مر ونعمان وما حول ذلك، وكانت الخرف عليهم مظلة (٢٤)، والأربعة (٢٥) مغدقة، والأودية نجال (٢٦) والعضاة (٢٧) ملتفة، والأرض مبقلة، وكانوا في عيش رخي، فلم يزل بهم البغي والإسراف على أنفسهم، والإلحاد بالظلم، واطهار المعاصي، والإضطهاد لمن قارهم، ولم يقبلوا ما أوتوا بشكر حتى سلبهم الله تعالى ذلك، فنقصهم بحبس المطر عنهم، وتسليط الجذب عليهم، فكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء، فأخرجهم الله تعالى من مكة بالذر سلطه عليهم، حتى خرجوا من الحرم فكانوا حوله، ثم ساقهم الله بالجذب يضع الغيث أمامهم ويسوقهم بالجذب حتى ألحقهم الله تعالى بمساقط رؤس آباءهم، وكانوا قوماً عرباً من حمير فلما دخلوا بلاد اليمن، تفرقوا فأبدل الله تعالى الحرم بعدهم جرهم، فكانوا سكانه حتى بغوا

فيه، واستخفوا بحقه، فأهلكهم الله عزوجل جميعاً.

حدثني جدي، قال: حدثنا سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن الكلبي، عن أبي صالح، قال: لما طالت ولاية جرهم إستحلوا من الحرم أموراً عظاماً، ونالوا مالم يكونوا ينالون، واستخفوا بجرمة الحرم، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدا إليها سرا وعلانية، وكلماعدا سفيه منهم على منكر، ما وجد من أشرفهم من يئنه ويدفع عنه، وظلموا من دخلها من غير أهلها، حتى دخل رجل منهم بامرأته الكعبة، فيقال: فجرها أو قبلها فسخا حجرين، فرق أمرهم فيها، وضعفوا وتنازعوا أمرهم بينهم، واختلفوا وكانوا قبل ذلك من أعز حي في العرب، وأكثرهم رجالاً وأموالاً وسلاحاً وأعز عراً، فلما رأى ذلك رجل منهم، يقال له: مصاص بن عرو بن الحارث بن مصاص بن عمرو قام فيهم خطيباً فوعظهم وقال:

— يا قوم إبقوا على أنفسكم، وراقبوا الله في حرمه وأمنه، فقد رأيتم وسمعتم من هلك من صدر هذه الإمم قبلكم قوم هود، وقوم صالح، وشعيب، فلا تفعلوا وتواصلوا، وتواصلوا بالمعروف وانتهاوا عن المنكر، ولا تستخفوا بحرم الله تعالى، وبيته الحرام، ولا يغررتكم ما أنتم فيه من الأمن، والقوة فيه. وإياكم والألحاد فيه بالظلم، فإنه بوار، وأيم الله لقد علمتم إنه ما سكنه أحد قط فظلم فيه وألحد، إلا قطع الله وجل دابرهم، واستأصل شأقتهم وبدل أرضها غيرهم. فاحذروا البغي فإنه لابقاء لأهله، قد رأيتم وسمعتم من سكنه قبلكم من طسم، وجديس، والعماليق، ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد قوة، وأكثر رجالاً وأموالاً وأولاداً.

فلما استخفوا بحرم الله، وألحدوا فيه بالظلم أخرجهم الله منها بالأنواع الشتى، فمنهم من أخرج بالدنأ ومنهم من أخرج بالجذب، ومنهم من أخرج بالسيف، وقد سكنتم مساكنهم، وورثتم الارض من بعدهم. فوقروا حرم الله، وعظموا بيته الحرام، وتنزهوا عنه، وعمّا فيه ولا تظلموا من دخله، وجاء معظما لحرماته وآخر جاء بايعاً لسلعته أو مرتعباً في جواركم، فإنكم إن فعلتم ذلك تخوّفت أن تخرجوا من حرم الله خروج ذك وصغار، حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز وأمن والطيور والوحوش تأمن فيه.

فقال له قائل منهم، يرد عليه يقال له مجدع... من الذي يخرجنا منه أسنا أعز العرب وأكثرهم رجالاً وسلاحاً؟ فقال له مصاص بن عمرو: اذا جاء الأمر بطل ما تقولون. فلم يقصروا عن شيء مما يصنعون. فلما رأى مصاص بن عمرو بن الحارث بن مصاص، ما تعمل جرهم في الحرم وما تسرف من مال الكعبة سراً وعلانية، عمد إلى غزالين

كانا في الكعبة من ذهب، وأسياف قلعية فدفنها في موضع بئر زمزم. وكان ماء زمزم قد نصب  
وذهب لما أحدثت جرهم في الحرم ما أحدثت حتى غبي مكان البئر ودرس. فقام مصاص بن  
عمرو، وبعض ولده في ليلة مظلمة فحفر في موضع زمزم وأعمق ثم دفن فيه الأسياف  
والغزالين، فبيناهم على ذلك إذ كان من أمر أهل مأرب ما ذكر أنه ألفت طريفة  
الكاينة (٢٨) إلى عمرو بن عامر الذي يقال له: مزقياء بن ماء الساء، وهو عمرو بن عامر  
ابن حارثة (٢٩) وكانت قد رأت في كهانتها أنّ سد مأرب سيخرب وأنه سيأتي سيل العرم،  
فيخرب الجنيتين فباع عمرو بن عامر أمواله، وسار هو وقومه من بلد إلى بلد لا يطئون بلداً إلا  
غلبوا عليه، وقهروا أهله حتى يخرجوا منه.

فلما قاربوا مكة ساروا، ومعهم طريفة الكاينة، فقالت لهم: سيروا واسيروا فلن  
تجمعوا أنتم ومن خلفتم أبداً فهذا لكم أصل وأنتم له فرع. ثم قالت: مه مه وحق ما أقول ما  
علمني ما أقول، إلا الحكيم المحكم رب جميع الإنس والجن من عرب وعجم. فقالوا لها: ما  
شأنك يا طريفة؟ قالت: خذوا البعير فخضبوه بالدم تلون أرض جرهم جيران بيته المحرم.  
قال: فلما انتهوا إلى مكة وأهلها جرهم وقد قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على  
بني اسماعيل وغيرهم، أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر، يا قوم إنا قد خرجنا من بلادنا  
فلم ننزل بلداً إلا فسح أهلها لنا وتزحرحوا عنا فنقيم معهم حتى نرسل روادنا فيرتادون لنا  
بلداً يمحملنا، فافسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح، ونرسل روادنا إلى الشام وإلى  
الشرق، فحيث ما بلغنا إنه أمثل لحقنا به وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيرا.

فأبت جرهم ذلك إباءً شديداً، واستكبروا في أنفسهم، وقالوا: لا والله ما نحب أن  
تنزلوا معنا فتضيقون علينا مراتعنا ومواردنا، فارحلوا عنا حيث أحببتهم فلا حاجة لنا بجواركم.  
فأرسل إليهم ثعلبة أنه لا بد لي من المقام بهذا البلد حولا حتى يرجع إلي رسلي التي أرسلت  
فان تركتموني طوعاً نزلت وحمدتكم وواسيتكم في الرعي والماء، وإن أبيتم أقتت على كرهكم  
ثم لم ترتعوا معي إلا فضلا ولن تشربوا إلا رنقا (٣٠) وإن قاتلتهموني قاتلتكم ثم إن ظهرت  
عليكم، سبيت النساء وقتلت الرجال، ولم اترك أحداً منكم ينزل الحرم أبداً.

فأبت جرهم أن تتركه طوعاً وتعبت لقتاله فاقتتلوا ثلاثة أيام، وأفرغ عليهم الصبر  
ومنعوا النصر ثم انهزمت جرهم، فلم ينفلت منهم إلا الشريد. وكان مصاص بن عمرو بن  
الحارث، قد اعتزل جرهم ولم يعن جرهم في ذلك. وقال: قد كنت احذركم هذا، ثم رحل  
هو وولده وأهل بيته، وما حولها في قومه وعساكره حولاً فأصابتهم الحمى وكانوا في بلد لا  
يدرون فيه ما الحمى، فدعوا طريفة الخبر فشكوا إليها الذي أصابهم. فقالت لهم: قد أصابوا

بوس الذي تشكون وهو مفرق ما بيننا. قالوا: فاذا تأمرين؟ فقالت: فيكم ومنكم الأمير  
وعليّ التسيير. قالوا: فما تقولين؟ قالت: من كان منكم ذاهم بعيد، وجمد شديد، ومزاد  
جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد فكان ازدعمان.

ثم قالت: ومن كان منكم ذا جلد وقصر وصبر على أزمت الدهر، فعليه بالأراك من  
بطن مرّ فكانت خزاعة. ثم قالت، ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل، المطاعم في  
المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج. ثم قالت: ومن كان منكم يريد  
الخمر والخمير، والملك، والتأخير، وتلبس الديباج والحريز، فليلحق ببصرى وعوير وهما من  
أرض الشام، فكان الذي سكنوهما آل جفنة من غسان. ثم قالت: من كان منكم يريد  
الثياب الرقاق، والخيال العتاق، وكنوز الأرزاق، والدم المهرق، فليلحق بأرض العراق، فكان  
الذي سكنوها آل جديمة الأبرش، ومن كان بالحيرة من غسان وآل محرق، حتى جاءهم  
روادهم فافترقوا من مكة فرقتين، فرقة توجهت إلى عمان وهم ازدعمان. وسار ثعلبة بن  
عمرو بن عامر نحو الشام، فنزلت الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر،  
وهم الأنصار بالمدينة، ومضت غسان فنزلوا الشام. وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن  
حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحنّ، فولّى أمر مكة وحجابه الكعبة.  
وإلى هذا يشير حسان بن ثابت، ويذكر في شعره إنخزاع خزاعة بمكة، ومسير الأوس  
والخزرج إلى المدينة، وغسان إلى الشام في قوله:

فلما هبطنا بطن مر نخزعت	خزاعة منا في حلول كراكر
حما كل واد من تهامة واحتموا	بصم القنا والمرفهات البواتر
فكان لها المربع في كل غارة	تشن بنجد والفجاج العوابر
خزاعتنا أهل اجتهاد وهجرة	وأنصارنا جند النبي المهاجر
وسرنا فلما أن هبطنا بيثرب	بلاوهن منا ولا بتشاجر
وجدنا بها رزقاً عدا مل ابقيت	وآثار عاد بالحلال الظواهر
فحلت بها الأنصار ثم تبوات	بيثربها داراً على خير طائر
بنوا الخزرج الأخيار والأوس إنهم	حوها بفتيان الصباح البواكر
نفوا من طغا في الدهر عنها وذبوا	يهوداً بأطراف الرماح الخواطر
وسارت لنا سيارة ذات قوة	بكوم المطايا والخيول الجماهر
يؤمنون نحو الشام حتى تمكنوا	ملوكاً بأرض الشام فوق المنابر
يصيبون فضل القول في كل خطبة	إذا وصلوا أيانهم بالمخاضر
أولاك بنوماء السماء توارثوا	دمشقاً بملك كابرأ بعد كابر

فلما حازت خزاعة أمر مكة، وصاروا أهلها جاءهم بنو اسماعيل، وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم، وخزاعة فلم يدخلوا في ذلك فسألوهم السكنى معهم وحوهم، فأذنوا لهم فلما رأى ذلك مصاص بن عمرو بن الحارث، وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه أرسل إلى خزاعة يستأذنها في الدخول عليهم والنزول معهم بمكة في جوارهم، ومث إليهم برأيه وتوريعة قومه عن القتال، وسوء السيرة في الحرم واعتزاله الحرب، فأبت خزاعة أن تقرهم وفتتهم عن الحرم كله ولم يتركوهم ينزلون معهم، فقال عمرو بن لحي وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر: لقومه من وجد منكم جرهمياً قد قارب الحرم فدمه هدر، فنزعت ابل لمصاص بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو الجرهمي، من قنونا تريد مكة فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة فضى على الجبال من نحو أحياد حتى ظهر على أبي قبيس يتبصر الإبل في بطن وادي مكة، فأبصر الإبل تنحر وتوكل لاسبيل له إليها فخاف إن هبط الوادي أن يقتل، فولى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول:

أنيس ولم يسم بمكة سامر  
إلى المنحنا من ذي الأراكة حاضر  
صروف الليالي والجدود العوائر  
بها الذيب يعوى والعدو المحاصر  
وتصبح حال بعدنا وتشاجر  
ثمشي بهذا البيت والخير ظاهر  
فأبناء نامنه ونحن الأصاهر  
كذلك يا للناس تجرى المقادر  
إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر  
وجير قد بدلتها واليحابر  
كذلك عضتنا السنون الغواير  
بها حرم أمن وفيها المشاعر  
ولا منفراً يوماً وفيها العصافر  
إذا خرجت منها فما أن تغادر  
جياذ فمضى سيله فالظواهر  
مصاص ومن حبى عدي عمابر

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا  
ولم يتربع واسطاً فجنوبه  
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا  
وبدلنا ربى بها دار غربه  
فان تمل الدنيا علينا بكلها  
فكنا ولاة البيت من بعدنا بت  
فأنكح جدتي خير شخص علمته  
فأخرجنا منها المليك بقدره  
أقول إذا نام الخلي ولم أم  
وبدلت منهم أوجهاً لا أحبا  
وصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة  
فسحت دموع العين تبكي لبلدة  
بواد أنيس ليس يؤذى حمامه  
وفيها وحوش لا ترام أنيسة  
فيا ليب شعري هل تعمر بعدنا  
فبطن منا وحش كأن لم يسربه

وقال أيضا:

أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرون

يا أيها الحمي سيروا إن قصركم

إِنَّا كَمَا كُنْتُمْوَا كُنَّا فغَبِرْتَا  
 أَرْجُوا الْمَطَى وَأَرْجُوا مِنْ أَرْهَمَتَا  
 قَدْ مَالِ دَهْرٍ عَلَيْنَا ثُمَّ أَهْلَكُنَا  
 إِنَّ التَّفَكْرَ لَا يَجْرِي بِصَاحِبِهِ  
 قَضَوْا أُمُورَكُمْ بِالْحَزْمِ إِنَّ لَهَا  
 وَاسْتَخْبِرُوا فِي صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ  
 كُنَّا زَمَانًا مَلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ  
 دهر فسوف كما صرنا تضيرون  
 قبل الممات وقضوا ما تقضون  
 بالبغي فيه ونذ الناس ناسون  
 عبد البديهة في علم له دون  
 امور رشد رشدم ثم مسنون  
 كما استبان طريق عنده الهون  
 بمسكن في حرام الله مسكون

قال: فانطلق مصاص بن عمرو بن عامر، نحو اليمن إلى أهله وهم يتذاكرون ما حال بينهم وبين مكة، وما فارقوا من أمنها وملكها، فحزنوا على ذلك حزناً شديداً فبكوا على مكة، وجعلوا يقولون الأشعار في مكة. واحتازت خزاعة بحجابه الكعبة وولاية أمر مكة، وفيهم بنو إسماعيل بن إبراهيم بمكة وما حولها، لا ينازعهم أحد منهم في شيء من ذلك ولا يطلبونه. فتزوج لحي وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، فهيرة بنت عامر بن عمرو بن الحارث بن مصاص بن عمرو الجرهمي ملك جرهم، فولدت له عمراً وهو عمر بن لحي، وبلغ بمكة وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله ولا بعده في الجاهلية. وهو الذي قسم بين العرب في حطمة حطموها عشر آلاف ناقة، وقد كان أعور عشرين فحلاً. وكان الرجل في الجاهلية إذا ملك ألف ناقة، فقأ عين فحل إبله فكان قد فقأ عين عشرين فحلاً. وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدايف الإبل ولحمانها على الثريد. وعم في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن. وكان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب، وكان قوله فيهم ديناً متبعاً لا يخالف. وهو الذي بحر البحيرة ووصل الوصيلة، وحى الحام. وسيب السايبة. ونصب الأصنام حول الكعبة. وجاء بهبل من هيت من أرض الجزيرة فنصبه في بطن الكعبة، فكانت قريش والعرب تستقسم عنده بالأزلام. وهو أول من غير الخنيفية دين إبراهيم (ع). وكان أمره بمكة في العرب مطاعاً لا يعصى. وكان بمكة رجل من جرهم على دين إبراهيم، وإسماعيل، وكان شاعراً فقال لعمر بن لحي، حين غير الخنيفية:

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلد حرام  
 سائل بعاد أين هم وكذلك تحترم الأنام  
 وبني العماليق الذين لهم بها كان السوام

فزعموا أن عمرو بن لحي، أخرج ذلك الجرهمي من مكة، فنزل بأطم (٣٢) من أعراض المدينة نحو الشام. فقال الجرهمي قد يتشوق إلى مكة:

ألا ليت شعري هل أبين ليلة      وأهلي معاً بالمأزمين حلول  
 وهل أرين العيس تنفخ في البرا      لها بجني والمأزمين ذميل  
 منازل كنا أهلها لم تحل بنا      زمان بها فيما أراه تحول  
 مضى أولونا راضين بشأنهم      جميعاً وغالتي بمكة غول

قال: فكان عمرو بن لحي، يلي البيت وولده من بعده خمسمائة سنة، حتى كان آخرهم حليل بن حبيش بن سلول بن كعب بن عمرو (٣٣) فتزوج إليه قصى ابنته حبي، ابنة حليل وكانوا هم حجابهم وخزانته، والقوام به وولاية الحكم بمكة، وهو عامر لم يخرب فيه خراب ولم تبني خزاعة فيه شيئاً بعد جرهم، ولم تسرق منه شيئاً علمناه ولا سمعنا به وترافدوا على تعظيمه والذّب عنه. وقال في ذلك عمرو بن الحارث بن مرو الغبشاني:

نحن وليناها فلم نغشه      وابن مصاص قائم هشه  
 بأخذ ما يهدى له بفشه      نترك مال الله ما غشه (٣٤)

\*\*\*

إنّ هذه الأحداث التاريخية التي في حد ذاتها دروس وعبرة إن دلت على شيء فانما تدلّ بوضوح أنّ للباري سبحانه... ألناية الخاصة والحراسة القومية، والحفاظة الركيزة المتواصلة، بالنسبة للكعبة وما جاورها من البيوتات والمساكن التي تعتبر بمجموعها البلد الحرام الذي جعله أمناً من كل كيد، وبغي وعدوان وتناول، وما قصده جبار الآ وقد دكّ عنقه، وضرب بالذلّ والمسكنة والتبدد وبأوا بغضب منه... لا بالنسبة لمكة وسكانها المقيمين فحسب، و إنّما لكل من تسوّل نفسيته الخبيثة الجشعة، بالوقية والبغي لمجاورها ومن يروم زيارتها أو يدخلها بشتى العناوين، لأنها بيت الناس جميعاً ولا يحق لفرقة أو فئة أو جماعة أو شر ذمة، إستعبادها وإستثمارها واتخاذها ملكاً خاصاً لها. فهي بيت الناس لا يخص شعباً دون شعب.

فالناس في شرق الأرض وغربها على إختلاف مللهم وجنسياتهم ولغاتهم وقومياتهم، أصحاب البيت كما صرّح به علماء الخاصة والعامّة. وقد أسلفنا القول فيه في الصفحات السالفة عند تفسير قوله تعالى: (إنّ أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً) وليس في كتب التفاسير والحديث، ما يثبت خلاف هذا بصورة باتّة.

بالإضافة إلى أنّ الولاة والحكام الذين تولوا سدانة مكة... في القرون السالفة الغابرة

كانوا في حذرو وجل وخشية من صاحب الكعبة، وفي خوف شديد منه ومن بطشه وفتكه وإنتقامه... ففي خلال ولايتهم وحجابهم وخزانتهم لم يتناولوا، ولم يستحلوا ولم يستخفوا بجرمة —



الحرم، ولم يسرفوا في مال الكعبة الذي يهدى إليها سراً وعلانية لأن الله تعالى لبالمرصاد، لكل من يبغى فيها ويتناول على حرمتها، ومكانتها، وقد سيتها، وشرفتها، بما يشينها ويحط من منزلتها، ومنزلة سكانها وزوارها ومجاورها بصورة عامة، ومن كان خلاف هذا وسار فيها وعاملها بالإستخفاف والتهاون، أخرجه الله منها بالذلل والشبور، وحكم عليه بالابادة والفناء.

وقد حذر مصاص بن عمرو قومه، من عواقب البغي والإسفاف والإسراف على أنفسهم، ومواجهة الناس بالظلم وإعلان كل من قارها بالاضطهاد، فقال في خطبته فيهم: — فاحذروا البغي فإنه لا بقاء لأهله وقد رأيتم وسمعتم من سكنه قبلكم من طسم، وجديس، والعماليق، ممن كان أطول منكم أعماراً، وأشد قوة، وأكثر رجالاً وأموالاً وأولاداً.

وبعد هذه الكلمات تقدم اليهم بالنصيحة والموعظة، واعقبها بقوله: — ولا تظلموا من دخله وجاء معظماً لحرماته. وآخر جاء بائعاً لسلعته أمر تغباً في جواركم. فانكم إن فعلتم ذلك تخوّفت أن تخرجوا من حرم الله، خروج ذلّ وصغار حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل إلى الحرم، ولا إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرز وأمن، والطير والوحوش تأمن فيه.

فكيف وبعد هذه الأحداث التاريخية الصادقة التي تعتبر كل كلمة، وجملة منها عبرة، وموعظة، ونصيحة، ودرسا، تمتلك بقوة الحديد والنار من دون ذمة ولاشرف، شر ذمة دست السدانة والتولية والخلافة... وتترّج على أريكة الحكم والسلطة... وتدفع جلاوزتها وعملائها وعبيدها وخدامها الذين (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون (٣٥) الى مقابلة ضيوف الله سبحانه في كل مواسم الحج والزيارة... ومواجهة الزائرين من الرجال والنساء، بالضرب والشمّ والطعن والقذف ورميهم باتهامات مختلفة، وافتراءات كاذبة لعوامل صيبانية هزيلة، تكشف عن حقد أسيادهم الدفين. وبغضهم الشنيع وعدوانهم المتهور للكعبة وصاحبها، وربّها، وخالقها، وسكنتها وزوارها، والوافدين عليها، والقادمين إليها، بقصد العبادة والطاعة... وسمع منهم نداء القرآن الكريم... وهتاف الله سبحانه في قوله: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً (٣٦) أي يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل، بغير جنابة يستحقون بها الاذية فقد فعلوا ما هو أعظم الإثم مع البهتان، وهو الكذب على الغير يواجهه به، فجعل الله سبحانه ايداء المؤمنين والمؤمنات مثل البهتان. وقال قتادة، والحسن: أياكم وأذى المؤمنين فان الله تعالى يغضب له.

وقال عبدالله بن عمر: رأيت رسول الله (ص) يطوف بالكعبة ويقول: — ما أطيبك وأطيب ريحك. ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده، حرمة المؤمن أعظم

عند الله حرمة منك . ماله، ودمه، وأن نظن به إلا خيراً (٣٧).

أليسوا بمسلمين؟ فلماذا قصدوا الكعبة؟ ويحجوا إليها؟ ويولّوا وجوههم شطرها، عند صلواتهم المفروضة والمندوبة؟ إلى غيره من العبادات والخيرات والطاعات التي يقيمون بها في أناء الليل، وأطراف النهار في حلهم وترحالهم، لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهم فيها على هدى وصراط مستقيم.

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا

ولا تحزنوا وابتشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في

الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم

فيها ما تدعون. نزلاً من غفور رحيم

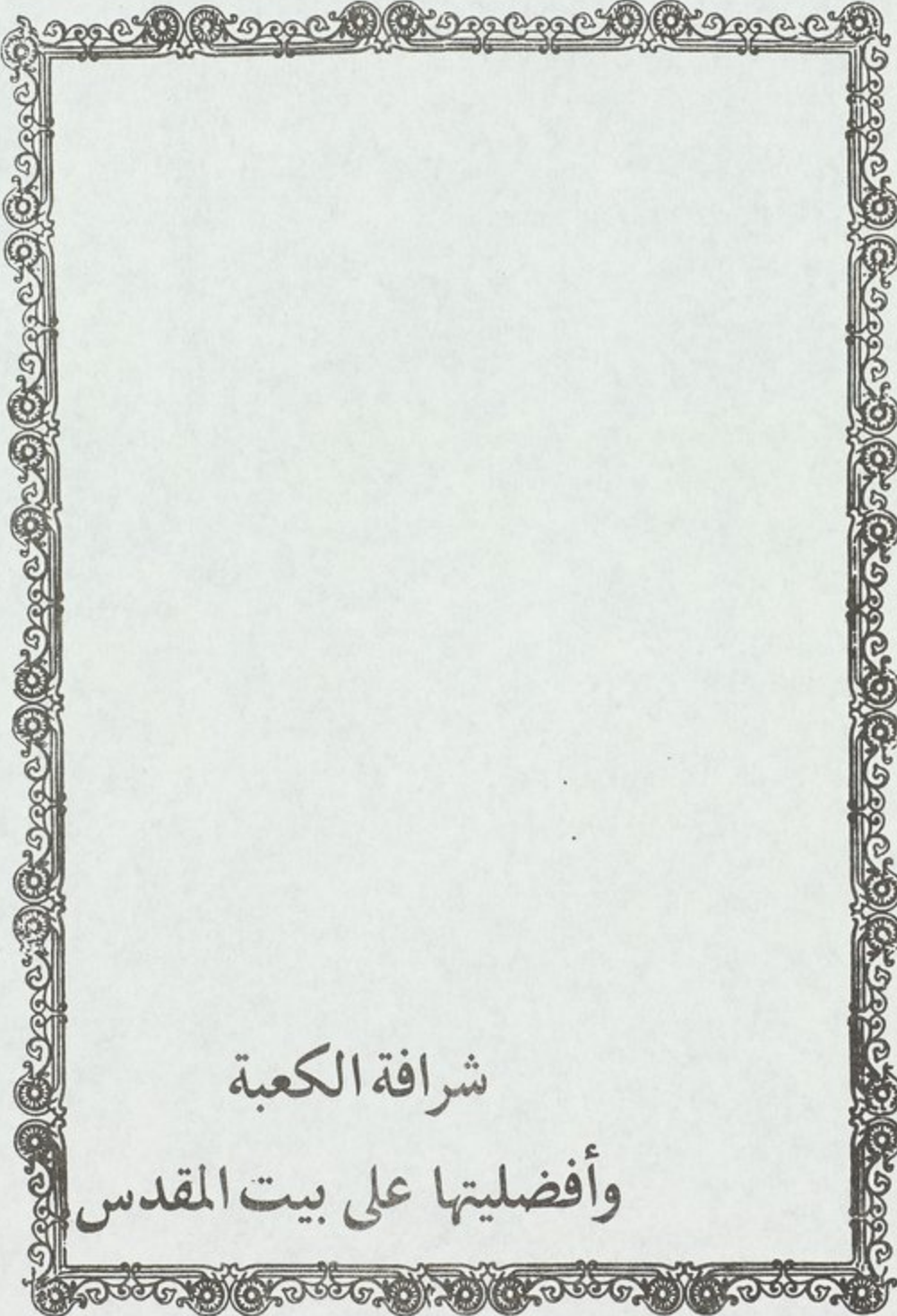
سورة فصلت/ ٣٠ — ٣٢.



## الهامش:

- (١) سورة آل عمران/٩٦.
- (٢) لمكة عدة أسماء منها: أم القرى. بكة. أم رحم. كريساء. الباشاة. الحاطمة. البلد الأمين. العروض. البلد. القرية. كوئي. أم كوئي. المقدسة. قرية النمل. الوادي. الحرم. العرش. برة. طيبة. معاد. الباسة. الناشئة. ولا يعرف بين البلاد بلدة أكثر اسماً من مكة، والمدينة، لكونها أشرف الأرض. الاعلام بأعلام بيت الله الحرام/١٧. تفسير الفخر الرازي ١٤٧/٨.
- (٣) سورة الحج/٢٩.
- (٤) سورة مريم/٥٨.
- (٥) سورة الأنعام/٩٢.
- (٦) صحيح مسلم ٩٨٦/٢ وسند الحديث - حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا جرير عن منصور، عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) يوم الفتح - الحديث.
- (٧) تفسير الفخر الرازي ١٤٥/٨. أخبار مكة ٢٨/١. مرآة الحرمين ٢٦٨/١.
- (٨) سورة البقرة/١٢٦.
- (٩) سورة ابراهيم/٣٥.
- (١٠) مجمع البيان ٢٠٦/١ ج ٣١٨/٥.
- (١١) سورة التين/١ - ٣.
- (١٢) تفسير الفخر الرازي ١٠/٣٢. تفسير الكشاف ٢٦٨/٤.
- (١٣) مجمع البيان ٤٧٧/٢. النهاية في غريب الحديث ١٥٠/١.
- (١٤) تفسير الفخر الرازي ١٤٧/٨.
- (١٥) تفسير العياشي ١٨٥/١ - ١٨٧.
- (١٦) النهاية في غريب الحديث ١٥٠/١. تفسير الكشاف ٤٤٦/١. تفسير ابن كثير ٣٨٣/١.
- (١٧) مجمع البحرين ٢٥٩/٥.
- (١٨) تفسير الفخر الرازي ١٤٧/٨.
- (١٩) سورة المائدة/٩٧. مجمع البيان ٢٤٦/٣. النهاية في غريب الحديث ١٧٩/٤. القاموس المحيط ١٢٤/١.
- (٢٠) سورة الحج/٢٩.
- (٢١) سورة الحج/٣٣.
- (٢٢) سورة الأسراء/١.
- (٢٣) تفسير الكشاف ٤٣٧/٢. تفسير الفخر الرازي ١٤٦/٢٠.

- (٢٤) الخرف: الثمر حين اجتثائه.
- (٢٥) الأربعة: الرياح الأربع. الصبا، والذبور، والجنوب، والشمال.
- (٢٦) النجال: نجلت الأرض اخضرت. الأرض شقت للزراعة.
- (٢٧) العضاة: كل شجر يعظم وله شوك.
- (٢٨) كاهنة من كاهنات العرب قبل سيل العرم. ومن الفصيحات البليغات وهي يمانية. الاعلام ٣٢٦/٣. أعلام النساء ٣٦٧/٢.
- (٢٩) ابن ماء السماء، عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرء القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن نيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
- (٣٠) الرنق: الماء الكدر.
- (٣١) من أودية السراة يصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكة. معجم البلدان ٤٠٩/٤.
- (٣٢) الأطم: بالضم ثم السكون. والجمع آطام، وهي الحصون. وأكثر ما يسمى بهذا الإسم حصون المدينة. معجم البلدان ٢١٩/١.
- (٣٣) أبوغيشان حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن عامر بن لحي بن قعدة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. جهرة أنساب العرب/٢٣٣ - ٢٣٦.
- (٣٤) أخبار مكة ٤٤/١ - ٥٩ باختصار.
- (٣٥) سورة المجادلة/١٩.
- (٣٦) سورة الأحزاب/٥٨.
- (٣٧) سنن ابن ماجه ١٢٩٧/٢.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns surrounds the text.

شرافة الكعبة  
وأفضليتها على بيت المقدس



بين جبهة المفسرين، والمحدثين، حوار قديم، ونقاش حاد تمتد جذوره إلى العهد النبوي الأقدس (ص) وذلك حول التفاضل والأولوية بين البيت الحرام، والمسجد الأقصى، وأن أيهما أفضل وأشرف من الآخر... فقد زعم اليهود أن المسجد الأقصى، أشرف وأفضل من المسجد الحرام (الكعبة) وتصدت جماعات من الفرق المسلمة بالردّ عليهم، من طريق العقل والنقل، وجاؤا بأدلة قاطعة، وحجج متينة تبطل مزاعم القائلين خلاف هذا. والواقع أن المراد من الأولوية كون هذا البيت أولاً في كونه مباركاً، وهدى للخلق، وهدى للعالمين، وليست هاتين الصفتين متمثلة وموجودة وحاصلة في المسجد الأقصى. فقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: أول بيت خص بالبركة الكعبة، وبأن من دخله كان آمناً.

وقال الامام السبط الحسن عليه السلام: هو أول مسجد عبد الله فيه في الأرض. وقال مطرف: أول بيت جعل قبله. ووصفه تعالى بكونه مباركاً وفيه بختان.

١ — انتصب (مباركاً) على إجلال، والتقدير الذي إستقر هو بركة مباركاً. ويجوز أن يكون من الضمير في وضع كأنه قيل: وضع مباركاً. وجاء أول بيت رغب فيه، وطلب منه البركة مكة (١).

٢ — للبركة معنيان:

١ — النمو والتزايد، بصورة متواصلة في الخيرات والعبادات والطاعات.

ب — البقاء والدوام والخلود وثبوتها فيه دائماً، حتى يحكى على أن الطواف به لا ينقطع أبداً. وقيل: يضاعف فيه ثواب العبادة، كما ورد عن عبد الله بن عباس، وقال في رواية اخرى: إن إمرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس. فبرأت. ثم تجهزت تريد الخروج. فجاءت ميمونة زوج النبي (ص) تسلم عليها. فأخبرتها ذلك. فقالت: اجلسي فكلي ما صنعت. وصلي في مسجد الرسول (ص) فأتي سمعت رسول الله (ص) يقول: — صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا مسجد الكعبة — (٢)

يقال: للبقاء والدوام تبارك الله، لثبوته لم يزل. والبركة شبه الحوض لثبوت الماء

فيها. وبرك البعير إذا وضع صدره على الأرض وثبت واستقر. فإن فسرنا البركة بالتزايد والنمو، فهذا البيت مبارك من وجوه:

١ — أن الطاعات والعبادات إذا أتى بها في هذا البيت إزداد ثوابها. قال صلى الله عليه وآله وسلم: — فضل المسجد الحرام على مسجدي، كفضل مسجدي على سائر المساجد. — وقال أيضاً: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه. — وقال (ص) أيضاً: — فضل الصلاة في المسجد الحرام، على غيره مائة ألف صلاة. وفي مسجدي ألف صلاة. وفي مسجد بيت الحرام خمسمائة صلاة (٣). فهذا في الصلاة. وأما الحج فقد قال رسول الله (ص): — العمرة إلى العمرة كفارة لما بينها. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

وقال أيضاً (ص): — من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه (٤). وظاهره أنه لا أكثر بركة مما يجلب المغفرة والرحمة.

٢ — قال بعض من المفسرين: أن المراد من البركة ما جاء في قوله تعالى: (أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كلشي رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) (٥) وكقوله تعالى: (إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) (٦) أي بالثمار والأشجار والأزهار.

٣ — لو أمعن العاقل بدقة واستحضر في ذهنه أن الكعبة كالنقطة، وان صفوف المتوجهين إليها في الصلاة كالدوائر المحيطة الملتفة بالمركز. ولتأمل كم عدد الصفوف المحيطة بهذه الدائرة حال اشتغال المصلين بالصلاة. ولا شك أنه يحصل فيما بين هاتيك المصلين، أفراد ورجال ذو أرواح ونفوس علوية روحانية. وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية، وضمايرهم ربانية. ثم إن تلك الأرواح النقية الطاهرة إذا توجهت إلى كعبة المعرفة والإيمان والقدس والمعرفة وأجسادهم يمت إلى تلك الكعبة الحسية الموجودة في الخارج، لا شك فن كان في الكعبة يتصل أنوار أرواح أولئك المتوجهين بنور روحه، فتزداد الأنوار الآلهية في قلبه، ويعظم لمعان واشعة الأضواء الروحانية في سره وأعماق قلبه. وهذا بحر عظيم ومقام كريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم. وهو في الحقيقة يثبت على معنى كونه مباركاً، وباعثاً للخيرات والبركات.

ولو فرضنا أننا فسرنا البركة بالدوام والبقاء فهو أيضاً كذلك، لأن الكعبة لا تنفك من الطائفين والعاكفين والركع السجود. بالإضافة إلى أن الأرض كروية فكل وقت يمكن أن يفرض فهو صبح لقوم. وظهر لأمة. وعصر لشعب. ومغرب لناس. وعشاء لأناس. ومتى كان الأمر كذلك لم تكن الكعبة منفكة قط عن توجه قوم إليها من صوب من أنحاء العالم المترامية



الأطراف لأداء فريضة الصلاة. فكان الدوام حاصلًا من هذه الجهة.  
 وأيضًا بقاء الكعبة ووجودها على هذه الحالة والصورة، على إمتداد تاريخ البشرية  
 منذ آلاف من السنين دوام وبقاء أيضًا ويثبت كونه مباركاً من جميع الوجوه مهما أمعت  
 وذهبت بك الأفكار والخواطر.  
 ومهما يكن من أمر فالصفة الثالثة التي تتحلّى وتتصف بها البيت كونه (هدى  
 للعالمين) وفيه بحثان:

١ — قال بعض المفسرين: وهدى للعالمين أي دلالة لهم على الله تعالى لإهلاكه كل  
 من قصده من الجبارة أمثال، أصحاب الفيل وغيرهم، وباجتماع الظبي في حرمة مع الكلب  
 والذئب، فلا ينفرد عنه مع نفرته عنه في خارج البيت، وفي غيره من البلاد. انمحاق الجمار على  
 كثرة الرمي فلولا أنها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال. وامتناع الطير من  
 التحلق والعلو عليه. واستئناس الطيور فيه بالناس. واستشفاء المريض به، وتعجيل العقوبة  
 لمن انتهك فيه حرمة إلى غير ذلك من الدلالات الواضحة.

٢ — قيل المعنى: أنه قبلة للعالمين يهتدون به إلى جهة صلاتهم. أو يهتدون إلى الجنة  
 بحجه وطوافه. وجاء هدى للعالمين، أي دلالة على وجود الصانع الواحد الأحد الفرد الصمد.  
 وصدق رسالة النبي الأقدس (ص) ونبوته. فإن كل ما يدل على النبوة فهو بعينه يدل أولاً  
 على وجود الصانع، وكافة صفاته الثبوتية من العلم والقدرة والحكومة والحكمة والرحمة والقوة  
 والإستغناء... و... و...

وقال ابواسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ المعنى: وذا  
 هدى للعالمين. قال: ويجوز أن يكون (وهدى) في موضع رفع على معنى وهو هدى (٧).



قلنا في بداية هذا الفصل أنّ اليهود تفاخروا مع المسلمين، فقالت اليهود: بيت المقدس  
 أفضل وأعظم من الكعبة فقال أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى: حدثنا أبو محمد،  
 قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثني جدّي عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، قال:  
 أخبرني ابن جريح، قال بلغنا إنّ اليهود، قالت: بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر  
 الأنبياء، ولأنه في الأرض المقدسة. وقال المسلمون: الكعبة أعظم فبلغ النبي (ص) فنزل (إنّ  
 أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم، ومن  
 دخله كان آمناً) وليس ذلك في بيت المقدس (٨).

وعلى أثر هذا التفاخر الشنيع، قام الحوار وشب الخلاف بين المسلمين واليهود، فهم

كانوا في الواقع جذور الخلاف وبذور النقاش والإحتدام والتناطح... فقبل بيان وسرد فضائل الكعبة، وما فيها من القيم والخصائص والسمات التي لم تكن واحدة منها في البيت المقدس كما صرح بها جمهرة المفسرين، وأخبتوا لها وأذعنوا إليها واثبتوها في صفحات مؤلفاتهم... أودّ القول أنّ اليهود هم عوامل ودوافع التفاخر البغيض، والحوار الضئيل الذي بسطوا شراكه وحبائله فوقوا فيها، ولم يتخلصوا منها إلاّ بالذلّ والخذلان والخسران، وقد قيل من قبل: — من كاشف الحق مخاصما له هلك... وليس بغريب منهم فالإسلام منذ انطلاقة شرارته الأولى المقدسة في مكة... واجه عدوانهم الغاشم، وبطشهم الشنيع ومؤامراتهم الدنيئة، ونواياهم الجشعة ومكائدهم الخسيسة في مختلف الجهات وشتى المجالات والميادين، وما زال المسلمون والإنسانية والبشرية تأنّ من ويلاتها، ومصائبها ومعنها إلى يومهم هذا.

أجل تتوجّع وتتفجع منهم، بعد أن وجدوهم بذرة كل شر وفساد، وبواعث جميع النعرات الطائفية، وتفرّق جمع الشعوب، وتشتت شمل الأمم، وأعداء المصالح العامة والحضارة الانسانية، ولهم اليد الطولى وقصب السبق في كل شؤم وشيطان وشغب وشتاء وشفار وشرر وشين وشوك وشهرك وشم وشرس وشبص وشبق وشين وشتات وشتغ وشجب وشجم وشح وشحن و... و....

عصابة تكونت من كل شيطان مارد، وراحت تضع المخططات والمؤامرات، لتنفيذ سياستهم البشعة التوسعية، وبالنتيجة ظفرت في البلاد الاسلامية والعربية بحصّة الأسد، وعلى مرالزمان صلب عودها وتضاعف جهدها وتفجرت طاقاتها في الإستثمار والإستعباد والإستغلال، ولم تقف هذه السياسة العدوانية في حدما، ولم تنحصر في حدود الزمان والمكان والجليل الواحد، وإنما استمرت مدى الإجيال والأعصار ومازالت زاحفة بقوة النار والحديد والبغي والإعتداء. وكان حظ البلاد الإسلامية منهم ومن ويلاتهم، هو الحظ الأوفر ولم تزل كتب التواريخ تحتفظ قديماً وحديثاً بأحداث هي خير دليل على بشاعة تلك المذابح الدامية إلى درجة لا يصدقها العقل.

واكثر تلك الأحداث العدوانية العارمة، جرت على أيديهم المضرجة بدماء المسلمين، حيث الأحقاد التاريخية الدفينة، من جهة ومقاومة المسلمين لعملياتهم التطويع القسري من جهة أخرى. وهذان العاملان كانا تدفعان بالصهاينة على جرد حملة إرهابية عامة على الشعوب كلها لكي تكف عن المقاومة.

إنّ الأراضي العربية والاسلامية، من أقصاها إلى أقصاها تفوح من صعيدها وتربتها رائحة الدم الطاهر المسفوح على يد هؤلاء الأوغاد المناكير، ودونك ما ارتكبوها في

(صبرا) و (شاتيلا) و (دير ياسين) و (الدواعية) و (الصفصاف) و (كفر قاسم) و (لبنان) و (فلسطين) و (افغانستان) و (الهند) و كيف لا ودينهم حسب التوراة والتلمود، دين قائم على العنصرية وهي تستسيغ ممارسة العنف والإرهاب، والقمع ضد الآخرين بأسم السماء دون أية ذمة وشرف... وإن الناس خلقوا لخدمة اليهود، وهم حيوانات لا قيمة لها ولا بأس ولا رادع من استخدامهم في سبيل مصالح اليهود حتى الموت. وإلى هذه العنصرية الاسرائيلية البغيضة تشير الآية الكريمة: (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٩) أى لا بأس باقتراف أية جريمة ضد غير اليهودي فلا حساب ولا كتاب ولا أحد يقطع عليهم السبيل من عذاب الهي، أو حساب من ضمير ووجدان.

قال الامام الفخر الرازي في ذيل هذه الآية: إن اليهود اختلقوا لهذا الاستحلال والخيانة عواملا وهي:

١ — أنهم مبالغون في التعصب لدينهم. فلا جرم يقولون: يحل قتل المخالف ويحل أخذ ما له بأي طريق كان. وروى في الحديث أنه لما نزلت هذه الآية، قال (ص): كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي، إلا الأمانة فانها مؤداة إلى البر والفاجر.

٢ — أن اليهود قالوا: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق) (١٠) والخلق لنا عبيد فلا سبيل لأحد علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا، وأخذنا بالقوة ما يمتلكونها لأن العبيد لا يملكون.

٣ — لم يكن عدوانهم هذا مطلقاً لكل من خالفهم من الشعوب، وإنما للعرب الذين آمنوا بالرسول الأعظم (ص) والذين اتبعوه بإحسان. وقد جاء أن اليهود بايعوا رجالاً في الجاهلية كانوا على الشرك فلما أسلموا طالبوهم بالأموال وما يمتلكونها، فقالوا: ليس علينا لكم حق لأنكم تركتم دينكم. ويبدو للباحث أنه كان من صميم مذهب اليهود أن من انتقل من دين باطلهم إلى دين آخر (باطل حسب مفهومهم العفن) كان في حكم المرتد. فهم وإن اعتقدوا أن العرب كفار إلا أنهم لما اعتقدوا في الاسلام أنه كفر وباطل. حكموا على العرب الذين أسلموا بصورة عامة بالردة (١١) ومن هنا لا عجب إن تمسوا بقتل الشعوب، واعتبروا تدمير نصف السكان في سبيل اخضاع النصف الآخر بطولة وفتوة عظيمة... وعلى ضوء هذا الاعتقاد السخيف الشيطاني الهمجي، أقاموا المجاز المخيفة، وشادوا المذابح والإغتيالات المروعة بحق الشعوب والرجال الآمنة

المطمئنة... واعتدوا على جاراتهم وسلبوا كل ما يملكونها من ثروات وذخائر عامة وخاصة، وحولوا الملايين إلى عبيد أذلاء مشردين، هائمين على وجوههم لخدمة الأخطبوط الصهيوني الجشع، المتجمع من حثالات وسفلة، ولصوص وقطاع طريق، وأوغاد مناكير لفظتهم المجتمعات البشرية... وهمج رعاع لم يهتدوا خلال تاريخهم السحيق الوضع الأسود، الى بصيص من أضواء البشرية والإنسانية، ولم يفهموا للمعرفة والحق والرحمة والحنان مفهوما، غير إراقة الدماء وإقامة حمامات الدم.

شر ذمة (ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأؤ بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١٢) فالذلة محيطة بهم مشتملة عليهم، فهم فيها كمن يكون في القبة المضروبة، وحتى لزمتهم ضربة لازم كما يضرب الطين على الحائط، وكذلك الفقر والفاقة والمحنة فهم مع اعتقادهم وعلمهم ويقينهم بقبح قتل الأنبياء والقتل والبغي بصورة عامة، فقد فعلوه وما زالوا يرتكبوه. فقد أخرج أبوداود الطيالسي، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود، قال: كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبيٍّ ثم يقيمون سوق بقلهم في آخر النهار (١٣).

عصابة ضربت عليهم الذلة والمحنة والمسكنة والفقر المدقع والفاقة العارمة... لا مأوى يضمهم ولا ملجأ يلفهم، ولا ظل ولا سقف ولا مكان ولا بلد يسكنهم، حيارى في أمرهم فاستخدمتهم المعسكرين الشرقي والغربي... واستعدتهم كمطية تحمل على ظهرها مخططاتهما التوسعية التعسفية. واتخذوا منهم ذريعة في إقامة وتدعيم كابوسهما المحطم في كل بلد وقطرير تؤنه، فاندفعوا إليهما، وتوغلوا في إراقة الدماء والبغي والظلم حسب رغبات أسيادهم تجاه ما تقدّم إليهم كالعبيد الأذلاء من معونة، ومساعدة تسد بها جوعها النهم.

لقد كان النبيّ الأعظم (ص) على يقين صادق وعلم واضح وصحيح، ومعرفة كاملة من مخاطر هذه الشر ذمة الحقيرة الحاقدة على الإنسانية والبشرية... لذلك نجده (ص) منذ اللحظة الأولى من أداء رسالته الهادية المهدية المقدسة... دعا المسلمين إلى قتالهم ونفيهم ومقاطعتهم وإخراجهم، من كل بيت وكوخ وقطر وبلد ونقطة وأخيرا من الجزيرة الإسلامية بصورة عامة كاملة، وتطهيرها من أرجاس هذا الاخطبوط الفاسد، المفسد لأنهم رأس كل خطيئة وفساد، وأم كل شر وعدوان.

إنّ دعوة الرسول الأقدس (ص) هذه، كانت ضربة قاضية عارمة نزلت باليهود، ودكت أعناقهم وصيرتهم أذلاء خاسئين ولم يروا من بد ومناص ومفر في حينه من غضبة

المسلمين (حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون) (١٤) كما حذت حذو النبي الاعظم (ص) من بعده الصحابة والتابعين. وهذا ما نجده بوضوح في كتب السنن والصحاح. وهي بطرق أسانيد صحيحة ثابتة وإليك البعض منها:

إجلاء رسول الله (ص) اليهود من جزيرة العرب

كما أنّ في القرآن الكريم الكثير من الآيات الشريفة الالهية الدالة على خبث نوايا اليهود، وعدوانهم الصريح، وخروجهم السافر من نطاق أطاعة الله سبحانه، وانطلاقهم وركوبهم الوثيق إلى ظل وسلطان الشيطان... فهناك أحاديث تحمل لنا بعض ما جاء في القرآن الكريم بحق اليهود، وإننا خشية الإطالة نكتفي بذكر الأحاديث فحسب بعد أن وضع البعض من المؤلفين، دراسات خاصة عن اليهود في القرآن.

١ - حدثنا مصرف بن عمرو الأيامي، حدثنا يونس يعني ابن بكير، قال: حدثنا محمد بن اسحاق، حدثني محمد بن أبي مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير، وعكرمة عن ابن عباس، قال: لما أصاب رسول الله (ص) قريشاً يوم بدر وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً قالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك إنك قتلت نفرأ من قريش كانوا أعماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وإنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله عزوجل في ذلك: (قل للذين كفروا ستغلبون) قرأ مصرف إلى قوله: (فئة تقاتل في سبيل الله ببدر وأخرى كافرة).

٢ - مصرف بن عمرو، حدثنا يونس، قال ابن اسحاق: حدثني مولى لزيد بن ثابت، حدثني ابنة محيصة عن أبيها محيصة، أن رسول الله (ص) قال: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة على شنيئة رجل من تجار يهود كان يلا بسهم فقتله، وكان حويصة إذ ذاك لم يسلم، وكان أسن من محيصة، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول: يا عدو الله أما والله لرب شحم في بطنك من ماله.

٣ - حدثنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا الليث، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، إنه قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله (ص) فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جنناهم فقام رسول الله (ص) فناداهم فقال: يا معشر يهود أسلموا تسلموا. فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله (ص): ذلك أريد، ثم قالها الثالثة: اعلموا إنما الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجعلكم من هذه الأرض فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وآلا فاعلموا إنما الأرض لله ورسوله (ص) (١٥).

٤ — حدّثنا عبدالله بن يوسف، حدّثنا الليث، قال حدّثني سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: بينما نحن في المسجد خرج النبيّ (ص) فقال: انطلقوا إلى يهود فخرجنا حتى جئنا بين المدراس، فقال: أسلموا تسلّموا واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن اجليكم من هذه الأرض فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وآلا فاعلموا أنّ الأرض لله ورسوله.

٥ — حدّثنا محمد، حدّثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، سمع سعيد بن جبيرة، سمع ابن عباس، يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس. ثم بكى حتى بلّ دمه الحصى، قلت: يا أبا عباس ما يوم الخميس؟ قال: إشتد برسول الله (ص) وجعه فقال اثتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا: ما له أهجر استفهموه، فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، فأمرهم بثلاث، قال: أخرجوا اليهود من جزيرة العرب. وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. والثالثة خير أَمَا أن سكت عنها، وأما أن قالها فنسيها (١٦).

٦ — حدّثني محمد بن رافع، واسحاق بن منصور، قال: أخبرنا ابن جريح، عن موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر أنّ يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله (ص)، فأجلى رسول الله (ص) بني النضير، وأقر قريظة، ومن عليهم. حتى حاربت قريظة بعد ذلك. فقتل رجالهم، وقسم نساءهم، وأولادهم، وأموالهم بين المسلمين. إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله (ص) فأمنهم وأسلموا. وأجلى رسول الله (ص) يهود المدينة كلهم بني قينقاع (وهم قوم عبدالله بن سلام) ويهود بني حارثة. وكل يهودي كان بالمدينة.

٧ — وحدّثني زهير بن حرب. حدّثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن جريح. وحدّثني محمد بن رافع، حدّثنا عبدالرزاق أخبرنا ابن جريح. أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله (ص) يقول: لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب. حتى لا أدع إلا مسلماً.

وحدّثني زهير بن حرب. حدّثنا روح بن عبادة. أخبرنا سفيان الثوري. وحدّثني سلمة بن شبيب. حدّثنا معقل (وهو ابن عبيد الله) كلاهما عن أبي الزبير بهذا الإسناد مثله (١٧).

٨ — وحدّثني عن مالك، عن اسماعيل بن أبي الحكم، أنه سمع عمر بن عبدالعزيز يقول: كان من آخر ما تكلم به رسول الله (ص) أن قال: قاتل الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. لا يبقين دينان بأرض العرب.

٩ - وحَدَّثني، عن مالك، عن ابن شهاب، أن رسول الله (ص) قال: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب.

١٠ - قال مالك، قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب، حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله (ص) قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب. فأجلى يهود خيبر (١٨).

١١ - وحَدَّثني عمرو بن الناقد، وزهير بن حرب قالوا: حَدَّثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله (ص) فقالوا: السام عليكم. فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة.

١٢ - حَدَّثنا قتيبة بن سعيد. حَدَّثنا عبدالعزيز (يعني الدراوردي) عن سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام. فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه.

وحَدَّثنا محمد بن المثنى. حَدَّثنا محمد بن جعفر. حَدَّثنا شعبة. وحَدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب. قالوا: حَدَّثنا وكيع عن سفيان. وحَدَّثني زهير بن حرب. حَدَّثنا جرير كلهم عن سهيل، بهذا الاسناد. وفي حديث وكيع (إذا لقيتم اليهود) (١٩).

١٣ - حَدَّثنا قتيبة. حَدَّثنا عبدالعزيز بن محمد، عن سهل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة، أن رسول الله (ص) قال: لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام. وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه.

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

حَدَّثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي. حَدَّثنا سفيان بن عيينة، عن الزهري عن عروة عن عائشة، قالت: إن رهطاً من اليهود دخلوا على النبي (ص) فقالوا: السام عليك. فقال النبي (ص) عليكم. فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة (٢٠).

١٤ - حَدَّثني يونس بن عبد الأعلى. أخبرنا ابن وهب. قال: وأخبرني عمرو أن أبايونس حَدَّثه عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) أنه قال: والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار (٢١).

١٥ - حَدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حَدَّثنا أبو أسامة، عن طلحة بن يحيى، عن أبي بردة عن أبي موسى، قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة دفع الله عزوجل إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً. فيقول: هذا فكاكك من النار. الفكاك وهو الخلاص والفداء.

١٦ — حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَفَانُ بْنُ مُسْلِمٍ. حَدَّثَنَا هَمَامٌ. حَدَّثَنَا قَتَادَةَ، أَنَّ عَوْنًا، وَسَعِيدَ بْنَ أَبِي بَرْدَةَ، حَدَّثَاهُ أَنَّهَا شَهِدَا أَبَا بَرْدَةَ، يَحَدِّثُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ (ص) قَالَ: لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا. قَالَ: فَاسْتَحْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَالَ: فَحَلَفَ لَهُ.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ. أَخْبَرَنَا هَمَامٌ. حَدَّثَنَا قَتَادَةُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَ حَدِيثِ عَفَانَ.

١٧ — حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبَادِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ. حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عَمْرَةَ. حَدَّثَنَا شَدَادَةُ أَبُو طَلْحَةَ الرَّاسِبِيُّ، عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ. عَنْ أَبِي بَرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ (ص) قَالَ: يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ. فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ. وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى (٢٢).

\*\*\*

وهكذا نجد نبي الإسلام (ص) يجند المسلمين لاجلاء اليهود والنصارى من الجزيرة العربية، وينفهم منها بصورة عامة عنها من دون استثناء، ويعلم المسلمين كيفية التعامل معهم ومقاطعتهم، وعدم ابتدائهم بالسلام. ورعاية الآداب الإجتماعية، وأخيرا يعلن عن أحوالهم يوم القيامة، وأن الله سبحانه يغفر ذنوب ناس من المسلمين قد أتوا بذنوب أمثال الجبال، ويضعها على اليهود والنصارى.

وإذا اردنا استقصاء كافة الأحاديث الواردة في السنن والصحاح، في هذا الحقل لافتقرنا إلى مجلدات، ووقت وزمان طويل... غير أننا ندع البقية منها إلى نظر القارئ الكريم والباحث المحترم.

وحذى حذو النبي الأقدس (ص) واقتدى أثره من بعده الصحابة، وواصلوا إجلاء اليهود من الجزيرة، وكشفوا القناع عن مآرهم وخيانتهم وخبشهم ونفسياتهم الجشعة، وأنهم مجبولون على الخبث والمكر والغدر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام، مروان بن الحكم بالبصرة...

أولم يبايعني بعد قتل عثمان. لاجابة لي في بيعته. إنها كف يهودية. لو بايعني بيده لغدر بسبته.

فقد أجمع الشارحون أن معنى قوله: (أنها كف يهودية) أي غادرة، واليهود تنسب إلى الغدر والخبث، وقال تعالى: (لتجدن أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود) (٢٣).



عمر بن الخطاب...

حدّثنا أحمد بن المقدم، حدّثنا فضيل بن سليمان، حدّثنا موسى، أخبرنا نافع عن ابن عمر، قال: كان رسول الله (ص). وقال عبدالرزاق، أخبرنا ابن جريح، قال: حدّثني موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز. وكان رسول الله (ص) لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله (ص) وللمسلمين وأراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهود رسول الله (ص) ليقرّهم بها أن يكفوا عملها، ولهم نصف الثمر، فقال لهم رسول الله (ص): نقرّكم بها على ذلك ماشئنا، فقرّوا بها حتى أجلاهم عمر إلى تياء وأريحاء (٢٤).

قال مالك: وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نجران، وفدك. فأما يهود خيبر، فخرجوا منها ليس لهم من الثمر ولا من الأرض شيء. وأما يهود فدك فكان لهم نصف الثمر ونصف الأرض. لأنّ رسول الله (ص) كان صالحهم على نصف الثمر ونصف الأرض. فأقام لهم عمر نصف الثمر ونصف الأرض. قيمة من ذهب، وورق وابل وحبال وأقتاب. ثم أعطاهم القيمة وأجلاهم منها (٢٥).

قال ابن اسحاق: وسألت ابن شهاب الزهري، كيف كان إعطاء رسول الله (ص) يهود خيبر نخلهم — حين أعطاهم النخل — على خرجها أبت ذلك لهم حتى قبض، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك؟ فأخبرني ابن شهاب أن رسول الله (ص) افتتح خيبر عنوة بعد القتال. وكانت خيبر مما أفاء الله عزوجل على رسول الله (ص) خمسها رسول الله (ص)، وقسمها بين المسلمين. ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال. فدعاهم رسول الله (ص) فقال: ان شئتُم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقرّكم ما أقرّ الله... فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله (ص) يبعث عبدالله بن رواحة، فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص. فلما توفى الله نبيه (ص) أقرّها أبو بكر بعد رسول الله (ص) بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله (ص) حتى توفي. ثم أقرّها عمر صدرا من إمارته. ثم بلغ عمر أن رسول الله (ص) قال: في وجعه الذي قبض الله فيه: (لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان) ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت. فأرسل إلى يهود، فقال: أن الله عزوجل قد أذن في جلائكم. فقد بلغني أن رسول الله (ص) قال: (لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان) فن كان عنده عهد من رسول الله (ص) من اليهود فليأتني به انفذه له. ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله (ص) من اليهود، فليستجهز للجلاء. فأجلى عمر من لم

يكن عنده عهد من رسول الله (ص) منهم .

قال ابن اسحاق، وحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر، قال: خرجت أنا والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا، قال: فعدي عليّ تحت الليل وأناائم على فراشي . ففدعت يداي من مرفقي، فلما أصبحت استصرخ على صاحباي فأتياي فسألاني من صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدري . قال: فأصلحا من يديّ ثم قد ما بي على عمر، فقال: هذا عمل يهود . ثم قام في الناس خطيبا، فقال: أيها الناس إنّ رسول الله (ص) كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدو على عبدالله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوهم على الأنصاريّ قبله . لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم . فن كان له مال بخيبر فليلحق به، فآتي مخرج يهود فأخرجهم (٢٦) .

لقد ثار الرسول الأكرم (ص) بوجه اليهود، ودعا إلى مطاردتهم وإجلائهم من مكة... والمدينة الطيبة... وامتدت جذور الجلاء هذا، وشملت الجزيرة العربية بأسرها... بعد أن بعث بندائه المقدس وأسمع الأجيال والأجيال، وكان الواجب يحتم على المسلمين تلبية دعوته (ص) ويتجاوبوا لصرخته، ويخذوا حذوه عبر القرون قرنا بعد قرن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

بيد أنهم قابلوا هتاف النبيّ الأعظم (ص) بالنكران، والتقاعد والتقاعد، ومشى الضعف والجن والوهن والكسل في دمائهم، وتفشى في عروقهم، فأقعدهم عن واجبهم وتحلوا عن رسالتهم، والعدو يتربص بهم الدوائر والفرص لحظة بعد أخرى، إلى أن استفحل اليهود في استعبادهم، وتكالب في جسعه الاخطبوط الصهيوني، وتناول في عدوانه واستأرب في أطماعه، ويضم في سياسته التعسفية التوسعية، وتوجه الى الأراضي الإسلامية يبتزها بكل دنائة ووقاحة... يخضمون خيراتها وثرواتها خضمة الإبل نبتة الربيع، من غير رادع ولا مانع، والمسلمون بمعزل عن ذب كرامة أوطانهم، والذود عن قدسية بلادهم، وحفظ طهارة تربتهم، وفي غفلة مما يجري فيها من المكاره على أهلها، فتفاقم الأمر والحرص والجشع اليهودي، واستعذبوا نومة المسلمين وغفلتهم، فصالوا وجالوا، ونهبوا وغدروا، وعبثوا بمحارم المسلمين، وقبضوا على مقدساتهم، وبقاعهم الكريمة، وانتهى بهم المطاف أن أحرقوا المسجد الأقصى الذي باركنا حوله... المسجد الأقصى الذي كانت آباؤهم بالأمس تتغنى بألويته وتشريفه، وتفضيله على الكعبة وتشدق بمجده وقديسته... وقد ذكرت هذه المأساة في قصيدي التي أقيمتها بين آلاف من المحتشدين في الأحتفال الذي اقيم في النجف الأشرف يوم الجمعة

٧/ربيع الثاني / ١٣٩٠ بمناسبة ذكرى وفاة السيد الحكيم... ومنها:

يا قادة الدين هذا الدين دينكم  
الدين للشعب نور يستضي به  
لا تودعوه غريباً في بلادكم  
قد راح يفتك فيه الغرب من حسد  
لم ألق كالدين مظلوماً وقد حشدوا  
وبددوا وحدة للمسلمين زكت  
وأحرقوا المسجد الأقصى وفيه هدى  
وأفزعوا الدين والدنيا بفعالهم  
وحدق الشعب مرعوباً ليبصره  
أسعد الوطن المكلوم شرذمة  
ويستبيحوا حقوق الشعب من سفه

لا تتركوه بلارعي ليغتربا  
وقوة تهزم الأحداث والنوبا  
فرب ترك مريبورث العطبنا  
وحوله يزرع البهتان والكذبنا  
لذبحه جند كفر في المدى لجبا  
زكية لاترى في نهجها صخبنا  
للسالكين ونوراً يخرق الحجبنا  
يرنوناً لمأساتها الإسلام مضطربنا  
فساءه أن يرى كفرأ له اغتصبنا  
من اليهود أتواكي يبعثوا الرهبنا  
بسيرة قد حشوها الظلم والحربنا

(٢٧)

ان تقاعس المسلمين، وعدم رعايتهم لهتاف نبيهم الاكرم (ص)، جر عليهم الدمار والعباب والوبال، فقد تسرب العدو من مختلف الجهات، وبشقى العناوين والحيل إلى مجتمعهم وأوطانهم، ونهبت ثرواتهم، وخيرات بلادهم وبددتها بين اللصوص والذئاب، وابتزوها وصاروا ذات سيادة وحكومة ونفوذ، وقوة بعد أن كانوا إلى الأمس القريب عبيداً اذلاء صاغرين.

ليت شعري، كيف يستسيغ المسلمون لأنفسهم أن يبيتوا على الذل والهوان، والاستسلام وقد أهدقت بهم المخاطر والمكاره، وأحاطتهم العقبات والمصاعب، من كل صوب وحدث، وغزت تراثهم وامتلكت أراضيهم ابناء بني اسرائيل، وحاربتهم جنود إبليس، ودنست تربتهم أقدام كل شيطان ماردا... مع العلم أن المسلم الحق المتغلغل في عروقه وشرائينه، طبيعة الإيمان بالله الواحد الأحد... لا يكثر في يوم ما بأمر ليس له من دين الله سناد، وهو في إقدامه وجرأته على المعروف والتقاليد، سوف يلاقى العنت والإضطهاد والحر والجوع. بيد أنه لا يخشى في الله لومة لائم وأن يمشى إلى غايته لا تعينه قسوة النقد ولا جراحات الألسنة والسنان ولا أبواق الدعايات الفاشلة وإسفاهم الهزيل:

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً فما زلت بالبيض القواضب مغرماً

وهكذا غابت تلك الشمس الرائعة، سر تقدمنا، ومنطلق عزتنا التي كنا فيها نسير على قم الزمان الشواهد، منذ أن تسرب الإخطبوط إلى أراضينا، وخيمت التيارات الوافدة من خارج

الوطن الإسلامي على رؤسنا، وغطت منبع النور وكل القيم والفضائل المؤمنة التي وعت واقعها، وحددت نقاط الداء في جسم الأمة وما رأت لكل أدوائها علاجاً ومنقذاً غير الإسلام العظيم، عند ما يعود فيستلم دفة الامور ويحكم ويسيطر على كافة مجالات الحياة.

إنّ المسلمين في جميع الحالات والأعصار والأزمان والأطوار بحاجة ماسة إلى الإسلام والقرآن... والعودة والدعوة إلى مبادئه، والدفع الخيثة نحو إنزالهم وتوجيههم إلى واقع التطبيق من جمع الشمل، ورأب الصدع بعد أن إلتمز المسلمون من المؤسف جداً بأطروحات ومسيرات عديدة لاصلة لها بالسواء وخالفها... فجربوها وعاشوا في ظلها سنين طويلة، فلم تجن منها إلا الأسى والألم والهوان، ولم تجد فيها السعادة التي تنشدها. والرواء الذي تفتقر، وبالرغم من ذلك مازالوا يتخبطون بعيداً عن اطروحة السماء إلى أن وجدت نفسها في نهاية الشوط مفلسة من كل خير وقد أعياهم المسير.

\*\*\*

هذا والحديث ذوشجون... وشجون متواصلة الحلقات لا انقطاع لها ولا حدود ولا أمد... بيد أني أفق بالقلم هنا وأدع البحث هذا جانباً خشية الإطالة والتفصيل، لئلا يعترى القارئ الكرم إرهاق وضجر... وأعود إلى بداية الموضوع الذي عقد ناله الفصل هذا، بعون الله وتوفيقه، وهو (شرافة الكعبة وأفضليتها على بيت المقدس).

أجل إنّ اليهود فاخرت المسلمين، وزعمت كبقية مزاعمها الواهية الفارغة، أن بيت المقدس أفضل وأشرف من الكعبة، وتصدى بالإجابة عليهم علماء لاسلام، وفي مقدمتهم رجال التفسير والحديث والكلام، فأجمعوا على أنّ الآية الكريمة: (إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً) (٢٨) في حد ذاتها ردّ على اليهود عن شبهة أخرى من شبههم، في إنكار نبوة محمد (ص) وذلك لأنه صلى الله عليه وآله وسلم، لما حوّل القبلة إلى الكعبة طعن اليهود في نبوته، وقالوا: أن بيت المقدس أفضل من الكعبة وأحق بالإستقبال. وذلك لأنه وضع قبل الكعبة، وهو أرض المحشر، وقبله جملة الأنبياء، وإذا كان كذلك كان تحويل القبلة منه إلى الكعبة باطلاً. فأجاب الله تعالى عنه بقوله: (إنّ أول بيت وضع للناس) فبين سبحانه أن الكعبة أفضل من بيت المقدس، وأشرف فكان جعلها قبلة أولى.

ثم إن المقصود من الآية المتقدمة، بيان أن النسخ هل يجوز أم لا؟ فإنّ النبي (ص) استدك على جوازه بأن الأطمعة كانت مباحة لبني اسرائيل، ومن ثم حرّم الله بعضها والقوم نازعوا رسول الله (ص) فيه. ومن أعظم الأمور التي أظهر رسول الله (ص) نسخها، هو القبلة لا

جزم ذكر تعالى في هذه الآية العوامل التي من أجلها حولت الكعبة، وهو كون الكعبة أفضل من غيرها.

والآية المتقدمة على هذه الآية: (قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وفيها دلالة صادقة أنّ الحج كان من أعظم شعار ملة ابراهيم، وفيها فضيلة البيت ليفرع عليه إيجاب الحج. بالإضافة إلى هذا جميعاً أن اليهود والنصارى زعم كل فرقة منهم أنه على ملة ابراهيم، والله تعالى أراد بيان وتبيين كذبهم من حيث أن الحج كان مختصاً بملة ابراهيم، واليهود والنصارى لا يحجون فيدلّ هذا على كذبهم في ذلك.

هذا والمقصود من الأولوية والأولوية كون الكعبة أو البيت أو لا في كونه مباركاً، وهدى للخلق. فقد روي أن النبي (ص) سئل عن أول مسجد وضع للناس، فأجاب صلى الله عليه وآله وسلم: — المسجد الحرام ثم بيت المقدس — فقيل كم بينهما؟ قال: أربعون سنة (٢٨). وفي حديث آخر، عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص): لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الأقصى (٢٩). ولا يخفى أن دلالة الآية على الأولوية في الفضل والشرف أمر لا محيص منه. لأن المقصود ترجيحه على بيت المقدس، وهذا أنما يتم بالأولوية في الفضيلة والشرف. ولا تأثير للأولوية في البناء في هذا المقصود. آلا أن ثبوت الأولوية بسبب الفضيلة لا ينافي في ثبوت الأولوية في البناء، وقد أوضحنا ذلك فيما تقدّم.

ومهما يكن من أمر فالمراد من ثبوت هذه الأولوية زيادة الفضيلة والمنقبة والشرافة والعظمة. وإليك أسباب فضيلة البيت والمزايا العالية، والقيم والمثل العليا التي لم نجد لها بصورة باتة في غيره كما صرح بها المفسرون... وأثبتوها في تفاسيرهم:

١- اتفقت الأمم على أن باني هذا البيت هو الخليل عليه السلام. وباني وواضع لبنة بيت المقدس سليمان عليه السلام. ولا مشاحة أن الخليل أعظم درجة، وأكثر منقبة وفضيلة من سليمان. فمن هذا الوجه يجب أن تكون الكعبة أشرف من بيت المقدس. وقد صرحت الآية الكريمة: (واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) (٣٠) والمبلغ لهذا التكليف هو جبريل (ع) فلهذا قيل: ليس في العالم بناء أشرف من الكعبة، فالأمر هو الله الواحد القهار. والمهندس هو جبريل. والباني المعمار الخليل. والتلميذ إسماعيل عليهم السلام.

٢ - مقام ابراهيم، وهو الحجر الذي وضع إبراهيم قدمه عليه، فجعل الله ماتحت قدم إبراهيم عليه السلام، من ذلك الحجر دون سائر أجزائه كالطين، حتى غاص فيه قدم إبراهيم.

وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله ولا يظهره إلا على الأنبياء ثم لما رفع إبراهيم قدمه عنه، خلق فيه الصلابة الحجرية مرة أخرى. وأبقى الله تعالى ذلك الحجر على إمتداد التاريخ، وعبر القرون والأحقاب والإستمرار والدوام. ولقد كانت آثار القدم والأصابع ظاهرة واضحة إلا أن الخلق راحت تمسحه وتلمسه، فاخلونق وانماح.

قال أبو الوليد محمد الأزرقى: حدثني محمد بن يحيى، عن محمد بن عمر الواقدي، عن ابن أبي سبرة عن اسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، عن عمر بن الحكم، عن أبي سعيد الخدري قال: سألت عبدالله بن سلام، عن الأثر الذي في المقام؟ فقال: كانت الحجارة على ماهي عليه اليوم، إلا أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل المقام آية من آياته، فلما أمر إبراهيم (ع) أن يؤذن في الناس بالحج، قام على المقام فارتفع المقام حتى صار أطول الجبال وأشرف على ما تحته، فقال: يا أيها الناس أجيئوا ربكم فأجابوه الناس، فقالوا: لبيك اللهم لبيك، فكان أثر قدميه فيه لما أراد الله سبحانه، فكان ينظر عن يمينه وعن شماله، ويقول: أجيئوا ربكم. فلما فرغ أمر بالمقام فوضعه قبله فكان يصلي إليه مستقبل باب الكعبة (٣١).

٣ — قلة ما يجتمع فيه من حصى الجمار، فإنه منذ آلاف من السنين، وقد يبلغ من يرمى في كل سنة ستمائة ألف انسان، كل واحد منهم سبعين حصاة. ثم لا يرى هناك إلا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير، وليس الموضع الذي ترمى إليه الجمرات مسيل ماء، ولا مهب رياح شديدة كي تكتسحها إلى أماكن أخرى. وقد جاء في الآثار أن من كانت حجته مقبولة، رفعت حجارة جمراته إلى السماء (٣٢).

٤ — إن الطيور تترك الأجتياز والطيران فوق الكعبة عند طيرانها في الجو، بل تنحرف عنها إذا ما وصلت إلى فوقها.

قال الشيخ قطب الدين النهرواني المكي الحنفي: وينبغي لمن بنى بمكة بيتاً أن لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة. فإن بعض الصحابة كان يأمر بهدمه. قال الأزرقى: وإنما سميت الكعبة كعبة لانه لا يبنى بمكة بناء مرتفع عليها. ثم قال: حدثني جدي عن ابن عيينة، عن ابن شيبه الحجبي، عن شيبه بن عثمان، أنه كان يشرف فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه. ثم قال، قال جدي: لما بنى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنه داره التي بمكة حيال المسجد الحرام، أمر قومه أن لا يرفعوها على الكعبة، وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة لتكون دونها إعظماً للكعبة. قال الأزرقى: قال جدي فلم تبق بمكة دار للكبير أو غيره تشرف على الكعبة إلا هدمت أو خربت إلا هذه الدار، فإنها باقية إلى اليوم (٣٣).

٥ — يجتمع عنده الوحش فلا يؤذى بعضها بعضاً، كالكلاب والظباء. ولا يصطاد فيه الكلاب والوحوش وهذه صفة خاصة عجيبة. وأيضاً كل من سكن مكة أمن من النهب والحريق، والغارة بسبب دعاء إبراهيم (ع) حيث قال: (رب اجعل هذا بلداً آمناً) وقال تعالى في صفة أمنه: أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمناً ويتخطف الناس من حولهم) (٣٤) وقال: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (٣٥). ولم يذكر التاريخ ألبتة أن ظالماً هدم الكعبة، وخرّب مكة بالكلية، وأما بيت المقدس فقد هدمه باختنصر بالكلية ومحاها من على الأرض.

٦ — أن صاحب الفيل، وهو أبرهة بن الصباح الأشرم، ملك اليمن بنى من قبل أضخمه النجاشي، كنيسة بصنعاء سماها القليس، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج من بني كنانة رجل وتغوط فيها ليلاً فأغضبه ذلك. وقيل: أوجت رفقة من العرب ناراً فحملتها الريح، فأحرقتها فحلف ليهدم الكعبة فقاد الجيوش والفيل إلى مكة لتخريبها، وعجز قريش عن مقاومة أولئك الجيوش، وفارقوا مكة وتركوا له الكعبة. فلما بلغ قريباً من مكة خرج إليه عبدالمطلب وعرض عليه ثلث أموال تامة، ليرجع فأبى وعبأ جيشه. وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى جهة الحرم برك ولم يبرح. وإذا وجهوه إلى جهة اليمن أو إلى سائر الجهات هروا. ثم إن أبرهة أخذ لعبدالمطلب مائتي بعير فخرج إليهم فيها، فعظم في عين أبرهة وكان رجلاً جسيماً وسيماً، وقيل: هذا سيد قريش، وصاحب عير مكة، فلما ذكر حاجته قال: سقطت من عيني جثت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك، فأهلك عنه ذود أخذ لك. فقال: أنا رب الإبل، ولليبت رب سيمعك عنه.

ثم رجع وأتى البيت وأخذ بملقته، وهو يقول:

لا هم إن المرء يمنع حله فامنع حلالك  
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك  
لا يغلبن صليهم ومحالم عدوا محالك  
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمرنا بدالك

ويقول:

يارب لا أرجوهم سواك يارب فامنع عنهم حماك

فالتفت وهو يدعو، فإذا هو بطير من نحو اليمن، فقال: والله أنها لطير غريبه ما هي بنجدية ولا تهامية، وكان مع كل طائر حجر في منقاره، وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة. فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر إسم من يقع

عليه فهلكوا في كل طريق ومنهل، ودوى أبرهة فتساقطت أنامله، وما مات حتى إنصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره أبويكسوم، وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة. فلما أتمها وقع عليه الحجر وخرميتاً بين يديه.

وذكر النقاش في تفسيره: أن السيل احتمل جثثهم، فألقاها في البحر. وقد قالت العرب الأشعار في هذه الكائنة العظيمة التي نصر الله فيها بيته الحرام الذي يريد أن يشرفه ويعظمه ويظهره ويؤقره، ببعثة نبيه (ص) وما يشرع له من الدين القوم الذي أحد أركانه الصلاة بل عماد دينه، وسيجعل قلبته إلى هذه الكعبة المطهرة، ولم يكن ما فعله بأصحاب الفيل نصرة لقريش، إذ ذلك على النصارى الذين هم الحبشة، فإن الحبشة إذ ذلك كانوا أقرب لها من مشركي قريش، وأما كان النصر للبيت الحرام، وارهاصا وتوطئة لبعثة النبي الأعظم (ص).

فمن ذلك ما قاله عبدالله بن الزبيري السهمي القرشي. شاعر قريش في الجاهلية وكان شديداً على المسلمين. ومات عام ١٥ هجرى:

تنكلوا عن بطن مكة آتھا	كانت قديماً لأبرام حريمھا
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت	اذ لا عزيز من الأنام يرومھا
سائل أميرالجيش عنها مارأى	فلسوف ينبي الجاهلين عليمھا
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم	بل لم يعش بعد الأياب سقيمھا
كانت بها عاد وجرهم قبلهم	والله من فوق العباد يقيمھا

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت الأنصاري المدني:

ومن صنعه يوم فيل الجيو	ش اذ كلما بعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه	وقد شرموا أنفه فانحزم
وقد جعلوا سوطه مغولا	إذا يمموه قفاه كلم
فولسى وأدبر أدراجھ	وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصباً	فلفهم مثل لف القزم
تحض على الصبر أحبارهم	وقد تأجوا كثؤاج الغنم

وقال في هذه الواقعة أبوالصلت ربيعة بن أبي ربيعة وهب بن علاج الثقفي:

إن آيات ربنا ثاقبات	مايمارى فيهن إلا الكفور
خلق الليل والنهار فكل	مستبين حسابھ مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم	بمھاة شعاعھا منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى	صار يحبو كأنه معفور



د من صخر كيكب محدود  
ل ملاويث فى الحروب صقور  
كلهم عظم ساقه مكسور  
ه الآ دين الحنيفة بور

وقال عبيدالله بن قيس الرقيات، في عظمة البيت وحمايته بهلاك من أراد به سوء:

ل فولى وجيشه مهزوم  
دل حتى كأنه مرجوم  
جع وهوفل من الحبوس ذميم

لازما حلقة الجران كماق  
حوله من ملوك كندة أبطا  
خلفوه ثم ابذعروا جميعا  
كل دين يوم القيامة عندالد

كاده الأشرم الذي جاء بالفيد  
واستهلت عليهم الطير بالجنذ  
ذاك من يغزه من الناس ير

وقال أبوقيس بن الأسلت أيضا:

بأركان هذا البيت بين الأخاشب  
غداة أبى يكسوم هادى الكتائب  
على القاذفات فى رؤس المناقب  
جنود المليك بين ساف وحاصب  
الى أهله ملحش غير عصائب

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا  
فعندكم منه بلاء مصدق  
كتيبته بالسهل تمشى ورجله  
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردم  
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب

وذكر ابن الأثير عز الدين أبيات عبدالمطلب هكذا، ثم قام عبدالمطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة. فقال عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

يا رب فامنع منهم حماكا  
إمنعهم أن يخربوا فناكا  
كما أنه ذكر أبيات أربعة أخرى بالأضافة إلى الأبيات الأربعة المذكورة من شعر

يارب لا أرجولهم سواكا  
إن عدو البيت من عاداكا

عبدالمطلب وهي:

أمرتتم به فعالك  
غ نرتجيك له كذلك  
خزى وتهلهم هنالك  
والفيل كى يسبوا عيالك

ولئن فعلت فآنه  
أنت الذى ان جاء با  
لوا ولم يحووا سوى  
جرؤا جموع بلادهم

ثم أرسل عبدالمطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شحف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة إذا دخل.

وعن ابن عباس أنه رأى منها عند أم هاني نحو قفيز مخططة بحمزة كالجزع

الظفارى.

وعن عائشة، قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان (٣٦).  
وهذه آية باهرة دالة على شرف الكعبة، وإرهاص لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٧ — إن الله سبحانه وضعها بواد غير ذي ذرع والحكمة فيه من وجوه:

١ — أراد الخالق أن يقطع بذلك رجاء أهل حرمه وسدنة بيته عن سواه، حتى لا يتوكلوا في الحياة الآلى على الله. والتوكل هذا لم يكن محصوراً بأهل الحرم فحسب، وإتّما يشمل الناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم منذ الحلم إلى آخر من لحظات عمره في كافة حالاته وأطواره وتقلباته. وقد جاء في الحديث القدسي المروي عن الله سبحانه إذ قال: (وعزّتي، وجلالي، ومجدي، وارتفاعي، لأقطعن أمل كل مؤمل غيري بالأس، ولا كسوته ثوب المذلة عند الناس).

ب — أنه لا يسكنها أحد من الجبابرة والطواغيت والأكاسرة، لأنهم يتغون زخارف الحياة فاذا لم يجدوها هناك تركوا ذلك الموضع (مكة) واتجهوا إلى ناحية اخرى. والمراد تنزيه ذلك المكان عن لوث وجود أهل الدنيا وطالبيها.

ت — جعلها في واد غير ذي ذرع لئلا يقصدها أحد بنية التجارة، بل تبقى إلى الأبد للعبادة والزياره فحسب. وعلى طابعها الذي وضع عليه.

ث — أظهر الله سبحانه بذلك شرف الفقر حيث وضع أشرف البيوت في أقل المواضع نصيباً من الدنيا، فكأنه قال: جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الأمين. فكذلك أجعلهم في الآخرة أهل المقام الأمين، لهم في الدنيا بيت الأمن وفي الآخرة دار الأمن.

ج — كأنه تعالى قال: لما لم أجعل الكعبة إلا في موضع خال عن كافة نعم الدنيا، فكذا لا أجعل كعبة المعرفة إلا في كل قلب نزيه وفارغ عن محبة الدنيا وزينتها.

هذا موجز ما ذكره المفسرون فيما يخص بفضائل الكعبة. وحين ثبت أن هذا البيت أول بيت وضع للناس في شتى الفضائل، ومختلف المناقب وأنواع المثل ظهر بطلان مزاعم اليهود... أنّ بيت المقدس أشرف من الكعبة... قل موتوا بغيظكم إنّ الله عليم بذات الصدور.

• • •

## الهامش:

- (١) مجمع البيان ٤٧٧/٢ عن الضحاك . تفسير العياشي ١٨٧/١ . تفسير الكشاف ٤٤٧/١ .
- (٢) صحيح مسلم ١٠١٤/٢ . باب فضل الصلاة بمسجدي، مكة، والمدينة.
- (٣) الجامع الصغير ٢١٤/٢ حديث رقم ٥٨٦٨ .
- (٤) صحيح مسلم ٩٨٥/٢ . وفيه: حدّثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك عن سمّي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة أنّ رسول الله (ص) قال... وسند الحديث الثاني هكذا: حدّثنا يحيى بن يحيى، وزهير بن حرب، عن منصور، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال، قال رسول الله (ص): الحديث... .
- (٥) سورة القصص/٥٧ .
- (٦) سورة الأسراء/١ .
- (٧) تفسير الفخر الرازي ١٤٩/٨ . مجمع البيان ٤٧٨/٢ .
- (٨) اخبار مكة ٤٠/١ . مجمع البيان ٤٧٧/٢ . تفسير أبي السعود ٦٠/٢ .
- (٩) سورة آل عمران/٧٦ .
- (١٠) سورة المائدة/١٨ .
- (١١) تفسير الفخر الرازي ١٢٠/٨ . تفسير أبي السعود ٢١/٣ . تفسير ابن كثير ٣٤/٢ .
- (١٢) سورة البقرة/٦١ .
- (١٣) تفسير الدر المنثور ٧٣/١ .
- (١٤) سورة التوبة/٢٩ .
- (١٥) سنن أبي داود ٣٦/٢ باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة.
- (١٦) صحيح البخاري ٢٠٢/٢ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب. وج ٢٠٠/٤ . كتاب الإكراه.
- (١٧) صحيح مسلم ١٣٨٧/٣ باب إجلاء اليهود من الحجاز. سنن أبي داود ٣٨/٢ . وفاة الوفا ٣٠٩/١ .
- (١٨) الموطأ ٨٩٢/٢ باب ماجاء في إجلاء اليهود من المدينة. حديث رقم ١٧ - ١٨ .
- (١٩) صحيح مسلم ٣٩/٤ .
- (٢٠) صحيح الترمذي ٦٠/٥ .
- (٢١) صحيح مسلم ١٣٤/١ حديث رقم ٢٤٠ .
- (٢٢) المصدر السابق ٢١١٩/٤ حديث ٤٩ - ٥١ .
- (١٣) سورة المائدة/٨٢ .
- (٢٤) صحيح البخاري ٤٨/٢ . إرشاد الساري ١٨٦/٤ . صحيح مسلم ١١٨٧/٣ حديث ٦ . كتاب المساقاة. وتيماء: بلدة معروفة بين الشام والمدينة على سبع أو ثمان مراحل من المدينة.

- أريحاء: هي مدينة الجبارين في الغور من أرض الشام بالاردن. بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس.  
 (٢٥) الموطأ لمالك ٨٩٣/٢.  
 (٢٦) سيرة ابن هشام ٤١١/٣ - ٤١٢.  
 (٢٧) جريدة المحتتم العدد ٨٠ بتاريخ ٣ تموز ١٩٧٠.  
 (٢٨) صحيح مسلم ٣٧٠/١.  
 (٢٩) سنن الترمذي ١٤٨/٢.  
 (٣٠) سورة الحج/٢٦.  
 (٣١) تاريخ مكة ٢٧٣/١.  
 (٣٢) تفسير الفخر الرازي ١٤٥/٨.  
 (٣٣) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام / ١٥ - ١٦.  
 (٣٤) سورة العنكبوت/٦٧.  
 (٣٥) سورة قريش/٣ - ٤.  
 (٣٦) تفسير الفخر الرازي ٩٦/٣٢. تفسير الكشاف ٢٨٦/٤. تفسير ابن كثير ٥٥٠/٤. تفسير السراج المنير ٥٨٨/٤. البداية والنهاية ١٧٥/٢. الكامل في التاريخ ٤٤٤/١.

قدسية مكة

عند غير الطوائف المسلمة



لم تكن رعاية مكة... والكعبة المقدسة بعين التعظيم والإجلال، والعناية بها بالتمجيد والإكبار، والقصد إليها بالإخلاص والأدب، والخشوع والخضوع خاصة بالعهود الإسلامية فحسب، وإنما تجد هذه القيم والآداب، والمراسيم بالنسبة إلى مكة ومن فيها، ومن جاورها، وسكنها، وتوجه إليها بشتى المقاصد، والعناوين ومختلف الجهات، في العهود الجاهلية السالفة، والقرون المتقدمة الغابرة... فالطوائف والشعوب والقبائل على اختلاف نزعاتهم، ونحلهم، ومللهم، وجنسياتهم، كانت تقف على مكة للزيارة، والطواف، والدعاء، وتقصدها من الجهات النائية، وتقيم فيها رداً من الزمن، رغم عبادتهم وإتخاذهم الأصنام آلهة لهم... ويستقبلون سكنتها ومجاورها، وزوارها برحابة صدر وحقاوة، يقدون عليهم من العون والمساعدة... باعتبارهم ضيوف الله سبحانه. فكما يجب رعاية الكعبة واحترامها وتعظيمها، كذلك الأمر في ضيوفها. فاحترام زوارها وضيوفها بمثابة إحترامها، وعدم المبالاة والتهاون بشأنهم إستخفاف وتناول للكعبة وخالفها.

إننا حين نتصفح التاريخ في العهود الجاهلية السالفة، نجد شعوبها وطوائفها تتوجه الى الكعبة وتقصدها من كل صوب وحذب، بكل خضوع وفي منتهى الأدب والتجليل والتواضع. كما نشاهد سدنتها وولاتها وخزنتها يتلقون ويستقبلون زائريها بالعطف والمحبة، ويكرمونها ويقدون عليهم الأموال والنعم، ويوسعونهم من خلقهم وبسطهم، ويحادثونهم ويداعبونهم ويجلسون إليهم لئلا يشعر الزائر بالغرابة، ويتمشى في عروقه اليأس كل ذلك لقدسية الكعبة. فهم في كافة الحالات يعبرون عن مضمون واحد دائم قائم على أساس التربية الطويلة التي لازمت البشرية باحترام الكعبة، لعلاقتها بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

إنّ قداسة الكعبة وتوقيرها، من قبل الشعوب المتقدمة الغابرة لم تكن بدافع ذاتي منبعث من شعورهم ووجدانهم، وافتقارهم كسائر البشر لأنّ الإنسان إنّما ينطلق في اتجاه الخير المتمثل فيما عليه من واجبات وفرائض، أو يتعد ويتجنب عن إتجاه الشر المتمثل فيما لديه من محرمات...: وإنما الدافع عندهم والباعث هو ابتغاء الخير ودوامه الذي ينتظره ويتوخاه فيما إذا احترم الكعبة. أو يخاف عقاب وانتكاس فيما إذا انصرف عنها

ولم يتلاقها بالعناية والرعاية. فالإحترام وعدمه هما اللذان كانا يبعثان هؤلاء إلى تقديس الكعبة في وسط مجتمع متخلف مهمل، يسيطر عليه الرعب، ويحكم فيه الجهل والفقر وتمزقه الأحقاد وتبدده الأضغان وتتأجج في شرايينه وعروقه نيران العصبية القلبية، وتمشى في حركاته وسكناته جذور الإحن والنهب فتحو لهم إلى شيع متناحرة مصطرحة، وتدفعهم إلى جموع متفككة متناطحة مشحونة بالبغضاء والكراهية والحقد، نتيجة الكابوس الجاهلي والظلمة الحالكة المهيمنة على الأفكار والعقول. فتسد عليها منافذ الرؤية للحق والحقيقة. وتعميهم الغشاوة المدلهمة السوداء القاتمة التي ترين على القلوب، فتحيلها إلى حجارة صلدة قساوة وغلظة، والحيوانية المسفه التي تسيطر على النفوس فتقلب إنسانيتها إلى بهيمية رعاء همها علفها، أو المرسله شغلها تقممها، تكثرش من أعلافها وتلهوعما يراد بها. تلكم الغرائز الحامجة التي ليست لها حدود ولا سدود ولا ميزان.

أجل على هذا النحو من التطاحن المميت، والجهل الأعمى كانت الشعوب والقبائل في العهود الجاهلية وهم في جميع أطوارهم يتبارون في استلاب الأموال، واغتصاب الأعراض، وانتهاك الحرمات والنواميس وتستهوهم العادات الذميمة، وتتحزب لقتال بعضها بعضاً، وسفك الدماء فيما بينهم لا تفه العوامل والأسباب، ولكنهم مع هذه الحالة كانوا يتصاغرون أمام الكعبة ويعظمونها، ويمتنعون من أن يبنوا حولها بيوتاً أو يدخلوا إلى مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهاراً فإذا أمسوا خرجوا إلى الحل (١).

لقد كانت للكعبة من المنزلة والرفعة في أعين العرب والفرس، ما ليس لمعبد غيره إذ كانوا يعتبرونها بيت الله، وأن الله تعالى هو الذي حمل الشعوب الأجنبية عن العرب كالفرس والهنود واليهود والنصارى على تعظيمه. فكان الهنود يعظمونها ويزعمون أن روح سيفا وهو الاقنوم الثالث من الثالوث البوذي، قد حلت في الحجر الأسود حين زارمع زوجته بلاد الحجاز.

وكانت الصابئة وهم عباد الكواكب من الفرس والكلدانيين، يعدونها أحد البيوتات السبعة المعظمة. كما كانت أسلاف الفرس تقصد البيت الحرام وتطوف به تعظيماً له ولجدها إبراهيم عليه السلام، وتمسكا بهديه وحفظاً لأنسابها. وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن بن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف جد اردشير بن بابك، وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذي يرجعون إليه كرجوع ملوك المروانية إلى مروان بن الحكم، وخلفاء العباسيين إلى العباس بن عبدالمطلب، ولم يل الفرس الثانية أحد إلا من ولد أردشير بن بابك هذا. فكان ساسان إذا أتى البيت طاف



به، وزمزم على بئر اسماعيل. فقيل: أما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس. وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذه البئر. وفي ذلك يقول الشاعر في قديم الزمان:

زمزمت الفرس على زمزم      وذلك من سالفها الأقدم  
وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة:

ومازلنا نحج البيت قدما      ونلفى بالأباطح آمنينا  
وساسان بن بابك سارحتى      أتى البيت العتيق يطوف دينا  
فطاف به وزمزم عند بئر      لا سماعيل تروى الشاربينا

وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالا في صدر الزمان وجواهر، وقد كان ساسان ابن بابك هذا أهدي غزالين من ذهب وجوهراً وسيوفاً وذهباً كثيراً، فقذفه في زمزم (٢).

وهكذا الفرس من غير الصابئة، يحترمون الكعبة أيضاً زاعمين أن روح هرمز حلت فيها وكانوا يحجون إليها. وكذلك اليهود يحترمونها ويعبدون الله فيها، على دين ابراهيم وكان بها صور وتمائيل، منها تمثال ابراهيم واسماعيل، وبأيديهما الألام وصورتا العذراء والمسيح. وكان للعرب بها ٣٦٠ صنما. ويقال: إن أول من جعلها بيتاً للأوثان عمرو بن لحي، كبير خزاعة حينما ولي أمر البيت ضاهى بذلك ما يفعل الوثنيون بهياكلهم. فلما فتح النبي (ص) مكة هدم الأصنام التي بها وطهرها، لعبادة الاله الحق وحده (٣).

قال ابن اسحاق: وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه إلى مكة وهي طريقه إلى اليمن، حتى اذا كان بين عسفان، وأمج (٤) أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد. فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دائر، أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد، والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده، وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراد البيت من الملوك وبغى عنده. فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ما نعلم بيتاً لله اتخذته في الأرض لنفسه غيره. ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعاً.

قال بماذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالوا: تصنع عنده ما يصنع أهله، تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده، وتذل له حتى تخرج من عنده. قال: فما

يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالوا: أما والله إنه ليبيت أيننا ابراهيم، وإنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده، وهم نجس أهل الشرك أو كما قالوا له فعرف نصحبها وصدق حديثهما، فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم. ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه، وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحربها للناس ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل وأرى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (٥) ثم أرى أن يكسو أحسن من ذلك فكساه المعافر (٦). ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل (٧). وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثالة (٨) وهي المحائض (٩) وجعل له باباً ومفتاحاً.

وفي ذلك يقول تبع:

وكسونا البيت الذي حرّم الد	له ملاء منضداً وبروداً
فأقمنا به من الشهر عشرأ	وجعلنا لبابه إقليدا
ونحرننا بالشعب ستة ألف	فترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم سهيلاً	فرفعنا لواءنا معقوداً

وكانت هذه القصة قبل الإسلام بسبعمائة سنة. فقالت سبيعة بنت الأجب بن زبينة بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان. وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. لا بن لها، يقال له خالد تعظم عليه حرمة مكة وتنهأ عن البغي فيها، وتذكر تبعاً وتذللها، وما صنع بها:

أبني لا تظلم بمكة	لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها	بني ولا يغرنك الغرور
أبني من يظلم بمكة	يلق أنواع الشرور
أبني يضرب وجهه	ويلح بخديه السعير
أبني قد جرّبتها	فوجدت ظالمها يبور
اللّه آمنها وما	بنيت بعرضتها قصور
واللّه آمن طيرها	والعصم تأمن في ثبير
ولقد عزّاهاتبع	فكسا بنيتها الحبير
وأذلّ رتي ملكه	فيها فأوفى بالندور
يمشي اليها حافياً	بفنائها ألفا بعير

(١٠)

- ويظل يطعم أهلها  
يسقيهم العمل المص  
والفيل أهلك جيشه  
والملك في أقصى البلا  
فاسمع إذا حدثت واف
- (١١) لحم المهاري والجزور  
(١٢) ففى والرحيض من الشعير  
يرمون فيها بالصخور  
د وفي الأعاجم والخزير  
(١٣) هم كيف عاقبة الأمور

ثم خرج منها متوجّها إلى اليمن بمن معه، من جنوده، وبالخيرين، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن (١٤).

إنّ رعاية مكة، وتعظيم البيت العتيق وإكبار سكانها وزوارها وحجاجها، بالمجد والعز والشرف لانها منبعثة ومنطلقة من دوافع انسانية ونوازع بشرية، فلا يقال لمن أعطى الأجير أجرته ووفى العامل ثوابه، قد اختص فلان فلانا بعطيته. وإنما يقال ذلك إذا تطوع عليه بالعطية والإحسان بغير عمل، ومنعها غيره بغير جرم. فشرف المرء بأحسانه وخلقه وعمله، لا بحسبه ونسبه وإن شرف الأنساب دون شرف الأعمال، ولذلك نرى الله سبحانه وتعالى مدح المؤمنين والمحسنين، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والمنفقين بأعمالهم، ومآثرهم وأفعالهم. كما ذم المنافقين والكفار والظالمين والمعتمدين والطواغيت والمسرفين، كذلك بأعمالهم وجرائمهم وتطاولهم على الناس وهذا ما نجده كثيراً ما في الأحاديث والروايات وأشعار الناس ومنثور كلامهم. وقد قال الشاعر في هاشم بن عبد مناف وهو امام ذوي الأنساب ومدحه بعمله ولم يذكر نسبه وإن كان شريفاً رفيعاً:

عمر والذي هشم الشريد لقومه  
ورجال مكة مسنتون عجاف  
ومرل عامر بن الطفيل:

وأتي وإن كنت ابن سيد عامر  
فما سوّدتني عامر عن ورائة  
ولكنني أحمي حماها وأتقي  
أذاها وأرمي من رماها بمقنب (١٥)

والواقع الذي ينبغي القول به بصراحة، أنّ كتب التاريخ مشحونة بأعمال الذين دكت أعناقهم خلال القرون السالفة إثر ظلمهم لمكة، وتطاولهم على حجاجها وزوارها بصورة عامة، وهذا من الأمور المتسألمة المتداولة والثابتة عند الجميع تتحدّث بها الأجيال وتتركها إلى الأجيال المتعاقبة الأخرى لتلايقعوا في الفتنة، ويصبحوا عبرة لغيرهم. وما زالت تترنم بهذه الأبيات:

يا عمر ولا تظلم بمكة إنَّها بلد حرام

سائل بعاد أين هم وكذلك تخترم الأنام

وبني العماليق الذ ين لهم بها كان السوام (١٦)

هذا وهنا يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم سؤال، وهو كيف مع هذه الأحداث

والدروس والعبر التاريخية المتواترة الثابتة، يستمحو لأنفسهم حكام السعودية... ومن لف

لفهم من الأذئاب السائرين في ركب الصهاينة والوهابية المقبورة، هذا التناول والعدوان

الشنيع والظلم بحق الشعوب والأمم، وأن يتصرفوا فيهم ويعملوا فيهم تصرف الجزار ويدفوا

بهم إلى قعر الهاوية ويبيعونهم أو يصالحونهم كقطع من الغنم، إلى حضيرة أسيادهم بغية

إشباع اطماعهم التوسعية وتحقيق مآربهم الشيطانية، ويتلاقفونهم فيما بينهم ككرة السلة

إلى الإرهاصات المحيطة بالشعوب، وفي النهاية دفعهم إلى المجازر والمذابح.

أجل كيف تستسيغ ضمائرهم أن يدفعوا بشعبهم إلى داخل المخططات

الإستعمارية العارمة، التي تهدف مسخ الشخصية الحضارية، واستعمارها واستثمارها

واستعبادها في سبيل نواياها الخبيثة..؟ والإجابة على ذلك السؤال أن هؤلاء الحكام

والقابعين على دست الرياسة والزعامة، لم يكونوا غير أداة وعوامل في تحقيق مخطط واسع

كبير أنفق الاستعمار في تخطيطه عشرات السنين، وهي سياسة التطويع والترويض وسلب

الروح والنفس الحضارية الاسلامية، من أجسام وقلوب سكان الوطن الإسلامي وتبديلها

وتعويضها ببعض المناذج من منتجات حضارة الآخرين الوافدة إلينا من خارج الوطن...

كل ذلك في سبيل تدعيم عروشهم الواهية الخيالية التي هي بحق أوهن من بيت

العنكبوت لو كانوا يعلمون... ويمنحوا العطاء الشرعي للسياسة الخارجية، وسلب الشخصية

الحضارية إلى غيرها من الرواسب والفساسف الباعثة في النفوس بذور الاستسلام والميوعة

والإنهيار.

إنَّ حكام السعودية السائرين في ركب الوهابية الممقوتة... والقابعين على مواثد

الصهاينة... بأية حجة ودليل، قاموا بتلك النكسة والعار والشنائة فبغوا على الحجاج الأمانة.

وتناولوا على المسلمين الشرفاء. وقابلوهم بالضرب والشمّ وفتحوا عليهم النيران والحديد في

بيت من دخله كان آمناً... ومن هو المسؤول أمام الأجيال والأجيال عن تلكم الجرائم

والخيانة، واسالة الدماء الطاهرة المقدسة. وإزهاق وقتل النفوس المطمئنة الوادعة التي

حرمها الله إلا بالحق. وسلب الأعراض وهتك المحرمات والنواميس، وفتك الأستار من دون

ذقة ولا شرف ولا خجل ولا حياء.

إن مكة... كما أسلفنا البحث عنها وقد صرّحت به الآية ٩٦ من سورة آل عمران (أول بيت وضع للناس) هي للناس جميعاً لا تختص بفرقة دون أخرى، ولا شعب ولا أمة واحدة، وإنما هي للمسلمين عامة وهم أصحابها وسدنتها وخدامها وزوارها، يحجون إليها من كل صوب وحذب، ويفدون إليها من أقصى البلاد لأداء المناسك والتعرّف على سائر المسلمين، ويتبادلوا الأحاديث على الصعيد الدولي ويعرضوا مشاكلهم ويقفوا على دوائها ويفهموا العالم ما هم عليه من الأحوال والضرروف الساسية القاسية التي تجتاز بلادهم، وتستعبد ثرواتهم وتغتصب خيراتهم، وأخيراً تدفعهم إلى الهاوية والفقر والدمار... بيد أن الحالة هذه والإجماع هذا لم ترق للصوص والاستعمار وعملائه وأذناؤه في المنطقة (كسارق في الدجى لم يرقه القمر) ولم ترض لهم يوماً ما أن يجتمع المسلمون على كلمة واحدة ويتمسكوا بحبل الله جميعاً، ويعتصموا بالعروة الوثقى... لأنّ كل فرد من المسلمين في مفهوم الاستعمار في حد ذاته، يشكل خطراً عارماً عليهم ويعتبر عقبة صعبة أمام زحفهم التوسعي المقيت... مع العلم أن المخططات والنظم والفساد الفاسدة، لا يمكن إعتبارها قضية حتمية وأبدية خالدة وشرعية، فبالا مكان تغييرها وتلاشيها وذهابها من على صفحة الحياة وإقامة غيرها محلها... فقيام حكومة أو دوام دولة أو سلطة مدة من الزمن لم يكن دليلاً على مشروعيتها ووطنيتها وأحققتها. كما أن دوام الظالم وإطالة عمره وفتكه وبغيه وإستبداده بالناس غير دليل على مشروعية حكمه ونفوذه. وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة: (ولا يحسبن الذين كفروا إنّما غلبوا هم خير لأنفسهم إنّما غلبوا غلبوا وهم عذاب مهين) (١٧).

فقد بينا الله تعالى، أن إمهال الكفار والظالمين في الحياة لا ينفعهم إذا كان يؤدي إلى العقاب. وإن اطالة الله لأعمارهم وإمهاله لهم وترك التعجيل في عقوبتهم ليزدادوا إنّما أي تكون عاقبة أمرهم، بازدياد هم الإثم والبغي والعدوان. فيكون اللام لام العاقبة. ومن هنا لا يمكننا القول بتبرير الأنظمة والفساد الحاكمة في المجتمعات البشرية، بالاحتمالات الوهمية والمعاذير الخيالية الفارغة التي ما أنزل الله بها من سلطان... لأنّ هذه الإحتمالات والظنون لم تكن قائمة على أساس واقعي صحيح (وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإنّ الظن لا يغني من الحق شيئاً) (١٨).

كيف اجترأوا على التطاول بضيوف الله... واستطالوا على قتالهم واستباحة حريمهم، والإعتداء على نواويسهم وإرافة دمائهم وإرعابهم وتخويفهم ورطمهم، وأخذهم بالقوة والشدة ومواجهتهم بالضرب والشتم... ومسمع منهم قول النبي الأعظم (ص) في تكريم الحاج وتجليله وشرافته:

. الحاج الراكب له بكل خف يضعه بعيره حسنة .

الحاج في ضمان الله مقبلاً ومدبراً .

الحاج والغازي وفداً لله عز وجل . إن دعوه أجابهم وإن استغفروا غفر لهم .

الحاج والمعتمر والغازي في سبيل الله والمجمع في ضمان الله . دعاهم فأجابوه وسألوه

فأعطاهم .

ألحجاج والعمار وفداً لله ، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم .

ألحجاج والعمار ، وفداً لله يعطيهم ما سألوا ، ويستجيب لهم مادعوا . ويخلف عليهم ما

أنفقوا الدرهم ألف ألف .

ألحجاج والعمار ، وفداً لله إن سألوا أعطوا ، وإن دعوا جابهم . وإن أنفقوا أخلف

لهم . والذي نفس أبي القاسم بيده ، ما كبر مكبر على نشر ولا أهل مهل على شرف من

الإشراف إلا أهل ما بين يديه وكبر حتى ينقطع به منقطع التراب (١٩) .

إذا لقيت الحاج فسلم عليه ، وصافحه ومره أن يستغفر لك (٢٠) .

إلى غيره من الأحاديث الثابتة الصحيحة المشبوتة في كتب السنن والصحاح ، وقد

أجمعوا على أن كلها صحيحة وثابتة وحسنة ، تعطى لنا صورة صادقة عن كرامة الحاج

وشرافته . ويأبى الله ورسوله من مقابلة الحجاج بذلك الشكل المزري الذي يندى من ذكره

جبين الإنسانية والبشرية ، ونحن نعيش في عصر النور والأقارلا عهود الوحشية والهمجية

الرغناء .

### تكرم الحجاج في الجاهلية

إن هذه الروايات وما شاكلها إن دلت على شيء فأنها تدل على مقام الحاج

الكرام ، في التشريع الاسلامي ومنزلته الرفيعة ، ومكانته السامية ، ولم يكن تكريمهم وإكرامهم

مقصوراً على العهد الاسلامي ، وإنما يحدثنا التاريخ عن تكريم العرب للحجاج في الجاهلية

وتطعيمهم ، وتوفير الراحة والأمن لهم وعدم أخذ الاجرة عن الدور والبيوت والغرف التي

ينزلونها ويسكنونها .

لقد كانت حضنة البيت يكرمون الحجاج في الجاهلية ، فروى عن هاشم بن عبد

مناف ، إنه كان يقول لقريش إذا حضر الحاج — يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل

بيته ، خصكم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره فأكرموا

أضيافه وزوار بيته يأتونكم شعماً غبراً من كل بلد .

وروي مثل هذا عن قصي بن كلاب بن مرة، فكان كل قرشي يخرج خرجاً من ماله في كل موسم من مواسم الحج، يعطيه لمن يقوم بالرفادة (إطعام الحاج) من قریش، فيصنعه طعاماً للحجاج أيام الموسم بمكة ومنى، وبقي ذلك مدة في عهد الاسلام (٢١).

قال أبو الوليد: حدثنا جدي، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرني محمد ابن اسحاق، أن هشام بن عبد مناف كان يقول لقریش إذا حضر الحج: يا معشر قریش إنكم جيران الله وأهل بيته خصكم الله بذلك، وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا أضيافه وزوار بيته يأتونكم شعثاً غبراً من كل بلد. فكانت قریش ترافد على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير رغبة في ذلك، فيقبل منهم لما يرجى لهم من منفعتهم.

وقال أخبرني جدي، عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج، قال: أخبرني محمد بن اسحاق أن قصي بن كلاب بن مرة قال لقریش: — يا معشر قریش انكم جيران الله وأهل الحرم، وإن الحاج ضيفان الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام هذا الحج حتى يصدروا عنكم، ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً يخرجهم قریش في كل موسم من أموالهم، فيدفعونه إلى قصي فيصنعه طعاماً للحجاج أيام الموسم بمكة ومنى، فجزا ذلك من أمره في الجاهلية على قومه، وهي الرفادة حتى قام الاسلام ثم في الاسلام إلى يومك هذا، وهو الطعام الذي يصنعه السلطان بمكة ومنى للناس حتى ينقضي الحاج (٢٢).

وقال الشيخ قطب الدين النهرواني المكي الحنفي: — وإما إجارة دور مكة فقد ذكر صاحب التقريب قال: روى هشام عن أبي حنيفة، إنه كره إجارة بيوت مكة، وقال لهم: ان ينزلوا عليهم في دورهم اذا كان فيها فضل وإن لم يكن فلا، وهو قول محمد رسول الله، انتهى. وروى محمد في الآثار، عن أبي حنيفة عن عبدالله بن زياد، عن ابن أبي نجيح عن عبدالله بن عمر عن النبي (ص) إنه قال: من أكل من أجور بيوت مكة شيئاً فكأنما أكل النار. أخرجه الدارقطني.

وروى إنه كره إجارتها لأهل الموسم، ولم يكره للمقيم لأن أهل الموسم لهم ضرورة الى النزول والمقيم لا ضرورة له.

وعن عمر بن الخطاب، أنه نهى أن يغلق بمكة باب دون الحاج، فانهم ينزلون كلما رأوه فارغاً.

وكتب عمر بن عبدالعزيز في خلافته إلى أمير مكة، أن لا يدع أهل مكة يأخذون

على بيوت مكة اجراً فإنه لا يحل لهم، وكانوا يأخذون ذلك خطية ومساترة، وهذا مبني على أصل وهو أن فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة ولم يقسمها النبي (ص) وأقرها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع ولا تক্রى ومن سبق إلى موضع فهو أولى به. وهذا قال أبوحنيفة، ومالك، والأوزاعي.

أو كان فتحها صلحاً فتبقى ديارهم بأيديهم، يتصرفون في أملاكهم كيف شاؤوا سكناً وإسكاناً وبيعاً وإجارة وغير ذلك. وبه قال الامام الشافعي، وأحمد (٢٣).

ومهما يكن من أمر فالحاج كما قرأت كان في المهدين الجاهلي والإسلامي، موضع التكرم والحفاوة سيما الحاج المسلم الإيراني الذي تتمثل فيه المثل العليا للمسلم الواقعي، وتتجسد فيه شخصية الإسلام الصحيح بأروع مظاهره، وأشرف سماته المعنوية. ولست متحيزاً إلى العنصرية، والمغالاة والحمد لله... إذا ما قلت أن الطائفة الشيعية الإمامية بحق هي الفرقة المسلمة الحقّة التي دخل أعماق قلبها الإيمان وتتجلى فيه وكانت في كافة أدوار الحياة، والأزمات السياسية الصلبة متمسكة بعقيدتها، ومثابرة وصامدة في أداء رسالتها ومتفانية في سبيل مبدئها لم ترضخ في حال من الأحوال خلال إمتداد تاريخها الطويل المشرق للاستسلام، والاستعباد، والمهادنة، والمراوغة. ولم يضع يدها في كف ظالم وجائر ولم يبايعه ولم يجعل للكافرين عليهم من سبيل مهما كلفه الأمر وهذا ديدنه، وشأنه في كل العصور بعد أن قدّم لعتبة عقيدتها المقدسة الآلاف من القرابين. وشاء الله تعالى لها الابتعاد والاجتناب عن الرسائل الوافدة عليها من خارج الوطن الاسلامي وستبقى قويّة مؤمنة مجاهدة إلى الأبد، و مادامت البشرية ومادام التشريع الاسلامي الخالد.

وهذا أمر على علم كامل ويقين صادق يعلمه الجميع، وحتى حكام السعودية أنفسهم من أن الإسلام الصحيح متمثل في الشيعة الإمامية ولا يشك فيه إلا من أغشاه التعصب الوهابي المقيت، واتخذ آله هواه وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون...

هذا وأتذكر جيداً أنني عام ١٣٩٥/١٩٧٦ رافقني التوفيق إلى حج بيت الله الحرام للمرة الثالثة بحول الله، فتوجهت إليه من طهران وبعد أداء مناسكي تشرفت لزيارة قبر النبي الأقدس (ص) وسائر المشاهد الكريمة فيها... ففي ذات يوم خرجت من الروضة النبوية الشريفة متوجهاً نحو المنزل وفي اثناء المسير إلتقيت بنفر من أخواني الحجاج النجفيين، وبعد الترحيب طلبوا مني مرافقتهم في زيارة أحد أعلام النجف الايشرف الذي كان قد جاء إلى مكة ونزل ضيفاً على الدولة في - فندق الحرم - بالمدينة، فتقدمت إليهم بالمعاذير فلم يقبلوها



وأخيرا صحبتهم ودخلنا جميعاً على العالم النجفي... وكان قد سبقنا إلى زيارته اثنين من رجالات السعودية للتحدث معه حول مسائل تخص البقيع من شتى نواحيه.

لقد استقبلني العالم بحمارة ورحابة صدر، وأجلسني إلى جنبه ثم واصلوا الحديث وشاركهم وبعد الانتهاء سألت السعوديان صاحب المنزل عن إسمي وشأنني فتوخيت منه أن لا يخبرهم باسمي... فأصروا عليه وأخيراً أجابهم وقال لهم: هذا فلان... ابن فلان...

فقاما من مجلسها وثقمتا نحوي، ومد واحد منها يده للمصافحة، وقال: أنا الأمير عبدالله بن فيصل أمير المدينة... وقال الآخر: أنا رئيس التشريفات محمد بن عبدالوهاب، وتبادلنا مراسم التحيات وجلسنا تبادل الأحاديث ونسرد الأحداث ومشاهدتنا في العربية والموسم وانتهى البحث إلى الطائفة الشيعية الحققة فشرحت لهم بعض المفاهيم من رسالتها وعقيدها، وموقعها في التاريخ، وجهادها، ووقوفها، بوجه الإستعمار. والقوم في سكوت عميق، وحين فرغت من التحدث رفع الأمير عبدالله رأسه، وقال لي مخاطباً: (اننا في كافة المواسم منذ سنين متمادية ندرس إتجاهات الحجاج، والوفود الوافدة إلى الحرمين، ونراقب أعمالهم من كتب وأيم الله الذي لا اله غيره... لم نشاهد طائفة كالشيعية فرقة هادئة متواضعة، مطمئنة ووادعة، صلبة في عقيدتها ومبادئها، وبعيدة في عبادتها، وطاعاتها، وخيراتها في السفر والحضر، عن التظاهر والتصنع، والنفاق والرياء. ويمكنني القول بصراحة إنهم يمثلون واقع المسلم الصحيح، عكس بقية الفرق الإسلامية غير الشيعية الهائمة في التصنع والتلاعب تشوب أعمالهم الضعف والإنحلال ولم يخالطها اليقين والإخلاص).

إنّ الشيعة في كافة مراحل المناسك والموسم ملتزم، بالصدق، والإيمان، والاتزان، والتواضع، والأدب الرفيع واجتناب الكذب، والضوضاء، والمكر، والمجاملة، وإتي أرجو للجميع التوفيق والسداد إن شاء الله.

قلت: فاذا كانت الشيعة هذه إنطباعاتكم عنها، فما هذا الإسفاف والتوهين، وسوء التصرف والفضاضة، والخشونة التي تظهرها وتسير عليها أجهزة الدولة هنا وهناك؟ وتعامل الشيعة معاملة العبيد؟ أجب سيادته: أن الأعمال هذه لم تكن بأيعاز وإشارة منا، وإنما بأمر من الوهابية الحاكمة علينا بصورة عامة وعلى أجهزة الدولة بصورة خاصة في كافة أنظمتها، وليس بوسعنا مخالفتهم ونسأل الله أن يوقفنا لخدمة المسلمين ولما فيه خير الحجاج وسلامتهم.

ثم تحوّل الحديث من أطاره الديني، وقفز إلى الصعيد السياسي، وتجاوزنا الحديث، والبحث حول بعض الدول الشقيقة وفي مقدمتها العراق، وحزب البعث الحاكم في رقاب الناس وأعراضهم، ونواميسهم ودمائهم وأخذ الشعب أخذ جبار ظالم، مقتدر مع علم

الحكومات بما تحدث فيه من الكوارث والمحن والتعذيب والتشريد، ودفع ابنائه إلى السجون من دون مبرر أو مجوز.

أجابني الله... الله... دعنا عن البعث وذكره. إنَّ البعث إذا تسرَّبت خيوطه وامتدت إلى الحجاز في يوم ما فسوف لم يدع في المملكة للحرث والنسل من أثر، ويهدم علينا قصورنا... وقصورنا سريعة الإنهيار لأنها من الزجاج. إننا لا نتداخل في شؤون المسلمين في العراق، خشية بطش البعث وفتكه، وشرارته المتأججة التي لا تبق ولا تذر... وتحول المملكة إلى ركام وتستبدلها إلى رغام.

وفي اللحظة هذه حان وقت التوديع وتفرقنا بسلام...

إنَّ الجلسة تلك تفهمنا أن الوهابية دعامة الحجاز والدوامه التي تدور عليها رحي المملكة من أقصاها إلى أقصاها... وأن القابعيين على عرش البلاد، لم يكونوا غير أداة وهياكل وتمائيل يتلاعب بهم الإستعمار من وراء الستار كيفما شاء، حسب أهوائه ورغباته. فمن رضى بفعلة النكراء أبقى في الملك، ومن أبى وخالف كان القتل والاعتقال مصيره ومسيره.

• • •

## المهامش:

- (١) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام/٧٣.
- (٢) مروج الذهب ٢٤٢/١.
- (٣) دائرة معارف فريد وجدي ١٤٦/٨.
- (٤) عسفان منهل من مناهل الطريق، بين الجحفة ومكة. وهي من مكة على مرحلتين. وأملج بلد من أعراض المدينة. وقيل: واد.
- (٥) الخصف كساء غليظ جداً. أو هي شقة تعمل من الخوص أو ليف النخل.
- (٦) المعافر أراد بها الثياب المعافرية.
- (٧) الملاء جمع ملاءة، وهي الربطة. وهي الملحفة. والوصائل جمع وصيلة: وهي الثوب المخطط اليماني.
- (٨) المثلاة: هي خرقة الحائض. وأيضاً خرقة النائحة.
- (٩) المحائض: جمع محيضة، وهي خرقة الحيض.
- (١٠) بنيتها: أرادت بها الكعبة، وهي فعيلة بمعنى مفعولة. والحبير ضرب من الثياب المشوية.
- (١١) المهارى: وهي الإبل العراب النجبية.
- (١٢) الرحيض: الغسول، وتقول: رحضت الثوب إذا غسلته. والمراد المنق.
- (١٣) شاعرات العرب/١٥٣.
- (١٤) سيرة ابن هشام ١٩/١ - ٢٣.
- (١٥) مروج الذهب ٥٥/٢.
- (١٦) المصدر السابق ٥/٢.
- (١٧) سورة آل عمران/١٧٨.
- (١٨) سورة النجم/٢٨.
- (١٩) الجامع الصغير ٥٨٣/١ - ٥٨٥.
- (٢٠) مفتاح كنوز السنة/١٣٨.
- (٢١) مرآة الحرمين ٣١٦/١.
- (٢٢) تاريخ مكة ١٣٤/١.
- (٢٣) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام/١٦.



عوامل اجلاء رسول الله (ص) والصحابة  
اليهود من الجزيرة  
والبراءة من المشركين



تحدثنا في الفصل السابق أن النبي (ص) ومن وراءه الصحابة، والتابعين، جندوا أنفسهم لأجلاء اليهود من الجزيرة وإخراجهم من الوطن الإسلامي الكبير، دون أي قيد و شرط والتزام، بعد أن كان هذا الإجماع من الرسول الأعظم (ص) وبمساعدة المسلمين على اختلاف طبقاتهم، من دون أن نجد له من منازع ومعاند ومخالف، فقد ارتضوا جميعا العمل هذا. فالنبي (ص) بعمله هذا إمتلك رضاهم، ووقف على موافقاتهم وتوافقهم، بعد أن أجرى إتصالات مع اصحابه وقام به بسمع منهم، وبمشهد من الجميع، ولم يخف عليهم جانباً من جوانب القضية كما صرّحت به الأحاديث الصحيحة الثابتة المتقدمة، من أن رسول الله (ص) جمع الصحابة وأقام الصلاة وبعد إقامتها جامعة في مسجده والخروج منها قال لهم: إنطلقوا إلى اليهود فتوجهوا نحوهم، وفي مقدمتهم شخص الرسول الأكرم (ص) ولما انتهوا إليهم خطب رسول الله (ص) وأنذر اليهود، وقال لهم: يا معشر اليهود أسلموا تسلموا، وأعلموا إننا الأرض لله ولرسوله وإني أريد أن أجعلكم من هذه الأرض...

وجاء في رواية اخرى أن النبي (ص) خرج إلى المسلمين وهم في المسجد، فقال لهم: انطلقوا إلى يهود فخرجوا حتى وصلوا إلى بين المدارس، وهو موضع تجمع اليهود، ثم ألقى عليهم كلام وأنه يريد إجماعهم منها... والواقع كما تدل عليها بقية الأحاديث أن العمل هذا بمجموعه كانت مقدمة وتمهيدات لتشكيل وأقامة مسيرة شعبية تشترك فيها الصحابة بصورة عامة، ومن ورائهم الأجيال والأجيال القادمة، ليعرف العالم بأجمعه خطورة وجود اليهود في كافة المجتمعات فيندفع كل فرد حسب إمكانياته وطاقاته إلى ردع الخطر، والوقوف في وجهه. لقد استهدف الرسول الأكرم (ص) من إقامة هذه المسيرة الجماهيرية أن لا يتسرب إلى الأذهان المريضة أنّ الرسول الأعظم (ص) لا سمح الله يهدف إلى تحقيق غرض شخصي، أو مسألة تخصه بالذات، وإنما هي قضية تخص المسلمين بمجموعهم... وكم كانت متوقفة لدة هذه المسيرات في العهد النبوي... وهو في الحقيقة إعلان عن تجاوب المشتركين والمساهمين في مسيرة واحدة بالنسبة إلى مسألة تمهم، وتصريح بمرضاتهم وتأييد من قبلهم لها.

وهنا يتبادر إلى الذهن التسائل عن دوافع الاجلاء هذا بعد أن كتب

رسول الله (ص) كتاباً بين المهاجرين والأنصار، واليهود بالمدينة ووادع فيه اليهود، وعاهدهم، وهادنهم، وصالحهم، وأقرهم على دينهم، وأمواهم، واشترط لهم أن يقيموا في الجزيرة وإليك بعض نصوصه الخاصة باليهود، فقد جاء فيه:

— وأنه من تبعنا من اليهود، فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وأن المؤمنين بيء (١) بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وأنه لا يجر مشرك مالا لقريش، ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن، وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود (٢) به إلى أن يرضى ولي المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل (٣) وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عزوجل، وإلى محمد.

وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم، وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (٤) إلا نفسه وأهل بيته، وأن يهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وأن يهود بني الحرث مثل ما ليهود بني عوف، وأن يهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وأن يهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأن يهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وأن يهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وأن لبني الشظنة مثل ما ليهود بني عوف، وأن البردون الإثم، وأن موالي ثعلبة كأنفسهم، وأن بطانة يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج أحد منهم إلا باذن محمد، وأنه لا ينحجز على ثأرجرح، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين إفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبردون الإثم، وأنه لم يأتهم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يشرب حرام جوفها لأهل الصحيفة (٥) وأن الجار كالنفس غير مضار، ولا آثم وأنه لا تجار حرمة إلا باذن أهلها.

وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردّه إلى الله عزوجل، وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يشرب وإذا دعوا إلى صلح



يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن، من أهل هذه الصحيفة، وأن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره، وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم، وأن الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله (ص).

إنّ الكتاب هذا إن دلّ على شيء فإمّا يدلّ على أنّ الرسول الأعظم (ص) صالح لليهود، ووادعهم واعتبرهم من أهالي الجزيرة، وأن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم لا فرق بينهم، وأن يهود كل قبيلة كجماعات المسلمين عنده سواء. فالجماعات والفئات والأقليات غير المسلمة، محترمة في مفهوم الاسلام ولدى كافة القوانين والدول إلا أن تقوم فئة منها بالظلم والإثم، وتسعى للفساد، والبغي، والعدوان، والفضوى، فأنها حينئذ حسب مفاهيم القوانين الدولية... تصبح غير مرغوبة فيها، تستحق التأديب والتنبيه حسب مقتضيات الظروف والأحوال. كما جاء هذا أيضا في قانون الجمهورية الإسلامية الإيرانية ولفظه:

الأصل الرابع عشر (على حكومة الجمهورية الإسلامية في إيران وكذلك على المسلمين، معاملة غير المسلمين بالأخلاق الحسنة ومقابلتهم بالقسط والعدل الإسلامي. وعليهم أن يحترموا حقوقهم. ويراعوا حقوقهم الإنسانية. وهذا الأصل يشمل الذين لم يعادوا الإسلام، ولم يقفوا بوجه الجمهورية الإسلامية الإيرانية).

غير أن شر ذمة حقيرة متكوّنة من بعض اليهود، والمنافقين، والمشرّكين، المعدّرين، تجمعوا في خبايا الجزيرة، وراحت تقيم التكتلات والعصابات وتساندها، لزرع بذور الشقاق، والنفاق والإستفزازات بين المهاجرين والأنصار، والجماعات المتوحّدة المسلمة، وإقامة النزعات الطائفية والقبلية، وتمزيق شمل الأمة وتفريق كلمتها على ضوء قاعدة (فرّق تسد) بعد أن آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار، وأصحابه في السنة الأولى من الهجرة، وقال لهم: تآخوا في الله أخوين أخوين... فاستمرت هذه المواقاة واستحكمت وعمل بها من دخل في الإسلام أو يحضر فالتأم بها الشمل، واجتمعت الكلمة، واتحدت الصفوف، ودفنت الضغائن والأحقاد، وأصبح المسلمون أخوانا على سرر متقابلين، لا يسهم نصب ولا لغوب.

أجل لقد تسرب الشيطان إلى نفوسهم وسول لهم أعمالهم، ودفعهم إلى حيث مآربه وإلقاء النزاع والتخاصم بينهم، وذلك يبيث أعوانه وأذنابه هنا وهناك لإرجاع الناس عن الإسلام بما استطاعوا، أمثال: عبدالله بن سلام، وحبي بن أخطب، وكعب بن الأشرف،

وفنحاص بن عازوراء، وزيد بن قيس، وشاس بن قيس، وأضرابهم من اليهود.

ويحدثنا التاريخ بهذا الصدد فيقول: إجتاز يوماً شاس بن قيس، وكان شيخاً من اليهود شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم، على نفر من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفهم وتأخيرهم وصلاح ذات بينهم، بعد الذي كان بينهم من العداوة والشحناء في الجاهلية. فقال: قد اجتمع ملائني قبلة هذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤها بها من قرار، فأمر شاباً من يهود كان معه، فقال: اجلس إليهم ثم اذكر يوم بعث وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. ففعل الشاب ذلك، فتنازع القوم وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الأوس والخزرج، على الركب وهما أوس ابن قيطي، وجبار بن صخر، فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتُم رددناها جذعة؟ وغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا إليها وبلغ ذلك رسول الله (ص) فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين، الله الله أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم؟ فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من اليهود فبكوا وعانق الأوس والخزرج بعضهم بعضاً. ثم انصرفوا مع رسول الله (ص) سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس (٧).

وبعد الواقعة هذه نقض اليهود، وكانوا يرجعون إلى ثلاث طوائف: بني قينقاع، والنضير، وقريظة، العهد طائفة بعد طائفة، وراحوا يحكيون المؤمرات ضد المسلمين فألقى الله الرعب في قلوبهم، فنزلوا على حكم النبي (ص) فأراد قتلهم فاستوهم منه عبدالله بن أبي، وكانوا حلفاء فوهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعاء. والسبب في نقض العهد أن امرأة من العرب قدمت سلعة ومتاع لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها من اليهود فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ففقدته إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا بها، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فشددت اليهود على المسلم فقتلوه، فوقع الشر بينهم وبين المسلمين، فحاصرهم رسول الله (ص) حتى نزلوا على حكمه (٨).

إلى غيره من الأحداث المدرجة في بطون كتب التأريخ... ولا بد لنا من التنبيه هنا على حدة أن لأموال اليهود وثرواتهم، كان الأثر الفعال والدور الهام في تشجيع هذه القضايا، فقد كانت التجارة بنوع خاص من أهم مرافق الحياة عند يهود الحجاز حتى صار لبعضهم فيها

شهرة عظيمة وصيت بعيد، كأبي رافع الخيبري الذي أرسل بضاعته بوساطة القوافل إلى الشام، واستورد منها الأقمشة المختلفة. ويمكن القول أن تجارة البلح، والشعير، والقمح، كانت خاصة بهم في شمال الحجاز.

لكن شأن اليهود فاق شأن غيرهم من الفرق التجارية لا ستيطانهم في جزيرة العرب، فاستفحل أمرهم وزاحموا السكان الأصليين على مراقفهم، وكانت لهم خبرة في الزراعة والتجارة وتنمية المال، فاستغنوا وبنوا لأنفسهم القرى والمزارع والحصون وأشهر مراكزهم العامة في المدينة، وخيبر.

وما تجدر الإشارة إليه أنهم بعد أن شاركهم في مغائهم التجارية أهل يثرب وخالف اليهود هذه المزاحمة وكانوا عاجزين عن التغلب على البثريين قوة وعنوة، لجؤوا إلى الإيقاع بين الحيين الأوس والخزرج، فلما وقعت العداوة اتصلت الحروب جعلوا اليهود يضرمون نارها كلما خدمت، فشغلوا بعضا ببعض وانصرفوا هم إلى تجاراتهم وإتماء ثرواتهم. فلما هاجر المسلمون إلى المدينة وأسلم أهلها، بغى اليهود الغوائل لهم وصاروا يمرضون عليهم المشركين من قبائل العرب وينقضون عهودهم للنبى، ويطعنون المسلمين من خلفهم. فلما شاهد النبى (ص) هذا وجد من الضرورة ألتخلص منهم فأجلى اليهود، فحطوا بأذرعات من أرض الشام، وخلت المدينة وما حوها من جماعاتهم وتحولت تجاراتها إلى أيدي المسلمين.

هذا ومن فعلتهم النكراء التي إجتثها الإسلام من جذورها، وألقاها في المزابل إشاعتهم الربا والفواحش في الجزيرة فاليهود الطارئون عليها، هم الذين أشاعوا الربا، واتخذوا من بعض قرأها ومدنها مستعمرات عاجلوا فيها الزراعة فأصابوا منها الغنى، ولم يكن لعرب الجزيرة فيها يومئذ كبير نصيب. فكان العربي في الجاهلية إذا اعوزه المال اقترض ورهن عند دائته، درعه، أو ثيابه أو سلاحه، وأحيانا تشتد به الحاجة ويشط الدائن فيرهن ولده.

وعمل اليهود على انتشار الربا في مكة، والطائف، وخيبر، ووادي القرى، ويثرب بصورة عامة حتى ألفه الناس وصاروا يأخذون به ويعطون. كما أصبحت المدينة معروفة بالربا لوجود اليهود فيها وعرف من مرأبها من كان ذاغنى فاحش.

بلغ اليهود في هذا الميدان شوطا لم يلحقهم فيه لا حق قط، لما تركز فيهم من الثراء وماحذقوا من حسن التأتى في تثير أموالهم واستغلال الفقر والسذاجة في العرب. فاعتقدوا الأرضين وبنوا الحصون ثم دأبوا في جمع المال، وتنميته وإدائته، حتى كثرت الرهائن عندهم، واشتطوا في طلبها، وافتنوا في تنويعها إفتنانا شائنا، فصاروا يرتنون الأولاد ويطلبون النساء والبناة أيضا، ولا يرعون في سبيل الحصول على المادة حلفا ولا آصرة. قال ابن هشام في سيرته

أن أبا نائلة سلكان بن سلامة أتى أحد أشراف اليهود وأغنياهم، كعب بن الأشرف، وكان أخاه من الرضاعة فقال له: أتني أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنتك ونوثق لك وتحسن في ذلك. فقال كعب: أترهونوني نساء كم؟ قال: كيف نرضك نساءنا، وأنت أشب أهل يثرب وأعظهم. قال كعب: أترهونوني أبناء كم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا إنَّ معي أصحابا لي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فتييعهم وتحسن في ذلك ونرهنتك من الخلق ما فيه الوفاء.

يريد أبوناائلة بقوله: على مثل رأيي، تضايقتهم من مجيء الرسول والمسلمين ومزاحمتهم في بلدهم (المدينة) على العيش، فلينظر امرؤ كيف لم يشفع شيء عند كعب في سبيل المادة لا مشابهة القوم له ظاهرا في هواه، وعداوته لرسول الله (ص) ولا أخوة الرضاعة لا شيء إلا المال والربح... المال وحده هو معبود اليهود منذ خلقوا وإلى يوم يعثون. وهذا الغلو من اليهود في الربا، وتعاطيه منذ القدم، هو الباعث في تشنيع القرآن الكريم لفعاليتهم البشعة وتعنيفهم عليها حين يقول: (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً (٩)).

ومهما يكن من أمر، فاليهود في تطاولهم وغدرهم ونقضهم لليهود لم يقف عند حدود معينته، وإنما كانت غزوات وحملات ومؤامرات تشنها بين آونة وأخرى، وتبؤ بكاملها بالفشل الذريع والخسران والخذلان بحول الله وقوته.

وفي معترك هذا الصراع المرير، وخضم الطوفان العدواني الجارف واصلت رسالة النبوة ركبتها إلى القمة... واستمر الزحف الإسلامي يشق طريقه إلى الصعيد الدولي، بعد أن قويت شوكته، وتركزت دعائمه، وثبتت قواعده، ودخل الناس في دين الله أفواجا خلال سنوات لا تتجاوز عدد الأصابع... وحينئذ وجد النبي (ص) الضرورة والحاجة في تبيان وإعلان موقف الإسلام من العناصر المعادية والفئات المتطاوله الغادرة بالعهود والمواثيق، وكيف لا وقد أصبح المسلمون يداً واحدة على من سواهم، ترفرف عليهم رايات الظفر والنصر والسكينة والمثابرة والأيمان والإرادة والعزم الصادق في صد كافة الهجمات ورد الاعتداءات وإنزال الضربة القاضية على العدو، وضربه بيد من حديد... والحكومة الإسلامية أصبحت ذات شخصية عالمية مقتدرة ومنيعة وقوية في كافة جوانبها وأبعادها، وعلى هذا فإنها تعلن عن إلغاء وبطلان جميع العهود التي عقدها مع الشعوب غير المسلمة، لمطالبات زمنية يخشى كيدهم وبطشهم وخيانتهم المستورة بعد أن نقضوا عهودهم في كل مرة.

أما الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئاً، ولم يظاهروا عليكم أحداً فاتموا إليهم عهدهم إلى مدينتهم.. لأن أكثر المشركين نقضوا العهد إلا أناساً منهم، وهم: بنو ضمرة، وبنو كنانة.

وحين نزلت سورة البرائة (التوبة) سنة تسع من الهجرة دفعها رسول الله (ص) إلى علي ابن أبي طالب، ليذهب بها إلى مكة ليقراها على أهل الموسم، وأمره أن يقرأ عليهم عشر آيات من أول السورة، وقيل: ثلاثين أو أربعين آية. فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر، وحدثهم عن مناسكهم، وقام أمير المؤمنين عليه السلام يوم النحر عند جرة العقبة فقال: يا أيها الناس إنني رسول رسول الله إليكم، فقالوا بماذا؟ فقرأ عليهم عدة آيات منها، ثم قال أمرت بأربع: أن لا يقرب هذا البيت بعد هذا العام مشرك.

ولا يطوف بالبيت عريان.

ولا يدخل البيت إلا مؤمن.

ومن كانت بينه وبين رسول الله (ص) مدة فإن أجله إلى أربعة أشهر، فإذا انقضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله.

وروي أن علياً عليه السلام، لما نادى فيهم أن الله بريء من المشركين، أي من كل مشرك، قال المشركون: نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك. ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حج النبي (ص) حجة الوداع ورجع إلى المدينة ومكث بقية ذي الحجة، والحرم، وصفر، وليالي من شهر ربيع الأول حتى لحق بالرفيع الأعلى.

وهكذا نجد الزحف الاسلامي الكبير يواصل سيره ومصيره على إمتداد التاريخ، ويشق عباب الأحقاب والأزمان من غير توقف حليفه الظفر والنصر، ورفيقه الانتصارات المتلاحقة والمكتسبات الحية إلى أن بلغ القمة في كل شيء، وغطت معطياته الحياة، ودخلت مناعته النفوس المؤمنة الوداعة، رغم الحواجز والأراجيف والاختلافات الموجهة اليه من لدن العناصر المعادية له، خلال القرون السالفة كما نجد عليها اليوم المعسكرين الشرقي والغربي؛ بالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية... فقد اختلقوا لها كافة التهم والأباطيل، قامت بيثها ونشرها أجهزتهم وأبواقهم الإعلامية في الداخل والخارج، بالاضافة إلى كراسات وأحاديث حملت في سطورها الشتم والقذف والوقية والطعن في صميم هذا الشعب المسلم الذي لا تعرف للاستسلام، والخنوع والمهادنة أي مفهوم ومبرر.

إن النبي (ص) بأيفاده سورة البرائة على يد أمير المؤمنين عليه السلام، إلى أهل الموسم سنة تسع من الهجرة وإلقائها عليهم، لم يقصد منها غير الإعلام للناس على اختلاف طبقاتهم

وجنسياتهم أن الاسلام بسورة البرائة دخل مرحلة جديدة من حياته، وسيكون له موقفاً خاصاً بالنسبة لجميع العناصر والفئات غير المسلمة وأنه سيسالم من يسالمه، ويحارب من يحاربه، ويُعادي من يعاديه، ويدافع عن يدافع ويذنب عنه لذلك لم يتمكن بعد إذ أن يقف موقف المتفرج، حيال شرذمة تريد الوقية بالاسلام والتطاول على المسلمين، وتلوث وتلاعب بمقدساته.

وعلى ضوء هذا الدستور السياسي العقائدي، سار المسلمون في ظلال التعايش السلمي ومن ورائهم القوميات والعناصر غير المسلمة، وتعاونوا على البر والتقوى فكان لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم... منهاج ضمن للمسلمين شخصيتهم وكرامتهم، وعزهم وشرفهم، واستقلالهم، وحرّيتهم، وانتصاراتهم، وقطع دابر المعتدين، والباغين والطاغين، والمنافقين، وتحطيم أبواقهم، وتهربجاتهم، وتحرشاتهم إلى أن يعودوا إلى رشدهم وصوابهم.

هذا وبعد انقضاء تسع سنين من عمر الثورة الجمهورية الاسلامية الايرانية... بعد أن تركت ورائها خلال السنين السالفة، عقبات صاخبة، ومراحل عصبية شديدة، وحازت على انتصارات مظفرة وانجازات ناجحة وبطولات وفتوحات متعاقبة، نهج مجلس قيادتها الشعبية... نفس المخطط الموضوع قبل أربعة عشر قرناً، وأوفده على يدمندوبه إلى مكة ليقرأه على كافة الحجاج، من المسلمين المجتمعين في الموسم لأداء المناسك، حتى إذا ما قفلوا إلى بلادهم وديارهم، نقلوه إلى أخوانهم، وحدثوا به إلى أشقائهم ومواطنيهم، ليكون المسلمون بصورة عامة في كافة أنحاء المعمورة على علم منه ومسمع.

إنّ النداء هذا في الوقت نفسه، بيان صريح عن رسالة المسلمين، وواجباتهم الدينية والسياسية والاجتماعية في الداخل والخارج، ودعوة صادقة، وصرخة مدوية تدفع المسلمين إلى اليقظة، والتحرر، والإنطلاق. وإليك نص النداء الذي وجهه سيادة الإمام الخميني...

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ

عَلَى اللَّهِ (١٠).

أحمد الله على آلائه، والصلاة والسلام على أنبيائه، سيما خاتمهم وأفضلهم، وعلى أوليائه وخاصة عبادته، سيما خاتمهم وقائمهم، أرواح العالمين لمقدمه الفداء.

إنّ الأقسام والألسن وكل ما يتفوه به وينطق ويكتب، عاجزة عن أداء الشكر للنعم اللامتناهية التي أسبغها على البشرية، الخالق سبحانه الذي ازدان وبارك ببهائه المتلائي، في

عوامل الغيب والشهادة، والحفاء والعلن، نعمة الوجود، وبيّن لنا ببركة بعثة رسله، أنه (الله نور السماوات والأرض) وبظهوره المتألق أَمَاط اللثام عن حسن جماله، ليعلم بأنه الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأوضح في خلال كتبه السماوية المقدسة التي أنزلها على صفيه حتى خليله، ومن خليله حتى جيبه، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... طريق الوصول إلى الكمال، والفناء في الكمال المطلق، كما عرفنا كيفية السلوك للوصول إليه. وفي الوقت نفسه علمنا طريقة التعايش والتعمل، مع المؤمنين، والمحبين والملحدين، والمستكبرين، والأعداء. فقال عزّ شأنه: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) (١١). ونحمده حمدا متواصلا كثيرا، على ما جعلنا من أمة خاتم الأنبياء محمد (ص) الذي إصطفاه من بين أفضل، وأشرف الموجودات، وصيرنا من أتباع القرآن المجيد الذي يعتبر من أقدس الكتب السماوية الكريمة، المشتمل على كافة القيم والكمالات، والمسدد من رواسب شياطين الإنس والجن، اذ قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (١٢) فالقرآن الذي لم يزد فيه حرفا، ولم ينقص منه لفظا، شرح لنا كيفية تعامل الأنبياء للمستكبرين، والطفة المستبدين، على مرّ الأزمنة. وأوضح لنا هذا الكتاب السماوي طريقة تعايش خاتم الرسل (ص)، مع المشركين، والمعتدين، والكفار، وفي مقدمتهم المنافقين، وهو في الواقع دستور عالمي خالد منيع، يصلح لكل زمان ومكان، ويتلائم مع كل عصر وحاضرة.

لقد وجه الكتاب الخالد (القرآن) خطابه إلى المصلحين، والمعذرين، والمنافقين، حول استشهاد الشباب وفقدان الأموال والأرواح، وما يلحقهم من خسائر ونكبات خلال قيامهم بمهمة الجهاد، بقوله: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترَبصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (١٣) فالذي ينبغي القول في هذه الآية الكريمة أنّ حكم الجهاد، جاء فيها دون بقية الأحكام الالهية، بعد حبّ الله تعالى ورسوله (ص). وهذا يعني أنّ الجهاد في سبيل الله، هو في مقدمة جميع الأحكام الالهية الحافظة للاصول... وأنّ التقاعس عنه مصيره إلى الذلّ والخسران، والأسر، وسقوط القيم الاسلامية، والانسانية، كما يؤدي للوقوع في نفس الأمور التي كان المتقاعسون يخشونها في الماضي، كقتل الكبار والصغار، وسبي النساء، وأبناء العشيرة... وما جميع هذه القضايا إلا نتيجة تركهم الجهاد، وخاصة الجهاد الدفاعي الذي نعاني منه اليوم، ما لم يكن في الحسبان. قال تعالى: (فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (١٤) ليت شعري أية فتنة وبلية أعظم، من التي تجري على الإسلام من قبل أعدائه ومناوئيه، في عصرنا الحاضر،

وذلك بغية إبادة الاسلام من الأساس، وأقامة حكومات غاشمة ظالمة وتدعيمها بالمستشارين الأجانب الناهيين، لأهلاك الحرث والنسل، كالذي يجري اليوم ضد جمهورية ايران، وشعبها. والعراق وشعبه المضطهد، خلال السنوات الأخيرة.

وهدماً وشكراً متواصل لا حد ولا حصر لهما، على أطفاه جلّ وعلا، حيث رفرت راية الإسلام المعنوية، ودوت صرخته في جميع العالم حين توجه الحجاج الإيرانيين المحترمين، نحو معبد الحب وكهف المعشوق، وهاجروا إلى الله ورسوله، بعد أن اتجهت أنظار العالم نحو حكومة، وليّ الله الأعظم أرواحنا لمقدمه الفداء. وزاد غيض المتربصين والمنحرفين من ذوي النوايا الخسيسة الذين عفونوا بأصداء فضيحتهم كل مكان. عكس جميع أضغاث الأحلام المختلفة في مخيلتهم التي كانوا يبشرون بها عملاء السوء من أسيادهم، ومنها أمنيتهم الخائبة في سقوط نظام الجمهورية الإسلامية خلال ثلاثة أشهر سنة، غير أنهم بانوا بالفشل، وأصبحت الجمهورية الإسلامية العزيزة اليوم، وبعد انقضاء عدة سنوات أكثر رسوخاً وتركيزاً، وأضحى شعبها أكثر عزاً، وقواتها المسلحة أشد بأساً، ومناعة، ومازال شعبها شيباً وشباباً أقوى عزماً وتصميماً، وباتت الحوزات العلمية بفضل المراجع الكبار والعلماء الأعلام، أكثر تلهفاً لخدمة الإسلام، وتوثقت الأواصر والعلاقات والصلاة بين الحوزات الدينية والجامعات، وازدادت نشاطات القوات المسلحة عسكرياً، وتطورت ثقافياً وسياسياً... وأضحى الأعداء وهم في الحقيقة أعداء الاسلام، والمعارضين لأستقلال البلاد أشد ضعفاً وجبناً، وتزلزلت عروش المستكبرين أكثر فأكثر، وكشفت فضيحة (البيت الأسود) وازداد تخبط المترفين وذعرهم، فيما اتضح لما تعانيه أجهزة الإعلام الدولية من فوضى، تعكس حالة المترفين... فعلى كافة المسلمين والمستضعفين، في العالم أن يستغلوا الفرصة السانحة المتاحة، ويتكاتفوا ويتآزروا، وينقذوا أنفسهم من أسر وقيود الدول الإستعمارية الكبرى.

وهنا مسائل أراها جديرة بالبيان والأعلان وهي:

١ - اعلان البرائة من المشركين، وتعتبر من أركان التوحيد، ومن الفرائض السياسية للحج. وذلك أن تتشكل في أيام الموسم بكل صلابة وحيوية، مسيرات ومظاهرات كبرى. وعلى الحجاج الأجلاء من إيرانيين وغير إيرانيين حسب إختلاف جنسياتهم، وطبقاتهم، المشاركة فيها بعد الإتصال والتبادل مع مسؤولي الحج، والمبعوث من قبلي فضيلة حجة الاسلام الشيخ الكروي... وبيعثوا في جوار البيت المعظم بصرخات البرائة من مشركي الاستكبار العالمي وملحديهم، وفي رأسهم أميركا المجرمة. وفي الوقت نفسه لا يتغافلوا عن بيان عدائهم



واستيائهم، من أعداء الله والبشرية. أيا ترى هل الدين بمفهومه الواقعي، هو غير إعلان المحبة والاخلاص للحق؟ وإظهار البرائة والتفر من الباطل؟ إذ من المستحيل أن يتحقق معنى حب الموحدين وإخلاصهم، من دون اظهار الإستياء تجاه المشركين والمنافقين. وأي بيت هو أفضل من الكعبة..؟ البيت الآمن والطاهر... بيت الناس جميعاً فنلفظ فيه كل ألوان البغي، والعدوان والإستغلال، والإستعباد، والدناءة، واللإنسانية قولاً وفعلاً. ونحطم أصنام الالهة وسائر الالهة المبتوثة هنا وهناك، تجديداً لميثاق (ألست بربكم) وذلك إحياء لذكرى أهم وأكبر، حركة سياسية قام بها الرسول (ص) وعبر عنها القرآن بقوله: (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر) (١٥) فسنة الرسول (ص) وإعلان البرائة لن يبلي بعد. وإعلانها لم يكن مقصوراً على أيام ومواسم الحج فحسب. لكي يملأوا أجواء العالم بالمحبة والتوجه للباري سبحانه، والبغض والرفض لكل أعداء الله، وإنما عليهم البرائة في كل حين ووقت ولحظة، من دون أن يصغوا إلى وسوسة الخناسين والمرتابين والجهال والمنحرفين، وألا يغفلوا لحظة واحدة عن هذا النشيد التوحيدى المقدس الذي يشمل العالم الإسلامى. ولا شك أن الطامعين وأعداء الشعوب سوف لن يقرّ لهم قرار، وسيتشبثون بمختلف آلهابيل، وشتى الألاعيب فيتجه أدياء الاسلام، ووعاظ السلاطين ومرترقة البلاطات والليبراليون والمنافقون إلى عرض فلسفات وتحاليل، واستنتاجات ملتوية خاطئة ومنحرفة، ويمارسون كل عمل من أجل تجريد المسلمين من السلاح، وتوجيه الضربة القاضية إلى حيوية أمة محمد (ص) وعظمتها وصمودها.

قد يتقول الجاهلون المنتسكون أنه ينبغي عدم تلويث قداسة بيت الله الحرام، والكعبة المشرفة، بالشعارات والمظاهرات والمسيرات وإعلان البرائة من المشركين... لأن الحج هو محل العبادة، والخيرات وذكر الله، ولم يكن جبهة للنتاحر والإصطدام. كما يعمد العلماء المزيفون المهتكون من جانب آخر إلى إلقاء شبهة اخرى، وهي أن الجهاد والبرائة من أعداء الاسلام، والحرث من أعمال ذوى الدنيا ومحبيها، وأن التداخل في المسائل السياسية خلال أيام الموسم ليس من شأن علماء الدين والروحانيين، فالجواب أن هذا أمر يعتبر في حد ذاته من السياسات الاستفزازية المبطنة التي يخطط لها الطامعون... وعلى المسلمين بجميع كفاءاتهم المتوقرة أن ينهضوا من أجل التصدي لهذه المؤامرة الدينئة، والدفاع عن القيم الآلهية، ومصالح المسلمين، ويوحّدوا صفوفهم الجهادية ويمارسوا دفاعهم المقدس، ولا يسمحوا لهؤلاء الجهلة من أتباع الشياطين، ذوى القلوب المريضة، بمهاجمة عقائد المسلمين وعزّتهم، أكثر من هذا. ويلتحقوا من كل صوب وناحية، وحتى من كعبة الله بجنود الرحمن. وينطلق الحجاج الأعزاء

من أفضل أراضي العشق والجهاد، وأكثرها قدسية حيث كعبة أكثر رفعة وعظمة.

أجل يكونوا كسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، حيث انطلق من إحرام الحج إلى إحرام الحرب والجهاد، ومن طواف الكعبة والحرم، إلى طواف صاحب الكعبة والحرم. ومن التوضؤ من بئر زمزم إلى غسل الشهادة والدم، ليتحولوا بذلك إلى أمة لا تقهر، وبنيان لا ينهار، لا تمكن في يوم من الأيام للقوى العظمى الشرقية والغربية، الوقوف بوجهها. ولا ريب أن روح الحج ومفاهيمه ورسالته، سوف لن تتحقق إلا بعد أن يلتزم المسلمون بالجهاد، ضد النفس، والجهاد ضد الكفر والشرك.

ومهما يكن من أمر إعلان البرائة في الحج، هو في الواقع تجديد العهد بالجهاد، وتجديد للمجاهدين في مواصلتهم الحرب مع الكفر والشرك، وعبادة الأوثان، وهذا لا يقتصر على الشعارات بل يتعداها إلى التعبئة، والتنظيم ورض جنود الله لمقابلة جنود إبليس وسائر الأبالسة. والبراءة هذه تعتبر من المبادئ الأولية للتوحيد.

فاذا لم يتمكن المسلمون من إعلان البرائة في بيتهم الذي هو بيت الله الحرام، فأين يتمكنون من إعلانها؟ وإذا لم يجعلوا ولم يتخذوا الحرم، والكعبة، والمسجد، والمحراب جبهة ومتراساً وثكنة لجنود الرحمان المدافعين، والذابين عن الحرم، وحرمة الأنبياء فأين سيكون مأمنهم وملجأهم؟.

إن إعلان البراءة يعتبر الخطوة الأولى من الجهاد، ومواصلته هي المراحل المتعاقبة لواجبنا، وأنه يتطلب في كل عصر وزمان مفاهيم وأساليب وبرامج خاصة. فالذي ينبغي القيام به في عصر كهذا الذي تهدد فيه قادة الكفر والشرك، كيان التوحيد للخطر، ويحولون جميع المظاهر الوطنية، والثقافية، والدينية، والسياسية الشعبية ألعوبة حسب أهوائهم ورغباتهم؟ ترى هل يتخلص واجبنا في الانزواء، والجلوس في قعر الدور وتحمل ضغوط الشيطان وأتباعه، من خلال حملات التضليل، وإهانة منزلة البشر، وبث روح اليأس والعجز في نفوس المسلمين، ومنع المجتمع الإسلامي من بلوغ الخلوص الذي يعتبر غاية الكمال، ومحط الآمال، والإيحاء بأن محاربة الانبياء للأصنام وعبادتها تتخلص في الحجارة والأخشاب الهامدة، وأن الأنبياء كأبراهيم عليه السلام (والعباد بالله) كانوا السابقين لتخطيم الأصنام، ولكنهم تركوا ساحة الجهاد ضد الظالمين؟ إن تخطيم الأصنام وجهاد إبراهيم (ع) وصراعه ضد النمروديين، وعبدة الشمس والقمر، والكواكب، كلها كانت مقدمة لهجرة كبرى، وأن جميع تلك العقبات والشدائد، والصعاب، والاقامة في واد غير ذي ذرع وبناء البيت والتضحية باسماعيل كمقدمات أولية لبعثة رسالة خاتم النبيين (ص) الذي جاء بجميع كلمات

الأولين والآخرين، من بناء الكعبة وكررها في رسالته الخالدة، أذاها بقوله الخالد: (أنني بري مما تشركون).

إننا إذا تصورنا غير هذا المعنى، فإنه يعني عدم وجود الأصنام والعكوف عليها في هذا العصر، ولكن أي عاقل لا يدرك عبادة الأصنام الجديدة في عصرنا الحاضر، بأشكالها، وأحبابها، وحيلها الخاصة. ولا يعرف سيطرة معابد الأصنام (كالبيت الأسود الأمر يكي) على الحواضر الإسلامية، وعلى أرواح وأعراض المسلمين، والعالم الثالث.

إن صرخة براءتنا من المشركين والكفار اليوم، هي صرخة البراءة من البغي والظالمين. وصرخة إمة ضاقت ذرعاً باعتداءات معكسات الشرق والغرب، وفي مقدمتهم أمريكا وأذئابها... وتلك من جراء نههم لبيوتنا وذخائرنا.

إعلان براءتنا هي صرخة الشعب الأفغاني المضطهد، ومن المؤسف أن الأتحاد السوفيتي، لم يستجب لنصحي، وتحذيري، بشأن أفغانستان ومن ثم حمل على هذا البلد الإسلامي.

لقد قلت في الماضي القريب مرات عديدة، وأقوله اليوم: أن كفوا عن الشعب الأفغاني، ودعوه لنفسه، فهو يقرر مصيره ويتوصل إلى إستقلاله الحقيقي، ولا يحتاج إلى ولاية الكرملين، أو وصاية أمريكا، ولا شك أنه لن يخضع لسلطة اخرى بعد جلاء العسكريين الأجانب من بلاده، وأنه سيقطع دابر أمريكا إذا ما حاولت التدخل في شؤونه أو الأعتداء على أراضيه.

كما أن صرخة براءتنا، هي صرخة الشعوب المجاهدة المسلمة في افريقيا... صرخة اخواننا وأخواتنا في الدين من الذين يكتون بسياط الظالمين العنصرين لسبب لوهم الأسود. إن صرخة براءتنا هي استجابة لصرخات الشعبين اللبناني والفلسطيني، وكافة الشعوب والبلدان الاخرى التي تطمع فيها القوتان العظيمنتان الشرقية، والغربية. سياً أمريكا، واسرائيل، وتقوم بنهب ثرواتها وفرض عملاتها، ومرتزقتها على رقاب الشعوب، وتهيمن على أراضيه من بعد آلاف الكيلومترات. وتسيطر على حدودها البحرية، والبرية.

إن براءتنا إستجابة لصرخات الذين لم يتعودوا أن يتحملوا تفرعن أمريكا وجودها التسلطي. ولا يريدون أن تخمد نداءات غظهم وتذمرهم. وتموت في حناجرهم إلى الأبد. وقد صتموا أن يعيشوا حياة حرة كريمة، ويموتوا أحراراً ويكونوا الان نموذج المثالي للأجيال.

إن براءتنا هي الدفاع عن الشعوب، والكرامات، والنواميس، والذّب عن الثروات، والرساميل، والذخائر المستخرجة، والعوائد المالية المنهوبة. صرخات الشعوب المؤلمة، المتقطعة

قلوبها بسكاكين الكفر، والنفاق. صرخات الفقراء والمعوزين، والجوع، والمحرومين الذين نهب الجشعون، والقراصنة الدوليون، حصيلة جهودهم، وما امتلكوه من كديمينهم، وعرق جيبنهم. أولئك الذين امتصوا دماء الشعوب الفقيرة، من الفلاحين، والعمال، والكادحين، بأسم الرأسمالية، والإشتراكية، والشيوعية. وربطوا بأنفسهم العصب الحيوي لاقتصاد العالم. وحرّموا أصحابها من استيفاء أبسط حقوقهم المشروعة.

إنّ براءتنا هي صرخة أمة يتربّص لها الكفر، والإستكبار العالمي الدوائر، ويتحين الفرص لأبوابها وقد صوّب نباله، وحرابه، نحو القرآن، والعترة العظيمة. ولكن هيات أن تخضع أمة محمد (ص) الذين روى ظمأهم كوثر عاشوراء. ومن المنتظرين من ورثة الصالحين. الاستسلام للموت المذل، أو الأسر للشرق، والغرب. ولكن هيات أن يسكت الخميني أمام اعتداءات الأشقياء، والمشركين، والكفار الموجهة نحو حرمة القرآن الكريم، وعترت رسول الله (ص) وأمة محمد (ص)، وأنصار إبراهيم الخليل. أو أن يقف متفرجاً على مشاهد إذلال المسلمين وإهانتهم.

لقد حملت دمي، ونفسي البخيسة، على كفي، وبانتظار الفوز بالشهادة العظيمة في سبيل الواجب والحق والذب عن كرامة المسلمين. ولتكن القوى الإستعمارية الكبرى وأذناها، على يقين بأن الخميني لوبات وحيداً بمفرده فإنه سيواصل طريق الجهاد، ضد الكفر، والشرك، عبادة الأصنام. وإته بعون الله تعالى، سيقف في صفوف متطوعي العالم الإسلامي، الحفاة الراحين تحت غضبة الديكتاتورية، وبجاهد إلى جنبهم ويسلب النوم والراحة، من أجناف السلطويين، والعملاء الذين يتمادون في ممارسة الظلم والأضطهاد.

شعار (لا شرقية ولا غربية) مفهوم ثورتنا إلى الأبد...

أجل إنّ شعار (لا شرقية ولا غربية) شعار الثورة الاسلامية المبدئي، عند الجائعين والمستضعفين. والذي يجسد السياسة الحقيقية، والنهج الحقيقي، هو عدم انحياز الدول الإسلامية (والحكومات التي ستقبل في المستقبل القريب بعون الله الإسلام) كرسالة منقذة للبشرية. ولن يجيد عن هذه السياسة، وهذا النهج قيد أنملة. وعلى الحواضر الإسلامية، والشعوب المسلمة، ألا تهفوا، وتنحاز إلى الغرب، وأوروبا، وأمريكا. ولا تميل وتنحو إلى المعسكر الشرقي الإتحاد السوفيتي. وإتّما ينحازوا ويرتبطوا بالله، ورسوله، وإمام العصر. ومن المؤكد أن تجاهل سياسة الإسلام هذه، هو بمثابة التغاضي عن هذا الشعار الإسلامي العالمي، يعتبر خيانة لرسول الله، وأئمة الهدى وبالتالي سيؤدّي إلى تدمير بلادنا، وشعبنا، والدول

الإسلامية بمجموعها. ولا يحسب أحد أن هذا الشعار هو شعار مرحلي وإنما هو سياسة عملية مستمرة حية، ومتواصلة لشعبنا وجمهوريتنا الإسلامية، وكافة المسلمين في الأنحاء المعمورة، ذلك أن شرط الثبات على الصراط المستقيم، هو البراءة والإبتعاد عن صراط الضالين المغضوبين عليهم. وينبغي أن يطبق، ويعمل على تطبيقه في كافة المجتمعات الإسلامية، وفي جميع المستويات والاتجاهات.

إنّ على المسلمين بعد انفضاض مسيرة البراءة وإعلانها، التضامن مع الشعب الإيراني البطل، والتفكير في مطاردة الإستعمار من بلادهم، وأراضيهم الإسلامية، والسعي في إزاحة جند إبليس عنها، والعمل في تعطيل وشل القواعد العسكرية، للشرق والغرب، القائمة في بلدانهم، ويحولوا دون إستغلال السلطويين، لإمكاناتهم من أجل خدمة مصالحهم ويشجبوا الإساءة إلى الدول الإسلامية. ولعمري إنه لخزي ما بعده خزي، وعار ما بعده عار، أن يتوغل الأجنبي في المراكز السرية، والعسكرية للمسلمين. والمفروض على المسلمين ألا يهابوا الصخب والطبول الفارغة، والدعايات السامة المفرضة، وذلك لأن قصور الإمبريالية العالمية، وقواتها العسكرية، والسياسية، أشبه ببيت العنكبوت. هش سهل التمزق والنقض. ولا بد لمسلمي العالم كيفية تأديب الحكام العملاء، ومراقبتهم، واصلاحهم، وإيقاظهم بالنصح، والموعظة، والإرشاد، أو التهديد، من سباتهم العميق الذي سيقضي على حياتهم، ومصالح الشعوب الإسلامية في نفس الوقت. ويحذروا هؤلاء العملاء، وألا يغفلوا هم أنفسهم وبالرؤية الصائبة عن خطر المنافقين، وسماسة الإستكبار العالمين. وألا يظنوا صامدين من دون رد فعل وبمسمع منهم هزيمة الإسلام، ونهب ثروات المسلمين ومصالحهم.

وعلى الشعوب الإسلامية أن تسعى وتفكر في إنقاذ فلسطين. وتعلن عن سخطها، واستنكارها لمساومة واستسلام زعماء العار، والعملاء الذين قضاوا باسم فلسطين، على قضية شعب فلسطين ومسلميها. ولا يدعوا هؤلاء الخونة بعد هذا، أن يسئوا لفلسطين بالجلوس حول مائدة المفاوضات. وتبادل الزيارات واللقاءات، إلى كرامة وسمعة الشعب الفلسطيني البطل، فلقد لجأ هؤلاء (أدعياء الثورة) العملاء الفاقدون للكرامة إلى أمريكا، واسرائيل، وارتموا في أحضانها تحت شعار (تحرير القدس) المبطن.

سوف لا تكف عن مقاومة الصهيونية:

ومن الغريب أنه كلما يمضي على كارثة اغتصاب فلسطين الدامية، يوم أو أيام، يزداد صمت زعماء ورؤساء الأقطار الإسلامية، وتزداد مساومتهم، ومسايرتهم، وتزلفهم

لاسرائيل الغاصبة. بحيث أن صرخات (بيت المقدس) كأنها لا تصل إلى أسماعهم، أو لم تكن هناك لصرخاته المدوية آذاناً واعية وصاغية. ونجدهم بالفعل يشجبون كل حكومة، وشعب — أمثال إيران المثابرة في ردّ كيد المعتدين والمطفلين — يتطوع لدعم الشعب الفلسطيني، ومساندته. ومخافون من تسمية يوم من الأيام بأسم (يوم القدس) وربّما التمس عليهم الأمر، وحسبوا أن مرور الزمن أثر وغير طبيعة إسرائيل، والصهيونية الأثيمة وأن ذئاب الصهينة الكاسرة، تغاضت وعدلت عن نواياها العدوانية التوسعية الطامعة في الأراضي الإسلامية من النيل إلى الفرات.

إنني كما حذرت مراراً في سنين قبل الثورة، وكذلك بعدها أعود اليوم فأنبه مجدداً على خطر وسيع وانتشار الغدة السرطانية الخبيثة للصهيونية، داخل جسم الدول الإسلامية. وأعلن عن دعمي الأكيد وتجاوب إيران شعباً وحكومة لجميع أنواع الجهاد الإسلامي للشعوب والشبان المسلمين الغيارى، في سبيل تحرير القدس. وأتقدم بشكري لشباب لبنان الأعزاء الذين أصبحوا مدعاة لفخر الأمة الإسلامية، إذ تركوا للسلطويين الذلّ، والخذلان. وأدعو بالتوفيق والسداد لجميع الأعزة الذين يسددون الضربات إلى إسرائيل، ومصالحها داخل الأراضي المحتلة، وخارجها بسلام الأيمان والجهاد. وأؤكد لهم بأن الشعب الإيراني لن يتركهم وحيدين في النضال. فاتكلوا على الله واستغلوا القوة المعنوية للمسلمين، واحملوا على الأعداء بأسلحة التقوى والجهاد، والصمود والمقاومة، فإنكم (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (١١).

٢ — لما كانت الحرب في طليعة قضاياها، فإنّ السلطويين — وعلى أعتاب الانتصار الحاسم للشعب الإيراني على العفالقة المتهرئ والمشرف على الأنهيار — يحاولون إنحراف الرأي العالمي من خلال وصفنا — بعد كل اعتداءات وجرائم نظام صدام وصمت الأوساط الدولية — بأننا دعاة حرب. ولئلا يتأثر السدج غير الواعين بهذه الحرب الجديدة، ولأجل تنوير الرأي العام، والشعوب الرازحة تحت كابوس الأسر، سبياً حجاج بيت الله الحرام المحترمين. أرى لزاماً أن أشير إلى بعض النقاط:

إنّ العالم ومنذ بداية الحرب، ولحد الآن وفي جميع المراحل الدفاعية، لم يتكلم معنا بلغة العدل، وعدم الإنحياز. ففي اليوم الذي اعتدى فيه صدام. وحزب البعث — علينا مندفعاً بغروره وغبائه، للقضاء على نظام الجمهورية الإسلامية الفتى... واخترق المواثيق الدولية، وضرب جميعها عرض الحائط... وأشرف بنفسه على الغارات الجوية والإعتداءات البرية والبحرية... لم يكتف بتدمير القرى أو المدن الإيرانية، وإنما أباد عشرات المدن، ومئات

القرى عن بكرة أبيها، وقتل الأطفال الأبرياء في أحضان أمهاتهم، واستمر في جسعه وجرائمه الى حدّيات فيه التعبير عن ذلك أمراً يندى له جبين الإنسانية.

نقول: عندما فعل صدام فعلته هذه النكراء، لم يستنكر أحد من دعاة الإسلام هذه الجريمة عليه، ولم يقف بوجهه، ولم يردعه عن غيه ولم يوقفه عند حدّه، في إطلاقه الشرارة الأولى للحرب التي عمت جميع الدول الاسلامية، والدول الواقعة على الخليج الفارسي، ولم يتطوّع واحد منهم بالدفاع عن الشيعيين المظلومين في ايران، والعراق، ولم يسأل صدام — وهو البادي بالحرب — عن العوامل الدافعة بقتل أبناء الشعب الإيراني، وتهجير الملايين من أبنائه، وقصف ديارهم؟ وكذلك عن سبب تذييره لشروات الشعب الايراني، ومصانعه، ومزارعه ومضيعة جهوداً خلال عشرات السنين، هل إن ذنبنا أننا إيرانيون؟ أو أننا من الفرس؟ أم أن الذنب هو النزعات والاختلافات الحدودية الماضية؟.

كلا... ليست هذه هي العوامل الباعثة للحرب، وإنما كما يعرف الجميع اليوم أن ذنبنا في الواقع حسب وجهة نظر المستكبرين والمعتدين، هو دفاعنا عن الإسلام، وإقامتنا الحكومة الجمهورية الإسلامية، بدلا من النظام الشاهنشاهي المباد. إن ذنبنا هو إحيائنا لسنة الرسول (ص) وتطبيقنا لأحكام القرآن الكريم. ودعوتنا للوحدة العامة الشاملة لجميع الفرق الإسلامية — شيعة وسنة — من أجل الوقوف بوجه مؤامرات الكفر الدولي. وذنبنا أيضا هو وقوفنا إلى جانب الشعب الفلسطيني، المحروم، والشعب الأفغاني، والشعب اللبناني، وإغلاق سفارة اسرائيل في ايران. وإعلان الحرب على الاخطبوط السرطاني، والصهيونية العالمية. واستنكارنا التمييز العنصري. ودفاعنا عن الأفارقة المضطهدين. وإغاؤنا للمعاهدات المذلة المعقودة بين النظام الجهلي المباد مع أمريكا الطامعة. وطردها للطامعين والناهبين وحثالاتهم.

وهل هناك في مفهومهم اللامنطقي، ذنب أفضح من الدعوة إلى الإسلام وحاكميته، ودعوة المسلمين إلى مهيع العز والإستقلال، والوقوف بوجه تطاول المعتدين؟ إننا لم ندرك هذه الحقيقة خلال الحرب المفروضة فحسب، وإنما علمناها وأدركناها منذ بداية جهادنا في الخامس من حزيران عام ١٩٦٣، وحتى الحادي عشر من شباط سنة ١٩٧٩.

لقد أدركنا تماماً بأن علينا دفع الثمن باهضاً من أجل تحقيق الهدف الإسلامي الكبير، ولا بد لنا من تقديم القرابين والضحايا في سبيل ذلك الهدف الالهي. وعرفنا أن الطامعين لا يتركوننا وشأننا، وإنما سيباغتوننا، ويوفاجئوننا بواسطة عملائهم في الداخل والخارج، ويريقون دماء أولادنا في الأزقة والشوارع، وعلى الحدود أثناء دفاعنا عن الإسلام. وهذا ما حصل فعلاً حينما صرخ شعبنا في الخامس من حزيران عام ١٩٦٣، مطالباً بالعمل

على ضوء الإسلام. وحينما واجه غرور أمريكا واقتدارها في إيران بالفشل والهزيمة، وأدركت هذه القوة العظمى مدى عظمة زعامة علماء الدين، وعزم الشعب الإيراني وإرادته ومناعته، نضاله من أجل نيل حريته، واستقلاله، وإقامة نظام اسلامي عادل، بادرت إلى عميلها المسلوب القدرة، والخائن لوطنه، محمدرضاخان وأمرته بإخماد أصوات الشعب الداعي للإسلام. وأخذت منه عهداً بالقضاء على كل من يقف بوجهها.

وقد شاهدنا جميعاً كيف أن الخونة والعملاء الذين قاموا بهذه المهمة المشؤومة، لم يتقاسوا ولو للحظة واحدة وبحجة تنفيذها، ورفع شعار الحرية المزيف، والدعوة للوصول إلى بوابة التمدن الكبير... كيف صنعوا من أشلاء جثث أبناء هذا الشعب جسوراً لهم، وصبغوا بدماء شباننا جدران بلادنا، وتسربت الجرائم هذه وعمت المدرسة الفيضية، إلى الجامعة، ومن الجامعة إلى الأزقة والطرق، والأسواق والشوارع، وانتهت إلى الجوامع والمحاريب... في الوقت الذي كان فيه جلاوزة الحكم الشاهنشاهي، يسعون في تدمير شجرة الحرية الطيبة، وقطعها، كان المستعمرون عن طريق أجهزة إعلامهم يصفون نظام الشاه بالتمدن، ويعبرون عن المسلمين الأحرار بالرجعية والعمالة، ويعتبرون شروطهم الإسلامية بأنها رجعية سواد. وهكذا راحوا يرتكبون أبشع الجرائم ويعيدوا بأعمالهم جرائم يزيد، ومآسيه في اليومين التاسع والعاشر من المحرم. ورغم هذه الأحداث التي كانت تدار في بلدنا، والقلق والإضطراب الحاكم عليها، كانوا يصفون بلدنا ببلد الهدوء والاستقرار، بينما حولوه إلى مقابر وخرائب. وقد أعلنت حين عودتي إلى إيران العزيزة في مقبر (بهشت زهراء) أن الشاه قد حول البلد إلى خرائب، وعمر مقبره. واليوم أكرر الكلام ثانية، وأقول: أن الشاه أباد البلاد، وعمر المقابر. فن هو الشاه، ومن كان يعمل تحت أمرته؟ فلو كان يعمل ويحكم بوحى من أفكاره الخابلة، لكانت المسألة قد انتهت منذ لحظة سقوطه. ولكن من ذا الذي لا يعرف أن الشاه كان عميلاً لأمريكا وأن جميع شهدائنا وأبنائنا قد ضحوا بأنفسهم من أجل الحرية. لقد كان الشاه ينفذ المخطط الذي دفع إليه من قبل أسياده، واستطاع أن يثأر لأمريكا من الإسلام والمسلمين.

أما الموجه والمسير الأساسي لهذه الحوادث - أي أمريكا - فقد بقيت وراء الستار، تهاب الإسلام الحقيقي وتهايه وتخشى إنتفاضة الشعب المتطلع إلى الحكومة الالهية. وتابعت أمريكا لعدة أيام سياسة المداهنة والوعد والوعيد، وحسبت أن الشعوبيين والمنافقين وعملائهم، من كل جهة سيعملون في إدارة وتحريف الثورة والحكومة، والنظام القائم لصالحها، فراحت تضع المخططات وتحريك المؤتمرات، والدسائس، والضغط والترويج،



لأذناها. وجاهدت في تشويه هوية الثورة، وسمات الثورين الحقيقيين. ولكن الله سبحانه وتعالى مَنَّ علينا بعنايته من جديد، وأعلن الشعب الإيراني براءته من أمريكا وأذناها، خلال ملحمة احتلال وضبط وكرالجاوسوية، والعمالة وتصرفه، ومن هنا اتجهت أمريكا نحو صدام، لتسلم له الحربة التي سلمتها من قبل إلى محمدرضاخان.

ما الذي عمله صدام..؟

ذكرت في الماضي بأنه لو أتحت لنا الفرصة لبناء ما دمقرته يدا الشاه، خلال سطوته فإننا لن نتمكن من اصلاحه في أقل من عشرين سنة، مهها بذلنا من جهود، فهل ياترى يمكن بناء وإعادة مادقره صدام في أقل من عشرين سنة؟ ليعلم الشعب الإيراني الشريف، وكافة مسلمى، وأحرار العالم، بأننا لو أردنا الوقوف على أقدامنا من غير إعتماذ على قوى اليسار واليمين، فإن علينا دفع ثمن باهض من أجل الحرية والاستقلال.

إنّ الثورة الإسلامية في إيران هي ثمرة دماء آلاف الشهداء والجرحى، ودمار المنازل والبيوتات، وإحتراق محاصيل المزارعين، واستشهاد الكثير من أبناء الشعب في عمليات التفجير، ووقوع أبناء الثورة والاسلام اسرى بأيدي جلاوزة البعث في العراق. وهي ثمرة الصمود البطولي، أمام كل أشكال التهديد والضغط الاقتصادي، والعسكري، والسياسي. لقد أغنى تدمير المنازل وهدمها، على رؤس الأطفال الأبرياء، تجربة إنتصار الشعب الايراني، اذ قام بالتأمين على ثورته وبلده من خلال جهاده وتضحياته. وسيقف العالم على تجاربنا، وسنرسم لكل المجاهدين طرق الحق والحرية، بدون أي مقابل وتعويض، وذلك ليقفوا على حصيلة كفاحنا، ودفاعنا، ووقوفنا ضد الظالمين.

ولن تكون نتيجة الإستفاعة من هذه التجارب المنيرة، سوى تحقيق الانتصار والإستقلال وإنتشار تعاليم الإسلام بين طبقات الشعوب المضطهدة.

إنّ على مفكرى الإسلام من خلال العلم والدراية، مواصلة طريق إبادة وتحطيم العالمين: الرأسمالي، والشيوعي، وعلى جميع الأحرار أن يجسدوا لأبناء البلدان الإسلامية المظلومين، والعالم الثالث كيفية توجيه الضربة، وإنزالها بالقوى المستكبرة سبياً أمريكا وأذناها، وذلك من خلال الرؤية السليمة، والواضحة.

إنّني أقول — وكلّي يقين — أن الإسلام سيمرّغ أنف القوى الكبرى، وسيزيل الحواجز، والعقبات الكبيرة في داخل حدوده وخارجها، واحداً بعد آخر، وسيزيلها من على مصيره إلى أن يبلغ إلى فتح العالم.

فيا أبناء الشعب الإيراني النبيل، كونوا على علم بأن ما قمتم به أنتم الرجال والنساء، لعمل رائع بطولي وقيم، بحيث لو دمّرت إيران مئات المرات عن آخرها، وجدد بناؤها بجهد أبنائكم الأعزاء، فلن تكونوا فيه خاسرين وذلك أنكم فزتم بالعيش والإنضمام إلى أولياء الله في العالم، وأصبحتم خالدين، وأن الدنيا ستحسدكم عليه، فطوبى لكم.

### مقاومة السلطويين والمستكبرين...

إنني بكل صراحة أعلن للعالم، بأنه إذا ما أراد السلطويون، والجشعون الدوليون، الوقوف أمام زحف ديننا فإننا سنقف في وجه دنياهم، ولن نستكين حتى القضاء عليهم جميعاً. فإما أن نتحرر جميعنا، وإما أن نبلغ الفوز الأكبر ألا وهي الشهادة. وكما حققنا النصر للشورة وحدنا، وفي الغربية ودون مساعدة وموافقة أي من الدول، والمنظمات، والهيئات الدولية، وكما قاتلنا في الحرب بمظلومية أكثر من الثورة، وهزمتنا المعتدين، دون مساعدة من أية دولة أجنبية، فإننا سنواصل بعون الله والإتكال عليه، ما تبقى من الطريق بمفردنا، رغم وعورته وكثرة أشواكه. وسنعمل بواجبنا فيما أن نشد على أيدي بعضنا بعضاً، فرحين بانتصار الإسلام في المعمورة كلها، وإما أن نتوجه جميعاً نحو الحياة الأزلية والشهادة، ونستقبل الموت بعز وشرف. وفي كلا الحالين سيكون النصر حليفنا، ولا ننسى الدعاء أيضاً: (ربنا امنن علينا واجعل ثورتنا الاسلامية المرحلة الأولى في إنهار قصور الجبارين، وأقول نجم أعمار المعتدين في جميع أنحاء العالم، ومتع جميع الشعوب بشمرات وراثته المستضعفين والمحرومين وامامتهم وبركاته).

### تجار الحرب والمعتدين يطالبون بالسلام...

وبعد كل هذه المقدمات، فإنّ الحكم بشأن الحرب والقضاء فيها، يعود للمسلمين أنفسهم لينظروا ويتأملوا في حقيقة أهدافنا، وأين كانت تتجه مسيرتنا كي استوجبت الهجوم علينا، واستوجبت تقديم قوافل الشهداء إلى محضر الله القدسي؟ وما هي النوايا التي يضمورها صدام الفاسد، من وراء عدوانه؟ والدوافع التي جعلت أنظمة العالم تقوم بدعوه سرّاً وعلانية؟ فالمعتدون لم يكونوا إلى هذا اليوم في عسر على صعيد التسلح، والحصول على الدعم العسكري، والاقتصادي، والسياسي لأن العالم يقوم بتزويدهم بأفضل وأحدث الأسلحة بشتى الوسائل، والذرائع، بينما يمتنع عن إعطاء الصفقات العسكرية التي تعتبر حقاً طبيعياً لشعبنا بعد أن قبض أثمانها. إلا أنه وبرغم كل ذلك فإننا نفخر بأننا انتصرنا في هذه الحرب الطويلة، وغير

المتكافئة، بالاعتماد فقط على سلاح الأيمان، والإتكال على الله سبحانه، ودعوات بقية الله الأعظم (عج) وهمة الأبطال من الرجال والنساء. ونحمده الله ونشكره أن ليس لأية قوة كبرى، أو دولة منة علينا في هذه الحرب. بل إن شعبنا المجرب والمتوكل على الله سبحانه، استطاع بوخذه أن يتغلب على الكثير من المشاكل، من التخطيط للعمليات والتعبئة، وتدريب المقاتلين إلى تأمين حاجيات البلد من الأسلحة وذلك بالاستعانة بالله عزوجل.

بالإضافة إلى الإنجازات التي تشبه الإعجاز والتي تجسدت في سوح الدفاع عن البلد الإسلامي، وطرد المعتدين من آلاف الكيلومترات، فقد حققنا تطورات صناعية، هائلة كتشغيل المعامل، واحداث التغييرات في خطوط الإنتاج واختراع الأجهزة العسكرية المتطورة، دون احتياج إلى استخدام خبير أجنبي، وبدون أية مساعدة أجنبية.

واليوم، ونحن على أعتاب النصر النهائي، حيث نخطو خطواتنا الأخيرة أخذت تصك الأسماع أصوات من حناجر الحكام المعتدين، وتجار الحروب، تطالب بالسلام، وتثير الضجيج في العالم، وتقيم المآتم على السلام... وتدافع عن حرية الإنسانية، وحقوقها، وأمنها، وتنوح وتبكي على دماء الشهداء، والثروات المادية والمعنوية لإيران، والعراق، ما الذي حدث حتى أصبح الاستكبار العالمي، وعلى رأسه أمريكا، من أنصار الشعوب؟ وما الذي جعل تجار الحروب ومؤججي نار الفتن، وجلاوزة القرن، يؤمنون بشرف الإنسانية والتعايش السلمي، ويغضون الطرف عن عطشهم، ونزعتهم الدموية التي تعتبر الخصلة الأساسية للنظريتين، الرأسمالية، والشيوعية، حيث أغمدوا سيوفهم وخناجرهم المغروسة في قلوب الشعوب وأكبادها.

هل هذه حقيقة أم خدعة؟ وهل هذا هو الوجه الآخر للمظالم والغدر التي كان الإستكبار يرى في السكوت عنها تحقيقاً لمصلحته بالأمس، بينما يطالب اليوم بالسلام؟ ألا يريد الطامعون بهذا الطريق، أن يحولوا بيننا وبين ضربتنا الأخيرة، وذلك بربطهم سياسة الحرب والسلام في العالم، بقراراتهم وأفكارهم الشيطانية الجشعة، تكريساً لمصالحهم وللسيطرة على الشعوب، وامتلاك أموالها، ودولها، وأمنها؟ ولا شك أن الباعث على إصرار الطامعين في فرض السلام على الشعب الإيراني منبث من هذه الفكرة.

هذا، وبغض النظر عن كل هذا وذاك، فإن تحديد ذلك الذي يروم السلام الحقيقي، والذي يريد الحرب هو بداية بحثنا.

هل أن صداماً قد ندم على ماضيه، وأفعاله، واعتداءاته، وبغيه؟ وهل أنه يعتذر عن الخيانة التي إرتكبها بحق الشعوب الإسلامية عندما أضعف البنية الدفاعية، للشعوب

الإسلامية؟ وهل إنَّ مطالبة صدام بالسلام، نابعة من صحوة ووعي واحساس وتيقظ الضمير؟ وإننا بعد العودة إلى سجل جرائمه الأسود، هل يمكننا أن نتصور وجود ضمير أو احساس لهذا العنصر؟ أم إنَّ هذا الشعبان الجريح، يتمسك بحبل السلام، لسبب عجزه، وضعفه عن المقاومة.

والعجب من بعض أدعياء العقل والسياسة والتدبير، كيف يقدمون الاطروحات ويجرفون مسار عزة المسلمين، وكرامتهم فيحذرون شعبنا من شرف الجهاد، عن طريق تحريف آيات كتاب الله الكريم. إننا نحمد الله إذ منح الشعب الإيراني وعيا متنامياً، فهو لن يتأثر بهذه المحاولات الواهية، ويعتبرها دليلاً على جبن البني والأسس الفكرية والعقائدية لأصحاب هذه التحليلات الهزيلة، ويسخر بهم.

فأيَّ إنسان عاقل — بالرغم من كل الظروف المناسبة، والمقدمات اللازمة، وتقديم الآلاف من الضحايا — يغض النظر عن الحرب مع العدو المحتضر، دفاعاً عن رسالته وشعبه وبلده؟ ويتركه يستعيد قوته ثانية، ليهاجم بلدنا في الوقت المناسب؟ فهل تسنم منصب الرئاسة في هذه الدنيا لبضعة أيام، يستحق كل هذا الذل والهوان؟.

في بداية العدوان كان العالم يقترح علينا أن نقبل سيادة ومطالبة صدام للحيلولة دون المزيد من الهجمات. لقد طالبونا بالخضوع لنظام صدام، وهاهم اليوم — وفي اطار تلك السياسات وفي ظل قصف الأحياء السكنية، والحملات الكيميائية، وضرب الناقلات، والطائرات المدنية، وقطارات نقل الركاب — يدعوننا ولكنه بلغة أخرى إلى قبول حكم القوة وعدوان صدام. إنَّ جميع الخبراء في العالم يدركون أن صداماً لم ينصرف ذرة واحدة عن نزعته العدوانية والوحشية، بل قد تحوّل — بدعم أسياده وصمت المنظمات والأوساط الدولية — إلى ذئب جريح، يسعى لا شعال نار الحرب في دول المنطقة، سياً في الخليج الفارسي.

وهذه المناسبة فإنني أحثُّ جميع رؤساء إمارات الخليج الفارسي، وكافة القوى العظمى الشرقية، والغربية، سياً أمريكا والاتحاد السوفيتي... من التدخل والمغامرة، واتخاذ القرارات المرتجلة اللامسؤولة. كما وأنصح الشعب الأمريكي، بالأبودع مقدراته وإرادته وعقله في القضايا السياسية والعسكرية، بأيدي أفراد أمثال — ريغان — الذي أصبح عاجزاً في كل المسائل وخاصة السياسية، واتخاذ القرارات، لأنه بحاجة إلى مساعدة الآخرين من العقلاء، والمفكرين كي لا يدفع بالشعب الأمريكي إلى السقوط.

إنني أوصي زعماء إمارات الخليج الفارسي، بألا يعملوا على تحقير أنفسهم وشعوبهم، من أجل عنصر أفلس سياسياً وعسكرياً، واقتصادياً. وأقول لهم: لا تظهروا ضعفكم وعجزكم

عن طريق اللجوء، إلى أحضان أمريكا ولا تطلبوا العون من الذئب والوحش، لرعيكم وحفظ مصالحكم.

إنّ القوى الكبرى، عندما تتطلب مصالحها لا تتردد في التضحية بكم، وحتى بأوفى أصدقائها وأعاونها. لأنه ليس للصدقة والعمالة والاخلاص أيّ إعتبار أو قيمة، بالنسبة لها لأنهم جعلوا مصالحهم معياراً لذلك. وبصراحة فإنّ الحديث حول هذا الموضوع أصبح واضحاً للجميع. وجبذالوينبه بعض زعماء الدول الإسلامية - العملاء - أسيادهم وآلهتهم، بهذه النقطة بشكل جدي، وهي أن عليهم - أي على الأسياد - ألا يتحدثوا عن مصالحهم في الخليج الفارسي بهذا الشكل، لأن هذا الأمر بذاته سيثير مشاعر أبناء المنطقة وعواطفهم، وأية مصالح هذه التي يطالبون بها في الخليج الفارسي، والتي تدفع أمريكا، وفرنسا، وبريطانيا، إلى حفظها، حتى لو اقتضى الحال التّدخل العسكري، واثارة الحروب من أجلها؟.

إنّ سياستنا تجاه الخليج الفارسي، واضحة وصریحة منذ البداية. فالجمهورية الإسلامية في إيران تعير أهمية كبرى لقضية الأمن في الخليج الفارسي. ولذلك وبرغم امتلاكها لجميع الإمكانيات، والقدرات البحرية، والجوية، والبرية التي يمكن من خلالها إغلاق مضيق (هرمز) ومنع مرور السفن، والناقلات، والإضرار بمراكز تصدير النفط ومصافيه، إلّا أنها لازالت ملتزمة بسياسة الصبر، وضبط النفس، والحدّ من اتساع رقعة الحرب.

إنّ الجمهورية الإسلامية تقوم بردود فعل محدودة، لتعكس جانباً ضئيلاً من قوتها. ولقد توصل العالم إلى حقيقة أن تعكير الأمن في الخليج الفارسي، لا يضر بايران فحسب حتى لو وضعت أعني الدول العظمى، جميع إمكانياتها الجوية والبحرية والتجسسية في خدمة أذنانها في المنطقة. فلن تكون آمنة من الخطر وستغرق في مستنقع الأضطراب. وعلى الرغم من كل التهديدات، والتخريصات التي تقوم بها أمريكا في العالم، وبارسالها عشرات الصحفيين والمصورين إلى المنطقة لتغطية نبأ (نجاح) الخطط الامريكية، فإنّ الله سبحانه قد مهد الأرضية لفضح أمريكا عن طريق الغيب. ورفع راية لإله إلّا الله... المعنوية فوق راية الكفر، ليشفي صدور عباده المخلصين. والأفضل إلّا تسبع وتغوص أمريكا - وريغان - مرة ثانية في بحر سياسة الخليج الفارسي الملوغمة. إلّثلا تصيها الفضيحة من جراء ذلك. وعلها تدع الغرور والجهل اللذين ألقيا بصاحبها عشرات المرات أرضاً. وندعوها لتحافظ على ما تبقى من شبح قوتها الزائفة أمام عملائها كالكويت، ولا تذلهم بهزيمتها أكثر من هذا. ولتطمئن إلى أن مواصلة جولتها في الخليج الفارسي، سيجر المنطقة إلى بؤرة خطيرة، وأزمة خانقة لها لم ترتضها.

لنفسها. وإذا ما كان العالم مستعداً للوقوع في أزمة نفطية، وإرباك لجميع المعادلات الاقتصادية، والتجارية، والصناعية، فإننا بدورنا مستعدون أيضاً. وقد ربطنا أزممتنا بقوة وأصبح كل شيء جاهزاً. ولا بد لأمريكا من التوصل إلى هذه الحقيقة، وهي أن التدخل العسكري في الخليج الفارسي، ليس تجربة سهلة عادية لأن اللعب بهذه الورقة أمر خطير للغاية.

إننا وجميع مسلمي منطقة الخليج الفارسي، نعتبر الوجود العسكري للقوى الكبرى هنا، مقدمة للهجوم على الدول الإسلامية والجمهورية الإسلامية، ومواصلة دعم صدام ومن هنا يجب على مسلمي العالم، وفيهم الجمهورية الإسلامية أن يعدّوا العدة، لتوجيه الضربة القاضية لأمريكا، وليشهدوا بعد ذلك تفتح براعم الحرية والتوحيد والإمامة في عالم النبي الأكرم (ص). وهنا أرى من الضروري تكرار هذه النقطة لرؤساء الأقطار الإسلامية المطلة على الخليج الفارسي، وهي أن إلقاء الشبهات في اظهار الإسلام، والثورة، والجمهورية الإسلامية، بمظهر الخطر الكبير الذي يهدد دولتهم، إنّها هي دسياسة قديمة اختلقها الناهبون الدوليون، ولا زالوا يستخدمونها للحيلولة دون اشاعة أجواء التفاهم، والتعاون السلمي بين هذه الدول. وليعمقوا من إحساسها بالحاجة إلى الشرق والغرب. والجمهورية الإسلامية تسعى دوماً — وانطلاقاً من مبدأ الحفاظ على وحدة المسلمين والدفاع عن مصالح الدول والشعوب الإسلامية — إلى الوقوف إلى جانبها بكل قوة وإمكاناتها في مواجهة الأحداث السياسية والعسكرية المفروضة عليها من جهة الاستكبار العالمي. كما ترغب بطرح مشاريع، وخطط دقيقة من شأنها إلغاء الهيمنة السياسية للشرق والغرب.

لكننا على يقين من أن هذا الأمر لا يتم بسهولة مادام صدام، والحزب العفلق العراقي، موجودين. وذلك أن تعاون إيران مع الأقطار الإسلامية يخيف صداماً بنفس المقدار الذي يخيف هذا التلاحم والتعاون بين الشعوب الإسلامية، القوى الكبرى.

وعلى كل حال فإنّ إصرارنا على مواصلة الحرب حتى إزالة صدام وحزبه المنبوذ، وتحقيق شروطنا العادلة الأخرى إنّها هو واجب شرعي، وتكليف الهي لن نتراجع عنه أبداً، وعند ما يتحقق ذلك سنقف — أن شاء الله — إلى جانب الأقطار الإسلامية لنضع سياسة راسخة ثابتة لجميع الأقطار والشعوب الإسلامية. سياسة تكفل صيانة مصالح الأمة من آفات وأخطار المعتدين والناهبين. وسيكون مصير النظام العراقي عبء لكل من تسوّل نفسه حتى التفكير بالأعتداء على كيان الدولة الإسلامية. لكى لا يورط نفسه ويجعلها عرضة لغضبة الشعوب.

ولا شك فإن مصير الشعوب والدول الإسلامية، أصبح مرتبطاً بمصير هذه الحرب. فالجمهورية الإسلامية تمر اليوم بمرحلة سيكون إنتصارها باعثاً لأنتصار جميع المسلمين. أما لو هزمت — لا قدر الله — فسيؤدي كذلك إلى هزيمة جميع المؤمنين، وتقويض بنيانهم وإذ لا لهم، وإن التخلي عن شعب ودولة، وعقيدة عظيمة، وهي تقترب من النصر هو خيانة كبرى للرسول الأعظم، وللبشرية جمعاء. ولهذا فإن نار الحرب لن تطفىء إلا بسقوط صدام، ولم يبق أمامنا لتحقيق ذلك إلا القليل بأذن الله.

إن الشعب، والحكومة، والمسؤولين، والجيش، والحرس، والتعبئة، والقوى الشعبية، وجميع فئات شعبنا البطل نراهم — والحمد لله — على إستعداد كامل فهم جميعاً رجال حرب وطلائع عقيدة الشهادة والعشق. وقد تمكنوا من إحباط مؤامرات الإستكبار وأذنا به الجواسيس والمنافقين، وهم يواصلون زحفهم ليجتازوا المراحل النهائية المؤدية إلى النصر، وفضلا عن تفوقهم في الخليج الفارسي، وجزره، وسواحله الغربية، والجنوبية، فإنهم يقومون اليوم بدعم الشعب العراقي المظلوم، وتعبئته. حيث كان ذلك من أهم أهدافنا، لأننا أعلننا منذ اليوم الأول للحرب العدوانية بأننا لانطمع بشبر واحد من الأراضي العراقية، والشعب العراقي حرّ في قراراته واختياره لحكومته، والأفضل له أن ينتخب الحكومة التي ترتأيه، قبل سقوط النظام البعثي في العراق، على أيدي أبطال الإسلام في جبهات القتال، والله الحمد فإنّ بشائر هذا التحرك الكبير، وطلائمه قد اتضحت. وإنّ جميع القوى الكبرى، وحماة النظام البعثي المشرف على الإنهيار على يقين تام من أنّ مؤامرة تدويل الحرب واختلاق الأحداث والأحبابيل السياسية، والإعلامية والدبلوماسية ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية في أنحاء العالم، والتدخل العسكري وغيرالعسكري في الخليج الفارسي، وتضخيم المشاكل، وبث بذور التفرقة والشقاق، وتقديم التحليلات الفارغة لكل ذلك لن يشنينا عن هدف إحباط صدام، وحزب البعث العراقي، ومعاينة المعتدين.

لقد تحمّلنا — بلطف الله وعنايته — كل أنواع الضغوط والحصار العالميين، من أجل الوصول إلى هذه الامنية الكبيرة، ولن نكل من الحرب في سبيل الله. وها هو الشعب الايراني العظيم يعتلى ويتقدّم عتبة الشهادة والتضحية بعزم راسخ، وها هي صرخاته المدوية تتصاعد وتتزايد كل يوم، مطالبة فيها بمواصلة الحرب.

وقد يعمد المتراكضون وراء الغرب، والذين لم يكن لهم أي دور في ميادين الدفاع ولا يدعمون — اليوم — مسطرى الملاحم وحماة الوطن، ولن يكونوا في المستقبل على استعداد للانخراط في الجيش العقائدي، قد يعمد هؤلاء إلى رفع عقيرتهم ببلوغ الحرب إلى طريق

مسدود، خدمة لأسيادهم، وتصوراً منهم أن بإمكانهم صرف الإنظار عن الحرب أو اقناع أولئك الموجودين خارج الحدود، بأن الشعب والمسؤولين، والجيش، والحرس، والتعبئة، قد ارهقوا من استمرار الحرب أو أن هناك خلافات داخلية، بينهم حول قضية الحرب، بينما الواقع هو عكس ذلك تماماً فبلفظ الله لا توجد هناك أية خلافات داخل حكومة الجمهورية الإسلامية، حول المواقف المبدئية السياسية والعقائدية، والجميع مصممون على نشر مبدأ التوحيد الخالص بين الشعوب الإسلامية، وتمريغ أنف العدو، وصولاً إلى الإنتصار السائد للإسلام في أنحاء العالم في القريب العاجل.

وبحمد الله فإن في بلد رسول الله (ص) - مكة - الملايين من الشباب المتطوعين للقتال والشهادة، ولن يقنع شعبنا بأقل من كسب رضى الحق تعالى، ولهذا فهو يبذل بفخر واعتزاز أنفس الأموال والأرواح والأبناء في هذا السبيل، ومعيار التفاضل لديه هو التقوى والتسابق إلى الجهاد. إنّه شعب ينبذ التفرعن، وقيم الجاهلية القديمة والجديدة. وإنّي لأعتبر نفسي خادماً لهذا الشعب، وافتخر بذلك، وكل هذه البركات المعنوية هي من عنايات، وبركات الرسول الأكرم (ص) الذي جاء رحمة للعالمين. وأنا أدعو شعوب الأقطار الإسلامية وشبابها إلى التعرف على جوهر هذا الشعب، واقامة العلاقات الحميمة والأخوية مع أبناء هذا الشعب الذين هم عصارة التقوى والفضيلة.

وانتهز هذه الفرصة لأذكر مسؤولينا أنّ لا معيار أعلى من معيار التقوى والجهاد في سبيل الله، وهو معيار يجب أن يتحكم بموضوع اختيار الأفراد، ومنحهم الإمتيازات وتصديهم لمسؤوليات وإدارة البلاد، ليحل محل السنن والمقاييس المادية والنفسانية الخاطئة. سواء أكان ذلك في زمن الحرب أو في زمن السلم، في الحاضر أو في المستقبل.

لقد من الله على شعبنا بهذه الميزة ولا يكفي أن يكون ذلك لفظياً، بل يجب أن يدخل هذا الملاك الذي اختص الله به شعبنا في سن القوانين وتنفيذها، وفي النهج العقائدي لشعبنا ليتمّ بذلك ضمان حقوق المحرومين والملازمين للجهات ومصالحهم. والذين قدموا الشهداء والأسرى والجرحى والمفقودين، وباختصار ضمان مصالح الحفاة والمحرومين، والمستضعفين، وتفضيلها على مصالح القاعدين، والمترفين، والبعيدين عن الجهات والجهاد، والتقوى والنظام الإسلامى، لتبقى بذلك عزة وشرف ومنزلة طلائع هذه النهضة المقدسة، وحرب الفقر والغنى خالدة عبر الأجيال، كما يجب عدم السماح لباعة الدين بالدنيا لكي لا يخذشوا الوجه الناصع لثورتنا، ويلصقوا عار الدفاع عن المترفين البعيدين عن الله بمسؤولينا. إنّ هؤلاء الذين يعيشون في القصور الضخمة المترفة بعيدين عن جميع أنواع المعاناة، والالأم التي يقاسمها أبناء الثورة،



من المحرومين، والمستضعفين، مكتفين بالتفرّج على كل هذه المعاناة من بعيد، هؤلاء يجب أن لا يعطوا المناصب الرئيسية لأنهم لو وصلوها فسيبعثون الثورة في ليلة واحدة، وسيقتضون على كل مساعي هذا الشعب ونضاله. ذلك لأنهم طول السبيل لم يروا عمق الطريق الذي طواه وقطعه هذا الشعب أبداً. ولم يشاهدوا قتل أبناء هذا الشعب وهذه الحكومة على يد أعداء الله. إنهم بعيدون وغافلون عن معاناة المجاهدين وغربتهم، وسعيهم الدؤوب، وجهادهم الميرى، وتضحياتهم الجسمية من أجل القضاء على البغي.

٣ — على السادة العلماء، ومدراء ومسؤولي قوافل الحجاج المحترمين، الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية إدارة الحجاج الكرام، وإرشادهم وتوجيههم، أن يأخذوا بنظر الاعتبار الظروف الاستثنائية للجمهورية الإسلامية وأن يبذلوا جهودهم ومساعدتهم، لأداء مناسك الحج، بالشكل الصحيح، والمنظم. وأن يهتموا بتعليم الحجاج مناسكهم، ومسائلهم بسعة صدر وبالشكل الذي يناسب كل فئات الحجاج، بما فيهم الأميون والمتعلمون. وأن لا يغفلوا عن دورهم الحيوي في التذكير بالتأثير البالغ الذي يتركه الحج، في حياة الإنسان ففي تلك الأجواء، تكون القلوب مستعدة للتغيير وقبول الحق. ولذا أرجو الإمتناع عن إبداء وجهات النظر الشخصية في أمور الحج ومناسكه، وتوضيح هذه المسائل عن علم ودراية أو بالرجوع إلى الخبراء بالقضايا الفقهية، لأن هناك مسائل جديدة تطرأ على الصعيد في هذا المجال فقط، وتصبح موضع إبتلاء الحجاج. والتوضيح الناقص أو الخاطئ للأحكام سيؤدي — لا سمح الله — إلى بطلان الأعمال ودفع الحجاج المحترمين لمصاعب ومشاكل عديدة.

توصيتي للعلماء...

إنّ العلماء الأعراف في الوقت الذي يشرحون المسائل بصورة واضحة، وبشكل دقيق دون ترك مجال للشك والترديد، مما لا يؤدي إلى الوسواس والإحتياطات غير المبررة، لأن الوسواس في العبادات والأدعية، مدعاة للكسل والتباطؤ في أداء الواجبات.

وموسم الحج فرصة مناسبة جداً تمكن للعلماء اغتنامها، والإتصال بالعلماء والمفكرين، وأصحاب الرأي من باقي الأقطار الإسلامية. ورغم أن الاستكبار العالمي، وبعض رؤساء الأقطار الإسلامية لم ترقهم هذه اللقاءات، ويحاولون دون تحقيقها إلا أن التخطيط الدقيق، والصحيح إستغلال هذه الفرصة الذهنية لتبادل الأفكار ووجهات النظر بغية الوصول إلى حل مشاكل المجتمعات الإسلامية التي تتطلبها الجمهورية الإسلامية.

إنّ على العلماء ورجال الدعوة والإرشاد، أن يقتنموا هذه الفرصة، ويحدّثوا الناس عن

تجارب الثورة الإسلامية وطرح الحلول السياسية المستمدة من القرآن الكريم. والتحدث عن الدور الكبير للعلماء في قيادة الأمة.

ومن المؤسف إن شعوب العالم الإسلامي ليست وحدها البعيدة عن الأحداث السياسية والقضايا العالمية فحسب، وإنما لا نجد لأغلب علماء الأقطار الإسلامية الدور البناء، والمصيري المطلوب منهم، في مجال السياسات الدولية وشؤون الأمة. وهم متأثرون بالدعايات والإستنتاجات المادية الخاطئة فهم يتصورون أن دور العلماء قد تقلص في عصر التمدن، والتكنولوجيا، والتطورات العلمية، والتقدم المادي، وأن الإسلام أصبح — والعياذ بالله — عاجزاً عن إدارة الدول.

إن إنتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة العلماء والحمدلله، رغم تلکم العقبات ومؤامرات الشرق والغرب ومايكنه أذنانها من الحقد قد أثبت عكس هذا التصور، وأكد اقتدار علماء الإسلام. وأنا أدعو جميع علماء الإسلام ومفكره في أنحاء العالم زيارة بلدنا الإسلامي العزيز ايران، للوقوف على الوضع الحالي، حيث أن الإسلام هو أساس وجوهر كل القوانين فيه. بينما تم فيه القضاء على مظاهر الكفر والشرك قدر المستطاع. ليقارنوا هذا الوضع في ظل العهد الشاهنشاهي الذي ساق البلاد إلى ركاب الغرب، وأفرغه من كل القيم الإسلامية حتى كادت إيران تصبح قاعدة للقضاء على الإسلام ورسالته.

ورغم كل الصيحات التي تعالت من قبل السائرين في ركاب الشرق والغرب والقوميين في الأيام الأولى من إنتصار الثورة الإسلامية الهادفة إلى الهيمنة على أذهان الشعب الإيراني، إلا أن الله سبحانه وتعالى منّ علينا بكشف هذه المؤامرات. ونحن نواصل اليوم تدوين القوانين والسياسات الإسلامية في كل الحقول فقد استوعب الإسلام جميع المجالات من الجبهة إلى مراكز البحوث العلمية، والجامعات، والحوزات، ومؤسسات التقنين، والسلطة التنفيذية التي لها اليد الطولى في تسيير كل الشؤون الإدارية، والتنفيذية في هذا البلد الكبير الذي يخوض الحرب ويتعرض للمحاصرة مع نفوسه التي تتجاوز الخمسين مليوناً. إلى السلطة القضائية التي تتحمل مسؤولية تنفيذ الحدود والأحكام الالهية وهي في الحقيقة تتحمل مسؤولية توفير الأمن لأرواح الناس، وأعراضهم، وأموالهم، والحفاظ على شخصية مجتمع ثوري إلى قيادة القوى العسكرية والأمن الداخلي التي تتولى مسؤولية الحفاظ على الأمن في الحدود وداخل البلد، واحباط مئات المؤامرات المختلفة والتي يجب عليها الوقوف في وجه الجرائم، ومعارضى الثورة، فضلاً على محاربتها الفساد والمنكرات والسرقات وجرائم القتل، ومكافحة المخدرات. كل ذلك يدار بقيادة العلماء الملتزمين، وببركة أحكام الإسلام المقدسة والكتاب

السماوي الذي جاء به النبي (ص) وسيراً على نهج أئمة الهدى عليهم السلام.  
ونحمد الله أننا استطعنا بالأعتماد على آيات الكتاب المجيد أن ننتقد بلدنا من كل  
التبعات. وطبيعي أن أماننا طريقاً طويلاً للوصول إلى تطبيق الأحكام الإسلامية على كافة  
المستويات الإجتماعية وأبعاده، لكننا سنواصل طريقنا ومساعدنا بعون الله وقوته.

وسنعلم عملاً لجميع المتراكمين وراء الشرق والغرب، وأولئك الضائعين الذين  
يخشون طرح شعار الإسلام، والأعتماد على القرآن الكريم، كيف يمكن ملء المجتمع من ينابيع  
المعرفة لكتاب الله، وهدى الإسلام العزيز، فكل تلك الامور قد حصلت والله الحمد من  
بركات دخول العلماء في معترك القضايا السياسية، واستنباط الأحكام والمسائل، إذ أن  
العلماء في إيران لم يكتفوا بالخطب والوعظ، وذكر شؤون الساعة بل أفلحوا بالتدخل في أهم  
الأمر السياسية للبلاد، والعالم في تجسيد قدرة علماء الاسلام وأداتهم بغية إتمام الحجة على  
جميع الداعين إلى الصمت والمساومين غير المتزمين، وبأنعي العلم والمفكرين به.

ومما يستغرب أن الكثير من علماء البلاد الإسلامية غافلون عن دورهم الكبير،  
ورسالتهم الالهية والتاريخية في هذا العصر الذي تتطلع فيه البشرية إلى المعنوية والأحكام  
الإسلامية النيرة. ولم يدركوا ظمناً الشعوب ولم يقفوا على لفة وشغف المجتمعات البشرية لقيم  
الوحي، ولم يعطوا لقدرتهم ونفوذهم المعنوي أي شأن.

إن بوسع العلماء والخطباء، وأئمة الجمعة، والمفكرين الإسلاميين في البلاد، في هذه  
الظروف التي يخيم فيها زهو العلوم والحضارة المادية على الجيل المعاصر أن يجعلوا (بالاتحاد  
والتلاحم والشعور بالمسؤولية والعمل بواجبهم المهم في توجيه الجماهير وقيادتها) العالم في  
متناول سيادة القرآن ونفوذ، وأن يضعوا حد لكل هذا الفساد واستعباد المسلمين واحتقارهم،  
وأن يحولوا دون تغلغل الشياطين الصغار والكبار سيما أمريكا في البلدان الإسلامية، وأن يبتوا  
في قضايا الإسلام بدلاً من كتابة المقالات الهزيلة والكلمات الفارغة المفرقة. وكيل المديح  
والثناء لسلطين الجور والظلم. والتسبب في تشاؤم الفقراء والمستضعفين، من قضايا الإسلام.  
وبدلاً من زرع الخلاف في صفوف المسلمين عليهم أن ينكبوا على تحقيق الأحكام الإسلامية  
النيرة، وبثها وتعميمها. ويعيدوا العزة لهم والكرامة للأمة المحمدية (ص) باستغلال بحر  
الشعوب الإسلامية الهائل. أليس عاراً على علماء الأقطار الإسلامية أن تطبق الكفر وقوانينه  
في بلادهم التي تخضع لنفوذهم مع وجود القرآن الكريم، والأحكام الإسلامية السمحاء،  
والارتباط النسبي بالرسول الاكرم (ص) وأئمة المعصومين عليهم السلام، وأن تملى قرارات  
أصحاب القدرة والمال والتزيف وأعداء الاسلام الألداء، وأن تصدّر موجهوا سياسة

الكرملين، أو واشنطن بياناتهم العامة إلى البلاد الإسلامية.

إنّ على علماء الأقطار الإسلامية أن يبحثوا ويتشاوروا ويتبادلوا، وجهات النظر فيما بينهم لحل مشاكل المسلمين، ومعضلاتهم، والانعقاد من سلطة حكومات البغي وسيطرتهم حفظاً لمصالح الإسلام. ويجعلوا من صدورهم درعاً أمام الهجمات الثقافية الشرقية والغربية المبتذلة المؤدية إلى إبادة الحرث والنسل. وينهوا شعوب بلدانهم إلى الآثار السامة والنتائج المترتبة على الضياع أمام مغريات الشرق والغرب. ويحذروا الشعوب والحكومات من خطر الاستعمار الجديد، وخبث القوى الكبرى التي أثارت الحروب والمعارك بين المسلمين في العالم.

إنّي أؤكد مرة أخرى، بأن عالمنا اليوم تواق للحقائق والأحكام الإسلامية النيرة، وقد تمت الحجة الالهية على كافة العلماء، ذلك أنه حينما بلغ إندفاع شباب الأقطار الإسلامية نحو الشهادة ذروته دفاعاً عن مقدساتهم العقائدية واستقبالهم المآسي والإعتقالات وأنواع التعذيب برحابة صدر، وألقوا بأنفسهم في أمواج الأخطار لطرده المعتدين، أمثال مسلمي حزب الله في لبنان، والأقطار الأخرى الشجعان، والمجاهدين الأعزاء الذين هبوا للمقاومة والجهاد ضد المعتدين.

وهل هناك حجة أعظم من هذه؟ فإهي المعاذير للسكوت والمماشة والإنزواء في قعر البيوت وغيض النظر الذي لامبرر له. وقد يفوت الأوان — إن تأخر علماء الإسلام الملتزمون — عما يجب عمله. وبالطبع نحن ندرك ونشعر بوحدة بعض العلماء والملتزمين المعاصرين في مدنهم وبلدانهم، تحت وطئة الحراب وضغوط التحاليل والأحكام اللامشروعة لعلماء السوء، ووعاظ السلاطين. ولكن أعيد إلى أذهان أولئك الأعزاء الذين يرزحون تحت أقدام الجبابرة وضغوطهم موعظة الله وهي (أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا) (١١) انهضوا لله، ولا تخشوا الوحدة، والغربة والأفراد.

مطاردة علماء السوء...

إنّ المساجد والجموع، أفضل الشكنات، والجمعة والجماعات هي أحسن وأمهّد ساحة لتبيان مصالح المسلمين. ورغم أن الحكومات وأزلام القوى الكبرى، دخلت حرباً جديّة مع المسلمين، وراحت ترتكب كالحكومة الهندية المجازر ضد المسلمين الأبرياء والعزل الأحرار، إلّا أنهم لن يجروا على اغلاق أبواب المساجد، ومعابد المسلمين، ومحاربيهم إلى الأبد، وإطفاء نور المعرفة للملايين من المسلمين المتلهفين.

وإذا ما عطلوا الجوامع والمراكز الدينية والسياسية، لعلماء الاسلام بل وحتى لوعلقوا العلماء على أعواد المشانق على أعين الناس، فإن ذلك سيكون دليلاً على مظلومية الاسلام، وسيؤدى إلى لفت انتباه المسلمين إلى علماء الدين، وتتبع خطواتهم أكثر فأكثر.

أولم يقطع الله العهد، على العلماء بآلا يسكتوا عن الظلم، والظالمين، والباغين؟ أولم يكن العلماء حجة الأنبياء، والمعصومين في الأرض؟ إذن يتحتم على العلماء والمفكرين والباحثين، أن يعينوا الإسلام ويخرجوه من الغربة التي نزلت بها، وألا يتحملوا ذلك والخذلان، أكثر من هذا، وأن يحطوا سيادة الطغاة المفروضة، ويجسدوا برؤيتهم الصائبة سياستهم المحنكة والقوية. ويطاردوا المتلوثين وأدعياء الإسلام والمفرطين بالدين، والفوضويين عن أنفسهم وعن دائرتهم. ولا يسمحوا لعلماء السوء، والمتملقين الظلمة ليفرضوا أنفسهم على الشعوب، محل الزعماء الروحيين للأمم الإسلامية، فينهلوا من منزلة ومكانة علماء الاسلام، الواقعيين، المعنوية. وعلى علماء الإسلام المتزمين أن يبينوا للمجتمعات الإسلامية، الخطر الكبير الدايم من جانب علماء الزيف والسوء ووعاظ السلاطين. ذلك أن هؤلاء الضالين هم الذين يوجهون الحكومات الجائرة ومظالم الحكام العملاء. ويحرمون المظلومين، من إستيفاء حقوقهم المشروعة، ويصدرون عند الضرورة الفتوى والحكم، بتفسيق المجاهدين والداعين إلى الحرية في سبيل الله، وتكفيرهم حتى لينفذ الله سبحانه كل الشعوب الإسلامية من هؤلاء الجبابرة وبغيهم.

ومن القضايا المهمة التي تقع على مسؤولية العلماء والفقهاء، هي المواجهة الجديدة مع ثقافتين اقتصاديتين ظالمتين ومنحطتين للشرق والغرب. ومكافحة السياسات الاقتصادية الرأسمالية والاشتراكية من المجتمع، رغم إبتلاء كافة شعوب العالم بها، والتي فرضت عمليا العبودية الجديدة على كافة الشعوب. وإن غالبية المجتمعات قد ارتبطت في حياتها اليومية بأسياذ القوة والمال. وحتى أن حق إتخاذ القرار حول شؤون الإقتصاد العالمي، قد سلب منها. وهي تعاني الفقر والفاقة رغم وجود منابع الطبيعية الهائلة، والأراضي الخصبة الشاسعة، والأنهار، والبحار، والغابات الواسعة، والثروات الطائلة في العالم. إن الشيوعيين، والرأسماليين، قد انتزعوا زمام الحرية والحق في العيش من الشعوب عموماً وذلك بأقامة العلاقات الوثيقة مع الطامعين، وأمسكوا فعلاً بعصب الإقتصاد العالمي، وإيجاد المراكز الإحتكارية المتعددة الجنسيات وربطوا جميع طرق التصدير، والتنقيب، والتوزيع، والعرض، والطلب، وحتى أعمال التسعير، والصيرفة بأنفسهم، وأقنعوا النفوس المحرومة من خلال تسريب أفكارهم وأبحاثهم المصطنعة، بوجوب العيش تحت نفوذهم. وإلا فإنه لا سبيل

للحفاة سوى العيش بفقر وفاقة، وإن من طبيعة الحياة، والمجتمع البشري، أن تضمحل وتموت الأغلبية الساحقة اثر الجوع وفي حسرة رغيف خبز، في حين ضاقت الدنيا بقله معدودة بسبب التخممة والإسراف والتبذير. وعلى أي حال فهذه مأساة فرضتها الطغاة على البشرية.

إن الأقطار الإسلامية بسبب ضعف الإرادة، والتعبئة تعاني وضعاً مؤلماً مما يتطلب عرض مشاريع وبرامج بناءة تتكفل مصالح المحرومين والمعوزين، يقدمها علماء الإسلام والباحثون والخبراء المسلمون لإحلالها محل النظام الاقتصادي غير السليم الخيم على العالم. لكي ينقذوا حياة المستضعفين والمسلمين من مأساة الفقر، ومعاناته وبالطبع فإن تنفيذ مقاصد الإسلام وأهدافه في الحياة سيما برامجه الاقتصادية، ومواجهة الإقتصاد المريض للرأسمالية الغربية، والإشترابية الشرقية لا يتيسرون سيادة الإسلام الشاملة. وإن تطلبت عملية اجتثاث الجذور والآثار السيئة للبرامج غير الإسلامية فترة من الوقت، بعد إقامة نظام العدل، والحكومة الإسلامية، مثلها في ذلك مثل الجمهورية الإسلامية الإيرانية. غير أن طرح المشاريع وتحديد إتجاه الإقتصاد الإسلامي نحو حفظ مصالح المعوزين، وتوسيع نطاق مساهمتهم الشاملة في هذا الأمر وجهاد الإسلام ضد الجشعين، تعتبر أكبر هدية وبشارة لإنطلاقة الإنسان من أسر الفقر والفاقة. وبيان هذه الحقيقة هو أن أصحاب الأموال لا يتميزون بشيء، ولا يتفوقون على الفقراء، ولا يحظون بالأولوية مطلقاً، سيساعد على تفتق المواهب المكبوتة للحفاة، وتفتح سبل الرقي والإزدهار أمامهم.

ولابد لي من ذكر هذا الأمر، وهو أنه ينبغي أن لا يكون للأغنياء نفوذ في الدولة، والقائمين على إدارة البلد الإسلامي ولا أن يتفاخروا بأموالهم وثرواتهم، ويفرضوا أفكارهم ومطالبهم على الفقراء والمعوزين والكادحين، فهذا هو أكبر عامل للتعاون وشارك الناس في الامور، ودفعهم نحو مكارم الأخلاق والقيم السامية والإبتعاد عن التملق. ولكي ينبه على ذلك بعضاً من الاثرياء حتى لا يتصوروا بأن أموالهم وثرواتهم تعبر عن مقامهم الرفيع عندالله، وتقرهم إليه سبحانه وتعالى.

وخلاصة القول أن قيمة المرء في الحكومة الإسلامية، هي لمن يكون تقواه أكثر من غيره. لا لمن تكون ثروته وقوته أو فر، وأن كل الوزراء والمعنيين والزعماء وعلماء الدين، في نظام حكومة العدل، مكلفون بإقامة العلاقة والصدقة والأخوة مع الحفاة أكثر منها مع المتمكنين والمرفهين، إذ أن الوقوف إلى جانب المعوزين، والحفاة، والبقاء في مصافهم فخر كبير حظى به الأولياء، فكل تلك العلاقات تنهى الشكوك والشبهات. والله الحمد فإن

أساس هذا التفكير وهذه الرؤية هو في مجال التطبيق عند الجمهورية الإسلامية الإيرانية. كما أن مسؤولينا المحترمين رغم الحصار الإقتصادي الشديد، والعجز في المداخل يبذلون جلّ مساعيهم من أجل التغلب على الفقر وإزالته من المجتمع. وإن ما يطمناه شعبنا وحكومتنا ومسؤولونا، هو القضاء على الفقر والفاقة في مجتمعنا في يوم ما، وأن يتمتع شعبنا العزيز والصابر والأبّي بالرخاء في الحياة المادية والمعنوية، فإذا قامت سياسة مسؤولينا في البلاد — لا قدر الله — على تناسي الدفاع عن المحرومين، والأهتمام بأصحاب رؤوس الأموال ودعمهم، وتمتع الأغنياء، بالمزيد من الرعاية والاعتبار فإنّ هذا الأمر لا قدر الله حصوله يتنا في وسيرة نهج الأنبياء، وأمير المؤمنين، والأئمة المعصومين عليهم السلام. وإنّ علماء الدين منزّهون ومطهرون من ذلك، ويجب أن يكونوا هكذا إلى الأبد.

. فتلكم هي من مفاخر وبركات بلادنا، وثورتنا، وعلمائنا الذين نهضوا لحماية الفقراء وأحيوا شعار الذود عن حقوق المستضعفين. وبما أن إزالة الحرمان هي عقيدتنا وسبيل حياتنا، فإنّ الطامعين لا يدعوننا وحالنا في هذا الشأن أيضا، وقد شدّدوا الحصار حولنا لغاية تضعيف حكومتنا ومسؤولينا، وأبرزوا حقدهم وضعفيتهم، وخوفهم، ورعبهم، حيال هذه الحركة الجماهيرية والتاريخية، وأخرجوها إلى حيز الآلاف من المؤامرات السياسية والاقتصادية. ومما لا ريب فيه أنه بقدر ما نهاب الطغاة من لفة شعبنا للشهادة وسائر قيمه الرفيعة، فإنّ الفزع ينتابهم أيضا من نظرية الإقتصاد الإسلامي، والتوجه إليها لحماية المحرومين، فعليه يجب أن تتحرك البلاد باندفاع أكثر، نحو إزالة الفقر والدفاع عن المحرومين مما سيبدد آمال الطامعين بنا، ويضاعف توجهات شعوب العالم نحو الإسلام.

وعلى العلماء الأعداء أن ينتهبوا بعمق إلى هذا المجال، ويحفظوا لأنفسهم صفة ملجأ المحرومين، هذه السمة التاريخية التي مضى عليها ألف سنة ونيف. إنني أوصي بقية المسؤولين وأبناء الشعب ألا يتجاهلوا ويتناسوا الإهتمام بالمحرومين، وتوجههم للشورة، ودعمهم الكبير للإسلام، ولا يتركوهم دون خدمة وتقدير. فمن الواضح بالطبع أن أبناء شعبنا بكافة فئاته وقطعاته، مساهمون، ومشاركون في الثورة، وقد حضروا جميع الجهات في سبيل الله، من أجل أداء الواجب الإلهي. فالغاية هو الله وإنهم لن يلوثوا أهدافهم وأمانهم الإلهية السامية من أجل المسائل المادية. ولن تردعهم النقائص وتبعدهم عن الساحات، لأنهم قدموا أرواحهم وأمواهم في سبيل الله، ولن تشنيم الملذات الدنيوية عما يبتغون. إلا أن من الواجب على المسؤولين خدمة هذا الشعب، لنكون شركاء لهم في السراء والضراء، ولا أجد عبادة توجد أكبر من خدمة المحرومين.

وحقاً أقول حيناً أذى الحفاة والمحرومون، والفئات ذات الدخل القليل، من مجتمعنا اختبارهم من خلال الإلتزام، والتمسك بالمبادئ الإسلامية إلى حدّ التضحية، بعدد من أعزائهم وشبابهم، وبذل كل مالديهم وقد حضروا الساحات وسيكونون كذلك إن شاء الله، ويبدلون أرواحهم وأموالهم في سبيل الله. فلماذا لا نتباهى بخدمة هؤلاء من عبادة الله والرجال الأبطال في تاريخ البشرية.

واكرر مقالتي هذا أيضاً، وأقول: أن شعرة واحدة من شعرات هؤلاء المقيمين في الأكوخ، المنجيين للشهداء، تشرف عندي جميع قصور العالم وساكنيها. والكلمة الأخيرة التي أقولها هنا، وأؤكد عليها بعد تقديم شكري للعلماء، والحكومة الساهرة والمدافعة عن المحرومين، هي مسألة التعيش ببساطة والإلتزام بالزهد، بالنسبة للعلماء المسلمين الملتزمين. وإني بصفتي والداكبير السن أطلب من أبنائي، وأعزتي من علماء الدين، أن لا يتباعدوا من واقعهم الروحاني، في وقت من الله عليهم ومنح لهم نعمة إدارة دولة كبيرة والتبليغ لرسالة الأنبياء، وأن يتجنبوا الإندفاع نخوز خاراف الدنيا وأضوائها التي هي دون شأن علماء الدين، وشرف نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وليحذروا لأنه لا توجد آفة عظمت من الإهتمام بالرفاه والسير في طلب الدنيا، بالنسبة لعلماء الدين. والله الحمد فإن رجال الدين الملتزمين، قد أدوا إختبار زهدهم. ولكن قد يعمد أعداء الإسلام، وأعداء علماء الدين بعد ذلك إلى تشويه سمعة هؤلاء، رافعي مشعل الهداية والنور، وتوجيه الضربة إليهم من خلال مسائل بسيطة، ولكنهم لن يفلحوا إن شاء الله.

وأما الحجاج الإيرانيون المحترمون، الذين أظهروا شخصيتهم، ووعيمهم السياسي والاجتماعي خلال مراسم الحج في السنين الماضية، وعملوا على حفظ سمعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكرامتها فإن عليهم أن يساهموا في مسيرة البراءة بكل تنسيق وانسجام، في صفوف مترابطة، وفي كافة البرامج اضافة إلى إنتباههم لأعمال وواجبات الحج، والاستفادة من هذه النعمة الكبرى. أي التشرف لزيارة مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وحج بيت الله الحرام، والمرقد الطاهر للرسول الأكرم، والبقيع. والتشرف بجوار التربة الطاهرة للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والأئمة المعصومين. وعليهم التمتع ببركات هذا التجمع المقدس العبادي السياسي الذي يعتبر مظهراً لقدرة المسلمين وإيران المسلمة العزيزة. وأن يدعوا حجاج بقية الدول والمسؤولين في العربية السعودية، إلى ضرورة المشاركة في أمثال هذه التجمعات من خلال المواجهة الأخلاقية السليمة والبناءة، خلال جميع مراسم الحج. سيما في المسيرات ويكفوا عن طرح وجهات النظر الخاصة واتخاذ المواقف الارتجالية التي قد تؤدي لا



سمح الله إلى هتك حرمة هذا الحشد العظيم، كما وعليهم أيضا أن يتجنبوا الإشتباك والإهانة. وبالرغم من أن الزائرين المحترمين — من خلال وعيهم التام — يقومون بإحباط المخططات والمؤامرات إلا أنه قد يعمد أفراد إلى القيام بأعمال إرتجالية لأجل الإخلال بقدسية إجتماعات الحج، وتشويه وجه الثورة.

ومن المستبعد أن تقوم الحكومة أو مسؤولوا العربية السعودية، الذين هم مصيفون حجاج بيت الله الحرام، وحرَم الرسول الأكرم، في الحيلولة دون استعراض قوى الإسلام والمسلمين، أمام الكفر، والمبادرة العملية السياسية لشعبنا التي تقوم بها من أجل إزدهار العالم الإسلامي، والمسلمين.

وعلى أي حال فإنّ على الزائرين الإيرانيين ملاحظة دورهم ورسالتهم، في جميع أبعاد مراحل الحج، إذ أن جميع أعمالهم لم تزل موضع إهتمام ومراقبة أصدقاء ثورتنا، وأعدائها. إنّ أعداء الثورة يتربصون الدوائر أن يجدوا فيكم نقطة عجز، ولو كانت بسيطة بغية تشويه الواجهة الالهية لشعبنا، وقداسته. كما وأن أصدقاء الثورة وأنصارها في شوق للتعرف على مسيرة الشعب وميزاتها، بعد أن عمت شهرتها الآفاق بعون الله.

إنّ الحج، أفضل صعيد للتعارف بين الشعوب الإسلامية، إذ يتعرف المسلمون على أخوانهم وأخواتهم في الدين، على اختلاف جنسياتهم، ويضمهم ذلك البيت الذي يخص كافة المجتمعات الإسلامية، وأتباع دين ابراهيم الخنيف. وهم يعدون إلى بيتهم الاوّل من خلال وضع كل القوميات والألوان والعناصر جانباً، ويعرضون على العالم كله صفاء الأخوة الإسلامية، وآفاق انسجام الامة المحمدية، من خلال رعاية الأخلاق الإسلامية الكريمة، وتجنب المجادلات، والتجملات.

إنّ الحجاج الإيرانيين الأكارم، يدركون جيداً قيمة المنجزات المعنوية، والسياسية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، بالمقارنة مع سائر المسلمين، كما أنه يتفهمون أبعاد عظمة الثورة، والعنايات الالهية الخاصة. واهتمام صاحب الزمان (ع) أرواحنا فداه... بهذا الشعب، من خلال معرفتهم بالمشاكل والمصائب المفروضة على الشعوب الإسلامية في مختلف الأشكال.

كذلك فإنهم يدركون قيمة بركات هذه الثورة الآن أكثر من أي وقت مضى، ويتفهمون أعمال وجهود المسؤولين المحترمين، والحكومة الساهرة التي نذرت نفسها للخدمة ليلا ونهارا. ويبتهلون إلى الباري عزوجل بالشكر للتغيير الذي طرأ على الشباب، وعلى سائر الطبقات، وأصبح هدف الجميع نحو جنة العزم، وصفوف الحياء، والشفافة، والحرية،

اللهم لا تحرمنا وشعبنا من هذه النعم الكبرى...

اللهم عرفنا قيمة بركاتك علينا أكثر وأكثر...

اللهم زدنا عبودية وإخلاصاً لك وذلاً...

اللهم امنحنا توفيق التوكل، والصبر، والصمود، والرضا، والفوز برضاك. ووقفنا

للوصول إلى أعتاب التضحية بأنفسنا، وبأبنائنا، وأموالنا في سبيل عبادك...

وإياكم أن يسيطر العجب والغرور عليكم، أمام مسلمي بقية الدول، لأجل مناعة

وعظمة ثورتكم، أو النظر إلى أعمال المسلمين بعين الإزدراء والسخرية فيكفوا عن التضامن،

والتألف مع محبي الله، في مكة المكرمة، وتغفلوا عن شكر هذه النعم الالهية الكبرى التي هي

التواضع أمام المسلمين، والمستضعفين، والإخوة في الدين. قووا بيعتكم، ووشائج الصداقة

والإرتباط مع المسلمين عند جوار بيت الله، ومرقد الرسول الأعظم (ص) وأعيدوا عليهم حديث

الثورة، وعناية الله، وطمنئوهم بالنيابة عني، وعن جميع أفراد الشعب الإيراني، بأن الجمهورية

الإسلامية الإيرانية تؤيدكم، وتدعم نضالكم ومواقفكم الإسلامية، وتقف إلى جانبكم في

كل ساحة ضد المعتدين، وستدافع إن شاء الله عن حقوقكم السابقة، والحاضرة، والآتية.

وقولوا لهم: إن قوة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكرامتها منوطة إلى همة الشعوب

الإسلامية، وإن الدفاع عن الشعب الإيراني البطل في الحقيقة دفاع عن جميع الشعوب

المظلومة، وأننا سنقطع دابر المعتدين في الدول الإسلامية بحول الله وقوته. وسننهي سيطرة

الطامعين، وظلمهم على إثر تصديرنا لثورتنا التي هي في الواقع تصدير للإسلام الحقيقي، وبيان

للمبادئ المحمدية. وسنمهد السبيل بإذن الله أمام ظهور منقذ الجميع ومصلحهم، والإمامة

المطلقة لصاحب الزمان أرواحنا فداء.

ومن القضايا التي ينبغي على الحجاج المحترمين الالتفات إليها، أن مكة المعظمة،

والمشاهد المشرفة، هي مرآة الأحداث الكبرى لهضة الأنبياء، وبعثة النبي الأكرم (ص)

ورسالته الخالدة.

إن هذه التربة موضع نزول الجبرئيل الأمين، وإجلال الأنبياء العظام. وتعيد علينا

ذكريات المشاق والمتاعب التي تحملها الرسول الأعظم (ص) خلال عدة سنين، من أجل

الإسلام والإنسانية.

إن الحضور في هذه المشاهد المشرفة والأماكن المقدسة (آخذين بعين الاعتبار

الظروف الصعبة التي كانت متداولة في عصر البعثة) يجعلنا نتعرف على مسؤوليتنا في الحفاظ

على مكتسبات هذه النهضة والرسالة الالهية ويظهر لنا مدى إستقامة الرسول الأعظم (ص) وأئمة الهدى، في سبيل دين الحق، وإزهاق الباطل، وعدم مبالاتهم بالتهم والإهانات التي كان يوجهها، أبوجهل، وأبوسفيان ومن لقت لفهم. إنهم لم يستسلموا في أدق الظروف العصبية حينما كانوا محاصرين من الناحية الإقتصادية في شعب أبي طالب. وبعد أن تحملوا المرارة ومشقات الهجرة في سبيل الدعوة إلى الحق، وإبلاغ رسالة الله. وحضروا ميادين القتال المتتالية وغير المتكافئة، وصمدوا في وجه آلاف المؤامرات والعقبات، وواصلوا في هداية الناس وإرشادهم حتى أن جبال، وصحارى، وصخور، وأزقة، وأسواق مكة، والمدينة كانت تعبر عن عظمة رسالتهم. ولو كانت الأشياء هذه قادرة على التكلم، لكشفت عن سر تحقق الآية (فاستقم كما امرت) لزنائري بيت الله الحرام، ولأفصحت عن المشقات التي تحملها رسول الله (ص) في هداية الامة، لجعلهم من أهل الجنة. ولبينت مدى المسؤولية الملقاة على عاتق أتباعه. وبالرغم من أن الشعب الإيراني - المضحى بالشهداء - تحمل المظالم، والشدائد خلال الحرب، وبقية الأحداث التي إجتاحت الثورة وما قدمت من القرايين في طريق الله بالرغم من ذلك كله، فن المؤكد إن ماجرى على أمتنا كان أكثر وأشد، مما جرى علينا.

هذا، وعلى الحجاج المحترمين إبلاغ سلام شعبنا العزيز، والمسؤولين، وعوائل الشهداء المعظمين والمعوقين، والأسرى والمفقودين، إلى نبي الرحمة، وأهل بيت الهدى عليهم السلام. ويسألونهم اللطف والإعتناء بأتباعهم الصادقين، ويطلبوا من الله النصر لشعبنا في جولته مع الكفر الدولي. وعليهم إستغلال هذه الفرصة المناسبة.

رباه... إنك تعلم ولا يعلم غيرك أننا نهضنا من أجل إعلاء دينك ونقف إثر رسولك في مواجهة الشرق، والغرب، في سبيل إقامة العدل، والقسط. ولن نتوانى عن ذلك ولو للحظة واحدة.

رباه... إنك تعلم أن أبناء هذا البلد، وآباءهم، وأمهاتهم، يقتلون من أجل عزة دينك، ويزفون ببسمة وقلب ملئ بالشوق والأمل إلى جوار رحمتك اللامتناهية.

رباه... إنك تعلم أن أبناء أمة رسولك في هذا البلد، يتعرضون لكل أنواع لمؤامرات، وأن يد الشيطان في الداخل والخارج لا تدعهم يتذوقون طعم الراحة، وتزداد لجهود يوماً بعد يوم ضدّهم محاصرتهم إقتصادياً.

رباه... إنك تعلم أن أبناء شعبنا قبلوا جميع المصاعب في سبيلك ولا يخشون سواك، يتحملون الآم والمتاعب دون سبيلك، ويعرفون أن النصر من عندك وبفضلك، فتفضل

علينا مرة اخرى، واجعل شعبنا أكثر أملا في تحقيق النصر. وانصر مقاتلينا في الجهات  
بامدادك الغيبي، وجنودك المخفيين. وزد صبرنا، واستقامتنا لتحمل الشدائد، والمتاعب، ومن  
علينا بنعمة الرضا عند الفشل والنصر. وافرح قلوب أبناء شعبنا الذين قدموا الشهداء،  
والمفقودين، والجرحى، والأسرى وتقبلوا ألم فراق أعزتهم من أجل دينك ورضاك وحب  
لقائك. واجعلنا من عشاق سبيل عبوديتك وارو شهداءنا من كوثر ولايتك، وولاية الرسول  
الأكرم وأئمة الهدى.

وصل ثورتنا الإسلامية، بثورة منقذ البشرية إنك وليّ النعم.

ذوالحجة/١٤٠٧هـ

آب/١٩٨٧م

روح الله الموسوي الخميني

\*\*\*

وهكذا تليت صحيفة البراءة على الحجاج في مكة، ووعت إليها الأسماع والجماهير  
المحمّدة يومذاك، والتقطتها وكالات الأنباء واخترقت السدود والحدود، وأسمعت الدنيا  
ويجتم إلى اللغات الحية... وكثرت حولها التفاسير والتحليل السياسية... وفي الوقت نفسه  
إمتدت اليد الأثيمة المجرمة، من الكمّ الوهابية الخبيثة فنزقت الصحيفة، والصدور المؤمنة  
برصاص الغدر والخيانة، واخترقت القلوب وسلبت الأرواح، وشجت الحناجر وتناولت على  
الأعراض والنواميس والأنفس والأموال، يدفعها حقدتها الدفين ضد الامة الإسلامية...  
ويبعثها عار الهزيمة النكراء التي تلاحقتها في كافة الميادين العقائدية، في كل حاضرة وبلدة  
إسلامية، منذ اللحظة التي تمخض الشيطان فيها، فأولد ذلك المخرف الحقيّر محمد  
ابن عبد الوهاب... الذي أوحى الإستعمار والشيطان الأكبر إلى ذهنه العفن، ونفث في قلبه  
المحطم، أن يعلن عن تكفير كافة طبقات المسلمين، ويحمل المعاول لهدم أركان الشريعة،  
وإبادة جميع المعالم التاريخية الحية، والمآثر الإسلامية، الموحية والراسمة لمعالم وحيوية مسيرة  
الامة على إمتداد التاريخ، ويسحق كافة الشعائر الآلهية، وجاء بهذه الطغمة الفاسدة العميلة  
الوهابية المقبورة إلى الجزيرة العربية، لتقوم هي أيضا كأخواتها بدورها إلى جانب الطغمة  
البهائية والقاديانية وأضرابها، العاملين على حساب المعسكر الشرقي، والغربي.

أجل إمتدت يد الصهيونية الغاصبة من خلال الكمّ الوهابية الجافة والممزقة...  
الشرذمة الوهابية الحقيرة التي استخدمتها الصهيونية العالمية، كحربة في ضرب وشل الكيان  
الإسلامي المقدس، والوقوف في وجه زحفه العظيم، وأخيرا حسب زعمها الموهوم، خنق

الحركات الإسلامية المظفرة المنتصرة السليمة، الخالصة من شوائب الرين والشك... الإسلام الصحيح المتمثل في الطائفة الشيعية الإمامية الإثني عشرية الحقمة، الممتدة جذورها الأصيلة إلى عهد النبي الاعظم (ص).

الطائفة المباركة التي لم تصبح في يوم ما، عبر القرون المتطاولة مطية للشيطان، وحرية للاستعمار، وأذنا به، والعبوة للدخلاء، والمنافقين، والكفرة، والباغين... وستظل إلى الأبد كريمة مثابرة نقية سليمة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قذف به الشيطان إلى النجد، وتغذى وشب على سيرة وسريرة أسلافه، أمثال ابن تيمية الحراني، وجاء كالمغمور، مستهترا يهذي ولايبالي، فتره وأنكر تلكم السنة الجارية، سنة الله التي لا تبديل لها، ولن تجد لسنة الله تحويلا، وخالف هاتيك السيرة المتبعة، وشذ عن مهيع تلكم الآداب الإسلامية الحميدة، وشدد النكير عليها بلسان بذّي، وبيان تافه، ولفظ مقذع، ووجوه ونظريات خارجة عن نطاق العقل السليم، بعيداً عن أدب العلم، أدب الكتابة، أدب العفة... وخالف أعلام عصره ورجالات قومه، فقابلوه بالطعن والردّ الشديد، فأفرد هذا بالوقیعة عليه تأليفا حافلا، وجاء ذلك يزيف آراءه ومعتقداه الباطلة، في طيّ تأليفه القيمة، وتصدى في الردّ عليه أيضا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب النجدي، وكان حياً حوالي سنة ١٢٠٦ هـ بعدة كتب منها: الصواعق الالهية في الردّ على الوهابية. وكتاب فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبد الوهاب. وأنكروا عليه سفسطاته، وسفاسفه، وخرافات، وحقده، وحكموا بكفره وكفر من يذهب إلى مثل آراءه المضلة، والمعتقدات الشاذة، عن سيرة المسلمين، وشنوا عليه الغارة وبالغوا في الردّ والطعن عليه.

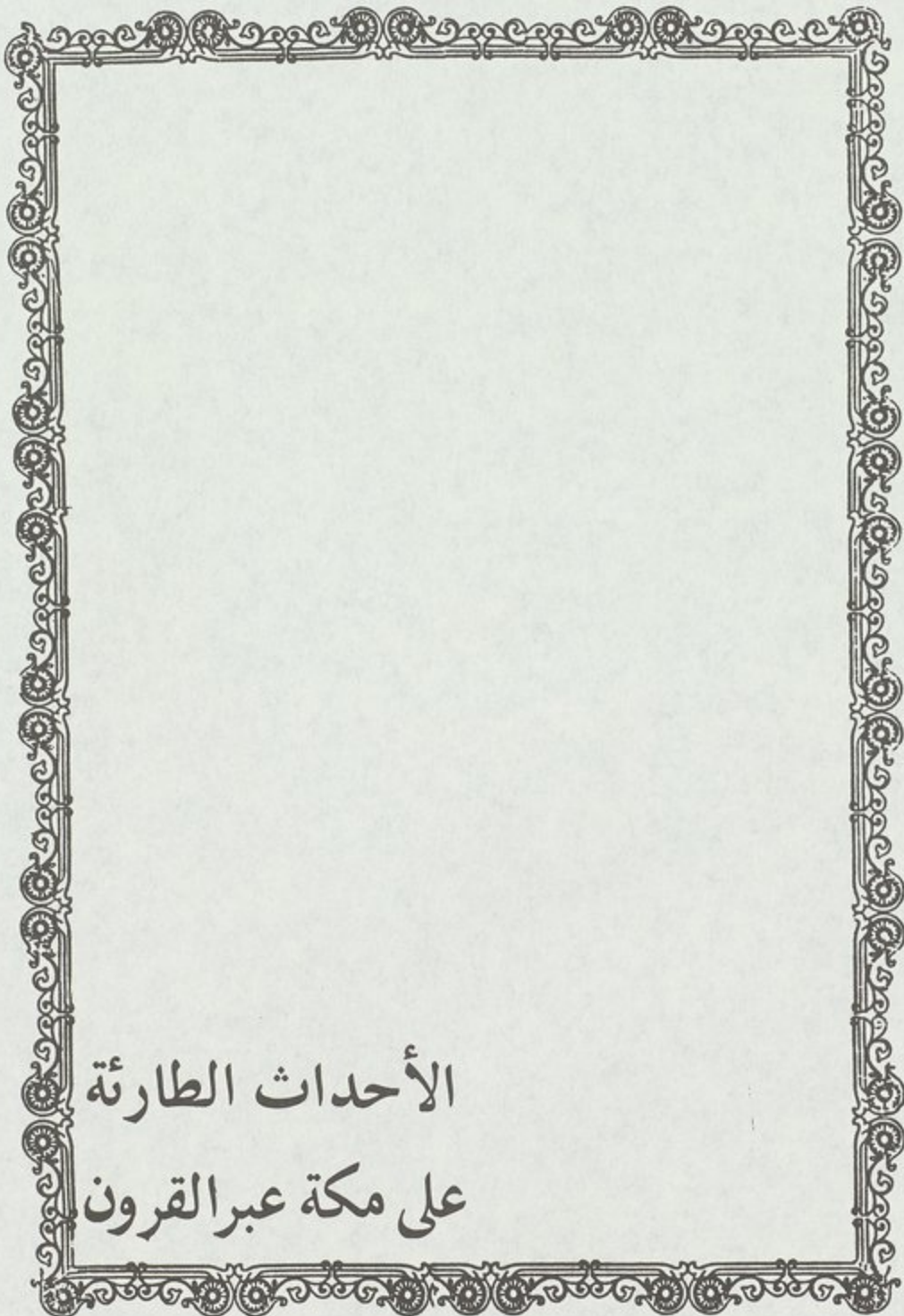
واختم الفصل هذا، بما قاله الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في رسالته التي يردّ بها على اخيه محمد بن عبد الوهاب مالفظه: — قال ابن القيم الخوارج لهم خاصيتان مشهورتان، فارقوا بهما جماعة المسلمين، وأتمتهم، إحداهما خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسنة سنة. والثانية إنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على ذلك إستحلال دماء المسلمين وأموالهم، وإن دارا لاسلام دار حرب، ودارهم دار إيمان. فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولد عنها من بغض المسلمين، وذمهم، ولعنهم، واستحلال دمائهم، وأموالهم، وعمامة البدع إتّما تنشأ من هذين الأصلين. وهذا الذي ذكره بعينه موجود في الوهابية — (١٢).



## الهامش:

- (١) أباؤه به: سواء به. من البواء، بالفتح، وهو السواء والتكافؤ. يقال: القوم بواء: أي سواء.
- (٢) القود: القصاص، أي فإنَّ القاتل يقاد به ويقتل.
- (٣) الصرف: التوبة. والعدل: الفدية. وقيل: الصرف القيمة. والعدل: المثل. وأصله في الفدية. يقال: لم يقبلوا منهم صرفا ولا عدلا، أي لم يأخذوا منهم دية.
- (٤) أو تنه: أهلكه، وألقاه في بلية.
- (٥) أي حرم لهم لا يحل انتهاكه.
- (٦) سيرة ابن هشام ٣٠١/١. جمهرة رسائل العرب ٣٣/١.
- (٧) وفاء الوفا ٢٦٨/١.
- (٨) نفس المصدر ٢٧٧/١.
- (٩) سورة النساء/١٥٨ — ١٥٩. سيرة ابن هشام ٣٤١/٢.
- (١٠) سورة النساء/١٠٠.
- (١١) سورة محمد/٧.
- (١٢) كشف الارتباب/١١٣.



A decorative rectangular border with intricate scrollwork and floral patterns, framing the text.

الأحداث الطارئة  
على مكة عبر القرون





إنتابت هذا البيت العتيق الذي جعله الله... حرماً آمناً مباركاً وهدى للعالمين... أحداث ودواهي أودت بانهار البيت، وتهديمه، وتخريبه مرة بعد أخرى، بالإضافة إلى السيول والزوابع العارمة، والأمطار الجارفة التي انتهت بمقتل الآلاف من الزوار والحجاج، في ظروف مختلفة، ومناسبات شتى، وذهبت بأمّتهم وحقائبهم، كما هُدمت البيوتات المجاورة والمحيطة بالكعبة، وشلت حركة المرور والسير والتجارة، وأوردت خسائر فادحة في الأموال والأنفس وأحدثت الأمراض والكوارث العظيمة في المهدين الجاهلي والإسلامي، غير أن العناية الإلهية السرمديّة المتواصلة، كانت في كافة تلكم الحالات تشمل البيت الحرام، وتكتنفها ويتطوّع نفر من ذوي المهمة والعزم، والخير إلى تجديد البناية، مرة بعد أخرى على هذا الشكل الموجود حالياً... وإننا في هذا الفصل نقصر على ذكر الأحداث في العهد الإسلامي، فحسب خشية الإطالة والتفصيل المجهد.

إنّ الأحداث الطارئة على الكعبة أو مكة بصورة عامة، والبواعث العارمة التي إجتاحتها مرة بعد أخرى، يمكننا حصرها في قسمين فقط وهما:

١ - ألسيول والأمطار...

٢ - ألتعصب الجاهلي والإستهتار والميوعة...

أما القسم الأول: فإنّ مكة تقع في واد تحف به الجبال من جهاتها الأربع، فإذا هطلت الأمطار بشدة تجمعت في الأودية بسرعة، وهرعت وتوجهت إلى مكة فكونت في كثير من أماكنها، بحيرات وغدران ترى البيوتات فيها أشبه بالجزر. ولما كان المسجد الحرام، وطى عن الشوارع بنحو عدّة أمتار أدركت أنه عند طغيان السيول يتحوّل إلى بحيرة بعيدة الغور والعمق، ولذلك منذ القديم قامت البيوتات وبنيت لتحتفظ الكعبة من بطش السيول، أو تأتي عليها من قواعدها، وتترك فيها آثاراً سيئة ترديها إلى الخراب.

إنّ للسيول بمكة كوارث وحوادث مدهشة وخسائر فادحة. وإليك نماذج يسيرة منها في العهد الإسلامي:

١ - سنة خمس وثلاثين (٣٥) بعد ولادة النبيّ وقبل مبعثه صلى الله عليه وآله يوم ثلث دعائم الكعبة بالسيل، وهدت أركانها، وثلّمت قوائمها وكان في جوفها بئر تحرز فيها

أموالها، وما يهدى إليها من النذور والقربان، فسرق رجل يقال له: دويك ما كان فيها أو بعضه فقطعت قريش يده، واجتمعوا وتشاوروا، وأجمعوا على عمارتها وكانت أمواج البحر رمت بسفينة إلى ميناء جدّة فتحطمت فأخذوا خشبها فاستعانوا به على عمارتها. وكان بمكة رجل قبطي نجار فسوّى لهم ذلك، وبنوها ثمانية عشر ذراعاً.

وفي الكافي، عن علي بن ابراهيم وغيره بأسانيد مختلفة، قالوا: إنَّها هدمت قريش الكعبة لأن السيل كان يأتيهم من أعلا مكة فيدخلها، فانصدعت وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر، وكان حائظها قصيراً. وكان ذلك قبل مبعث النبي (ص) بثلاثين سنة، فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة ويبنوها ويزيدوا في عرضها، ثم أشفقوا من ذلك وخافوا إن وضعوا فيها المعول (المعاول) أن تنزل عليهم عقوبة. فقال المغيرة بن المغيرة: دعوني أبدأ فإن كان الله رضاء لم يصبني شيء، وإن كان غير ذلك كففنا، فصعد على الكعبة وحرك منه حجراً خرجت عليه حية وانكسفت الشمس فلما رأوا ذلك بكوا وتضرعوا، وقالوا: — اللهم إنا لا نريد إلاّ الصلاح فغابت عنهم الحية، فهدموا ونحووا حجارته حوله حتى بلغوا القواعد التي وضعها ابراهيم (ع)، فلما أرادوا أن يزيدوا في عرضه وحركوا القواعد التي وضعها ابراهيم (ع) أصابتهم زلزلة شديدة وظلمة، فكفوا عنه وكان بنيان ابراهيم الطول ثلاثون ذراعاً، والعرض اثنان وعشرون ذراعاً، والسمك تسعة أذرع، فقالت قريش: نزيد في سمكها فبنوها فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود، تشاجرت قريش في وضعه، فقال كل قبيلة نحن أولى به نحن نضعه، فلما كثر القال والقليل بينهم، تراضوا بقضاء من يدخل من باب بني شيبه. فطلع رسول الله (ص) فقالوا: هذا الأمين، قد جاء فحكموه فبسط رداءه، وقال بعضهم: كساء طاروني كان له ووضع الحجر فيه، ثم قال: يأتي من كل ربع من قريش رجل، فكانوا عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس. والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزي. وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم. وقيس بن عدى من بني سهم، فرفعوه، ووضعه النبي (ص) في موضعه.

وقد كان بعث ملك الروم بسفينة فيها سقوف وآلات وخشب وقوم من الفعلة إلى الحبشة لتبني له هناك بيعة، فطرحتها الريح إلى ساحل الشريعة فبطحت فبلغ قريشاً خبرها، فخرجوا إلى الساحل فوجدوا ما يصلح للكعبة من خشبة وزينة، وغير ذلك فابتاعوه وصاروا به إلى مكة فوافق ذراع ذلك الخشب البناء ما خلا الحجر، فلما بنوه كسوها الوصايد، وهي الأردية.

وفي اصول الكافي أيضاً: باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنَّ قريشاً في الجاهلية هدموا البيت فلما أرادوا بناءه، حيل بينهم وبينه وألقى في روعهم الرعب حتى قال

قائلهم منهم: ليأتى كل رجل منكم بأطيب ماله ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطعة رحم أو حرام، ففعلوا فخلى بينهم وبين بنائه فبنوه، حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود، فتشاجروا فيه أيهم يضع الحجر الأسود في مكانه، حتى كاد أن يكون بينهم شرّ فحكوا أول من يدخل من باب المسجد، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أتاهم أمر بثوب فبسط ثم وضع الحجر في وسطه، ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب فرفعوه، ثم تناوله (ص) فوضعه في موضعه، فخصه الله به.

هذا إجمال القضية الواقعة سنة ٢٠٧٥ بعد بناء إبراهيم الخليل عليه السلام (١).

٢ — سيل أم نهشل: كان في خلافة عمر بن الخطاب أقبل حتى دخل المسجد الحرام من الوادي، ومن أعلا مكة من طريق الردم، وبين الدارين، وكان ذلك السيل ذهب بأم نهشل بنت عبيد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس، حتى استخرجت منه بأسفل مكة فسمي سيل أم نهشل، واقتلع السيل المقام مقام إبراهيم (ع) وذهب به حتى وجد بأسفل مكة، وغبي مكانه الذي كان فيه، فأخذ وربط بلبصق الكعبة بأستارها، وكتب إلى عمر بن الخطاب في ذلك، فجاء فزعاً حتى ردّ المقام مكانه وعمل في تلك السنة الردم الذي يقال له ردم عمر، وهو الردم الأعلى من عند دار جحش بن رباب التي يقال لها: دار أبان بن عثمان إلى داريبة، فبناه بالصفافير والصخر العظام، وكبسه فلم يعله سيل منذ ردمه، وقد جاءت بعد ذلك أسيال عظام كل ذلك لا يعلوه منها شيء (٢).

٣ — سيل الجحاف...

وسمي سيل الجحاف لأنه جحف على كل شيء فذهب به، وحل الحجاج من بطن مكة الجمال بما عليها والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن ينقذهم منه، وبلغ الماء إلى الحجون، وغرق خلق كثير وارتفع حتى غطى البيت. كان ذلك يوم التروية سنة ثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان، وصبح الحاج يوماً وهم آمنون غارون قد نزلوا في وادي مكة، واضطربوا الابنية ولم يكن عليهم من المطر إلا شيء يسير، إنما كانت السماء في صدر الوادي وكان عليهم رشاش من ذلك.

قال أبو الوليد: قال جدي، فحدّثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: لم يكن المطر عام الجحاف على مكة إلا شيئاً يسيراً، وإنما كانت شدّته بأعلا الوادي. قال: فصبحهم يوم التروية بالغيش قبل صلاة الصبح فذهب بهم، وبمتاعهم ودخل المسجد، وأحاط بالكعبة، وجاء دفعة واحدة وهدم الدور والشوارع على الوادي، وقتل الهدم ناساً كثيراً، ورقى الناس في الجبال واعتصموا بها، فسمى بذلك الجحاف، وقال فيه عبدالله بن أبي عمارة:

لم تر عيني مثل يوم الأثنين      أكثر محزوننا وأبكى للعين  
إذ خرج الغبئات يسعين      سواندا في الجبلين يرقين

فكتب بذلك إلى عبدالملك بن مروان، ففزع لذلك وبعث بمال عظيم وكتب إلى عامله على مكة، عبدالله بن سفيان المخزومي، ويقال: بل كان عامله الحارث بن خالد المخزومي يأمره بعمل ضفاير للدور الشارعة على الوادي للناس من المال الذي بعث به، وعمل ردماً على أفواه السكك يحصن بهادور الناس من السيول، وبعث رجلاً نصرانياً مهندساً في عمل ضفاير المسجد الحرام، وضفاير الدور في جنبتى الوادي، وكان من ذلك الردم الذي يقال له: ردم الحزامية على فوهة خط الحزامية، والردم الذي يقال له ردم بني جمح، وليس لهم ولكنه لبني قراد الفهريين، فغلب عليه ردم بني جمح، وله يقول الشاعر:

سأملك عبرة وأبيض أخرى      إذا جاوزت ردم بني قـرود

قال: فأمر عامله بالصخر العظام، فنقلت على العجل وحفر الأرباض دون دور الناس فبناها وأحكمها من المال الذي بعث به. قالوا: وكانت الإبل والثيران تجر تلك العجل، حتى ربما أنفق في المسكن الصغير لبعض الناس مثل ثمنه مراراً. ومن تلك الضفاير أشياء إلى اليوم قائمة على حالها من دار أبان بن عثمان التي هي عند ردم عمر هلم جرأ، إلى دار ابن الجوار، فتلك الضفاير التي في أرباض تلك الدور، كلها مما عمل من ذلك المال، ومن ردم بني جمح منحدرًا في الشق الأيسر إلى أسفل مكة، وأشياء من ذلك هي أيضا على حالها. وأما ضفاير دار أويس التي بأسفل مكة ببطح نحر الوادي، فقد اختلف علينا في أمرها، فقال بعضهم: هي من عمل عبدالملك، وقال آخرون: لا بل هي من عمل معاوية بن أبي سفيان، وهو أثبتها عندها (٣).

٤ — سيل الخبل...

وفي سنة ٨٤ هـ اكتسحت مكة سيول أصاب الناس عقبه مرض شديد، في أجسادهم، والسنتم أصابهم منه شبه الخبل، فسمى سيل الخبل، وكان عظيماً دخل المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة.

٥ — سيل أبي شاكر...

في سنة عشرين ومائة، وفي ولاية هشام بن عبدالملك إجتاح مكة سيل عظيم، هدمت على أثره الدور والحوانيت وأورد أضرارا جسيمة، وسمى سيل أبي شاكر لأن أبا شاكر مسلمة ابن هشام بن عبدالملك، حج بالناس تلك السنة (٤).

٦ — سنة ٢٠٨ هـ...

حدث في العام هذا، سيل كبير في شوال جاء والناس غافلون، فامتلاً السد الذي بالثقبة فلما فاض السد انهدم السيل الذي اجتمع فيه مع سيل السدة، وسيل ما أقبل من منى، فاجتمع ذلك كله فجاء جملة واحدة فاقتحم المسجد الحرام وأحاط بالكعبة، وبلغ الباب والحجر الأسود، ورفع المقام من مكانه وهدم أكثر من ألف دار، ومات به أكثر من ألف نفس فكبس المسجد والوادي بالطين والبطحاء، وذهب بصناديق الباعة ومقاعدهم، وألقاها بأسفل مكة وذهب بأناس كثير. وكان أمير مكة يومئذ عبدالله به الحسن بن عبيدالله ابن العباس بن علي بن أبي طالب فكتب إلى المأمون العباسي يستجده ومنه: (يا أمير المؤمنين إن أهل حرم الله تعالى، وجيران بيته، وألف مسجده وعمرة بلاده، قد إستجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت جرياته في هدم البنين، وقتل الرجال والنسوان، واجتياح الأموال، وجرف الأثقال، حتى ما ترك طارفا ولا تالداً للراجع إليها في مطعم ولا ملبس، فقد شغلهم طلب الغذاء عن الإستراحة إلى البكاء على الأمهات، والأولاد، والآباء، والأجداد، فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم، وإحسانك إليهم تجدد الله مكافئتك عنهم، ومثيبك على الشكر منهم).

فوجه المأمون إليهم الأموال الكثيرة وكتب إليه: (أما بعد فقد وصلت شكيتك لأهل الحرم إلى أمير المؤمنين فيكاهم بعين رحمته، وأنجدهم بصيب نعمته، وهو متبع لما أسلف إليهم بما يخلفه عليهم عاجلاً وأجلاً، إن أذن الله في تثبيت نيته على عزمه) (٥).

٧ — سنة ٢٥٣ هـ ...

دخل مكة سيل عظيم أحاط بالكعبة، وقارب الحجر الأسود وهدم دوراً كثيرة، وملأ المسجد غثاء حتى جرف بالعجلات (٦).

٨ — سنة ٢٩٧ هـ ...

قال المسعودي: وورد الخبر إلى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الأربعة غرقت، حتى عمّ الغرق الطواف وفاضت بئر زمزم، وأن ذلك لم يعهده فيما سلف من الزمان (٧).

٩ — سنة ٥٢٨ هـ في جمادى الأولى. وسنة ٥٤٩ هـ، نزل مطر كان معه برد بقدر البيض، وزن بميزان فكان مائة درهم. وسنة ٥٦٩ هـ، جاء سيل ودخل دارالإمارة. وكذلك سنة ٥٧٠ هـ وسنة ٥٥٣ هـ. في الثامن من شهر صفر، ودخل الكعبة، وأخذ إحدى فرضني باب إبراهيم وحمل منابر الخطبة ودرجة الكعبة ووصل الماء إلى فوق القناديل التي في وسط المسجد بكثير. وسنة ٥٩٣ هـ. وسنة ٦٢٠ هـ. وسنة ٦٥١ هـ. وفي سنة ٦٦٩ هـ في رابع عشر

شعبان، دخل السيل بيت الله الحرام، وألقى كل زبالة كانت في المعلاة في الحرم، ولم يكن ليلة النصف من شعبان بالحرم إلا بقي الحرم، كالبحر يموج منبره فيه وما سمعت تلك الليلة مؤذنا إلا بقي الناس من خوف الهدم والغرق في أمر عظيم حتى خشى إنه ينسى كثير من الناس الفرض فكيف بصلاة ليلة النصف من شعبان، وطاحت الدور على الناس (٨).

١٠ — سنة ٧٣٨ هـ ...

يوم الخميس عاشر جمادى الأولى، وقعت سيول جاء معظمها من وادي إبراهيم تتبعها غيوم، ورعود مزعجة، وبروق مخيفة ومطروابل، كأفواه القرب ودفعت السيول، من كل جهة فدخلت الحرم من جميع الأبواب التي تليه وجعل حول الأعمدة التي في طريقه جوراً مقدار قامتين وأكثر، ولولم يكن أساسات الأعمدة محكمة لكان رماها وقلع من أبواب الحرم أماكن وطاف بها الماء، وطاف بالمنابر كل واحدة إلى جهة وبلغ عند الكعبة قامة وبسطة ودخلها من خلل الباب، وعلا الماء فوق عتبتها أكثر من نصف ذراع بل شبرين، ووصل إلى قناديل المطاف وعبر في بعضها من فوقها وغرق بعض المجاورات النساء اللواتي في المساطب، وخرب بيوتا كثيرة وغرق بعض أهلها وبعضهم مات تحت الردم. وهكذا غرقت الكعبة في السيول خلال سنين ٧٥٠ و ٨٠٢ و ٨٢٥ و ٩٧١ و ٩٨٣ و ١٠٢١ و ١٠٢٤ و ١٠٣٣ و ١٠٣٩ و ١٠٧٣ و ١٠٩١ و ١٠٩٣ و ١٣٢٥ و تجدد تفاصيل هذه السيول في كتب التواريخ بصورة مفصلة.

• • •

وهنا قصة تاريخية عن بناية الكعبة الموجودة اليوم تعطينا تبيانا مفصلا عن كيفية بنائها، وتخطيطها وأبوابها ومعالم وافية خافية على الجميع ولا بأس من الوقوف عليها. قال السيد على صدرالدين المدني الحسيني الحسني، أحد أئمة الأدب في القرن الحادي عشر الهجري — : لما كان فجر الأربعاء التاسع عشر من شعبان، سنة تسع وثلاثين وألف (١٠٣٩) نشأت على مكة وأقطارها شرفها الله تعالى، سحابة غريبة مدهمة فلم تزل كذلك إلى وقت الزوال، فأرعدت وأبرقت وأنت بمطر كأفواه القرب واستمرت ساعتين ودرجتين ثم أمسكت. فأقبل السيل ودخل المسجد الحرام، واعتلى على باب الكعبة ذراعين عمليين وربع فأهلك الأطفال، والنساء، والرجال، ثم باتت تمطر إلى نصف الليل، فلما كان قبل الغروب يوم الخميس العشرين من شعبان، سقط من البيت الشريف جانباه الشرقي والشامي، فكان الساقط منها قدر نصفها ثم أعقب هذا السيل في أهل مكة من الفناء، ما أشبه الوباء المصرى (٩).

وقال المولى محمد المحبي: في تاريخه، عند ترجمته للسلطان مراد بن السلطان أحمد آل عثمان: (وفي زمانه وقع السيل العظيم المشهور بمكة المشرفة في سنة ١٠٣٩، ودخل المسجد الحرام وطاف بالبيت، ووافق تاريخه - رقى إلى قفل بيت الله - وبسببه إنهدمت الكعبة وعمل الناس في ذلك التواريخ والأشعار، وفي سنة أربعين كان بناء البيت الشريف، ومن التواريخ المشهورة فيه (رفع الله قواعد البيت) وكانت هذه الفضيلة مما اختص بها السلطان مراد، ومن تاريخ الفاسي لغيره قوله:

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم  
ملائكة الرحمن آدم ابنه  
وجرهم يتلوهم قصي قرشهم  
وذيل ذلك بعضهم بقوله:

وربتهم حسب الذي أخبر الثقة  
كذاك خليل الله ثم العمالقة  
كذا ابن زبير ثم حجاج لا حقه  
وخاتمهم من آل عثمان بدرهم  
مراد المعالي أسعد الله شارقه  
و بيت آخر:

ومن بعدهم من آل عثمان قدبني  
ومراد حماه الله من كل طارقه  
ووقع بعد تمام العمارة بأربع سنين، خلل في السطح المكرم، فعرض صاحب مكة وشيخ حرمها ذلك إلى وزير مصر فعرض ذلك على السلطان المذكور، فورد أمره بذلك فعين وزير مصر لهذه الخدمة، من كان قائماً بها ومتعاطياً لها قبل ذلك وهو الأمير رضوان الفقاري، وأضاف إليه يوسف المعمار، مهندس العمارات السابقة، فوصلا في موسم سنة أربع وأربعين، فلما كان العشر الأخير من ذي الحجة، جعل إجتماع الناس بمصلى الشريف زيد بن محسن، وحضر فيه هو وقاضي مكة، الشيخ أحمد البكري، وقاضي المدينة المولى حنفي، والأمير رضوان، وغيرهم من العلماء والأعيان، فقرأوا سورة الفتح، ثم وصلوا إلى الكعبة وأشرفوا على بابها، ثم تفرقوا ثم في المحرم سنة خمس وأربعين شرع الأمير في تهيئة الحصى للمسجد، ففرشه به ثم لما كان سابع عشر ربيع الأول وصل إلى باب الكعبة وفتح السادن بابها، فقلعوه وركبوا عوضه باباً من خشب لم يكن عليه شيء من الحلية، وإنما عليه ثوب من القطن الأبيض.

وفي يوم الثلاثاء تاسع عشر الشهر، وزنت الفضة التي كانت على الباب المقلوع فكان مجموع ذلك مائة وأربعة وأربعين رطلاً خارجاً عن الزرافين، فوزنها وماشبهها مما كان على الباب ثمانية عشر رطلاً، ثم شرع في تهيئة باب جديد فشرع فيه وأتمه وركب عليه حلية الباب السابق، وكتب عليه إسم السلطان صاحب الترجمة، ثم جيء به محمولاً على أعناق الفعلة، فشى الناس أمام الباب إلى أن وصلوا إلى الحطيم وبه الشريف جالس فوضع بين

يديه فقام الشيخ عمر الرسام، ودعا للسلطان، والشريف، فألبس الشريف جماعة في ذلك المجلس خلعا، منهم عمر المذكور، والامير رضوان، وفتح الباب والفعلة.

ثم أدخلوا فرديتي الباب إلى داخل الكعبة، ودخل الشريف ومعه الأمير، وجماعة من الأعيان إلى الكعبة وصعدوا السطح، وأشرفوا عليه ثم انفض الجميع، فشرع الأمير بعد إنفضاض الناس في تركيب الباب فركبه وتم عند غروب الشمس من يوم العشرين من شهر رمضان. ثم في موسم العام المذكور توجه بالباب القديم إلى مصر واستلمه وزير مصر وأرسله إلى السلطان (١٠).

أما كيفية التأسيس لبناء البيت فهي على ما اختصره المحدث النوري في كتابه (دارالسلام) نقلا عن كتاب (مفرحة الأنام في تأسيس بيت الله الحرام) للأمير زين العابدين الحسيني الكاشاني نزيل مكة، والمستشهد فيها عام ١٠٤٢ هـ ويعتبر المؤسس للبيت الحرام، والباقي له جاء في كتابه: — في اليوم الأربعاء تاسع عشر شهر شعبان سنة ١٠٣٩ دخل المسجد الحرام سيل عظيم من أبوابه، ثم دخل الكعبة وارتفع فيها بقدر قامه وشبر، وإصبعين مضمومتين، ومات بمكة المعظمة بسببه أربعة آلاف واثنان إنسانا، منهم معلم وثلاثون طفلا كانوا في المسجد. وفي يوم الخميس انهدم تمام طرف عرض البيت الذي فيه الميزاب، ومن طرف الطول الذي فيه الباب من الركن الشمالي إلى الباب، ومن الطول الذي فيه المستجار نصفه تخميناً، فتذاكرت مع الشريف في بناء البيت وأن البناء يكون بمال أهل الحق ومباشرتهم، وينتسب في الظاهر إلى سلطان الروم، فقبل ذلك ثم خوفه الناس فأعرض عنه فكنت أتضرع إلى الله تعالى أن لا يحرمني من تلك السعادة، فرأى في تلك الأيام مسكين في المنام أنه وضع جنازة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام في قبال الكعبة، وصلى عليه خاتم النبيين (ص) مع جميع الأنبياء عليهم السلام، وأنه قال لي: خذ التابوت وادفنه جوف الكعبة. فلما قصص عليّ عبرته بأن الإمام لا يدفنه إلا الإمام ومنصب دفن أبي عبدالله عليه السلام كان للإمام زين العابدين (ع) فهو إشارة إلى أن وضع الأساس الذي كان من مناصبه قد حوّل إلى فاطمئن قلبي.

وفي اليوم الثلاثاء ثالث جمادي الاخرى سنة ١٠٤٠، شرعوا في هدم تتمة البناء، وكنت أشتغل مع المشتغلين ومن عجيب ألطافه الله تعالى، أن جميعهم من الوكيل، والمباشر الذين بعثهما سلطان الروم، صاروا مريرين لي بحيث كلما قلت لهم في أمر البيت شيئاً، لم يتخلفوا عني إلى أن هدموا أطرافه إلا الركن الذي فيه الحجر فأبقوا حجراً فوقه وحجراً تحته. فقلت لهم: لا بد من حفظه عن وطى الأقدام، فصنعوا من ألواح الخشب شيئاً لحفظه، وفي



ليلة الأحد الثاني والعشرين من الشهر المذكور، إستقر الأمر على وضع الأساس في صبحتها فتضرعت إلى الله تعالى في تلك الليلة، وسألت الله تعالى أن يجعلني مؤسس بيته (وذكر أبياتا في ذلك) وكنت متفكرا في أنه مع حضور الشريف، وشيخ الحرم، والقاضي، والوكيل، وعلماء مكة، وخدام البيت، كيف أصنع مع ضعفي واغتسلت وقت السحر ودخلت المسجد، ولما كان بعد صلاة الصبح لم يحضر من الأمر الآلهي، وإعجاز الأئمة (ع) إلا المباشر وبعض العملة، فلما رأي المباشر قال: يا سيد زين العابدين، إقرأ الفاتحة، فقرأتها، ودعوت بعدها بالدعاء الموسوم بدعاء سريع الإجابة المروي في (الكافي) أوله: — اللهم اني أسألك باسمك العظيم الأعظم... إلى آخره، ودعوت الحجة عجل الله فرجه وأخذت الحجر المبارك للركن الغربي وناولني عمده حسين الأبرقوي، وهو من الصلحاء أول طاس فيه الساروج، فطرحته في زاوية الركن الغربي وأنشرته، وقلت:

بسم الله الرحمن الرحيم

ووضعت الحجر عليه في موضع أساس إبراهيم عليه السلام. قال: وفي اليوم التاسع من رجب وصلوا إلى الحجر وقد باشرت بنفسي مقدار ثلاثة أذرع، من جهة الإرتفاع من تمام العرض الذي فيه الميزاب، والحمد لله تعالى.

وأخذوا الحجر الذي فوق الحجر الأسود، ثم اجتهدوا لرفع الحجر فلم يقدروا فكأنه كان في نظرهم ثعباناً عظيماً واشتغلت في هذا اليوم بقراءة دعاء السيدي، فقرأته سبع وعشرين مرة فشكر الله فأيسوا منه على حفظه، وفي الثاني والعشرين منه وضعوا الباب، وفي الثالث عشر شعبان أدخلنا أعمدة سقف البيت. وفي الخامس عشر من أدخلت الباب بنفسي ووضعت في باطن جدرانها أربعة من الأحجار حجراً في نفس زاوية الحجر الأسود، وحجراً بي الحطيم، وحجراً في مولد أمير المؤمنين عليه السلام، وهو بعيد عن زاوية الحجر الأسود بثلاثة أذرع من جهة الركن اليماني تخميناً، وحجراً قريب زاوية الركن اليماني. وفي الثامن عشر من هذا الشهر، أدخلنا الألواح بين أعمدة السقف وركبت مع الأعمدة. ويوم السلخ منه ركب ميزاب الرحمة. وفي ثاني شهر رمضان شرعوا في حمل الرخام في سطح الكعبة. وفي التاسع منه شرعوا في شغل الرخام في باطن جدران الكعبة وأرضها.

وفي الأربعاء السابع والعشرين، منه تم العمل. وفي الجمعة آخر الشهر المذكور دخلوا الخلق الكعبة وقلت في تاريخ التأسيس: (رفع الله قواعد البيت).

قال رحمه الله:

طول البيت من ركن الحجر، وهو الركن العراقي إلى الركن الشامي، خمسة وعشرون

ذراعاً. ومثله أطول افخر وهو من الركن الغربي إلى اليماني.

وعرضه من الشامي إلى الغربي عشرون ذراعاً، وعليه الميزاب. وعرضه افخر من اليماني إلى العراقي أحد وعشرون ذراعاً وشبر.

وسمكه ثلاثون ذراعاً. وسقفه على كمال سبع وعشرين ذراعاً. على ثلاثة أعمدة غلاظ على جدار الطول، وعلى ثلاثة أساطين، ما بين عرضها فلها سقف ثان. لكن ليس عليه عمل إلا ربط أستارها الباطنة.

وأما الثلاثة الباقية من السمك، فمقدار ثلثي ذراع منها غلظ السقف والباقي لربط أستارها الظاهرة، وغلظها أقل وفي خلفها أخشاب فيها حلق تربط بها الأستار.

والطول الأول، من الداخل وهو الوجه سبعة عشر ذراعاً. والثاني وهو الظهر ثمانية عشر ذراعاً. والعرض الشامي خمسة عشر. والعرض اليماني ستة عشر. وحكمها إلى السقف الأول عشرون. ومنه إلى الثاني اثنان.

وغلظ جدرانها الأصلية الخالية من الرخام، أربعة أشبار وأربعة أصابع مضمومة.

وفي بطن الجدار، في كل قامة لوح من خشب عريض متين في خمسة مواضع.

وطول الباب سبعة أذرع وفيه أربع حلق من فضة.

وفي داخل البيت، سلم قريب الركن الشامي مستور بجدار من رخام، وله بابان

الأول من أسفله إلى أوسطه والآخر من أعلاه إلى سطحه، وهو درج من عود مستدير كالمئارة وعدده تسع وعشرون.

أما حجر إسماعيل فإنه جدار قصير مستدير كنصف دائرة مقابل العرض الشامي.

وارتفاع جداره ذراعان ونصف. وعرضه مثل ذلك. وطول سعته من جدار عرض الكعبة إلى

جدار طرف الحجر المقابل للميزاب ست عشر ونصف. وعرض سعته من طرفه الآخر عشرون

ذراعاً.

وله فجوتان، هما باباه سعة كل واحدة ذراعان ونصف.

وأما الميزاب فهو قطعة خشب عليه صفايح الفضة المذهب من أوله إلى آخره وطوله

أربعة أذرع ونصف. وعرضه ثلثا ذراع وارتفاعه مثل ذلك.

وأما الحجر فطوله في الخارج نصف شبر، وعرضه شبر، وارتفاعه في الجدار ثلاثة

أذرع. وطوله الأصلي الذي داخل الجدار ثلثا ذراع بذرار عمل البنائين. وعلى عرضه الذي في

داخل الجدار وثائق ثلاث من فضة في ثلاث مواضع. وعلى طوله الذي في الجدار دائرة من

فضة لحفظ الخدشة التي فيه. وعلى طوله وعرضه في الخارج أيضاً دائرة فضة.

وأما الحطيم، فهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وهو أفضل بقاع الأرض.  
وأما المستجار، فهو مقابله في ظهر الكعبة من الباب المسدود إلى الركن اليماني.  
وأما شاذر، وانها الأصلى المحيط بها فارتفاعه ثلثا شبر، وعرضه نصف ذراع، وعلى  
ظهره جص مسند إلى جدارها وارتفاعها ذراع، قد صفت عليه ألواح رخام، طولها ذراع  
ونصف وهو محدودب لايثبت عليه رجل إلا عند الباب والحجر.  
وفي دور المطاف ثلاثة وثلاثين اسطوانة، من صفر مستديرة كاستدارته سعته مأتا  
وثمان عشر ذراعا.

ثم ذكر كيفية مقام إبراهيم، ووضع المسجد، وكيفية بنائه، وأن طوله أربعمائة ذراع  
وعرضه مأتان وسبعون ذراعا سوى الزائدين. وأن له تسعة عشر باباً ذومنفذ أو منفذين،  
وثلاثة. ومجموع المنافذ تسعة وثلاثون (١١).

فإذا تقوله حكام السعودية... بعد هذه الصفحات التاريخية الناصعة الصادقة المثبوتة  
في كتب السير والتاريخ، وقد عرف العالم بكامله أن مؤسس البيت العتيق، وبانيه وواضع  
لبنته الأولى في القرن الحادي عشر الهجري عقيب إهياره، وخرابه في سنة ١٠٣٩ هـ. رجل  
إيراني، وفقهه كامل، ومن عيون الطائفة الشيعية، وصدورها إختصه المولى سبحانه على علمه  
الوافر، وشرفه المديد، ومجده المؤثل بأقامة أكبر شعار للإسلام وتشديد أرفع بناية يقدهسها الدين  
الحنيفي، ألا وهو تأسيسه البيت الحرام فجاء مكلا بهذه الفضيلة الباهرة، والسؤدد الظاهر  
وشاع بذلك أمره وبعد صيته، ولم يزل نور فضله كل حين إلى النشور وأشواطه البعيدة في  
العلم إلى الأمام، وهو المولى الأمير السيد زين العابدين بن نورالدين بن مراد بن علي بن  
مرتضى الحسيني الكاشاني نزيل مكة...

غير أن أذئاب الأموية المقبورة، وفلوها البغيضة المبثوثة، كالكلاب الهراش هنا  
وهناك، لم ترقهم الحال فامتدت يدهم الأثيمة الجانية الشلاء، نحو هذا العملاق، وأردته  
قتيلا وشهيداً في حرم الله وأمنه، ودفن في المعلى عام ١٠٤٢ هـ (١٢).

ماذا تقوله حكام السعودية... وقلول الوهابية الدفينة... القابعين على فضالات  
الطائفة الشيعية الحقّة، والباخسين لحقوقهم المشروعة. والناهبين الغاصبين لتراثهم، وميراثهم  
بعد الصفحات التاريخية هذه..؟ وتجاه هذا المشروع الحضاري الإنساني الديني الخالد، الذي  
تقدّم به واحد من الشيعة الإيرانيين في مكة... تطوّعت أذئاب الوهابية إلى مكافئته، وتقديم  
الشكر إليه فاندفعت نحو البقيع في المدينة المنورة بقلوب مترعة متمخضة بالبغض، والعدوان،  
والبغى، والشرك والإلحاد، والشر، والشره، والفساد، وأنزلت معاولها في مقابر ودائع.

التوحيد، والنبوة، وذخائر الرسالة، والإمامة، فهتمت قبورهم وقوضت بقاعهم، ونهبت ضرائحهم، وأبدلتها إلى ركام ورغام... وسودوا بفعلتهم النكراء هذه، صحائف تاريخهم الأسود القذر العفن تملعنهم الله تعالى، والملائكة، والمؤمنون، والمؤمنات، والبشرية، والأجيال والأجيال، مادامت الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

عليهم بامتداد الدهر متصلاً لعائن الله أسراراً وإعلاناً  
فإنهم من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهاناً وتبياناً

\*\*\*

٢ — قلنا أن العامل الثاني في تهديم الكعبة وتقويضها يعود إلى التعصب الجاهلي والانحلال من قيود الدين والشريعة، والبشرية والتجاهر والإستهتار بالميوعة والفساد أتمثل في شذمة لا تعرف في الحياة معنى ومفهوماً لغير الخلاعة، والمجون، والاستهتار، والفسوق، والنهمة، والشرة، والكفر، والإلحاد وقد عرفوا في التاريخ بهذه الرذائل، وتغلبوا على دست الخلافة وأريكة السلطة والنفوذ، باذلال المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهديد والرهبنة. والنفوس راغبة وميالة إلى الإستهتار ورفض القيود تارة، ومن جهة حب التشبه بالخلفاء والساسة طورا (والناس على دين ملوكهم) والناس إذا استهوتهم الشهوات، لا يقفون عند حد فتكثر فيهم الموبقات، وتشيع الفواحش فمن فجور إلى مثله، ومن فاحشة إلى أخرى، فلا يمر سير من الزمن إلا وحاضرة الاسلام مباتة للمنكرات ليس لنواميس الدين، والحق فيها عين ولا أثر.

ومهما يكن من أمر فنذ العهد الإسلامي إجتاحت الكعبة مراراً عديدة زوابعات وكوارث الحادية عارمة، وظروف وحالات سياسية قاسية، منبعثة عن الأهواء والمطامع الدخيلة، والإتجاهات البعيدة المتخلفة عن كافة القيم والمثل، والملكات، فقوضت الكعبة على إثرها وانهارت وهدمت وإليك البعض منها:

الأولى...

ما وقع عام ثلاث وستين بيد حصين بن نير السكوني، وقيل: الكندي في أيام يزيد ابن معاوية، لما اراد القبض على عبدالله بن الزبير، حين أظهر الخلاف في مكة، وتمرد على يزيد وبايعه جمع غفير من أهل الحرمين، وبعض العراقيين، فبعث إليهم يزيد مسلم بن عقبة المري، وسمي مسرفاً لإسرافه في القتل بالمدينة، وأرسل معه اثني عشر ألفاً فيهم الحصين بن نير، ليكون على العسكر إن عرض لمسلم موت، فإنه كان عليلاً في بطنه الماء الأصفر، وأمر يزيد مسرفاً، إذا بلغ المدينة أن يدعوا أهلها ثلاثاً، فإن أجابوه وإلا قتلهم بعد أن طرد أهل

المدينة عامل يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان وغيره من بني أمية. وقال له: إذا ظهر عليهم أبا ح المدينة ثلاثة، ثم يكف عن الناس ويسير إلى مكة لقتال ابن الزبير، فلما بلغ مسلم المدينة بمن معه، إلتقى مع أهلها بظاهر المدينة، فاقتتلوا فقتل من أولاد المهاجرين يزيد من ثلاثمائة نفر، وجماعة كبيرة من الصحابة، ودخل المدينة وأباحها ثلاثاً، وكانت الوقعة بمكان يقال له (حرّة) وأقام فيها لثلاث بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وستين من الهجرة، ثم سار إلى مكة فلما كان بالمشلل مات، وقيل: مات بثنية هرشا، بعد أن قدم على عسكريه الحصين ابن نمير، فسار الحصين حتى بلغ مكة لأربع بقين من المحرم، سنة أربع وستين، وقد بايع أهل مكة والحجاز وغيرهم ابن الزبير، وأجمعوا عليه، وانضم إليه من إنهمز من أهل المدينة، وكان قد بلغه خبر أهل المدينة مع مسلم هلال المحرم سنة أربع وستين، مع السور بن مخرمة، فلحقه منه أمر عظيم، واعتدّ هو وأصحابه واستعدوا للقتال، وقاتلوا الحصين أياماً، وتحصن ابن الزبير وأصحابه في المسجد، وحول الكعبة وضرب أصحابه ابن الزبير في المسجد خياماً ورقاقاً يكتنون فيها من حجارة المنجنيق، ويستظلون فيها من الشمس.

وكان الحصين بن نمير، قد نصب المنجنيق على أبي قبيس وعلى الأحمر، فكان يرميهم بالحجارة وتصيب الحجارة الكعبة وكذلك بالنار، حتى هدموا المسجد والبيت بالقذائف، وأحرقوا الكعبة وأستارها بإلقاء النار عليها، فهتّمت الكعبة ودام الحرب بينهم إلى أن فرج الله على ابن الزبير وأصحابه بوصول نعي يزيد بن معاوية. وكان وصول نعيه لثلاث ماضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، وبلغ نعيه ابن الزبير، قبل أن يبلغ الحصين، وبعث إلى الحصين من يعلمه بذلك، ويحسن له ترك القتال ويعظم عليه أمر المحرم وما أصاب الكعبة، قال إلى ذلك وآب إلى الشام.

عاد حصين إلى الشام بعد هتك حرمة بيت الله الحرام، وانقراض دعائم الإسلام، ومات حصين بعد ذلك بأحد عشر يوماً (١٣).

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، وبويع عبدالله بن الزبير في الحجاز والعراق تقدّم إلى تجديد عمارة البيت العتيق فهتّم من البيت، ما كان قد بقى سالماً من الصدمة لا ستناد إنهدامه إليه وإلى حربه فارتقى بنفسه على جدار الكعبة، وهتّم البيت وبنائها وأعادها إلى حالتها الأولى.

وجاء في بعض المراجع أن مسلم بن عقبة أبا ح المدينة ثلاثة أيام، يقتلون من وجدوا من الناس ويأخذون الأموال وقتل خلقاً من أشرافها، وقرائنها، ووقع شر عظيم، وفساد عريض على ما ذكره غير واحد. ووقعوا على النساء حتى قيل ولدت ألف امرأة من أهل المدينة

بعد وقعة الحرة من غير زوج. وبعد هذه الكوارث هتف هاتف بمكة على أبي قبيس مساء تلك الليلة والناس يسمعون:

والمهتدون المحسنون	ن أولوا العبادة والصلاح
ماذا بواقم والبقية	ن السابقون إلى الفلاح
وبقاع يثرب وعهه	ع من الجحاحجة الصباح
قتل الجيار بنو الخيا	ن من النوادب والصبح
	رذوي المهابة والسماح (١٤)

الثانية...

ما وقع بيد الحجاج بن يوسف سنة ٧٣ هـ، لما بعثه عبد الملك بن مروان إلى أخذ وقبض عبدالله بن الزبير، فالتقى الفريقان في الطائف واقتتلوا قتالا شديدا، وهرب ابن الزبير إلى مكة وتحصن فيها فقصده الحجاج فحاصرها، وحاصر أهل مكة وقد نصب المنجنيق على مكة فوق جبل أبي قبيس، حتى يخرجوا إلى الأمان والطاعة لعبد الملك وكان مع الحجاج الحبشة، فجعلوا يرمون بالمنجنيق فقتلوا خلقا كثيرا وكان معه خمس مجانيق فألح عليها بالرمي من كل مكان، وحبس عنهم الميرة والماء، فكانوا يشربون من ماء زمزم وجعلت الحجارة تقع في الكعبة وهتم البيت بقذائفه، فانكسفت الشمس واغبر الفضاء، حتى بدت الكواكب وجرت بهم ريح وزوابع عاصفة من كل جانب. والحجاج يصيح بأصحابه يا أهل الشام الله في الطاعة، فكانوا يحملون على ابن الزبير حتى يقال أنهم آخذوه في هذه الشدة، فيشد عليهم ابن الزبير وليس معه أحد حتى يخرجهم من باب بني شيبه. ثم يكرؤون عليه فيشد عليهم، فعل ذلك مرارا وقتل يومئذ جماعة منهم. وقيل: لابن الزبير ألا تكلمهم في الصلح؟ فقال: والله لو وجدوكم في جوف الكعبة لذبحوكم جميعاً، والله لا أسألهم صلحا أبدا.

ولما رموا بالمنجنيق جاءت الصواعق والبروق والرعود، حتى جعلت تعلق أصواتها على صوت المنجنيق، ونزلت صاعقة فأصابته اثني عشر رجلا، فضعت عند ذلك قلوبهم عن المحاصرة فلم يزل الحجاج يشجعهم، ويقول: إني خير بهذه البلاد، هذه بروق تهامة ورعودها وصواعقها، وإنّ القوم يصيبهم مثل الذي يصيبكم. وجاءت صاعقة من الغد فقتلت من أصحاب ابن الزبير جماعة كثيرة أيضا، فجعل الحجاج يقول: ألم أقل لكم إنهم يصابون مثلكم، وأنتم على الطاعة وهم على المخالفة. وكان أهل الشام يرتجزون وهم يرمون بالمنجنيق ويقولون:

مثل الفنيق المزبد نرمى بها أعواد هذا المسجد

فنزلت صاعقة على المنجنيق فأحرقته، فتوقف أهل الشام عن الرمي والمحاصرة خطبهم الحجاج، فقال: ويحكم ألم تعلموا أنّ النار كانت تنزل على من كان قبلنا فتأكل قربانهم اذا تقبل منهم؟ فلولاً أن عملكم مقبول ما نزلت النار فأكلته، فعادوا إلى المحاصرة.

وما زال أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان، ويتركون ابن الزبير حتى خرج إليه قريب من عشرة آلاف فأمّهم، وقتل أصحاب ابن الزبير جداً، حتى خرج إلى الحجاج، حمزة وحبیب ابننا عبدالله بن الزبير، فأخذوا لأنفسهما أماناً من الحجاج فأمنها. ودخل عبدالله بن الزبير على أمّه فشكا إليها خذلان الناس له وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله، وأنه لم يبق معه إلا اليسير، ولم يبق لهم صبر ساعة والقوم يعطوني ماشئت من الدنيا فما رأيك؟ فقالت: يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم إنك على حق، وتدعو إلى حق فاصبر عليه فقد قتل أصحابك عليه، ولا تمكن من رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية. وإن كنت تعلم أنك إنّما أردت الدنيا فلبس العبد أنت، أهلكك نفسك وأهلكك من قتل معك، وإن كنت على حق فما وهن الدين وإلى كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن.

فدنا منها فقبل رأسها، وقال: والله هذا رأيي. ثم قال: والله ماركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمة، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أماه فآتي مقتول في يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمي الأمر إلى الله فإنّ ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عمل بفاحشة قط، ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيته، بل أنكرته ولم يكن عندي آثر من رضى ربي عزوجل. اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسي. اللهم أنت أعلم بي مني ومن غيري، ولكني أقول ذلك تعزية لأمي لتسلو عني.

فقالت أمّه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدّمتني أو تقدّمتك ففي نفسي اخرج يابني حتى أنظر ما يصير إليه أمرك، فقال: جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعي الدعاء قبل وبعد. فقالت: لا أدعه أبداً لمن قتل على باطل فلقد قتلت على حق ثم قالت (١٥).

— اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت، فقابلني في عبدالله بن الزبير بشواب الصابرين الشاكرين. ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودّعه واعتنقتها ليودّعها — وكانت قد أضرت في آخر عمرها — فوجدته لابساً درعا من حديد، فقالت: يا بني ما هذا لباس من يريد ما نريد من الشهادة؟ فقال: يا أماه إنّما لبسته لأطيب خاطرك، واسكن قلبك به. فقالت: لا يا بني ولكن إنزعه فنزعه، وجعل يلبس بقية ثيابه، ويتشدّد، وهي تقول: شمر

ثيابك . وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قتل، وجعلت تذكره بأبيه الزبير،  
وجده أبي بكر، وجدته صفية بنت عبدالمطلب، وخالته عائشة زوج رسول الله (ص)، وترجيح  
القدم عليها إذا هو قتل شهيدا. ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها.

وكان يخرج من باب المسجد الحرام، وهناك خمسمائة فارس وراجل، فيحمل عليهم  
فيتفرقون عنه يمينا وشمالا ولا يثبت له أحد وهول يقول:

إني إذا أعرف يومي أصبر إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

وكانت أبواب الحرم قد قل من يجرسها من أصحاب ابن الزبير، وكان لأهل حصص حصار  
الباب الذي يواجه باب الكعبة. ولأهل دمشق باب بني شيبه. ولأهل الأردن باب الصفا.  
ولأهل فلسطين باب بني جمح، ولأهل قنسرين باب بني سهم. وعلى كل باب قائد ومعه أهل  
تلك البلاد. وكان الحجاج، وطارق بن عمرو، في ناحية الأبطح، وكان ابن الزبير لا يخرج  
على أهل باب إلا فرقههم وبدد شملهم، وهو غير ملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح، ثم يصيح  
لو كان قرني واحدا كفيته، فيقول ابن صفوان: وأهل الشام أيضا، إي والله وألف رجل. ولقد  
كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج بذلك، ثم يخرج إليهم فيقاتلهم كأنه أسد  
ضارى، حتى جعل الناس يتعجبون من إقدامه وشجاعته. فلما كان ليلة الثلاثاء السابع عشر  
من جمادي الأولى من هذه السنة، بات ابن الزبير يصلي طول ليلته، ثم جلس فاحتجى بحميلة  
سيفه فأغنى، ثم انتبه مع الفجر على عادته. ثم قال: أذن يا سعد فأذن عند المقام وتوضأ  
ابن الزبير، ثم صلى ركعتي الفجر، ثم اقيمت الصلاة فصلى الفجر. ثم قرأ سورة حرفاً حرفاً، ثم  
سلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اكشفوا وجوهكم حتى أنظر اليكم فكشفوا وجوههم،  
وعليهم المعافر، فحرضهم وحثهم على القتال، والصبر ثم نهض ثم حمل وحملوا حتى كشفوهم إلى  
الحجون فجاءته آجرة فأصابته في وجهه، فارتعش لها فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه  
تمثل بقول بعضهم:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ثم سقط إلى الأرض فأسرعوا إليه فقتلوه. وجاءوا إلى الحجاج فأخبروه (١٦).

وفي رواية وصلب ابن الزبير، بعد قتله منكسا على الثنية اليمنى من الحجون، وبعث

رأسه لعبد الملك بن مروان فطيف به في البلدان (١٧).

ولما استولى الحجاج على مكة وفرغ من أمر ابن الزبير، وبعث رأسه مع رؤس جمع من

أعيان دولته، إلى الشام عزم على عمارة البيت. ففي (الكافي) بإسناده عن أبان بن تغلب،

قال: لما هدم الحجاج الكعبة فرق الناس تراها فلما صاروا إلى بنائها، فأرادوا أن يبنوها



خرجت عليهم حية فنمت الناس البناء، حتى هربوا فأتوا الحجاج فأخبروه، فخاف أن يكون قد منع بناءها فصعد المنبر، ثم أنشد الناس فقال: أنشد الله عبدا عنده مما ابتلينا به علم لما أخبرنا به، قال: فقام إليه شيخ، فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى. فقال الحجاج: من هو، قال: علي بن الحسين عليهما السلام. فقال: معدن ذلك فبعث إلى علي بن الحسين (ع) فأتاه فأخبره ما كان من منع الله إياه البناء، فقال له علي بن الحسين (ع): يا حجاج عمدت إلى بناء إبراهيم، وإسماعيل، فألقيته في الطريق، وانتهتبه كأنك ترى إنه تراث لك إصعد المنبر، وأنشد الناس أن لا يبقى أحد منهم أخذ منه شيئا إلا ردّه. قال: ففعل فأنشد الناس أن لا يبقى أحد عنده شيء إلا ردّه. قال: فردّوه فلما رأى جمع التراب أتى علي بن الحسين (ع) فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا، قال: فتغييت عنهم الحية. وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد.

قال لهم علي بن الحسين (ع): تنحوا فتنحوا، فدنا منها فغطاها بثوبه ثم بكى، ثم غطاها بالتراب بيد نفسه ثم دعا الفعلة، فقال: ضعوا بناءكم، فوضعوا البناء فلما ارتفعت حيطاتها أمر بالتراب فقلب فألقى في جوفه فلذلك صار البيت مرتفعاً يصعد إليه بالدراج (١٨).

الثالثة...

ما وقع سنة ٣١٧ هـ بيد القرامطة في هذه السنة خرج ركب العراق متوجهين إلى مكة فوصلوها سالمين، وتوافت الركوب والقوافل هناك من كل مكان وجانب وفج، فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية، فانتهب أموالهم، واستباح قتلهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام، وفي جوف الكعبة من الحاج خلقا كبيرا، وهم حول الكعبة ما بين مصل وطائف ومشاهد، فدخل أبو سعيد القرمطي بفرسه، وركض بسيفه، وهو سكران ووضع هو وجماعته السيف وقتلوا في المطاف ألفا وسبعمائة، ورموا بهم في بئر زمزم، وقتلوا خارج المسجد أكثر من ثلاثين ألفا، وملؤا بهم الآبار والحفر، ونهبوا الديار وسبوا الصغار، وأخذوا خزانة الكعبة وما فيها، من القناديل والكسوة والباب، وقسم ذلك بين أصحابه. وجلس على باب الكعبة أميرهم، والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام، في الشهر الحرام، في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وأنشد:

أنا بالله وبالله أنا      يخلق الخلق وافنيهم أنا

فكان الناس يفرّون منهم، فيتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك منهم شيئا، بل يقتلون وهم على تلك الحالة، ويطوفون فيقتلون في الطواف ورموا القتلى في بئر زمزم، ودفن كثيرا

منهم في أماكنهم من الحرم، وفي المسجد الحرام، ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجة، وذلك المدفن والمكان، ومع هذا لم يغسلوا ولم يكفنوا، ولم يصل عليهم. وهدم قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلاً أن يرقى إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أم رأسه، فقد أصيب بسهم جاءه من جبل أبي قبيس فخر ميتاً، وطلع آخر فسقط ميتاً، فهابوا، فقال أبو طاهر: اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني (المهدي) الذي يزعم إنه منهم، وأراد أخذ المقام فلم يظفر لأن سدنته غيبوه في بعض الشعاب.

ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود فجاءه رجل فضربه بمثقل في يده، وقال: أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود، وأخذه حين عادوا إلى بلادهم. وتبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود، ليوضع مكانه وبذل له جميع ما عنده من الأموال، فلم يلتفت إليه فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي، وقتل أكثر أهل بيته وأهل مكة وجنده، واستمر ذاهباً إلى بلاده ومعه الحجر، وأموال الحجيج. وصار بذ ندقته يقول:

فلو كان هذا البيت لله ربنا	لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية	مجللة لم تبس شرقاً ولا غرباً
وإننا تركنا بين زمزم والصفاء	جنائز لا تبغي سوى ربها ربا

ويقال: أن عسكره كان سبعمائة نفس، فلم يطق أحد رده خذلانا من الله تعالى، وحمل الحجر الأسود معه يريد أن يحول الحج إلى بيت بناه في هجر. ولما ظهر عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين، خطب بأسمه القرمطي، وكتب إليه بذلك، فأجابه عبيد الله المهدي بكتاب جاء فيه:

— إن أعجب العجب إرسالك بكتبتك إلينا ممتنا بما ارتكبت في بلد الله الأمين، من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترماً في الجاهلية والاسلام. وسفكت فيها دماء المسلمين، وفتكت بالحجاج، والمعتمرين، وتجرات على بيت الله تعالى، وقلعت الحجر الأسود الذي هو ميم الله في أرضه يصافح به عباده، وحملته إلى منزلك، ورجوت أن أشركك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله، والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده، وقدم في يومه ما ينجوه في غده—.

فلما وصل الكتاب إلى القرمطي، إنحرف عن طاعته، وبعد عودة القرمطي إلى بلاده (هجر) رماه الله في جسده حتى قطعت أوصاله، وتناثر الدود، من لحمه، وطال عذابه. واستمر الحجر عندهم نحو اثنتين وعشرين سنة طمعاً، أن يتحول الحج إلى بلادهم، وبذل لهم

مدير الخلافة خمسين ألف دينار في ردّ الحجر فأبوا. وكذلك أرسل المنصور بالله الفاطمي بن القائم بن المهدي، إلى أحمد بن سعيد القرمطي أخى طاهر، بخمسين ألف دينار ليُرده فلم يفعل. ولما أيست القرامطة من تحويل الحج إلى بلادهم، ردّوه وجاؤا به إلى الكوفة وعلقوه على الاسطوانة السابعة من أساطين الجامع. وفي هذا العمل تصديق لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في مغيباته من التنبؤ بذلك، فقد روى أئمة الحديث عنه (ع) إنه قال، ذات يوم بالكوفة: لا بد أن يسلب الحجر الأسود في هذه السارية. وأومى إلى السارية السابعة. ثم حملوه من الكوفة إلى مكة وردّوه إلى موضعه. وحملوه على جل هزيل فسمن، ولما ذهبوا به إلى بلادهم مات تحته أربعون جملاً، وقالوا: أخذناه بأمر ورددناه بأمر.

وقد استوفى التاريخ ما كان للقرامطة من كوارث، وسيطرة وتغلب على البلاد، من الكوفة، والبصرة، والبحرين إلى أن اذهب الله تعالى، بشرّهم وفسادهم عن البلاد عام ٣٧٢ هـ (١٩).

ما أشبه الليلة بالبارحة:

الأحداث والكوارث الدامية التي اجتاحت مكة، وانتابت زوارها، لم تكن بخافية على أحد، وإنها قضايا ثابتة ودائمة وبقية على صفحات التاريخ... تتداولها الأجيال جيلاً بعد جيل، وقد يستغرب الباحث والقارئ لتلك المن والمجازر، ولا يكاد يصدّقها ويتقبلها، لأنها أعمال وحشية وهمجية بعيدة عن البشرية والإنسانية فلا يمكن تصوّرها وتخيلها، بالإضافة إلى وقوعها وتحقق جانب من جوانبها الأليمة... عشرات الآلاف من الزوار اجتمعوا من كل صوب وحدب، وجهة وبلدة وطائفة وقبيلة وحاضرة وبادية، يوم التروية في المسجد الحرام، في الشهر الحرام... لأداء مناسك الحج، فتداهمهم القرامطة بالسيوف والبغي والعبث والشر، وتفاجئهم بالموت والعذاب المرير، وتميط اللثام وتكشف القناع من أسرارهم، ونواياهم الخبيثة المنبعثة عن الكفر والإلحاد والشرك، ليجعلوا أنفسهم عرضة للعن والحزّي والسب والعار، وهكذا كانوا فستبق اللعنات تلاحقهم إلى مادامت الحياة.

فقد يرتاب البعض في صحة هذه الأحداث ويدعها جانباً، ويحسبها مختلفة ويسمّيها أسطورة... غير أن التاريخ أراد إثباتها وإقرارها، وذلك بأعادتها ثانية بعد أحد عشر قرناً في نفس المكان والموضع، وقد قيل من قبل: (التأريخ يعيد نفسه) فحدث نظيرها في المسجد الحرام... في الشهر الحرام... في يوم التروية... عام ١٤٠٧ هـ. ففي الوقت الذي كانت قد توجهت وفود الزائرين والحجاج، إلى بيت الله الحرام داهمهم أذئاب الوهاية المقبورة... وفلول

الإستعمار الصهيوني... وفتحوا عليهم النار، وقابلوهم بالحديد والحجارة، والقناني، وانهالت عليهم الحصاة والآجرة، من شرفات الفنادق وسطوح المحلات، وردهات البيوتات، والحجاج بمعزل عن كل سلاح، لأنهم ليسوا في ساحات حرب ومعركة، وإنما كانوا متسلحين بقوة الإيمان ومتجندين بعزيمة العقيدة، ومحرمين بملابس العبودية والإستكانة لله الواحد الفرد الصمد.

أجل داهمت شرطة العمالة الخفيفة... الحجاج وفتحت عليهم أفواه النيران، والرشاشات والقنابل المسيلة للدموع فكانت النتيجة المئات من الضحايا، والقرايين، والمجروحين، والشهداء الأبرياء، الذين ذهبوا ضحية البطش والبغي، والفساد، والشيطان... ثم عمدت إلى نهب الحجاج وسلبهم، واقتطاف المخدرات واختطاف الحرائر، وسبيهم والتطاول على الأعراض، والتواميس من دون ذمة ولا شرف، ولا حمية ولا كرامة ولا غيرة، وكانوا بفعلتهم المهمجية النكراء هذه أحقر وأذلّ من أهل الجاهلية الطخياء الذين كانوا يعظمون الحرم، والأشهر الحرم، فلا يعدو بعضهم على بعض فيها، ويلقى الرجل قاتل أخيه وأبيه، فلا يتعرض إليهم بسوء ولا يقتص منهم إلى أن تنقضى الأشهر الحرم.

ولم يسلم من العدوان، والتطاول، والقتل، والجرح، إلّا الذين هاموا بوجوههم شطر الجبال والأودية والبيداء، مع عدم عرفانهم ومعرفتهم بطرقها وشوارعها وأزقتها ومدخلها ومخارجها، وأمضوا ساعات طويلة مريرة لا يعرفون مصيرهم ومسيرهم، ولم يتعرفوا على أحوال سائر إخوانهم الحجاج، لكل إمريء منهم يومئذ شأن يغنيه.

وحين سكنت حدة البطش والغضب السعودي... قفل الزوار إلى منازلهم وعادوا إلى مساكنهم بقلوب دامية، وعيون باكية، وأكباد حرى يشكون إلى الله تعالى ظلم من أطلق على نفسه عنوان (خادم الحرمين) وفتكه وبطشه، وتلاعبه بمقدسات الشريعة... طغام، جفافة، طغاة تمادى فيه عبثه وحقه وجشعه، وعمالته فبذل الأمن والطمأنينة والسلامة في الحرمين، إلى الخوف والذعر والإضطراب والختوع.

نبكي فرّنة عبرة تشفي ظمأ  
ظلمنا وأجسادنا تغسلها الدما  
في الليل من فوق البسيطة أنما  
بعد الحجاب فأصبحت مثل الأما  
نحو المنون معظما فعظما  
ليل الضلال إذا ضلال أهما

يا سعد قف في مكة بي ساعة  
نبكي نفوس تق تراق على الظي  
نبكي لصرعى في التراب تخاها  
نبكي حرائر هتكت أستارها  
نبكي على النفر الذين تتابعوا  
نبكي البدور الكاسفات بنورها

نفست بهم أرض الحجاز فلم تزل	تحنى العظم وتستفيد الأعظم
ولعت بكسف النيرات فأكسبت	شرفا عليه الدهر تحسدها السا
لعبت بهم أيدي الخطوب فاصبحوا	نهباً بأيدي الظالمين مقسا
فتراهم فيها كما شاء العدى	للسمر ريتا والصورم مطعما
يا للرجال ولا رجال هذه	الظخيا التي أفوت من الدين الحمى

قد توجد في الأنحاء البربرية والهمجية التي لا يزال أهلها وسكانها، يجتازون مراحل الوحشية بلد يظلم فيه الناس ويسامون الخسف وأنواع العدوان. ولكننا لو بحثنا في الحواضر المعمورة على بقعة يصاب فيها عبادة الله بكل أنواع المظالم والعنف والإستبداد، وسوء المعاملة لم نجدتها كذلك في غير الحرمين الشريفين... في مكة المكرمة، حيث بيت الله الحرام، والمدينة الطيبة، حيث مسجد رسول الله (ص) وعاصمة الخلافة الإسلامية.

إنّ الحجاج يغادرون بلادهم ويبتعدون عن موطنهم وأولادهم، ويكابدون الكثير من وعثاء السفر ومتاعب السير، والمواصلات عن طيب نفس، ورضا خاطر ابتغاء للشواب، وطلباً لأداء المناسك وعند وصولهم إلى الحجاز وقبل أن يطؤا أرض الحرمين، ينقض عليهم جلاوزة الحكام ويسومونه بسوء العذاب، ويعاملونهم معاملة العبيد الأذلاء. وهذه الحالة لم تكن مقصورة وخاصة بوقتنا الحاضر فحسب، وإنما نجد الحالة هذه حتى في القرون السالفة والأعوام الغابرة، بيد أنها كانت شديدة الوطأة بالنسبة للحجاج الإيرانيين سيما بعد قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية... التي كانت منذ لحظة الأولى شوكة في عيون الظالمين الجفاة، والحاسدين الطغام.

صحيح أن العمالة تستدعي التخلي عن كافة القيم، والمثل الإنسانية، ولكنها هل تفرض على العميل التجرد عن الشرف والحمية والكرامة والغيرة؟ ولعل حكام السعودية... حين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكراهم... ودفع إليهم بالمخطط العدواني الأثيم... قد تأملوا عواقبه، وتدبروا نتائجه القاضية بحياتهم، وتداولوه فيما بينهم، وانتهوا وتوصلوا إلى نقطة واحدة، هي أن تنفيذ المخطط الصهيوني، وتلويث حرمة البيت الحرام بدماء الحجاج الأبرياء أهون من تنحيهم عن العرش والكرسي المنار، فكانوا في الواقع كالباحث عن حتفه بظلفه...

وهنا قد يتسائل البعض، ويقول: قد أحل الله سبحانه بأصحاب القيل حسبا ذكره في كتابه، ولم يفعلوا بمكة شيئا مما فعله القرامطة في الأمس الغابر، وحكام السعودية في الوقت الحاضر، وأنهم فعلوا بما لم يفعله أحد، فهلا عوجلوا بالعذاب والعقوبة كما عوجل أصحاب

الفيل، والقرامطة..؟ فقد أجيب عن ذلك بأن أصحاب الفيل، إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت، ولما يراد به من التشريف العظيم، بأرسال النبي الكرم من البلد الذي فيه البيت الحرام. فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها، وإرسال الرسول منها أهلكتهم سريعاً عاجلاً، ولم تكن بعد شرائع مقررة، تدل على فضله فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله. وأما القرامطة، وحكام الحجاز فإنما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة، والكعبة. والجميع يعلم أن هؤلاء قد ألدوا في الحرم إلحاداً بالغاً عظيماً، بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله (ص) لهذا لم يفتقر الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة، بل أخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار. والله سبحانه يمهل، ويملي، ويستدرج، ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر. كما قال رسول الله (ص): إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار (٢٠).

\*\*\*



الهامش:

- (١) الكافي ٢١٧/٤. شهداء الفضيلة/١٨٩.
- (٢) أخبار مكة ٣٩٤/١.
- (٣) البداية والنهاية ٣١/٩. أخبار مكة ٣٩٥/١. تاريخ الطبري ٢/٧ حوادث سنة ٨٠ هـ.
- (٤) تاريخ الطبري ٣٤٧/٨. المنتقى في أخبار أم القرى/٣٠٢.
- (٥) مرآة الحرمين ١٩٨/١. أخبار مكة ٣٩٧/١. شذرات الذهب ٢٠/٢.
- (٦) مرآة الحرمين ١٩٩/١.
- (٧) مروج الذهب ٣٠٧/٤.
- (٨) المنتقى في أخبار أم القرى/٣٠١-٣٠٥.
- (٩) سلافة العصر/٦٥. شهداء الفضيلة/١٨٢.
- (١٠) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٣٣٩/٤.
- (١١) شهداء الفضيلة/١٨٤-١٨٩. دارالسلام ١١٦/٢.
- (١٢) ترجم له في - أعيان الشيعة ١٤٠/٣٥. دارالسلام ١١٣/٢. الذريعة ٣٦٢/٢١. رياض العلماء ٣٩٩/٢. شهداء الفضيلة/١٨٠. مستدرك الوسائل ٤١٠/٣. نجوم الساء/٩٧.
- (١٣) البداية والنهاية ٢١٧/٨. المنتقى في أخبار أم القرى/١٦٨. شهداء الفضيلة/١٩١.
- (١٤) البداية والنهاية ٢٢٢/٨.
- (١٥) ام عبدالله بن الزبير، هي أساء بنت أبي بكر ولدت سنة ٢٧ قبل الهجرة، وماتت عام ٧٣ هـ ولها مائة سنة ولم يسقط لها سن. ولم ينكر لها عقل.
- (١٦) البداية والنهاية ٣٢٩/٨.
- (١٧) تاريخ الطبري ٢٠٥/٧. المنتقى في أخبار أم القرى/١٧٠.
- (١٨) الكافي ٢٢٢/٤. شهداء الفضيلة/١٩٣.
- (١٩) البداية والنهاية ١٦٠/١١. شهداء الفضيلة/١٩٤. معجم البلدان ٢٢٤/٢. دائرة معارف فريد وجدي ٧١٣/٧. الإعلام بأعلام بيت الله الحرام/١٦٣-١٦٧.
- (٢٠) سورة ابراهيم/٤٢.





مكة

في مخالب الوهابية والصهاينة



أولاً والحكام الذين تقلدوا إمارة مكة وحكومتها، عبر القرون الغابرة في الجاهلية، وحتى في العهد الإسلامي المشرق أولوا مكة... وسكنتها وزوارها وشعائرها ومآثرها الرعاية الكاملة، والعناية الفائقة لقدسيتها وعظمتها وجلالتها، وكبريائها المستمدة من الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كفواً أحد... في المرتبة الأولى، ومن ثم لأنها بيت الله سبحانه الذي جعله للناس مباركاً فيه آيات بينات، ومن دخله كان آمناً... منذ أن تدرج الإنسان على وجه البسيطة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهي كما أسلفنا الحديث عنها لا تخص بعهد ولا طائفة ولا قبيلة ولا عشيرة ولا رجال ولا عصابة، وإنما هي من دون أي تخصص ومنازعة تتعلق بكافة المسلمين، وأفراد البشرية على اختلاف لغاتهم، وتباين جنسياتهم، ومللهم. لذلك نجد الخلفاء والملوك في العهود الإسلامية يوفدون ويولون عليها حكاماً وولاء متحلين بسمات الفضيلة والإيمان، والخير والصلاح، والورع والشرف، لكي لا يجعلوا مكة وشعابها كبقية الحواضر والمدن، من كافة الأبعاد والجهات، بل تكون لديهم منزلة رفيعة، تتميز عما سواها في جميع الجوانب، مع غض النظر عن سيرة أفراد حكموا فيها بالقوة والسيف، وأخذوا سكانها بنوع من العسف إلا أن مكثهم وأقامتهم فيها لم تدم، وابدلوا بغيرهم بعد أيام قليلة.

وكيف لا تكون كذلك، وهي مهد الأنبياء والرسل، وكهف الأئمة والأوصياء، وملجأ العاكفين والراكعين والساجدين، وقد أوجب الله سبحانه حجها وزيارتها فرضاً لمن استطاع إليها سبيلاً... بعد أن جعل في التوجه إليها في كل ساعة، وشهر، وعام، منافع وخيرات لا تحصى، سواء من الناحية الفردية الخاصة بوجود الإنسان وحده فيندفع بها من مراتع البهائم والفساد، صوب الحقيقة والواقع، ويتحرر من قيود ذل الناسوت، واسر الجبت والطاغوت. ويترفع إلى مجاورة صقع الملكوت، والتخلي من رذائل الأخلاق ودنائتها، والتخلي بشرائف الصفات وفضائلها. وقد شاهدت الكثير الكثير من الشباب والشيخوخ المنجرفين في طيات أمواج الفساد، وتيارات الفحشاء، أنهم بعد أن وفقوا إلى حج بيت الله الحرام، وأبصروا آيات الله وعظمتته وجبروته، عادوا إلى بلادهم بإيمان كامل، وعقيدة راسخة، وتوجه بالغ للعبودية. وبذل المساعي والجهود في تطهير قلوبهم عن إدراخ المجتمع وأرجاسه، وتهذيب

نفوسهم عن أقدار البيئته والرواسب الدخيلة وانجاسها، مع الإعراف أنهم قبل توجههم إلى مكة كانوا تائهين في بقاء الضلال والميوعة فما عليه الآن إلا أن يصرف جده، ويجهد جهده في استخلاص نفسه عن لصوص القوى الأمارة بالسوء، مادام الإختيار بيده، والفرصة سانحة له اليوم إذ لا تنفعه الندامة والحسرة في غده، ولئلا يقول (رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون).<sup>١</sup>

فإذا رجع الإنسان وهو على هذه الحالة الشريفة، والصفة الكريمة، والتوجه والإقبال إلى الخالق تعالى، فإن الله سبحانه مع اليقين سيتوجه على عبده، ويكمله بالتوفيق ويغدق عليه عنايته ورحمته وبركاته، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وكلما تقرب العبد إزدادت نعم الله سبحانه عليه، واكتنفته الإمدادات المعنوية، وغدى من ذوي الكرامات، وخرق العادات، والسر في ذلك أن النفس كلما إزدادت يقيناً إزدادت تجرداً فتحصل لها ملكة التصرف في موارد الكائنات. وإلى هذا يشير الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام في قوله: — اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب —.

هذه المرحلة يمكن الوقوف عليها واستحصاها إذا لم يلتفت العبد في أعماله بغير الله سبحانه، ولا يكون إتكاله في مقاصده إلا عليه، ولا ثقته في مطالبه إلا به فيتبى عن كل حول وقوة، سوى حول الله وقوته، ولا يرى لنفسه ولا لأبناء جنسه قدرة ومناعة على شيء ولا منشأة لأثر. ويعلم أن ما يرد عليه منه تعالى، وما قدر له وعليه من الخير والشر سيساق إليه، فتستوى عنده حالة الوجود، والعدم، والزيادة والنقصان، والمدح والذم، والفقر، والغنى، والصحة، والمرض، والعز، والذل، ولم يكن له خوف ورجاء إلا منه تعالى، والسرف فيه إنه يرى الأشياء كلها من عين واحدة هو مسبب الأسباب، ولا يلتفت إلى الوسائط بل يراها مسخرة تحت حكمه. وقد أشار الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى، فقال: من ضعف يقينه تعلق بالأسباب، ورخص لنفسه بذلك، واتبع العادات وأقاول الناس بغير حقيقة، والسعى في أمور الدنيا، وجمعها وامسأكها، مقراً باللسان أنه لا مانع ولا معطى إلا الله، وأن العبد لا يصيب إلا ما رزق وقسم له، والجهد لا يزيد في الرزق، وينكر ذلك بفعله وقلبه. قال الله سبحانه: (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون).<sup>٢</sup>

وقال عليه السلام: — ليس شيء إلا وله حد، قيل: فما حد التوكل؟ قال: اليقين. قيل: فما حد اليقين؟ قال: ألا تخاف مع الله شيئاً —.

وقال أيضاً عليه السلام: — من صحة يقين المرء المسلم ألا يرضى الناس بسخط الله، ولا يلومهم على ما لم يؤته الله فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره، ولو

أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت .

فإذا كان العبد في جميع الأحوال خاضعاً لله سبحانه، خاشعاً منه قائماً بوظائف خدمته في السر والعلانية، ومواظباً على العبودية وامثال ما أعطته الشريعة من الفرائض والسنن، متوجّهاً بشرائره إليه، متخضعاً متذليلاً بين يديه، معرضاً عما في أيدي الناس وعن جميع ماعداه، مفرغاً قلبه عما سواه، منصرفاً بفكره إلى جناب قدسه، مستغرقاً في لجة حبه وانسه. والسر أن صاحب اليقين عارف بالله وعظمته وقدرته، وبأن الله تعالى مشاهد لأعماله، وأفعاله، وحركاته، وسكناته، مطلع على خفايا ضميره وهو اجس خاطره وإن (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره (٣) فيكون دائماً في مقام الشهود لديه والحضور بين يديه، فلا ينفك لحظة عن الحياء، والخجل، والإشتغال، بوظائف الأدب، والخدمة ويكون حينئذ سعيه في تخلية باطنه عن الرذائل، وتخليته بالفضائل، والقيم الرفيعة، لعين الله الكالئة أشد من تزيين ظاهره لأبناء نوعه.

هذا وقد ذكر الله منافع زيارة بيته الحرام، وأكد على خيراتها الوافرة في عدة آيات منها

قوله:

(وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا

منافع لهم ويذكروا اسم الله). (٤)

و (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق. ولكل أمة جعلنا منسكاً

ليذكروا اسم الله). (٥)

فقد ذهب أكثر المفسرون أن المنافع هنا اطلقت ولم تنقيد بالدنيوية أو الاخروية لأن المنافع نوعان: منافع دنيوية، وهي التي تتقدم بها حياة الإنسان الإجتماعية، ويصفوها العيش وترفع بها الحوائج المتنوعة، وتكمل بها النواقص المختلفة، من أنواع التجارة، والسياسة، والولاية، والتدبير، وأقسام الرسوم، والآداب، والسنن، والعادات، وشتى التعاونات، والتعاضدات الإجتماعية وغيرها.

فإذا اجتمعت أقوام وأمم وشعوب، من مختلف الحواضر والأقطار على ما هم عليه من تباين الأنساب، والألوان، والسنن والرسوم والديانات، ثم تعارفوا بينهم وتداولوا الحديث والبحث حول مشاكلهم وقضاياهم على الصعيدين الإسلامي والوطني، لا شك أن الحالة هذه تحملهم على إتحاد الأرواح، وتقارب الأشباح، ووحدة القول على تشابه الفعل، فأخذ هذا من ذلك ما يرتضيه، وأعطاه ما يرضيه، واستعان قوم بآخرين في حل مشاكلهم، وأعانواهم بما في

مقدرتهم فيبدل كل مجتمع جزئي مجتمعاً أرقى، ثم امتزجت المجتمعات فكوّنت مجتمعاً قوياً وسيعاً له من القوة والعدة مالا تقوم له الجبال الرواسي، ولا تقوى عليه أي قوة جبارة طاحنة، ولا وسيلة إلى حل مشكلات الحياة كالتعاقد. ولا سبيل إلى التعاضد والتضامن والتكتل، كالتفاهم، ولا تفاهم كتفاهم الدين، وعلى صعيده الركين.

وبعبارة أوضح أن أصحاب السلطة ورجال الأمة، وقادة الشعب في المسلمين إذا أرادوا أن يستخدموا الحج في إحداث الوحدة الإسلامية، وعرض مشاكلهم على الصعيد الدولي لنجحوا فإن اجتماع عشرات الألوف من الوفود في صعيد واحد، من كافة أقطار الأرض واتجاه قلوبهم وآذانهم في ذلك الموقف المهيب لكل ما يلقي اليهم يستوجب أن يتأثر الكل بروح واحدة، سيما إذا دعوا إلى ما فيه خير المسلمين وسعادتهم، فإذا رجعوا لأقطارهم وبلادهم وتشعبوا في قراهم وأمصارهم، أذاعوا ما تعلموه بين ذوبهم، وكانوا لهم كأعضاء مؤتمر عام يضم من جميع الأجناس والأجيال، يجتمع أعضاؤه في كل سنة مرة فأي أثر تقدره لذلك الحادث الجلل في حياة هذه الأمة الضخمة، وأية نتائج جليلة ومثمرة ترجوها منه؟ إذا ساعد نهوض هذه الأمة من رقدتها، فسيكون الحج من أكبر عواملها، ولا يسبقن ففكر أن الأمم الأجنبية المحتلة لبعض بلاد المسلمين تمنع رعاياها عن الحج إذ ذاك فإن حركة الحياة لودبت في الأمم فلا يستطيع أن يوقفها شيء، والله الأمر من قبل ومن بعد. (٦)

أما المنافع الآخروية، وهي وجوه التقرب إلى الله تعالى، بما يمثل عبودية الإنسان من قول وفعل، وعمل الحج بماله من المناسك يتضمن أنواع العبادات، من التوجه إلى الله وترك لذائذ الحياة، وشواغل العيش والسعي إليه بتحمل المشاق والطواف حول بيته والصلاة، والتضحية، والإنفاق والصيام وغير ذلك.

إن إتيان الناس إلى مكة وحضورهم عند البيت لزيارته، يستعقب شهودهم هذه المنافع أخروياً ودينياً، وإذا شهدوها تعلقوا بها لأن الإنسان مجبول على حب النفع. والواقع الذي ينبغي القول به وليس في الحق مغضبة... أن الحج بكامل أركانه، وجزئياته، ومراسمه، وطقوسه، لم يكن غير مؤتمر متجول وصعيد عالمي، يجتمع فيه المسلمون كل عام في أيام معينة، لا للعبادة والعبودية فحسب، لأن هذه العبودية قد تتأني بها في كل مكان وزمان، من دون أن يفتقر الإنسان بها إلى قطع المسافات الطويلة المتعبة والمنازل الوعرة المرهقة... وإنما يتحمل الإنسان المشاق، والمصاعب، لتحقيق أهداف عالية، ومقاصد سامية، دنيوية ودينية، لا يمكن تحقيقها إلا في ذلك المؤتمر العام، والمجتمع الأخوي الصادق الذي تتجلى فيه عظمة المسلمين، وتضامنهم وشخصيتهم، وتعاضدهم، ووحدهم، واتحادهم

المتين، واجتماع كلمتهم في التوحيد، والنبوة، والقبلة، والكتاب، والتشريع الإسلامي المقدس... ومن ثم الإستعانة من الله تعالى في حل المشاكل والعقد التي تشد الخناق على المسلمين في شرق الأرض وغربها، في كل فترة وزمان ومكان. والتعارف والتفاهم وتبادل الزيارات التي تتحقق بها معنى الآية الكريمة: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (٧) ففرق الله سبحانه أنساب الناس ليتعارفوا، لا ليتفاخروا فيعرف بعضهم بعضاً بنسبه وأبيه وقومه ولولا ذلك لفسدت المعاملات، وخربت الدنيا، ولما أمكن نقل حديث.

وقد ذكر المفسرون أن الآية مسوقة لنفي التفاخر بالأنساب، وعليه فالمراد بقوله: — من ذكر وأنثى — آدم وحواء. والمعنى أنا خلقناكم من أب وأم تشتركون جميعاً فيها، من غير فرق بين الأبيض، والأسود، والعربي، والعجمي، وجعلناكم شعوباً وقبائل مختلفة لا لكرامة لبعضكم على بعض، وإنما لأن تتعارفوا فيعرف بعضكم بعضاً، ويتم بذلك أمر إجتماعكم فيستقيم مواصلا تكم، ومعاملا تكم، فلو فرضنا ارتفاع المعرفة من بين الأفراد، إنفصم عقد الإجتماع، وبادت البشرية ولم يثق أحد بآخر فيتلاشى المجتمع...

أجل إن المسلمين خلال أيام الحج القصيرة، يتمكنون من القيام بأعمال حيوية وجهود موفقة كبيرة مثمرة، من اظهار رسالتهم، ونشر الخير والصلاح، والاخوة وبث التعاليم الإسلامية بين الحجاج، وتبيان عوامل يقظتهم، ووثبتهم، وانتفاضتهم الظافرة، والتحدث عن المراحل الشاذة والعواصف الهوجاء الدخيلة العارمة التي تنتاب أقطارهم، وأخيراً توجيه المشاعر والانظار، والأفكار العامة العالمية، نحو المشاكل والعقبات التي تختلقها الطغاة والمفسدون، وتضعها أمام سير عجلة زحفهم المنتصر بحول الله وقوته... بعد أن إختار الله لهم التحرر والثورة كرامة لهم.

إن الشعب الإيراني المثابر، والمناضل، والمجاهد في سبيل رسالته التحررية الإسلامية، إستطاع أن ينفث روح اليقظة والتحرك والإنطلاق في جسم الشعوب المسلمة المتآخية من هذا السبيل، ويدفعهم إلى الوثبة والثورة ضد الطغاة والمفسدين، خلال السنوات الأخيرة فقد تكلم، وتحدث خلال مواسم الحج للمسلمين، عن أهداف صرخاته الإنقلابية، ومقاصد رسالته الثورية بكل حكمة، وتدبر، وسياسة، وواصل نهجه هذا في كل عاء فكانت النتيجة مثمرة ومنافعها يانعة، وتبلورت في النفوس بحيث لا تجد قطراً إسلامياً أو عربياً إلا وفيه يقظة وناراً وتحركاً ضد العملاء وأذئاب الإستعمار... وتكتلا وتضامناً وثيقاً بين أقشار الشعب المتطلع إلى شواطئ التحرر والإستقلال والتقدم والإزدهار، بعد أن تغلغلت الاخوة،

والتضامن، والعقيدة أعماق القلوب كما كان المسلمون عليه عند فجر الإسلام، حين ظهر التشريع الإسلامي على يد المشرع الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء لهذا المجتمع البدوي العقيدة التي فتحت عقول أبنائه ونفوسهم على قيم جديدة، غير القيم الجاهلية التي كانوا عليها... وعندما هداهم إلى نظرة للكون وإلى حياة الدنيا والآخرة، غير نظرهم الجاهلية التقليدية، ففجّر إمكاناتهم الهائلة تفجيراً، وحدّهم بعد طول شتات، وبدل من نظمهم الإجتماعية والسياسية، وجعل منهم إخوة متساوين لا يفضل الواحد منهم الآخر، إلا بمقدار ما يمتاز عليه من وعي للعقيدة وتمسك بها، واتباع لأحكامها في حياته وتصرفاته، وعلاقاته مع الآخرين.

هذا وكما شملت الثورة الإيرانية المظفرة كافة نواحي حياة الشعب الفردية والإجتماعية، وأخرجتها من صبغتها الإستعمارية، وحررتها من قيود الأسر، وكابوس الإستعباد أخذت قضية الحج تتحرك وتتطلع أيضاً إلى عالم وصعيد جديد، وتحتل الصدارة وتأتي في الرعيّل الأول من معطيات الثورة الإسلامية، وانتقلت من شكلها الضيق المحدود، وطابعها القديم إلى عالم القوّة والمناعة، والحيويّة، والتجدد، والنمو من ناحية الإتجاه والدعوة والجهاد والنضال، لثلاث تقتصر الثورة بمعطياتها للشعب الإيراني فحسب، بل تتجاوز وتعم أرجاء شبه الجزيرة، وتسرّب إلى البلاد المجاورة، وتتنعم بخيراتها الشعوب الإسلامية، وتسير على مناهجها وتتقدّم على هداها، وتستفيد من آثار وقيم ثورتها الشعبية.

ولم يكن التطلع والتحوّل الحادث في قضية الحج بشيء جديد في سياسة الجمهورية الإيرانية الإسلامية... وإنما كان يخالج فكرة قائدها العظيم، منذ سنين وكان من بين سلسلة مشاريعه المتطورة وأعماله وأهدافه التحرريّة، وخطواته المظفرة الناجعة، إذ كان يبعث بصرخاته المدوية القامعة للإستعمار والعملاء، وبنداءاته العارمة والمدقّرة لعروش الطغاة والظالمين، في كل مواسم الحج، لتتلى على الحجاج المسلمين، وتلقى على مسامعهم عسى أن تتيقظ ضمائرهم وتتوقّد نيران عزائمهم، ويستنهض فيهم الوعي السياسي، والحمية والغيرة الإسلامية، ويقدموا على ما فيه صلاحهم وخيرهم وانتصارهم وشرفهم وكرامتهم في الدارين... لأن الإستسلام للإستعمار والشياطين، والرضوخ إلى الذلّ والهوان أحلام وهمية لا تجلب لهم شيئاً من الشرف والكرامة، دون أن تدفع بهم إلى شفير الهاوية، ومهابط الهلكة والشقوة والدمار... والشرف الحقيقي، والعز الواقعي، هو الذي يوصل الإنسان إلى سعادته الحقيقية، وهو حياة النضال والكفاح والجهاد في سبيل العقيدة والنظام والتشريع الإسلامي، وهي الوسيلة الفذة والطريقة الوحيدة المؤدية الموصلة إلى سعادة الدار الآخرة وتتبعها سعادة



إن قائد الثورة... وعملاق الإنقلاب... لم يكتف بتنظيم الخطابات وتحجير النداءات، بل نقلها وحوّلها إلى واقع محسوس فحوّل مجتمع إيران، من الجمود، والذلل، والفساد، والتخلف، والفقر، والجهل إلى شعب علمه معنى المواطنة والإستقرار والإنتلاق والسيادة والكرامة، وأشاع بينهم روح المعرفة، وطلب العلم والفضيلة فكان بعمله الضخم هذا عمل تبديل مفاهيم مجتمع بأسره، ونقله من طور شديد التخلف إلى طور جديد، أكثر تقدماً وأعلى مستوى في سلم الحضارة البشرية... وكانت ثورته وانتفاضته أعظم خطوة تحررية تقدمية، وعميقة عرفته الوطن الإسلامي الكبير في القرن الرابع عشر الهجري.

لقد وضع نواة مجتمع جديد... وساعد الثورات الوطنية الإسلامية في كل بلد إسلامي وعربي... ورعى حركات التحرر والإستقلال... وناهض الإستعمار ونازل الصهيونية... ونادى بالتضامن والتعاون الإسلامي.

في ذي الحجة عام ١٣٩٠ هـ، أوفد من النجف الأشرف بأول ندائه وخطابه الكريم، الداعي إلى مناهضة الإستعمار وتطهير الأراضي المقدسة، وتخليص الحرمين الشريفين، من جرائم الوهابية المقيتة، والصهانية العميلة المقبورة، وإليك نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كافة حجاج بيت الله الحرام أيدهم الله تعالى

بعد السلام ووافر التحيات...

أليوم حيث نشبت برائن الإستعمار الخبيثة، بسبب تهاون وتساهل الشعوب الإسلامية في أعماق الأرض المترامية لأمة القرآن، لتنهب جميع الثروات الوطنية، والخيرات الطائلة، ولتنشر الثقافة الإستعمارية المسمومة في أعماق قرى وأرياف العالم الإسلامي، ولتقضى على ثقافة القرآن، وتجند الشباب أفواجا في خدمة الأجانب والمستعمرين، وتطلع علينا كل يوم بنغمة جديدة، وبأساء خادعة تضلل بها شبابنا (في مثل هذه الظروف) عليكم يا أبناء الأمة الأعزاء المجتمعين لأداء مناسك الحج في أرض الوحي هذه أن تستثمروا الفرصة وتفكروا في الحل.

تبادلوا وجهات النظر، وتعاونوا وتدارسوا في حلّ مسائل المسلمين المستعصية. إعلموا أن هذا الإجتماع الكبير الذي يعقد سنوياً بأمرالله تعالى، على هذه الأرض المقدسة يفرض عليكم أنتم المسلمين أن تبذلوا الجهود في تحقيق الأهداف الإسلامية المقدسة، ومقاصد الشريعة المطهرة الرفيعة، وفي سبيل تقدم المسلمين، واتحاد المجتمع الإسلامي

وتلاحمه.

لتشترك أفكاركم وعزائمكم في طريق الإستقلال، واقتلاع جذور سرطان الإستعمار. إنصتوا إلى مشاكل الشعوب المسلمة من لسان أهل كل بلد... ولا تؤلوا جهداً في اتخاذ أي إجراء لحل مشاكلهم.

تدارسوا أمر الفقراء والمساكين في العالم الإسلامي.

إبحثوا عن الطرق المؤدية لتحرير أرض فلسطين الإسلامية من برائن الصهيونية، العدو اللدود للإسلام والإنسانية.

لا تغفلوا عن مساعدة الرجال المجاهدين الذين يناضلون من أجل تحرير فلسطين، ومن تقديم المساعدات إليهم.

على العلماء المساهمين في هذا الإجتماع من أي بلد كانوا أن يصدروا بعد تبادل وجهات النظر بيانات مستدلة في إيقاظ المسلمين، وأن يوزعوها في مهبط الوحي بين أبناء الامة الإسلامية، ومن ثم ينشروها في بلدانهم حين عودتهم إليها. وعليهم أن يطالبوا زعماء البلدان الإسلامية بوضع الإسلام نصب أعينهم، ويتجنبوا الاختلافات ويبحثوا عن علاج يؤدي للتخلص من مغالب الإستعمار.

إن قادة البلدان الإسلامية إذا كفوا عن الإختلافات الداخلية، والنزعات الشخصية، وتفهموا أهداف الإسلام السامية، واتجهوا نحو الإسلام لما أصبحوا بهذه الحالة اسرى ذليلين بيد الإستعمار... إن اختلافات زعماء البلدان الإسلامية هي التي خلقت مشكلة فلسطين، وتحول دون حلها... ولو أن سبعمائة مليون مسلم برقعهم الأرضية المترامية الأطراف كانوا يمتلكون وعياً سياسياً، وكانوا متحدين متماسكين ومتضامنين في صف واحد لما تمكنت الدول الإستعمارية الكبرى أن تنفذ إلى بلدانهم، فما بالك بجفنة من اليهود من عملاء الإستعمار.

في هذا الإجتماع الكبير الحج الذي ينبغي أن يستثمر لصالح الإسلام والمسلمين، يرى كثيراً مع الاسف أن بعض الأقلام المأجورة لعملاء الإستعمار، تنشر في مركز الوحي لسنوات أوراقاً باسم (الخطوط العريضة) وأمثالها للتفرقة بين صفوف المسلمين، خلافاً لمقاصد صاحب الوحي، وتساعد على ذلك المستعمرون، وتستهدف عن طريق الكذب والإفتراء أن تفصل ما يقارب من مائة وخمسين مليون مسلم عن صفوف المسلمين. إنه لمن العجيب أن تسمح حكومة الحجاز بنشر هذه الأوراق المضللة في عاصمة الوحي.

على الشعوب الإسلامية تجنب مثل هذه الكتب والنشرات الإستعمارية المفرقة.

وطرد هؤلاء الأشخاص المعارضين لوحدة المسلمين. وفي هذا الاجتماع المقدس للحج عليهم أن يتبادلوا وجهات النظر في القضايا الإسلامية الأساسية أولاً، وفي المسائل المتعلقة للحواضر الإسلامية ثانياً. وأن يروا ما يعانیه المسلمون داخل بلدانهم على يد الإستعمار وأذنا به.

وعلى أهالي كل بلد أن يشرحوا في هذا الاجتماع المقدس مشاكل شعبهم للمسلمين. وأنا بحكم الواجب أشير إلى جانب من مشاكل الشعب الإيراني المظلوم، ليعلم مسلموا العالم ما يحل بالشعب المنكوب لهذا البلد الإسلامي.

إن آثار الإستعمار المشؤمة في هذا البلد مشهودة أكثر من سائر البلدان الأخرى.

إسرائيل عدوة الإسلام والمسلمين اللدودة التي تحارب منذ أمد الشعوب الإسلامية، ولها عن طريق حكومة إيران الخبيثة... يد في جميع الشؤون الإقتصادية والعسكرية، والسياسية. ويجب القول أن إيران أصبحت قاعدة عسكرية لأسرائيل بل في الحقيقة لأمريكا. والأجانب في هذا البلد يتمتعون بصيانة تامة، لكن العلماء والباحثين والأساتذة وبقية الفئات غير مصونين من أي ظلم وتطاول.

والتجار المحترمون يعلنون إفلاسهم تبعاً، والجهاز الحاكم يشدد الخناق بكل قوة على هذا الشعب المظلوم.

يسود الإضطهاد والسجن وتعسف القرون الوسطى.

وباسم كتائب التعليم، وكتائب الصحة، وغيرها من الأسماء الخادعة يجرى تنفيذ الأهداف الإستعمارية المشؤومة مقروناً بنشر الفحشاء في أعماق القرى والأرياف. ومحاربة العلم والثقافة مستمرة بشدة، وتستهدف أن تبقى الشعب البائس متخلفاً بأمر المستعمرين.

يتظاهرون أنهم مسلمون، ثم يشمرون عن ساعد الجد باسم الإسلام للقضاء على الإسلام، وإبادة أحكام القرآن المقدسة واحداً بعد آخر.

العلماء الأعلام، وطلبة العلوم الدينية يرسفون تحت ضغط عملاء الإستعمار.

يريدون أن يسيطروا على مدارس العلوم الدينية والمساجد، والمحافل الإسلامية، وقد نفذوا مقداراً من هذا البرنامج. بحجج واهية، يهجمون على الجماعات، ويسوقون الشباب الأطياب من الجامعة إلى السجن والمسكر. الحوادث الأخيرة في جامعات إيران، والهجوم الوحشي الشرس الذي شنّه الجهاز الحاكم المتجبر على الطلبة، قد جعلنا متأثرين جداً، وهذا الاسلوب اللإنساني نموذج آخر من مخطط الإستعمار لقمع الجامعات والطلبة. إنني أستنكر بشدة هذه الأعمال المغولية المتخلفة. ولي ثقة أن الطلبة الغيارى الأوفياء لوطنهم سوف لا يتراجعون ولا يستسلمون أبداً.

هذه الثورة الدموية المحزية المسماة بالبيضاء التي أزهقت في يوم واحد بالدبابات والرشاشات أرواح خمسة عشر ألف مسلم. كما هو المعروف قد جعلت حياة الشعب أكثر ضنكا. وأبادت أكثر حياة الفلاحين والمزارعين المقيمين. واليوم تفتقد كثيراً من المدن، وأكثر القرى المستوصف والطبيب والدواء، وليس فيها مدرسة ولا حمام ولا ماء شرب سالم. وحسب اعتراف بعض المطبوعات، يؤخذ الأطفال الأبرياء إلى الإعتلاف من شدة الجوع. بينما ينفق الجهاز المتجبر مئات ملايين التومانات من ثروات هذا البلد على إقامة الإحتفالات المحزية... إحتفالات ميلاد هذا وذاك... ومهرجان مرور خمس وعشرين سنة على السلطنة... وإحتفال التتويج... وأفزع من كل ذلك الإحتفال المنحوس لمرور ألفين وخمسمائة عام على الشاهنشاهية الذي يعلم الله ماجرّه على الشعب من مصائب وويلات. وماوفره من وسيلة للنهب والسرقة لا ذناب الإستعمار. الميزانية الضخمة الطائلة التي أنفقت على هذا الأمر التافه لو انفق لإشباع البطون الجائعة وتوفير مستلزمات حياة البائسين، لقللت إلى حد ما من مصائبنا، لكن روح الإستغلال والإستبداد لا تدعهم يفكرون بالشعب. أجهاز الحاكم المتجبر ينفق أموال الشعب للإحتفال وإقامة الزينة للملوك الإيرانيين الذين سحقوا الشعوب في كل عصر ببطشهم العسكري. وكانوا دوماً أعداء المذاهب الحقّة. وناصروا العداء الشديد للإسلام ومزقوا الرسالة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. هؤلاء الملوك الذين نشاهد بأعيننا نماذج منهم في عصرنا الراهن. لتعلم الدنيا أن هذه الإحتفالات وهذا البذخ لا ارتباط له بالشعب المسلم الإيراني الشريف... القائمون بأمر هذه الإحتفالات والمشاركون فيها خائنون بالإسلام وبالشعب الإيراني.

أنا أشد على يد عامة أبناء الامة الإسلامية وأحرار العالم على طريق قطع جذور الإستعمار والمستعمرين، واستقلال البلدان الإسلامية وتحطيم قيود الاسر. وأسأل الله تعالى أن يدفع عنا شر الأنظمة المتجبرة وأذئاب الإستعمار القذرين. وأسأله أن يتقبل منكم أعمالكم ومناسككم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

روح الله الموسوي الخميني

واستمرت النداءات والصيحات هذه في كل عام إلى أن كان البيان التاريخي الهام الذي وجهه في ذي الحجة ١٤٠٧ هـ، كما جاء نصه في الصفحات السالفة، وتبلورت تلكم الخطابات والصرخات، وتفاعلت في أعماق الناشئة فاندفعت بقوة الإيمان، وعزيمة العقيدة تشق أمواج الفتن والفساد، وتيارات الظلم والبغي، للمقيام بالانتفاضة والثوبة الإجتماعية وراح الجيل المعاصر، يصارع الطوفان ويقارع الزوابع الإستعمارية الدخيلة إلى أن يحقق

الله تعالى على يديه النصر والانتصار للشعب المسلم الصامد المثابر.

إن آثار الانتفاضات والثورات الاجتماعية، في كل دور لا تظهر واضحة وجلية على الجيل المعاصر لها ممن استكملوا بناء شخصياتهم، وتقدمت بهم سنوات العمر. وإنما تنعكس معطياتها بشكل جيد على الجيل الناشئ الجديد، فالكبار الذين ولدوا في ظل الحكم والواقع الفاسد، ونشأوا وعاشوا وترعرعوا في أجوائه وآفاقه، وتكاملت شخصياتهم من خلاله لا يمكنهم الاستجابة الفورية المطلقة لمشاريع التغيير والتديل، ونداءات الثورة والتحرر إلا من امتلك وعياً صادقاً وإرادة متينة أو إيماناً للعقيدة أو تديناً مخلصاً، لم يكن بينه وبين النظام الفاسد تجاوباً روحياً.

بالإضافة إلى هذه العوامل فإن جيل الكبار والشيوخ، لهم من المصالح والمنافع والإرتباطات مع الواقع الفاسد، ما يجعلهم يحسبون حساباً لحمايتهم، وحفظها بكل قواهم الفردية والاجتماعية في الداخل والخارج، إلا اللهم الرجال الذين كانوا بمعزل عن الواقع الفاسد، يعيشون على هامش الحياة لتلاصقهم رواسب الفساد والعبث... أما الشباب المتطلع والناهض بأعباء المستقبل، وهم رجال الغد المشرق، فإن علاقتهم بعد لم تتوفق ولم تلتأم وتتجاوب مع هذا الحكم والواقع الذي يعيش فيه، وليست لهم فيه مصالح ومنافع ومراتب يخشون خسارتها ويخافون أضرارها وأذهانهم وقلوبهم فارغة للإستيعاب والتقبل والإنطلاق والتحرر، كما يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في وصيته إلى ابنه الإمام الحسن السبط عليه السلام: (وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك) (٨) والمراد أن الصبي إذا لم يؤخذ بالآداب في حدثه، ولم ترض قواه لمطاوعة العقل، وموافقته كان بصدد أن يميل به القوى الحيوانية إلى مشهياتها، وينجذب في قياد هواه إلى الإستعمال بها فيفتنه ويصرفه عن الوجهة الحقيقية، وما ينبغي له فيكون حينئذ كالصعب النفور من الإبل. ووجه التشبيه أنه يعسر حمله على الحق، وجذبه ودفعه إليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور، وتصريفه بحسب المنفعة. ثم نبه عليه السلام على وجوب المبادرة إليه بالأدب وزرعه في قلبه بضمير صغراه قوله: وإنما قلب الحدث.

فقلب المحدث لما كان خالياً من الإنتفاش بالعقائد، وغيرها مع كونه قابلاً لما يلقي إليه من خير وشرف ينتقش به أشبه الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقي فيها من البذر. وتقدير الكبرى، وكل قلب كان كذلك فيجب أن يسبق إليه ببذر الآداب، وغرس الحكمة فلذلك بادره الإمام بالأدب قبل أن يقسو قلبه عن الإنقياد للحق والإشتغال بالأمر

الباطلة (٩) وقد قيل في المثل: (الغلام كالطين يقبل الحتم مادام رطباً) وقال الشاعر:

إختم وطينك رطب إن قدرت فكم قد أمكن الختم أقواماً فما ختموا

والمثل المعروف: (العلم في الصغر كالنقش في الحجر وفي الكبر كالخط على الماء (١٠)).

هذا ولذلك نجد أن كل الرسائل والمبادئ إنما تقوم على أكتاف الشباب، فهم الذين يسارعون إلى الإيمان بالأفكار الجديدة، ويستعدون للتضحية في سبيل العقيدة فني الله إبراهيم عليه السلام، حينما طرح دعوته التوحيدية في المجتمع، من الذي استجاب له وتجاوب معه؟ إستجاب له مجموعة من الشبان الفقراء كما يحكى عنهم القرآن الكريم، فقال: (فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) (١١) أي أن الذين اتبعوك صغار وشببية لم تتضح عقولهم، وأراؤهم ولو فكروا لم يتبعوك .

وهكذا الدعوة المحمدية، والتشريع الإسلامي، فقد سارع إلى الإيمان برسالة النبي الأعظم (ص) جماعة من الشباب والفتيات، بحيث أن شيوخ زريش اتهموا رسول الله (ص) بأنه قد أفسد شبابهم، وصرّحوا بذلك في شكواهم لعمه أبي طالب رضوان الله عليه، فقالوا له: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وسفه أحلامنا، وأفسد شبابنا.

وتأكيداً لهذه الحقيقة الواضحة، يقول الرسول الأعظم (ص): — أوصيكم بالشبان خيراً فإنهم أرق أفئدة... إن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فحالفني الشبان، وخالفني الشيوخ — فالإنتفاضة الشعبية، والإنقلاب الإيراني الإسلامي التي حدثت في القطر الإيراني عام ١٣٩٨ هـ، رغم أنه ساهم وشاركت فيها كافة الأقسام والطبقات، وكل صنوف الشعب من الرجال، والنساء، والصغار، والكبار، والشيوخ، وكان لكل منهم دوراً فعالاً ناجعاً، وتركت تأثيراتهم على كل أبعاد المجتمع والوطن إلا أن تفاعل الجيل الناشيء معهم، والتأثير الذي تركته في نفوسهم شيء عظيم بالغ يدعو إلى التفاؤل والأمل المشرق.

ومن أهم مظاهر هذا التأثير، التعبئة والتدعيم الديني والسياسي العارم، من إقبال الشباب منذ بداية العدوان والتحامل الإستعماري من قبل الزمرة الحاكمة في العراق الجريح... على ساحات القتال، وجبهات المعركة بقوة وعزم وإرادة ثابتة، وكذلك إهتماماتهم السياسية والإجتماعية والفكرية والثقافية، يعتبر مكسباً كبيراً تحقق بفضل الإنتفاضة المظفرة... بعد أن كانت الشببية هذه تناضل وتكافح وتجاهد في العهد المباد، والواقع الأسود في الأسواق والبيوت والمحلات والشوارع وصفوف المدارس، وعلى مائدة الطعام، وكم حصل في الصفوف الدراسية من نقاش ومواقف سياسية لدى الطلبة، حين فوجأوا المدرسون بأسئلة

معارضة للسلطة، وفي النتيجة أن رفعت القضايا إلى إدارة المدرسة وحكمت الإدارة بفصل الطلبة من المدرسة أو إخراجهم من الكليات.

إن السلطة الحاكمة في الأمس الغابر المندثر، كانت تخشى هذا الجيل وتدرك جيداً مدى الخطر الذي يشكله على وجودها، لذلك كانت تضع شتى الخطط، وتمارس مختلف الأساليب لمواجهة إنعكاسات الإنتفاضة على هذا الجيل... وبخشاها الإستعمار، وتخافه أعداء الإسلام والمسلمين، وتهاجم العملاء والأذئاب في المنطقة، بحول الله وقوته.

أنتم متعمم بالسؤدد  
يا شباباً درسوا فاجتهدوا  
وعداً لله بكم أوطانكم  
أنتم جيل جديد خلقوا  
كوتوا الوحدة لا تفسخها  
أنا بايعت على أن لا أرى  
عقد العالم شتى فاحصروا  
لتكن آمالكم واضعة  
لتعش أفكاركم مبدعة  
لا ينال الضيم منكم جانباً  
أو تغلبون وأنتم سادة  
ألوفاً حفظكم أو رعيكم  
لا تمدوها يداً واهية  
تشبه الأرض التي تحمونها  
دبروا الأرواح في أجسادها  
إن عقي العلم من غير هدى  
من أتانا بالهدى من حيث لم  
غير مجد إن جهلتم قدركم  
وإذا لم ترصدوا أحوالكم  
وإذا لم تستقم أخلاقكم  
عدّ عنك الروض لا أرتادلى  
بوركت ناشئة شرقية  
من جنى من علمه فائدة  
ما يرجى لبيت شعري والد

يا شباب اليوم أشياخ الغد  
لينالوا غاية المجتهد  
ولقد آن نجاز الموعد  
لعصور مقبلات جدد  
نزعات الرأي والمعتقد  
فرقة هاكم على هذا يدي  
همكم في حلّ تلك العقد  
نصب عينها حياة الأبد  
دأبها إيجاد ما لم تجد  
غير ميسور منال الفرقد  
لأعاد بكم مكان السيد  
بعد عهد الله عهد البلد  
ليد مفرغة في الزرد  
عبث الأعداء غاب الأسد  
فاق داء الروح داء الجسد  
هذه العقبى التي لم تحمد  
يتأدب حائر لم يهتد  
عدد العلم وعلم العدد  
لم تفدكم درجات الرصد  
ذهب العلم ذهب الزبد  
غير أخلاق هي الروض الندى  
نشأت في ظل هذا المعهد  
غير من عاش فلم يستفد  
أهمل التعليم عند الولد

## سيرة الآباء فينا قدوة كل طفل بأبيه يقتدي

وحين أدركت العملاء الحاكمة في المنطقة بقوة النار والحديد، مدى الخطر الذي يتجسد في وجود هذا الجيل وكيان الشباب، اختلقت مناهج ودساتير، وتصريف الملايين لتميع الشباب وتلهيتهم، وإفسادهم وإشغالهم بالقضايا التافهة، والمسائل غير المجدية والمفيدة، وتوجيه أذهانهم عن المسؤوليات الوطنية والدينية والاجتماعية، وطرح الأفكار القشرية والتبريرية، وتشويه سمعة الثائرين، وعناوين المجاهدين، وتلوين رصيدهم الوطني والشعبي، وأخيراً التشكيك في شرعية خطهم الجهادي، وأفكارهم الرسالية الإنسانية.

غير أن الواجب يحتم على المجتمع، والجيل المتصاعد المتطلع إلى شواطئ الحقيقة، والحرية، والفضيلة، والمعرفة، والدين السعي والإجتهاد في إختراق كافة الحواجز والحدود والسدود التي تضعها الأذنان أمام زحف وركب التحرك الذي يعين على الإنتفاضة والنهوض والتطوير، شريطة الحفاظ على الإيمان والقيم. فالمجتمع الحريص على العقيدة والقيم والتطور، والمتطلع إلى الأفضل لا بد أن يفيد ويستفيد من حكمة الشيخ، وتجاربهم في الوقت نفسه، ومن توثب شبابه وتطلعاته، وليس المقصود في البحث أن نضع الشيخ جانبا لأن المجتمع يتكوّن من هذين العاملين الأساسيين. فكما أن حكمة الشيخ وتجاربهم الحياتية، وحرصهم على دين المجتمع، وعقيدته وتقاليده، وطقوسه وقيمه، لا يجوز أن يكونوا عائقين للتطوير والثبة والنهوض، وإنما كإيمان يقين المجتمع والوطن أخطار الطفرة والقفزة، كذلك فإن توثب الشباب يجب أن يبقى الوقود الذي يوّلّد طاقة ومناعة في دفع المجتمع إلى الأمام، والصراف المستقيم، والمهيح الناجع وفق دستور ونظام صحيح مقدّس مشروع... لا اللهب الطائش المعوج المنحرف الذي يحرق المجتمع، ويخرجه من جادة الصواب، وصراف العقيدة، ويدمر ويبيد إيمانه، ويذهب بقيمه ومثله وتقاليده وطقوسه الشريفة.

ومهما يكن من أمر فالحديث في هذا السبيل طويل وكثير، قد لا تستوعبه صفحات الكتاب هذا... إلّا أننا نعود إلى بداية حديثنا لنتابع ونواصل ما تبقى منه، وهو أن الولاة والحكام والأمراء الذين أوفدوا من جانب الخلفاء والملوك إلى الحرمين الشريفين، في العهود الإسلامية، كانوا على الأغلب من رجال الفضيلة والمعرفة والتقوى والخير والصلاح والإيمان والشرف والكرامة... لئلا يجعلوا الحرمين وشعابها، في عداد سائر البلدان والمدن الإسلامية، وإنما عليهم رعاية مكة والمدينة بعين الإخلاص واليقين والصدق، لا من جانب واحد فحسب بل في كافة الجهات والشئون والمسؤوليات بصورة عامة، وإن تقلد ولايتها وإمارتها في بعض الفترات الشاذة بعض الشرذم بقوة السيف والعسف، غير أن لم تطول حياتهم ومدتهم،



ولم تمض على حكومتهم أيام قليلة إلا وابدلوا برجال صالحين، فألقوهم في غيابة النسيان، ومزابل الإهمال.

وهذا الأمر كان مطرداً وسائداً حتى في عهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، واليهود التي تليته فقد استخلف (ص) على مكة نفرأ من خيرة أصحابه، وذلك حين فتح الله سبحانه على رسوله (ص) مكة، وقصد النبي (ص) الخروج منها إلى حنين في العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة (٨) فذكر المؤرخون أن رسول الله (ص) عند توجهه، استعمل عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي... أسلم يوم الفتح، وكان صالحاً فاضلاً وعمره حين استخلف نيفاً وعشرين سنة، وكان شديداً على المريب لنا على المؤمنين، وكان يقول: والله لا أعلم متخلفاً عن هذه الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق، فقال أهل مكة يا رسول الله (ص)، استعملت على أهل الله أعرابياً جافياً؟ فقال: إنني رأيت فيما يرى النائم إنه أتى باب الجنة فأخذ بملقمة الباب فقعقعتها حتى فتح له ودخل (١٢).

وروى أنه قال: أصبت في عملي الذي استعملني عليه رسول الله (ص) بردين معقدين، كسوتها غلامي كيسان فلا يقولن أحدكم أخذ مني عتاب كذا، فقد رزقني رسول الله (ص) كل يوم درهمين، فلا أشبع الله بطناً لا يشبعه كل يوم درهمان مات على عهد أبي بكر، وقيل: مات يوم مات أبو بكر (١٣).

ولما استعمله يومئذ على مكة قال (ص) لعتاب: أتدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيراً يقولها ثلاثاً.

وهناك للمؤرخين نقاش وجدال، حول عتاب بن اسيد، وأنه لم يكن بأول من استعمله رسول الله (ص) على مكة، وأنه (ص) حين خرج إلى حنين استخلف معاذ بن جبل ابن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن عدي بن بابي بن تميم بن كعب بن سلمة أبو عبد الرحمن الأنصاري الحزرجي، المتوفى بالطاعون في الشام، سنة سبع عشرة أو التي بعدها، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام... قال أبو أدريس الخولاني: كان أبيض الوجه براق الثنايا أكحل العينين. وقال كعب بن مالك: كان شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه وشهد المشاهد كلها. أمره النبي (ص) على اليمن، وقال له لما ودعه: — حفظك الله من بين يديك، ومن خلفك وعين يمينك، وعن شمالك، ومن فوقك، ومن تحتك، ودرأ عنك شرور الإنس والجن.

وقال نوفل بن فروة: إننا كنا نشبهه بإبراهيم عليه السلام. وقال أبو نعيم في حلية

الأولياء: إمام الفقهاء، وكنز العلماء، شهد العقبة وبدراً والمشاهد، وكان من أفضل شباب الأنصار حليماً وحياءً وسخاءً، وكان جميلاً وسيماً روى عنه الصحابة، لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه. وقيل: أن رسول الله (ص) حين خرج إلى حنين استخلف معاذ بن جبل السلمي الأنصاري على أهل مكة وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين.

هذا ويمكن الجمع بين هذه الأقوال المتضاربة، بأن يكون النبي (ص) جعل عتاباً أميراً على مكة، ومعاداً إماماً ومتفقها لمن فيها. وهذا أول من جعل الأخبار متعارضة في ولاية عتاب، ومات رسول الله (ص) وعتاب عامله على مكة. وذكر ابن عبد البر ذلك أيضاً، وزاد أنه أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي (ص) على مكة يوم الفتح في حين خروجه إلى حنين، فأقام للناس الحج تلك السنة وهي سنة ثمان، وحج المشركون على ما كانوا عليه، ثم قال: فلم يزل عتاب أميراً على مكة حتى قبض رسول الله (ص) وأقره أبو بكر فلم يزل عليها إلى أن مات (١٤).

ثم تولى إمارة مكة الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الهاشمي المتوفى بالبصرة في خلافة عثمان.

انتقل إلى البصرة واختط بها داراً في ولاية عبدالله بن عامر بن كرز، وولد له على عهده عبدالله بن الحارث الذي يقال ببه اصطلاح عليه أهل البصرة حين مات معاوية. وقيل: إنما النبي (ص) استعمل الحارث على جدة لهذا لم يشهد حنيناً. وكان أبوه ابن عم النبي (ص) صحب (ص) وولد له على عهده ابنه عبدالله، ومات عام ٣٥ هـ. وجاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم، أن أمير المؤمنين عليه السلام جعله يوم صفين على قرش البصرة. وفي كتاب تجارب السلف تأليف هندوشاه بن سنجر بن عبدالله الصاحبي النخجواني ماتعريبه: — إنه كان السفير في الصلح بين الحسن بن علي عليهما السلام، ومعاوية —.

وروى ابن سعد في الطبقات بسنده، عن عبدالله بن الحارث عن أبيه أن رسول الله (ص) علمهم الصلاة على الميت — أَللّهُم اغفر لأحيائنا ولأمواتنا، واصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا. أَللّهُم عبدك فلان بن فلان لا نعلم منه إلا خيراً وأنت أعلم به فاغفر لنا وله. فقلت وأنا أصغر القوم: فإن لم أعلم خيراً؟ فقال: لا تقل إلا ما تعلم. ورواه الطبري في ذيل المذيل، بسنده عن عبدالله بن الحارث عن أبيه مثله. وروى الطبري أيضاً في ذيل المذيل، بسنده عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن أبيه أن النبي (ص) كان إذا سمع المؤذن يقول: اشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله قال كما يقول. وإذا قال:

حيّ على الصلاة، قال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله. وإذا قال: حيّ على الفلاح، قال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله (١٥).

ومن بعده المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبدالعزيز بن عبد شمس بن عبدمناف القرشي.

وقنفذ بن عمير بن جدعان التيمي.

ونافع بن عبدالحارث بن حباله بن عمير بن الحارث بن عمرو بن حسان الخزاعي... أسلم يوم الفتح، وكان من كبار الصحابة وفضلائهم.

وطارق بن المريقع الكناني بن الحارث بن عبدمناف.

وعبدالرحمن بن أبزي الخزاعي مولى خزاعة... أدرك النبيّ (ص) وصلى خلفه، وهو كو في تولاهها نيابة عن مولا نافع بن عبدالحارث، وقد جاء أن عمر لما لقي نافع بعسفان، قال لنافع، من استعملت على مكة؟ قال: عبدالرحمن بن أبزي، قال: استعملت عليهم مولى؟ قال: إنّه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض. وأخرجه أبويعلى من وجه آخر وفيه: إنّي وجدته أقرأهم لكتاب الله، وفيه: وأفقههم في دين الله. ففضّص عمر من ذلك وأنكر عليه استخلافه ابن أبزي لعظم قدر أهلها، وهنا سكن غيظ عمر على نافع.

وعلي بن عدّي بن ربيعة بن عبدالعزيز بن عبد شمس بن عبدمناف القرشي العشمي. سبط النبيّ (ص) أمه زينب، استرضع في بني غاضرة فافتصله رسول الله (ص) منهم، وأبوالعاص مشرك بمكة.

وخالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي.

وعبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي ابن أخي عتاب بن اسيد.

وعبدالله بن عامر العامري الحضرمي... وكان على مكة وقت قتل عثمان، فقد ذكر ابن الأثير في الكامل أن عائشة لما توجهت من مكة بعد الحج في مدة السنة بلغها قتل عثمان، فرجعت إلى مكة وحرّضت على الطلب بدمه، فقال لها عبدالله بن عامر العامري الحضرمي: وكان عامل عثمان على مكة، هائئذا أول طالب فكان أول مجيب، وتبعه بنو أمية على ذلك.

هذا ولما تقلد أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة، وبويع له يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ، وكان قتل عثمان يوم الجمعة ثمان عشر ليلة خلت من ذي الحجة، فكان بين قتله وبيعة علي بن أبي طالب (ع) سبعة أيام. فقد روى الحاكم في المستدرک بسنده إنّه استخلف علي بن أبي طالب سنة خمس وثلاثين، وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر. كما قال

اختلفت الروايات في وقته، فقيل: إنه بويح بعد أربعة أيام، من قتل عثمان، وقيل: بعد خمس، وقيل: بعد ثلاث، وقيل: بويح يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة. وقال: وأصح الروايات أنه امتنع عن البيعة إلى أن دفن عثمان، ثم بويح على منبر رسول الله (ص) ظاهراً، وكان أول من بايعه طلحة بن الزبير، فقال: هذه بيعة نكث.

وفي الوقت نفسه نظر في أحوال الولاة الحكّام الذين كانوا على مكة وغيرها، من المدن والحواضر فعزل عنها خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله المخزومي، وولى مكانه أبوقتادة الأنصاري فارس رسول الله (ص) الحارث بن ربيعي بن بلدمة بن خناس بن سنان بن عبيد بن عدّي بن غنم بن كعب بن سلمة السلمي الأنصاري المدني مات سنة ٣٨ أو ٤٠ هـ، في خلافة علي عليه السلام. وكان محدثاً شهد احد، وما بعدها من المشاهد، وأنكر على خالد بن الوليد فعلته من قتله مالك بن نويرة، وإعراسه بامرأته فركب فرسه والتحق بأبي بكر، وحلف أن لا يسير في جيش تحت لواء خالد ابدواقص على أبي بكر القصة، فقال أبو بكر: لقد فنتت الغنائم العرب وترك خالد ما أمرته.

وروى أن النبي (ص) كان في سفر وكان عند أبي قتادة وضوؤه، فتوضأ وفضلت في الميضاة فضلة فلما حى النهار، واشتد العطش بالناس ابتدروا إلى النبي (ص) يقولون: الماء، الماء، فسقاهم النبي (ص) جميعاً بفضل وضوئه الذي كان في الميضاة. ثم قال لأبي قتادة: إشرب، فقال: لا بل إشرب أنت يا رسول الله، فقال: اشرب فإن ساقى القوم آخرهم، فشرب أبوقتادة ثم شرب رسول الله (ص)، الشهاب. قال (ص): ساقى القوم آخرهم شرباً، قال شارحه، صاحب ضوء الشهاب: هذا من مكارم الأخلاق التي لا يزال يأخذها بها أصحابه، ويتقدّم بها إليهم ويكررها إليهم، والأدب في ذلك أن الساقى للقوم، وهم عطاشى مجهودون إذا ابتدأ بنفسه، دلّ على جشعه وقلة مبالاته بأصحابه الذين ائتمن عليهم، وجعل ملاك أرواحهم، وقوام أبدانهم بيده، وأمر الماء عندهم شديد، إلى أن قال: وفائدة الحديث الحث على الأخذ بالأكرم من الأفعال، والتباعد عما يجلو الإنسان في معرض الاندال وليس الاذال. وجاء في تهذيب التهذيب، وروى أهل الكوفة إنه مات أبوقتادة بالكوفة سنة ٥٤ هـ، وصلى عليه علي عليه السلام، فهو تصحيف لأن أمير المؤمنين (ع) استشهد رمضان عام ٤٠ هـ (١٦).

ثم عزله أمير المؤمنين (ع) وطلبه إلى الكوفة، وولى مكانه قثم بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي ابن عم النبي (ص) وامه أم الفضل، وهو رضيع الحسن بن علي بن أبي طالب (ع). روى أن أم الفضل قالت لرسول الله (ص):

رأيت عضواً من أعضائك في بيتي، قال: خيراً رأيتك تلد فاطمة غلاماً ترضعينه بلبن قثم، فولد الحسن فأرضعنه بلبن قثم، وكان قثم يشبه النبي (ص) أخرج ابن الضحاك عن ابن العباس أن العباس رأى ابناً له يقال له قثم فوضعه على صدره وهو يقول:

حبي قثم  
نبي ذي النعم  
شبيه ذي الأنف الأشم  
برغم من رغم

وروى ابن عبد البر، عن عبدالله بن جعفر قال: كنت أنا وعبيدالله، وقثم إبني العباس نلعب فرسول الله (ص) راكباً، فقال: ادفعوا لي هذا الفتى، يعني قثم، فرفعه إليه فأردفه ثم جعلني بين يديه، دعالنا.

وقال أيضاً: روى عبدالله بن عباس، قال: كان قثم آخر الناس عهداً برسول الله (ص) أي آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه، وكان المغيرة بن شعبة يدعى ذلك لنفسه فانكر علي بن أبي طالب (ع) ذلك وقال: بل آخر من خرج من القبر قثم بن العباس. وقال: وكان قثم والياً لعلي على مكة، عزل عنها على خالد بن العاص بن هشام، وكان والياً لعثمان، وولاها أباقتادة الأنصاري ثم عزل عنها، وولى مكانه قثم بن العباس فلم يزل والياً حتى قتل علي (ع)، وقال الزبير بن بكار: استعمل علي قثم بن العباس على المدينة. استشهد قثم بسمرقند، وقيل: مات بها في عهد عثمان، وقبره خارج سمرقند في قبة عالية معروفة بمزار شاه، يعني مرقد السلطان (١٧).

وفي قثم يقول داود بن سلم، مولى بن تميم بن مرة، وكان يسكن المدينة وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية:

نجوت من حلّ ومن رحلة  
إنك إن بلغتني غداً  
في كفه بحروفي وجهه  
لم يدرمالا وبلى قد درى  
أصم عن قبيل الخناسمعه  
وما عن الخير به من صمم (١٨)

وبعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام. انتقلت الخلافة واغتصبها الأمويون، ومن ورائهم العباسيون، فأخذوا يبعثون على ولاية الحرمين الشريفين الولاة والحكام إلى أن تقلصت حكومتهم وسيطرتهم عن الحرمين، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٨ هـ) أي في زمن الإخشيدية بالتغلب الأمير جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسيني الهاشمي، ولعل ولاية جعفر

هذا لمكة كانت بعد موت كافور الإخشيدي، وقبل أخذ العبيدين لمصر من الإخشيدية، فإن دولتهم لم تتلاش إلا بعد موت كافور، وكان موت كافور في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة (٣٥٦)، وقيل: في سبع وخمسين، فتكون ولاية جعفر في إحدى هذه السنين، أو في سنة ثمان وخمسين، فإن فيها كان إنقضاء دولة الإخشيدية على يد القائد جوهر، مولى المعز الفاطمي صاحب المغرب، ولا تخرج ولاية جعفر عن أن تكون في هذه السنة، وكان يدعى له على المنابر بمكة فحكم فيها عدة أعوام ولما قضى، ولها بعده ابنه عيسى، ومن ذلك الوقت ابتداء حكم الأشراف بمكة.

ثم ولي مكة بعده أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسني، وملك أيضا المدينة، وأزال عنها إمرة بني المهنا الحسينيين، في سنة تسعين وثلاثمائة، بأمر الحاكم وولاية أبي الفتوح، ودامت ولاية أبي الفتوح على مكة إلى أن مات في سنة ثلاثين وأربعمائة إلا أن الحاكم العبيدي، ولي ابن عم أبي الفتوح تاج المعالي محمد، مكة في المدة التي خرج فيها أبو الفتوح عن طاعة الحاكم، ثم أعاد أبا الفتوح إلى إمرة مكة لما رجع إلى طاعته، وأنفذ له ولشيوخ بني حسن، أموالا وهدايا وافرة، وحارب أهل المدينة، وملكها في بعض حروبه، وجمع بين الحرمين وملك الحجاز ثلاثاً وعشرين سنة.

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة، قدم على بن محمد الصليحي صاحب اليمن إلى مكة وانتزعها من بني أبي الطيب وسلمها إلى أبي هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ابن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني، فوليا من قبل الصليحي، وكان من الأشراف الحسينيين، واستعمل الجميل مع أهلها وأظهر العدل والإحسان والأمن، وطابت قلوب الناس ورخصت الأسعار، وكثرت له الأدعية، وكسى البيت ثياب بياض ورد بني شيبة عن قبح أفعالهم، ورد إلى البيت من الحلما ما كان بنو أبي الطيب الحسنيون أخذوه، لما ملكوا بعد أبي الفتوح شكر، وكانوا قد عروا البيت والميزاب إلى أن وقع في مكة الوباء فعاد على بن محمد الصليحي إلى اليمن، وأقام محمد بن أبي هاشم بمكة نائباً عنه، فقصده الحسنيون والتفوا حوله وتداولت الولاية بينهم إلى أن تولها فليته بن القاسم بن محمد بن جعفر، سنة ثمان عشرة وخمسمائة، وكان قوياً شجاعاً ومن الأدباء الشعراء حسن السيرة أسقط المكوس وأحسن إلى الرعية.

وفي عام سبع وتسعين وخمسمائة إنتزع مكة الشريف أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكرم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن

موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسيني الينبيعي، وهو جد الأشراف بمكة، ملك الحجاز سيفاً وطرد الهواشم عنها، وقتل الأمير محمد ابن مكث بن فليته، وكان قتادة جباراً فاتكاً، فيه قسوة وتشدد وحزم، وكان الناصر العباسي أو أبوه المستنصر قد استدعى الأمير قتادة إلى العراق، ووعده ومناه فأجابته وسار من مكة إلى أن وصل العراق، فلما قارب الصعود من النجف جن فلما وصل المشهد الشريف الغروي، خرج أهل الكوفة لتلقيه وكان من جملة من خرج في غمار الناس قوم معهم أسد قد ربطوه في سلسلة، فلما رآه قتادة تطير من ذلك، وقال: لا أدخل بلاداً تذلت فيها الأسد. ثم رجع من فوره إلى الحجاز. وكتب إلى الخليفة الناصر لدين الله الأبيات:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة  
ولي كف ضرغام إذا ما بسطتها  
معوذة لثم الملوك لظهرها  
أتركها تحت الرهان وأبتغى  
وما أنا إلا المسك في غير أرضكم  
وهو صاحب القصيدة الهائية المعروفة في مرثية الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء سلام الله عليها وأولها قوله:

ولو أني أعري بها وأجوع  
بها أشتري يوم الوغى وأبيع  
وفي بطنها للمجد بين ربيع  
لها مخرجاً أني إذا لرقيع  
أضوع وأما عندكم فأضيع (١٩)

ما لعيني قد غاب عنها كراها  
الدار نعمت فيها زماناً  
أم لحي باتوا بأقارتم  
أم لخود غريبة الطرف هـو  
أم لصافي المدام من مزّة الطعم  
حاش لله لست أطمع نفسي

وآخر العمر باتباع هواها (٢٠)

ولقتادة إخوة وعمومة لهم أعقاب، وأعقب هو من تسعة رجال، ويقال: لعقبه القتادات. فمن ولده الأمير حسن بن قتادة مات سنة ثلاث وعشرين وستمائة، ولي مكة بعد أبيه وفي أيام حكمته وقعت فتنة بين أهل مكة وقافلة العراق، انجلت عن قتل حاكم القافلة فأخذ الشريف حسن بن قتادة رأسه وعلقه في ميزاب الكعبة. ثم سكنت الفتنة وأرسل الشريف حسن يعتذر إلى دار الخلافة. ومنهم الأمير راجح، مات عام أربع وخمسين وستمائة، وتولى إمارة مكة بعد أخيه الحسن وكان الأقبش مسعود بن كامل، قد تغلب على مكة وقتاً ثم طرد عنها الأمير راجح بن قتادة، وكان شجاعاً بطلاً ثم شاركه في حكومة مكة بعد أخيه أبوسعده الحسن بن علي بن قتادة، ثم خلصت لأبي سعد وكان شجاعاً بطلاً وأمه أم ولد حبشية

إلى أن مات سنة إحدى وخمسين وستمائة.

فيحكى أن أبا سعد في بعض حروبه للغزو ولغيرهم وأمرهم لا أتحمقه الآن إلا أن غالب ظني أن تلك الحرب كانت مع الغزو—وأتوه بجمع كثير هائل، فلما ترائى الصفان جاءت أمه على بعير في هودج، وأمرت من استدعاه لها فلما أجابها، قالت له: إنك قد وقفت موقفاً، إن ظفرت فيه أو قتلت، قال الناس، ظفر ابن رسول الله، أو قتل ابن رسول الله، وإن هربت، قال الناس: هرب ابن السوداء فانظر إي الأمرين تحب أن يقال لك؟ فقال: جزاك الله خيراً فلقد نصحت وأبلغت. ثم ردّها فقاتل قتالاً لم يسمع بمثله. حتى ظفر وملك مكة بعد أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، ابنه نجم الدين محمد أبو نومي بن أبي سعد المتوفى سنة إحدى وسبعمائة. وكان في غاية النجدة ونهاية الشجاعة، شارك أباه في إمارة مكة صبيّاً، وذلك أن راجع بن قتادة في بعض حروبه مع ابن أخيه أبي سعد، إستنجد أخواله من بني حسين فخرجوا لمده في سبعمائة فارس، ورئيسهم الأمير عيسى الملقب بالحرور فارس بني حسين في زمانه. وسمع بخروجهم أبوسعد وابنه أبو نومي، يبنع فأرسل إليه يطلبه وعمر أبي نومي يومئذ سبع عشرة سنة أو أزيد بقليل، فخرج من ينيع قاصداً إلى مكة فصادف القوم سائرين إليها فلما صادفهم حمل عليهم، وهم سائرون فهزمهم، ورجعوا إلى المدينة مغلوبين. وفي ذلك يقول النقيب تاج الدين أبوعبدالله جعفر بن محمد بن معية الحسيني، وهو ذا ذلك لسان بني حسن بالعراق من قصيدة يذكر فيها تلك الواقعة، ويمدح أبانمي ويحسن أفعاله:

ألم يبلغك شأن بني حسين      وفرهم وما فعل الحرور؟  
يصول بأربعين على مئين      وكم من فئة ظلت تهون

فلما قدم أبو نومي على أبيه بمكة أشركه في ملكها، فلم يزل حاكماً على الحجاز مع أبيه وبعده، إلى أن مات وقد أناف على التسعين، وقد أخرج من مكة مراراً وحارب العساكر المصرية فظفر بهم، وكان من الشجاعة بحيث لم يرمثله في عصره، وكان له ثلاثون ذكراً منهم، الأمير أبو الغيث بن أبي نومي، قتله أخوه حمضة سنة أربع عشرة وسبع مائة. ومنهم الأمير عطيفة حكم بمكة شرفها الله، وكذا أخوه حمضة ثم قبض عليه وحمل إلى مصر، فاعتقل بها ثم هرب إلى العراق وتوجه إلى السلطان أوجلايتو بن أرغون، فأكرمه إكراماً عظيماً، وبذل له عسكرياً يذهب به إلى مكة، ومنها إلى الشام، أو إلى الشام أولاً، لأنه وعده أن يملكها له، وأحس أوجلايتو منه شجاعة عظيمة، وهمة عالية، فعين له عشرة آلاف فارس وأمر عليهم الأمير طالب الدنقدي الأفضسي، وساروا من البصرة إلى القطيف، متوجهين إلى أطراف الشام، وأرسل الشريف حمضة إلى أمراء العرب من كل قوم فأجابوه، وأهم ذلك أهل الشام فالتجأوا إلى



أمراء طيء وقومهم، وهم عرب كثيرون ليس في العرب مثلهم كثرة وتمولا، وأمراؤهم آل فضل، أمراء العرب، واتفق وفاة السلطان أوجليبتو، وكاتب الوزير رشيد الدين الطيب ذلك العسكر، أن يتفرقا لعداوة كانت له مع السيد طالب، فتفرق ذلك العسكر، وثار بهم الأعراب الذين جمعهم السيد حميضة مع أعراب طيء فنهبهم، وحارب السيد حميضة في ذلك اليوم حرباً لم يسمع بمثله، فيحكى عن السيد الطالب الدلقندي أنه قال: مازلت أسمع بحملات علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى رأيتها من السيد حميضة معاينة.

ومنهم السيد عزالدين زيد الأصغر بن أبي نمي ملك سواكن، وكانت لجده لأمه، وهي من بني الغمر بن الحسن المثنى، ثم سم هناك، وأخرج من سواكن فقدم العراق، وكان قد قدمه مرة أخرى قبل أن يملك سواكن، وتولى النقابة الطاهرية بالعراق، وكان زيد كريماً جواداً وجيهاً، وتوفي بالحلة ودفن بالمشهد الشريف الغروي بظهر النجف وليس لزيد بن أبي نمي عقب.

ومن ولد أبي نمي شميلة بن أبي نمي، وكان شاعراً شجاعاً فن شعره:

ليس التعلل بالآمال من شيمي      ولا القناعة بالإقلال من هممي  
ولست بالرجل الراضي بمنزله      حتى أطا الفلك الدوار بالقدم

ومن ولد شميلة بن أبي نمي محمد بن حازم بن شميلة بن أبي نمي، فارس شجاع شديد الأيد، وأمه بنت السيد حميضة بن أبي نمي، ورد العراق وتوجه إلى تبريز ولاقي السلطان السعيد أويس بن الشيخ حسن، فأكرمه وأنعم عليه، ثم رجع إلى الحجاز وتوفي هناك.

ومن ولد أبي نمي السيد رميثة، وإسمه منجد، ويكنى بأبي عرادة ويلقب اسد الدين ملك مكة وطالت إمرته بها، وفي ولده الإمارة دون ساير أولاد أبي نمي، وكان له عدة أولاد: منهم، الشريف شهاب الدين أبوسليمان أحمد بن رميثة كان قد توجه في زمن أبيه إلى العراق، وذهب إلى السلطان أبي سعيد بن السلطان أوجليبتو بن أرغون، فأكرمه وأحسن مشواه فأقام عنده ثم توجه صحبة القافلة، وحج في تلك السنة الوزير غياث الدين محمد بن الرشيد، وجماعة من وجوه العراق وأركان المملكة، وكان الشريف شهاب الدين أحمد قد أعد رجالاً وسلاحاً ودراهم مسكوكة، باسم السلطان أبي سعيد فلما بلغوا إلى عرفات، وزالت الشمس وتها الناس للوقوف لبس رجاله السلاح، وقدموا المحمل العراقي — وهو محمل السلطان أبي سعيد — مع أعلامه على المحمل المصري وأصعدوه جبل عرفات قبله، وأوقفوه أرفع منه، ولم تجر بذلك عادة منذ إنقضاء الدولة العباسية.

ولم يكن للمصريين طاقة على دفعه، فالتجأوا إلى الشريف رميثة أبيه، فاستنجد

بني حسن، والقواد فتخاذلوا عنه لمكان ابنه أحمد، ومحبتهم إياه وإحسانه إليهم قديماً وحديثاً، وأمر الشريف أحمد أن يتعامل بتلك الدراهم المسكوكة باسم أبي سعيد، فتعمل بها في الموسم خوفاً منه، وعاد إلى السلطان مصاحباً للقافلة العراقية فأعظمه السلطان أبوسعيد إعظاماً عظيماً، وأحله مقاماً كريماً وفوق إلى أمر الأعراب بالعراق. فأكثر فيهم الغارة، والقتل، وكثر أتباعه وعرض جاهه وأقام بالحلة نافذ الأمر، عريض الجاه كثير العون إلى أن توفي السلطان أبوسعيد فأخرج الشريف أحمد الحاكم الذي كان بالحلة، وهو الأمير علي بن الأمير طالب الدقندي الحسيني الأقطسي، وتغلب على البلد، وأعماله ونواحيه، وجبى الأموال وكثر في زمانه الظلم والتغلب (٢١).

ثم ولي مكة أبوسعد بن علي بن قتادة الحسني إلى أن قتل سنة إحدى وخمسين وستمائة.

وليها جاز بن حسن بن قتادة بمساعدة الملك الناصر صاحب مصر، ثم وليها راجح ابن قتادة وأخرج جازاً من مكة بلا قتال. ثم وليها ابنه غانم بن راجح. وليها سنة ست وخمسين وستمائة أولاد حسن بن قتادة، وأقاموها وهكذا استمرت التنقلات والولايات بينهم، لم تخرج من بيت الأشراف في عام سبع وعشرين وثمانمائة، وليها السيد علي بن عنان ابن مغامس بن رميثة الحسني، بمفرده ولآه برسباي ملك مصر، فتوجه السيد علي من مصر بصحبة العسكر المنصور الأشرفي واستولى على مكة بغير قتال، فدخلها لابساً خلعة الولاية وطاف بالكعبة المعظمة سبعاً، والمؤذن يدعوله على زمزم، وبعد فراغه من صلاة الطواف قرئ توقيعه بالولاية بظل زمزم.

وجاء من بعده الحسن بن عجلان سنة ٨٢٨ ومات بمصر عام ٨٢٩، وكان من العلماء الفضلاء. وخلفه مراراً وتولاها ابنه بركات بن الحسن، وكان أيضاً من العلماء الأتقياء، وواصلت الاسرة الحسنية ولايتها على مكة إلى أن ظهرت في نجد الحركة الوهابية، وأخذت تعمل بقوة وتجهت في السيطرة على الحرمين، والحجاز بصورة عامة، وتعاونت مع الإستعمار وتحالفت مع أذنابه في المنطقة وصادقت على معاهدات وقرارات بمساعدة جون فيليبي، الذي سمي أولاً باسم محمد بن عبدالله فيليبي، ومن ثم أصبح اسمه الحاج الشيخ عبدالله فيليبي، وكانت النتيجة أن تعاقد إثنان على المتاجرة بالدين وتضحيته وكان الاتفاق كالآتي:

الطرف الأول — محمد بن سعود، أن يكون لأمير المؤمنين محمد بن سعود... وذريته

من بعده السلطة الزمنية، أي الحكم مدى الحياة.

الطرف الثاني — محمد بن عبدالوهاب، أن يكون للإمام محمد بن عبدالوهاب



جون فيلي الجاسوس الانكليزي الذي عرف في الحجاز بالحاج محمد بن عبدالله فيلي. ثم بالحاج  
عبدالله فيلي المكي

وذريته من بعده السلطة الدينية، أي الإفتاء بتكفير وقتل كل من لا يسير على نهجهم، ولا يصحبه للقتال، ولا يدفع ما لديه من مال وثروة وقتل كافة الرافضة والرافضين لدعوتهم وكذلك الاستيلاء على أموالهم، ونهب خيراتهم وأبادة وتهديم مآثرهم... وهكذا تمت الصفقة وبدأت المشاركة والمساهمة الخنيسة الإستعمارية، وسمى الطرف الأول محمد بن آل مردخاي باسم (إمام المسلمين)، وسمى الطرف الثاني (إمام الدعوة) وكانت تلك هي البداية للعينة العارمة في تاريخ الإسلام المجيد، والشعوب الإسلامية التي مازالت تأنّ من ويلاتها ومصائبها وجرائمها ومذاخيرها الأثيمة... حينما إتفق الجانب الأول محمد بن سعود اليهودي، مع الجانب الثاني محمد بن عبدالوهاب قرقوزي، في مكافحة التشريع الإسلامي الخالد، وسارت شركتها على ذلك النحو الفاسد، واختلاق مذهب جديد تتركز دعائمه وتقوم أركانه على الجرائم، وسفك الدماء الطاهرة ونهب الأموال، وتبذير الثروات، وأبادة المعالم، كل ذلك لصالح الإستعمار، ومنافع الشيطان، وخلق مجتمع وشعب يسوده الفوضى والإشباك، والصخب، والفقر، والكفر، والجهل، والتخلف.

أجل مرّت قرون وقرون، وتبعتها سنون وسنون، والحرمين الشريفين، وأرض الحجاز المقدسة تحتل المكانة الرفيعة والمنزلة العالية من العظمة والجلالة والتعظيم، والتقدّيس إلا أن عوامل دخيلة وعواصف خارجية إجتاحت البلاد بشدّة بحيث أدت إلى إنتقال الدعوة، ودقة سفينة الحكومة الإسلامية إلى يد الأجانب، وإخراجها وانتزاعها من يد المسلمين والعلماء والفقهاء، وجعلها في يد من لا يؤمن بربّ الحرمين الشريفين، فبدأ التدهور سريعاً في المجتمع الإسلامي، وبلغ مداه في شبه الجزيرة الإسلامية خاصة، حتى إذا اجتازت عدة أعوام قليلة كانت القيم والفضائل التي إكسبها الإسلام للمجتمع الإسلامي والمسلمين، قد اضمحلت واندثرت أو كادت، وأضحت تعاليم الإسلام وأحكام القرآن التي تضبط المجتمع وتحكم روابطه نسياً منسياً، فعاد الغزو والنهب والسلب، وإراقة الدماء والبغي والقتل والظلم والعمالة إلى الوطن الإسلامي، ورخصت قيم الحياة فيها، حتى كأن الإسلام لم يظهر في شبه الجزيرة العربية، ولم يترك أثراً حضارياً لا على تربتها وصعيدها، ولا في عقول أبنائها، ونفوسهم، وقلوبهم.

لقد حكمت الاشراف الحسينيون في الحجاز ما يقرب من تسعة قرون، وحافظوا على الحرمين الكريمين، وصدوا عنها كل تطاول وعدوان، ولم يمسهما عدو بسوء لا من قريب ولا من بعيد إلى أن انتزع الإستعمار ولايتهم، وإمارتهم عنها وأودع الأرض المقدسة بأيدي العابثين، والأوغاد، والمناكير المتجردين، عن كل القيم، والمثل، والشرف، والطهارة عكس

ما كانت عليه الشرفاء، والأشراف في القرون الغابرة لأنهم كانوا ينتمون إلى الشجرة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء... رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار (٢٢).

وما زالت فروع تلك الأسرة العريقة، والشجرة الميمونة تسكن العراق، وإيران، وسائر الأمصار الإسلامية بعد أن مزقتهم العصابة الصدامية الحقيرة... وفرقتهم أيادي العمالة البعثية الدفينة... وجعلتهم طرائق قديماً، وفرقتهم في البلاد كقصاصات الورق، وهم السادة آل العطيبي الذين يقطنون مدينة الكاظمية. وآل السيد عيسى الحسيني. وآل السيد حيدر. وآل السيد الحبوبي الحسيني. وآل السيد زيني الحسيني. وآل السيد حمدي الحسيني. وآل السيد أحمد الحسيني البغدادي العطار. وآل شرفاء مكة المكرمة.

وهذه البيوتات من الأسر والعوائل الكريمة العريقة في التاريخ، والمستحقة للتقدير والإكبار والإعجاب والخلود، فنههم شاعر محكم النسيج، متخير اللفظ، مصقول العبارة، أنيق الديباجة قد خلعت على أسلوبه البلاغة زخرفها وكسته الفصاحة بجميل وشيها، ومنهم فقيه أجمعت أصحاب السير والتاريخ على إمامته في البلاغة، وبراعته في الترسيل، وطول نفسه في العبارة، وافتتانه في تلوينها، وإبداع تصويرها على مدى العصور، فتجد في مطاوى كتبه وكلامه قبساً من الحكمة من أقوى أداة الكاتب والشاعر.

ومن هذا البيت من هم أساتذة مدرسة خاصة في الأدب والكتابة، وكانوا في الأخلاق الكريمة والتمسك بآداب الإسلام، ومجد العرب أمة وحدهم، لا يعينهم شيء في الحياة إلا أن يجرسوا لغة القرآن ويحافظوا على التشريع والسنة الإسلامية، وأساليبها ثم كانوا لا يفتأون يعملون على إحياء الآداب الإسلامية، والأخلاق الدينية، لينشأ كل جيل على محبة لغته ودرس فنونها والتمرس بآدابها... ثم يأخذ بأخلاق دينه، وصالح عاداته، إذ كانوا على علم أن الأمة لا تنهض إلا باستمساكها بأصول لغتها، وكرم أخلاقها، ثم لها بعد ذلك أن تأخذ من العلوم والفنون اليافة في الحياة ما شاءت وشاءها نظام العمران.

ومنهم رجال جيوش وحروب وساسة رشيدة، افتخروا بشجاعتهم، وبسالتهم، وبلانهم في الحروب والمعارك. سيوفهم في كل وقت صاحبهم، وخلصهم الوحيد، فكانوا موضع التقدير وحفاوة الأبطال والشجعان، يفدونهم بأنفسهم لأنهم وجدوهم قوالون وفعالون، وكانوا على حد قول الشاعر:

بنفسي وفي الإقدام بالنفس مايردي  
وجارت حلوم القوم عن سنن القصد

وأني لسقدام على الهول والردى  
وإني لقوال إذا التسبس الهدى

فإن صلت فدائي الكسي بنفسه  
وإن قلت لباني الوليد من المهد  
كذلك إتي قائل ثم فاعل  
فعالي وغيري قد ينبر ولا يسدى

ومنه وما أكثرهم شيخ وقور تنتظم في بيته حلقات الذكر، وتهب لديه النفحات الصافية، ثم هو عالم متفقه في دينه يعظ الناس كل عشية وضحاها، بما وعاه من الكتاب والسنة فيز أوتار القلوب، ويأخذ بمجامع العقول هذا إلى عربيته الخالصة، ونسبه الواضح الصريح المشرف.

إنّ الكثيرين من هذه البيوتات العريقة في العراق، قادوا جيوشاً عرمرمة، وخاضوا بأنفسهم ميادين القتال ضد الإنجليز والمستعمرين، للذود عن الوطن، والشعب، والدين، واللغة، ووقفوا بوجه الطغاة، والعلماء وأعداء الشعوب المسلمة، وكتبوا وألقوا ودفنوا الشعب ووجهوه، نحو واجبه الديني من طرد الكفار... واليهود... من بلادهم، وأراضهم المقدسة التي تكالبت عليها شرذمة حقيرة من حثالة بني إسرائيل المجرمين الأوغاد، فاغتصبوها ونهبوا خيراتها ومنابعها الحية، وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون.

لقد وقفت هاتيك البيوتات الإسلامية العربية الأصيلة، وراء الشعب الإيراني، وشاركوه في إنتصاره وطفرة التحررية، وفي جهاده ونضاله سنة ١٣٨٢ هـ ١٣٤١ شم، بكل صراحة وقوة وإرادة، من غير خوف ووجل، واكثرث وهكذا هو المؤمن الحقيقي... إنّ المؤمن الحق المتغلغل في عروقه وشرائينه طبيعة الإيمان بالله الواحد الأحد... لا يكثرث في يوم ما بأمر ليس له من دين الله سناد، وهو في إقدامه وجرأته على المعروف والتقاليد سوف يلاق العنت والإضطهاد، والحرق، والجوع، والتشريد، والنفي، بيد أنه لا ينبغي أن يخشى في الله لومة لائم، وأن يمضى إلى غايته لا تعنيه قسوة النقد، ولا جراحات الألسنة، ولا أبواق الدعايات الفاشلة وإسفافهم الهزيل:

سأمضي ولو أن الصباح صوارم  
وإنسي جواد لم يحل لجامه  
وأسرى ولو أن الظلام جحافل  
وي منطلق لم يرض لي كنه منزلي  
ونصل يمان أغفلته الصياقل  
على أنني بين السماكين نازل

فعلی ضوء هذه الخطوط، نجد الكثير من رجالات وشخصيات علمية من البيوتات هذه يجاهدون بأقلامهم، ويراعهم ويضعون التآليف ويجعلونها طريقاً إلى الخير المنشود، والصراط المستقيم، ويضحون العلاقات والإعتبرات العرفية، والشهوات جانباً في سبيل الله، وإسعاد المجتمع، وغرس الفضائل وتعهدها، حتى تؤتي ثمارها... وحين يقترب وقت العمل والجهاد، ينهضون كوثبة الأسد من عرينه، ويقولون بملاء أفواههم: لا بد أن يلعب السيف

الآن دوره... وإذا تكلم السيف فاسكت أنت أيها القلم... وسننتصر... وما النصر إلا من عند الله.

أعود بذاكري إلى عام ١٣٨٢ هـ ١٣٤١ شم، عندما كنت في النجف الأشرف، وقد تعهدت الحركة المناهضة للمقاومة يومذاك ضد العهد الملكي الإيراني المياد فيها، تجاوباً لاهـ انتفاضة الشعب الإيراني المسلم المثابر الصامد، الذي كان يقدم الضحايا والقرايين في سبيل عقيدته، ورسالته في إيران، بعد أن ساهمت فيها النجف الأشرف مساهمة فعالة، ووقفت إلى جنب الشعب الإيراني المكافح، لأن نجاح الثورات والنضالات الشعبية التحررية في الوطن الإسلامي، منوط بتأييد النجف الكامل، ومساندتها مادياً ومعنوياً، وهكذا الحال في بقية الحركات العلمية والفكرية... وهذه المعالم واضحة في كل زمان، وقد ظهرت الشخصية النجفية على صعيد العلم والأدب والكفاح الشعبي، وكافة المجالات بوجه عام... فكنت على اتصال وثيق بزعماء الحوزة الدينية، وقادة الحركات العلمية، وأوقفهم على التغلغل الصهيوني في إيران، وأحثهم على استنكار الجرائم والحوادث الدامية المتتالية التي تجتاح الشعب، وفي خلال تلك الفترة أصدرت عدة بيانات حادة وقارصة ضد الحكم الملكي المباد، والإعتداء الصهيوني الغاشم، وتدخله السافر في قضايا الشعب الداخلية. والمجزرة الأثيمة التي وقعت بالشعب من لدن جلاوزة (بن غوريون) الطبقة الحاكمة على أكتاف الشعب والقتال، والتصادم، والأهوال والنكبات التي حلت بساحتهم... واعتقال زعماء الدين، والسياسة، والخطابة، والإقتصاد، وزجهم إلى غياهب السجون، ولم يكن ذنباً لهم يحتسب غير كفاحهم في سبيل مثلهم العليا، والدفاع عن حومة الدين، وعن حرية الوطن الشهيد... المذبوح بسكاكين هؤلاء الأوغاد... الذين أيدوا بالأمس اعتراف ملكهم القزم... بدولة اللقيطة إسرائيل.

أجل أعود إلى وراء بعض السنين الغابرة، فأتذكر جيداً أن كان من بين الفقهاء والمجتهدين الذين تجندوا ضد الحكم الملكي الفاسد في إيران، وكنت على اتصال دائم معه، الفقيه المجاهد الإمام السيد محمد الحسيني البغدادي المتوفى ١٣٩٤ هـ، وكان من أحفاد أمير الحجاز الشريف قتادة بن إدريس. فحدثته ذات يوم عن الظروف والحوادث الإيرانية، والتيار الصهيوني المقيت وأذنايه من القروود والأوغاد الذين ما برحت تنهش بأنيابها الدامية عروق الإسلام، وتفكك عرى القوة العربية، والاخوة الإسلامية وقد بلغ السيل الزبى، فكان لا بد للسيد أن يثور وبالفعل فقد إستجاب لصيحة القرآن... واندفع على صداها يذود عن شرف الإسلام وحرماته، ليجعل الحد الفاصل لمهاترات شرذمة إستحوذ عليهم الشيطان

الصهيوني فأنساهم ذكر الله.

فوقف في مجلسه الغاص بالجموع الثائرة الغاضبة على الحكم الملكي الفاسد، ورتل الخطبة العربية المأثورة: — يا معشر المسلمين... هالك معذور خير من ناج فرور... إنّ الجزع لا يردّ القدر وإنّ الصبر من أسباب الظفر... المنية ولا الذنبة، واستقبال الموت خير من إستدباره... فالجد الجد فما من الموت بد... — .

وعلى اثر النكبات، وفي وسط الأهوال والتنكيل بالشعب الإيراني بعث السيد... إستنكاره وإحتجاجه الشديد في برقية قارصة، قرأنا في سطورها آيات المجد والبطولة... وسور الخير والمحبة، والدعوة إلى الله وجمع الشمل ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

عاهل المملكة الإيرانية محمدرضا پهلوي — طهران

إنخداعكم لأعداء الإسلام الذين كان مقصدهم الوقعة في شريعة سيد المرسلين (ص)، والقضاء على الإسلام والمسلمين، هو الذي أدى إلى سوء صنيعكم بالشعب الإيراني وعلماؤه الأبرار قتلا وإرهاباً وتبعيداً، وأعظم من ذلك بغيكم على علماء الدين وعلى رأسهم الإمام آية الله الخميني، الذين بهم تقام الدولة وتنتظم الرعية كيف لا، وهم حجج الله وآياته وأعلام الدين ودعائه، وقد يؤدي سوء صنيعكم إلى سوء عاقبتكم في الدارين هواناً وخسراناً، ومديح القرآن في كثير من آياته هو البطش والانتقام من الجبابرة والطاغين، وأنّ فاجعة إيران اليوم لم تكن خاصة بهم بل عمت كافة المسلمين فإنهم منكم ناقون، وعليكم ساخطون، والأمر يحدث بعده الأمر.

محمد الحسيني البغدادي النجفي

لقد كانت لهذه البرقية الدينية السياسية، أثرها الفعال في البلاد الإسلامية، فقد بادرت الصحف العراقية إلى نشرها وأذاعتها محطة إذاعة (صوت العرب) القاهرة، وفي إيران نقلت في حينه إلى الفارسية وطبعت مشفوعة بصورة السيد الحسيني... والغريب المؤسف أن بعضاً ممن أرخوا إنتفاضة الشعب الإيراني، ودقنوا مراحل إنقلابه المظفر نسوا أو تناسوا لعوامل هم أدري بها الإشارة، ولو من طرفي خفي إلى الموقف البطولي الرائع الذي لعبته الشخصية النجفية بصورة خاصة في هذا الحقل، وجهودها، واجتهادها المتواصل، في نجاح الإنتفاضة، ودفعها إلى التطور والتقدم والإزدهار. كما أنهم لم يذكروا مائة البرقيات، والنشرات، والمقالات الصادرة في وقته هناك، وكانت للجميع آثارها البالغة وتأثيرها العميق في نضوج



الثورة، وتمهيد قاعدتها الشعبية والدولية.  
ومهما يكن من أمر فبعد أيام مضت والكوارث والمحن في إيران... تزداد بطشة  
وشدة، وأذئاب بن غوريون... تواصل بطشهم وفتكهم بالشعب الإيراني المنعزل عن كل  
سلاح، سوى سلاح الإيمان... وسلاح العقيدة المنتصر بإذن الله تعالى وقوته... بعث السيد  
الحسني ببرقية اخرى، واستنكر أيضا بطش الطبقة الحاكمة الديكتاتورية في إيران وعبثهم  
وغيمهم ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

عاهل المملكة الإيرانية محمدرضا پهلوي - طهران

أبرقنا لكم كما أبرق العلماء صيانة لمقامكم وشعبكم، فلم نجد منكم جوابا ولا هدى  
ولا صوابا، كانا من أعدائكم ولم نكن من أوليائكم، وما أدري أكان جهلا ونقصانا أو  
تمرداً وطغياناً، عصمنا الله وإياكم. فتمسكوا بالقرآن تلاوة واستماعاً، تنالون به نجاحاً  
وارتفاعاً، فاحذروا تخويفه، وتهديده، ووعيده، وبتشبه... فالله... فالله... في حماية الدين.  
الله... الله... في دماء المسلمين، والسلام على من اتبع الهدى.

محمد الحسني البغدادي النجفي

وليت مهاترات هؤلاء المناكير... وقفت عند هذا الحد من تعذيب رجال الدين،  
وتشريدهم وقتلهم والتنكيل بهم وإيداعهم السجون والمعتقلات، بل تمادوا في غيهم  
فأصدرت عملاء الصهانية... والبهائية أمراً بالقضاء على رجال الدين، وقتلهم تحت كل شجر  
ومدر، وبلغ عدد الضحايا من الشعب الإيراني المسلم ١٠/٠٠٠ آلاف. ويعلم الملك في الوقت  
نفسه باستمرار عرشه سنين عدة، ولكن هل من المعقول إستمرار حاكم مراهق كهذا، إعتد  
على أسياده المستعمرين من مصاصي الدماء، وأعداء الشعوب لإسناد كرسيه المحطم  
الجوانب، والذي صنع الشعب بضرباته الفولاذية منه تابوتاً للدكتاتورية المقبورة إلى أن يأتي  
أمر الله وكان أمر الله حتماً مقضياً.

يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار. وترى المجرمين  
مقرنين في الأصفاد. سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، ليجزي الله كل نفس  
ما كسبت إن الله سريع الحساب (٢٣).

وهكذا شاءت مشيئة الله سبحانه التي لا مرة لها، أن تتبدل الأرض سنة ١٣٩٨ هـ  
١٣٥٧ شم، ومن عليها وتصبح إيران شرارة ونيرانا، وغضبة على أعداء الشعب، والوطن،  
والدين، وينزل الشعب بكامل أقشاره وطبقاته إلى الشوارع والطرقات بايمان راسخ واحد،

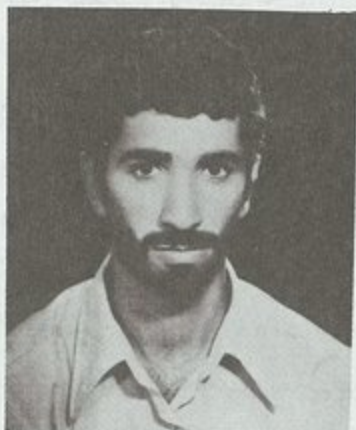
وقلب واحد، كالأسد الضاري، ويشق بزحفه التحرري الإسلامي، أمواج وتيارات  
الإتجاهات الدخيلة الكاذبة الوافدة من خارج الوطن الإسلامي، المتحكمة في ربوع بلادنا...  
فيحطم قيود الإستعمار والإستعباد، ويكسر كابوس الذل والتخلف، ويدمر عروش الطغاة  
بمعاول الشرف والكرامة والحريّة، ويلف العملاء والأذئاب في طي المآلي، ويلقى بهم في  
مزبلة التاريخ، والعدم، لا رجعة لهم ولا عودة.

لقد حانت أن تنفجر بركان غضبة الشعب الإيراني المسلم... وحلت اللحظة المناسبة  
للجماهير الهادئة أن تعبر عن مشاعرهما، وأحاسيسها، وعصيانها، للنظام الملكي الفاسد،  
وراحت تردّد الشعارات الثورية الإسلامية، وتحركت المظاهرات، وسارت المسيرات واندفعت  
القوات المسلحة تشارك وتضامن أخوانهم، في كافة المناطق مكبرين الله أكبر... الله أكبر...  
إنّ خواطر الإنتفاضة الشعبية الإيرانية، وذكرياتها اليانعة، والمثمرة، ستبقى إلى الأبد  
بعد أن أصبحت أغصانا وفروعاً وأوراقا في شجرة الحرّية التي سقتها دماء الشهداء من  
أبناءنا... دماؤهم الطاهرة التي صنعت تاريخاً يقرأ، وسطرت خواطر وذكريات لا تنسى،  
وركزت خواطر لن تغيب... فن ينسى ضحايا المدرسة الفيضية المقدّسة في مدينة قم... ومن  
سينسى الشباب والأطفال، ونداءات الثورة في كل جزء من المنطقة..؟ ومن سينسى تلك  
الصيحات التي اخترقت حاجز السكوت في ليالي محرم، في المحافل، والمساجد، ومرتفعات  
الدور، والسطوح تنادى الله أكبر... الله أكبر... فما وجدت تجاوباً غير صوت الرصاص من  
الهمجية الحاكمة جواباً لها..؟ وهل تغيب عن خواطر الشعب تلك المجازر الناصعة البياض  
التي، أرادت أن تبرز سواد العصابة الحاكمة في يوم الجمعة الأسود..؟ إنها أيها القارئ  
كانت صوراً أعادت للحياة معناها، وللإنسان حرّيته، وشرفه، وكرامته، وبالتالي سوف لن  
هملها التاريخ، مادام التاريخ. ولن تنساها القلوب، ولن تغيب عن الخواطر والأذهان.

يا لغباء الطغاة والمستبدين الظالمة... ألم يعلموا أن كل قطرة من دم الشهيد تصنع  
ألف شهيد وشهيد؟ وإنّ شجرة الحرّية والعقيدة لا يمكن لها أن تنمو وتثمر إلّا بتلك الدماء  
النقية؟ ألم تعلم إنّ أرادة الإنسان لا يمكن أن تتبلور وتتقوى، إلّا في ظل الحراب والمعاناة؟  
وإنّ الشهداء الذين تساقطوا على تربة هذا الوطن الزكية قد أطلقوا صرخة الرفض المشرق في  
زمن الصمت المظلم الخانق..؟ أولاً تعلم إن دماء إبنّي المهندس الشهيد، مرتضى الأميني  
النجفي... ومن سار في دربه وهديه، من شباب هذا الشعب إمتزجت دماؤهم مع شظف  
العيش، وحرارة الواقع لتكون بركاناً لا يقتر ولا يهدأ.

أيها الشهداء الأبرار... إنكم بدمائكم أنرتم الطريق... وعبدتم السبيل وأيقظتم

الراقدين، وأرشدتم التائهين الحائرين، وأوضحتم النهج، وجددتم الأمل، وأصبحتم انشودة في  
فم التاريخ، وقضية يتحمل مسؤوليتها الجميع.



يا شهداءنا الأبرار... في كل أرض إسلامية، وفي كل جزء من هذا الوطن  
الإسلامي الكبير... صلوات الله، وتحياته، ورحمته، وبركاته عليكم يوم ولدتم، ويوم  
استشهدتم، ويوم تبعثون حياً، لتقفوا بين يدي الله قاصم الجبارين... تشكون إليه من سفك  
دمائكم الطاهرة، وإزهاق أرواحكم المطهرة، لا شيء إلا أنكم قلمت ربنا الله... واصبحتم  
في حياتكم ترفضون كل حاكم مستبد، يدعوا إلى غير عبادة الله... وهنيئاً لكم يا شهداء  
مكة... يا من تساقطتم على أرض المقدسات، واسقيتم تربة الحرم الشريف بدمائكم، لأنكم  
توخيتم يومذاك التعبير عن إرادتكم العقائدية، ومناعتكم الدينية فاجدتم وسيلة صادقة  
للتعبير إلا الدماء.

— إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله  
فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله  
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم. التائبون العابدون الحامدون  
السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود  
الله وبشر المؤمنين (٢٤).

ألوهية في عقيدتها..؟

إقتضت الحكمة الالهية بعد خلق السموات والأرض، وتدرج كل دابة على وجه  
الأرض، إفراز قسم، وفصل نوع منها، وأسماء بالإنسان، وشاء أن يتطور هذا الجنس من  
الحيوان في حياته، ويقطع مراحل التمدن والحضارة ويتوصل إلى صعيد المدينة الفاضلة،  
والتكامل النفسي، وذلك بعامل العقيدة والدين، فكانت بعثة الأنبياء، وإيفاد الرسل

وإنزال الكتب والصحف، لتمهد الإنسان وتصلحه لتبلور الإستعدادات والقابليات والمؤهلات فيه، ليتمكن الإنسان إجتياز المراحل، ويتوصل من هذا الطريق والمنفذ إلى القمة والرتبة والحياة الأبدية التي تتجلى فيها الأحكام الشرعية، والتي يتميز بها الحق من الباطل، ويظهره من خبث الشرك والوثنية والهمجية من الأقوال والأفعال، وتدعوه إلى اتباع ما يجعله أن يكون به أذكيا أتقيا، وكل ذلك بالطاعة والإنقياد إلى الله سبحانه بكامل جسمه وقواه المعنوية والمادية لأن الدين والتشريع الإلهي، الوسيلة الفذة التي تقود الإنسان إلى طريق الحياة الكاملة، وترفعه من الكمال إلى الدرجات المقدرة له، لذلك حصل النزاع والخلاف بين الروحانيين، والماديين، فذهب الماديون إلى أن العلم والدين ضدان لا يجتمعان، ونقيضان لا يتفقان حسب مفهومهم القاصر وإدراكهم الضعيف... وذلك أنهم قصروا الحياة والكون على المحسوسات، والمشاهدات، وأنكروا ما وراءها جملة وتفصيلا. فلاروح، ولا حساب ولا ميزان، ولا خلود، ولا جنة، ولا نار، ولا عذاب، ولا ملائكة، ولا غير هذا من العوالم الغيبية (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يلكنا إلا الدهر ومالمهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون. قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٥).

والواقع أنهم لو أمعنوا البحث والدقة، ودرسوا ما فتح الله به على العالم العصري من الحجج العيانة في إثبات عالم ما وراء المادة، ثم نظروا للدين في أصله ومصيره، ورسالته وينبوعه، وعلاقته بالروح الإنسانية، لأذعنوا على زلم وعادوا إلى الدين بعد أن رجع إلى الدين من كان أشد منهم بطشاً، ومضى مثل الأولين ولأيقن أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلادين، لأن الإنسان قد ثبت مرتبط بالعالم الروحاني صلاحاً أو فساداً، بمعنى أن كل فرد منا معرض لتأثير الكائنات الروحانية، سواء كانت علوية أو سفلية، فالسلفية تستولى عليه بالوسوسة والإغراء والتخلف والجهل، والعلوية تمحصه النصيحة والإرشاد والتوجيه والدعوة، وهو بينهما في حالة تنازع وصراع يتأدى في نهايته إلى ما قدر له من خير أو شر، إصلاح أو فساد.

أن من يؤمن ويعتقد بالعالم الروحاني يعتقد بالألوهية، وبالروح، والبعث، والحساب، والجزاء، ومن يعتقد بالخواص يعتقد تبعاً لها بالضرورة بالأنبياء والرسل... ومن يعتقد بارتباطه بعوالم الغيب، يعتقد بضرورة الكمال الخلقى.

لم يكن الدين فلسفة لها أبواب وفصول، ولا هو فقها يعرف به الحق من المبطل من المتخاصمين، ولا هو علما تؤخذ منه أحوال الشمس والقمر، وطبائع الحيوانات، والنباتات،

والمعادن، وتاريخ الأمم... وإنا هو ميل وإتجاه روحاني من النفس البشرية للتخلص من أسر هذه المادة الأرضية، والعروج إلى سماء الكمال الأقدس. كان يظهر بهذا الميل في كل جيل أو أجيال، رجل يرسله الله تعالى إلى قوم يصيح بهم، ليربأوا بأنفسهم عن مشاكلة الحيوانات في عمايتها والجمادات في مواتها، ويرهم أن للإنسانية مجالاً أعلى مما يتقاتلون عليه من حطام هذه الأرض الفانية، وزخارف الحياة الزائلة وملاذها الوقتية.

هذا الإتجاه الروحاني فطرة فطر الله تعالى عليها كل إنسان تزيدها العلوم قوة وظهوراً، ولا يعقل أن دوراً من ادوار الإجتماع أو حالاً من أحوال التقدم الحضاري، أو التطور الصناعي يلاشى هذه الفكرة الإنسية الكريمة وإلى هذا أشار الله سبحانه بقوله: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) (٢٦) وذهب إليه — أرنس وينان — في كتابه فقال: — من الممكن أن يضمحل ويتلاشى كل شيء نجبه، وكل شيء نعه من ملاذ الحياة ونعيمها. ومن الممكن أن تبطل حرية إستعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين أو يتلاشى. بل سيبقى أبد الأباد حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يودّ أن يحصر الفكر الإنساني في المضائق الدنيئة للحياة الطينية —.

أجل يستحيل على أي حال من أحوال العالم، أو دور من الأدوار أن يتوصل إلى أباداة وملاشاة فطرة التدين في الإنسان، لأنها أشرف ميول النفس وأكرم عواطفها، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان ويجعله يتجرى من حظيرة القدس مكانة يضع نفسه فيها آنفاً من المادة وقدرها، غير راض أن تكون مرمى هممه ومطمع نظره ومنتهى أربه.

وأنا أؤكد، وأقول بصراحة أنه يستحيل أن يتلاشى هذا الميل في الإنسان، وأنه سيأخذ طريقه إلى النمو والتطور والإزدهار، رويداً رويداً حتى يضطر الإنسان لأن يخلع من عنقه نير وقيود، هذه المادة الصماء فيصبح متجرداً لسلطان الروح، ترفعه إلى أبعد ما يتوهمه وهم الواهين، من معارج الرقي الإنساني.

من الناس من يتظاهر بأنه تخلص من أسر التدين فيكتب ناعياً على المعتقدين عقائدهم، مصوراً نفسه بصورة الهازئ، ولو أنصرف لرأى نفسه من أكبر أسرى التدين لأن اهتمامه باظهار إلحاده وتهافته بمناسبة وغير مناسبة على الإعلان عن نفسه بأنه تخلص من نير الإعتقادات، يدلّ دلالة صريحة على أن فطرته الدينية تطالبه بجاعتها فهو ينشئ لها شبحاً من أصول الحاديّة لتسكن إليها نفسه، فلما لا تسكن وتخرّه ليطلب لها منجراً يجار ويملاً الأسفار طعناً على العقائد وتشهيراً بأهلها، طالباً مجادلاً يجادله فيها ليكون ذلك لنفسه متروحا ولفطرته متنسها وهيئات (٢٧).

فطرة التدين ستلازم الإنسان مادام ذاعقلٌ يعقل به القبح، والجمال، والحسن، والحب، وروية يجيلها في الكون والكائنات، وستزداد فيه هذه الفطرة مناعةً وفوه وحيوية، حسب نسبة علو ونضوج مداركه، وسمو وتبلور معارفه غير أن الأمر الخطير الذي يجب أن يعرف ويلاحظ بدقة، أن لا يوقع المرء في شرك الإجتاهات الدخيلة ومضائد الميول الإلحادية الحادة المتظاهرة بالصفات الإسلامية، والمتلثمة بالعبادة الدينية، فيخرجه من الصراط المستقيم، ويوقعه من حيث لا يدري ولا يدرك في حبال الشيطان، والتخلي من قيود وأنظمة التشريع الإسلامي الصحيح، الذي جاء به المشرع الأعظم (ص) فإنه سيعتقد حينئذ بالله تعالى، ولكن بغير ما أنزله الله، والذي تعتقده المذاهب الإسلامية والمسلمون منذ بدأ الخليقة... كما وأنه سيعتقد بالأنبياء والمرسلين والأوصياء ولكن عكس الموازين والحدود التي حددها الأولون في هذا الباب... وسيعتقد بالكتاب والصحف السماوية لكن غير مرتبطة بما فهمه وشرحه الأقدمون، من كيفيات وحيها وحدود سلطاتها وموازينها العقلية، المستمدة من الكتاب والسنة، والخلاصة أن الشيطان سيسؤل له عقيدة دينية، وتشريعاً إسلامياً تعتبر في الحقيقة كفرةً وإلحاداً، وزندقةً وفسقاً، نحو ما جاءت به الوهابية، من تصريحات وأقوال ونظريات وآراء تتجسد في كل واحدة منها روح الشرك والإستهتار، والفساد والإلحاد والتطاول والخروج على الكتاب والسنة، والحكم والقول بغير ما أنزل الله سبحانه كما ستقف عليه في الصفحات التالية.

والغريب المضحك... أن تقوم عصابة من المرتزقة، وشرذمة من ذوي الأقلام المأجورة التي تستخدم لخدمة كافة المجالات والإجتاهات، والأغراض الدنيئة أراء تسلم بعض النقود، من منافع البترول وعوائد الذهب الأسود... للدفاع عن الوهابية المقبورة، وتوصيفها بالإسلام الصافي... والإسلام الصحيح... وإن القائم بها أراد أن يخلص المسلمين من الضلالات والبدع والخرافات والأساطير المتحكمة في نفوس العامة وغير العامة، مكان القيم الصحيحة للإسلام ومبادئه، حتى أصبحت بعض الأشجار والكهوف والمغاور والقباب والأضرحة موضع قداسة وشفاعة أقرب إلى العبادة (٢٨).

إنّ الأديب المأجور... أحمد عسه..؟ ومن على شاكلته من المرتزقة القابعين على فضلات موائد آل سعود... لا يهمهم من الحياة والعيش غير تصاعد أرقام ودايعهم النقدية في البنوك، مهما كلف الأمر، وبكل وسيلة وطريقة وإن أدى إلى تشويه الواقع وقتل الحق والحقيقة، وانتصار الباطل والبغى، وإظهارهما بمظاهر الورع والتقوى مع وجود أدلة ظاهرة، وحجة دامغة في صفحات كتبهم على إبتعادهم من أطار الإسلام، وتخليهم من ربقة الدين،

وعدم رعايتهم للآداب الإسلامية، والموازين الشرعية، بالإضافة إلى التخلف والنفاق والمجاملة السافرة الظاهرة على صفحات مؤلفاتهم منذ البداية إلى النهاية.

ولهذه التصانيف أثرها السيء، وتأثيرها الفاسد، عند أفكار السذج من العامة فإنهم يشاهدون كتاباً ضخماً عليه كافة المحاسن الطباعية، من الورق الجيد، والتجليد، والإخراج، فيحسبونه سفيراً جاء إليهم بخير الدارين، وقد ذهب عليهم أن الكتاب خلوم من الواقع والصواب، ولم يستهدف مؤلفه منه غير إغفال القراء، وتشويه الحقائق، وسرد مواضع خطها يراعه المحطم، لصالح جهة معينة، والدعاية لها مقابل دراهم معدودة، ولو جست خلال صحايفه لأوقفك البحث والمطالعة على العجب العجائب، والسم الممزوج بالعسل، والكذب الشائن والتحكيم البارد، والتهمك الممض، والنسب المختلقة، والتضليل المفسد، والمدح الكاذب، وكأنه (ظلمات في بحر لجمي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكديراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (٢٩).

ومهما يكن من أمر فالتاريخ والأجيال، ستحاسب أمثال هذا المؤلف المرتزق... على أكاذيبه ومخترقاته، ودجله، ومراوغته، وخداعه السافر الذي يربو على عدد صفحات كتابه — معجزة فوق الرمال — البالغة ٨٥٣ وإن الله سبحانه له كذلك في الغد، بلبرصاد وإنه على صراط مستقيم.

وقبل الخوض في التحدث عن الوهابية... وعرض معتقداتها الرامية للوثنية، والشرك، والكفر، والنفاق، لا بد لنا الوقوف على كنهه واضح لبنيتها الأولى ومعرفة مراحل حياته من خلال دراسته وتلمذته، وسطور تآليفه، وفتلات لسانه، ونشأته لأن القضايا هذه تساعدنا للوقوف على أصلاته الخبيثة، ونفسيته الجشعة الأمارة بالسوء، والجذور الدافعة به إلى شن غارته، وتحديته ومحاربتة الفاشلة للتشريع الإسلامي، وقتله الذريع للمسلمين، وتكفيره لكل من يخالفه في مسيره ومصيره الشيطاني، وكذلك العوامل الباعثة له لنشر الفوضى، والقتل، والنهب، والسلب، وإراقة الدماء، والكفر، والفساد، والتدمير في المنطقة، ودعوة العامة للتخلي عن القيم والفضائل الإنسانية بصورة عامة.

الرجل الوغد... الذي كانت نتيجة حياته القدرة (١١١٥ — ١٢٠٧ هـ) إستيلاء الوهابيين من أعراب نجد على الحجاز، والحرمين الشريفين، وهدم معالم المسلمين، وإبادة قبور أئمة أهل الحق، من العترة الطاهرة، وجمع من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه، وكل نقطة ومحل يزار ويتبرك به في الحجاز، وتشويه محاسن تلك المشاهد الشريفة، والمشاعر الألهية التي يحن ويشتاق إليها قلب كل مسلم، في جميع الأنحاء المعمورة، لا لأهلها

ولأصحابها من المكانة العظيمة، والمنزلة الشريفة عند الله تعالى، وعند عامة المسلمين على اختلاف مللهم ونحلهم ولغاتهم، فجعل لتعصبه ونزعتة الأموية المتأججة بالحق، والحسد، والكفر، والشرك ... قبور قادة الدين، وأئمة الحق، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزان العلم، ومنتهى الحلم، وأصول الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأمناء الرحمان، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعتره خيرة رب العالمين، بعد تسويتها بالأرض معرضاً لدوس الأقدام، ووقوع وتجمع المزابل والقذرات، وروث الدواب والكلاب، ووطئها بأرجلها وربضها فوقها، إلى غير هذا من أنواع الإهانات والتحقير والإستهانة... فأذوا الله سبحانه بأعمالهم الشريرة الوحشية هذه، وأذوا نبيه (ص) وأحرقوا قلوب المسلمين، وجرحوا مشاعر المؤمنين وعواطفهم، واستحقوا اللعنة الأبدية المتواصلة المتلاحقة على امتداد التاريخ، إلى يوم الحساب (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَتَانَا وَهَاتِمًا مَبِينًا (٣٠)).

ومن المعلوم أن الله سبحانه منزّه من أن يناله الأذى، وكل ما فيه وصمة النقص والهوان والتطاول والوقية، فذكره مع رسول الله (ص) وتشريكه في إيدائه تشريف للنبي الأقدس (ص) وإشارة إلى أن من قصد رسوله بسوء، فقد قصده أيضاً بالسوء، إذ ليس للرسول بما أنه رسول إلا ربه، فمن قصده فقد قصد ربه. وقد أوعدهم الله باللعن في الدنيا والآخرة، واللعن هو الإبعاد من الرحمة، والرحمة الخاصة بالمؤمنين، هي الهداية إلى الاعتقاد الحق، وحقيقة الإيمان ويتبعه العمل الصالح، فالإبعاد من الرحمة في الدنيا تحريمه عليه جزاء لعمله، فيرجع إلى طبع القلوب كما قال الله تعالى: (ولعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) (٣١).

وأما اللعن في الآخرة فهو الإقصاء من رحمة القرب فيها فقال سبحانه: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (٣٢) ثم أوعدهم بأنه أعد لهم الله في الآخرة عذاباً مهيناً، ووصف العذاب بالمهين، لأنهم يقصدون باستكبارهم في الدنيا إهانة الله ورسوله فقبلوا في الآخرة بعذاب يهينهم (٣٣) وإلى هذا يشير رسول الله (ص) في قوله:

من آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

من آذى مسلماً آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.

من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقي الله مكتوب بين عينيه (آيس من

رحمة الله).



إنَّ أول من زرع بذور المذهب الوهابي، هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس ابن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي، ولد في بلدة العينية، وهي بلدة صغيرة في وادي حنيفة في نجد، وذلك سنة ١١١١ هـ، وذهب بعضهم أنه ولد بالدقة والتحديد عام ١١١٥ هـ، الموافق ١٧٠٣ م، وبعد أن قطع مراحل الطفولة حضر وأخذ في أول أمره عن كثير من علماء مكة والمدينة، ونشأ على العلم لأن بيت والده كان بيت علم، وفقه، ودراسة للمذهب الحنبلي... ولم يلحظ عليه أبوه وشيوخه في طفولته غير الضلال، والإضلال، وضعف العقل، والتخلف في دماغه وتفكيره. وكان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين إلا أنه لم يزل يتفرس في ولده محمد ذلك، ويذمه كثيراً ويؤنبه ويسخر به، ويحذر الناس والعامّة والأسرة منه. وكذا أخوه سليمان بن عبد الوهاب النجدي المتوفى بعد سنة ١٢٠٦ هـ، فقد أنكر عليه ما أحدثه في كبره وألف كتباً في الردّ عليه ومنها: الصواعق الآلهية في الردّ على الوهابية. وفصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبد الوهاب (٣٤) وبعد أن حصل على شيء من القراءة والكتابة، أصبح مولعاً بمطالعة وإسقاء أخبار مدعى النبوة أمثال:

١ - مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة المتوفى ١٢ هـ، ولد ونشأ في نفس البلدة التي ولد بها محمد بن عبد الوهاب، وتسمى اليوم بالجبيلة بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد. وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعرف برحان الإمامة، ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة، وافتتح النبي (ص) مكة، ودانت له العرب جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: وكان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرجال خارج مكة، وهو شيخ هرم فأسلم الوفده وذكروا للنبي (ص) مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم. ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى رسول الله (ص) من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك أما بعد فيأتي قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قریشاً قوم يعتدون—.

فأجابه النبي (ص) بسم الله الرحمن الرحيم... من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين... وأكثر مسيلمة من اختلاق أسجاع يضاهاى به القرآن، ومات النبي (ص) قبل القضاء على فتنته، وفي عهد أبي بكر توجه جيش الإسلام نحوه وهاجم ديار بني حنيفة، وتقاتلوا وانتهت المعركة بقتل مسيلمة سنة ١٢ هـ، ولا تزال إلى اليوم آثار قبور الشهداء من الصحابة ظاهرة في قرية الجبيلة حيث كانت الواقعة (٣٥).

٢ — سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التيمسية، من بني يربوع أم صادر ماتت نحو ٥٥ هـ. كانت شاعرة أديبة عارفة بالأخبار نبغت في عهد الردة، وادعت النبوة بعد وفاة النبي (ص) وكانت في بني تغلب بالجزيرة. وكان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب، فتبعها جمع من عشيرتها، فأقبلت بهم من الجزيرة تريد غز وأبي بكر فنزلت باليمامة فبلغ خبرها مسيلمة (المتنبيء أيضاً) وقيل: له إن معها أربعين ألفاً فخافها، وأقبل عليها في جماعة من قومه وتزوج بها فأقامت معه قليلاً، وأدركت صعوبة الإقدام على قتال المسلمين، فانصرفت راجعة إلى أخوالها بالجزيرة. ثم تحولت إلى البصرة وماتت بها (٣٦).

٣ — الأسود ذوالخمار عييلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، من أهل اليمن المتوفى ١١ هـ. متنبئ مشعوذ كان بطاشاً جباراً أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي (ص) فكان أول مرتد في الإسلام، وادعى النبوة وأرى قومه أعاجيب، إستهاهم بها، فاتبعته مذحج وتغلب على نجران، وصنعاء، واتسع سلطانه حتى غلب على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف، إلى البحرين، والأحساء إلى عدن. فجاءت كتب رسول الله (ص) إلى من بقى على الإسلام في اليمن، بالتحريض على قتله فاغتاله أحدهم في خبر طويل، وأورده ابن الأثير في تاريخه الكامل. وكان مقتله قبل وفاة النبي (ص) بشهر واحد. وكان له شيطان؟ يخبره بالمغيبات، فضل به الكثير من الناس وكان بين ظهوره وقلته نحو من أربعة أشهر (٣٧).

٤ — طليحة بن خويلد الأسدي. من أسد خزيمه مات ٢١ هـ. شجاع من الفصحاء يقال له (طليحة الكذاب) كان من أشجع العرب، يعد بألف فارس قدم على النبي (ص) في وفد بني أسد سنة ٩ هـ، وأسلموا ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة في حياة رسول الله (ص)، فوجه إليه ضرار بن الأزور، فضربه ضرار بسيف يريد قتله فنبأ السيف فشاخ بين الناس أن السلاح لا يؤثر فيه. ومات النبي (ص) فكثرت أتباع طليحة من أسد، وغطفان، وطيبى. وكان يقول: إن جبريل يأتيه. وتلا على الناس أسجاعاً أمرهم فيها بترك السجود، في الصلاة. وكانت رايته حمراء. وطمع بامتلاك المدينة فهاجمها بعض أشياعه فردهم أهلها، وغزاه نفر من الصحابة فانهزم طليحة إلى بزاحة (بأرض نجد) وكان مقامه في سميراء (بين توز والحاجر في طريق مكة) فقاتلوه ففر إلى الشام ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد، وغطفان كافة.

ووفد على عمر فبايعه في المدينة. وخرج إلى العراق، فحسن بلاؤه في الفتح واستشهد بناوند (٣٨).

إلى غيرهم من المرتدين المشعوذين الذين ادعوا النبوة وأمثالهم.

وقال ملطبرون كونزاد المتوفى ١٢٤٢ هـ، ١٨٢٦ م، من علماء الجغرافيا الإفرنسيين في كتابه (الجغرافيا العمومية): أصل المذهب الوهابي أن العرب سبوا أهل اليمن، تحدّثوا بأن راعياً فقيراً إسمه سليمان رأى في منامه كأن شعلة نار خرجت منه وانتشرت في الأرض. وصارت تحرق من قبلها فقصها على معبر فعبرها، بأن ولدأ له يحدث دولة قوّة تبيد كل من يقف في طريقها فتحققت الرؤيا في حفيده محمد بن عبدالوهاب، فلما كبر محمد صار محترماً عند أهل بلده بسبب تلك الرؤيا التي لا يعلم إنتها كانت أم لا؟ فأول أمره بين مذهبه سرأ فأتبعه جماعة ثم سافر إلى الشام فلم يتبعه أحد، فرجع إلى بلاد العرب بعد أن غاب عنها ثلاث سنين، وجاء إلى بلاد نجد، وأظهر هذا المذهب فتبعه عليه سعود، وكان شهماً حازماً وتقوى كل منها بالآخر، فقوى سعود إمارته من طريق الدين، باتباعه محمد بن عبدالوهاب على مذهبه، وقوى ابن عبدالوهاب دعوته من طريق السيف باتباع سعود له وانتصاره به، فكان سعود الأمير الحاكم، وابن عبدالوهاب الرئيس الديني، وصارت ذرّية كل منها تتولى مرتبة سلفها، وبعد أن صار سعود حاكماً على قبيلته، تغلب على قبيلتين من اليمن، ودان بهذا المذهب قبائل كثيرة من العرب، وجميع أعراب نجد، واختاروا مدينة الدرعية قاعدة بلادهم، وهي في الجنوب الشرقي من البصرة، وبعد خمس عشرة سنة اتسعت ولاية سعود، وهو يطمع في الزيادة وكان يأخذ ممن يطيعه عشر المواشي والنقود والعروض بل والأنفس، فيأخذ عشر الناس بالقرعة فجمع أموالاً عظيمة وصار جيشه يربو على مائة وعشرين ألف مقاتل (٣٩).

وقال شيخ الاسلام أحمد بن زيني بن أحمد دحلان المكي مفتي السادة الشافعية بمكة المتوفى ١٣٠٤ هـ. في كتابه (خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام) كان إبتداء ظهور محمد ابن عبدالوهاب سنة ١١٤٣ هـ، واشتهر أمره بعد الخمسين فأظهر العقيدة الزائفة بنجد، وقرأها فقام بنصره محمد بن سعود أمير الدرعية، فحمل أهلها على متابعتة فتابعوه ومازال يطيعه كثير من أحياء العرب، حتى قوى أمره فخافته البادية وكان يقول لهم: إننا أدعوكم إلى التوحيد، وترك الشرك بالله.

وقال أيضا في موضع آخر من كتابه: — إن الوهابيين أرسلوا في دولة الشريف مسعود ابن سعيد بن زيد المتوفى سنة ١١٦٥، ثلاثين من علمائهم فأمر الشريف أن يناظرهم علماء الحرمين فناظروهم، فوجدوا عقائدهم فاسدة. وكتب قاضي الشرع حجة بكفرهم، وسجنهم، فسجن بعضهم، وفرّ الباقيون. ثم في دولة الشريف أحمد المتوفى سنة ١١٩٥ هـ، أرسل أمير الدرعية، بعض علمائه فناظرهم علماء مكة، وأثبتوا كفرهم فلم يأذن لهم في الحج (٤٠) إنتهى ملخصاً.

وقال محمود شكري الآلوسي البغدادي بن عبدالله بن محمود بن عبدالله بن محمود الحسيني ١٢٧٣-١٣٤٢ هـ، في كتابه (تاريخ نجد) الذي ألفه خلال إقامته في نجد، حين انتدته الحكومة العثمانية للسفر إلى نجد والسعي لدى عبدالعزيز آل سعود، للقيام بمناصرتها - إن ابن عبد الوهاب نشأ في بلد العينية من بلاد نجد فقرأ على أبيه الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وكان من صغره يتكلم بكلمات لا يعرفها المسلمون، وينكر عليهم أكثر الذي اتفقوا على فعله، لكنه لم يساعده على ذلك أحد فسافر من العينية إلى مكة المشرفة ثم إلى المدينة فأخذ عن الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف، وشدد النكير على الإستغاثة بالنبي (ص) عند قبره.

ثم رحل إلى نجد، ومنها إلى البصرة، يريد الشام فلما ورد البصرة أقام فيها مدة، وأخذ فيها عن الشيخ محمد المجموعي، وأنكر على أهلها أشياء كثيرة فأخرجوه منها، فخرج هارباً ثم جاء بعد عدة تحولات إلى بلد حرملة من نجد، وكان أبوه بها فلازمه وقرأ عليه وأظهر الإنكار على مسلمي نجد في عقائدهم، فنهاه أبوه فلم ينته حتى وقع بينها نزاع ووقع بينه وبين المسلمين في حرملة جدال كثير، فأقام على ذلك سنتين حتى توفي أبوه سنة ١١٥٣ هـ، فاجترأ على اظهار عقائده والإنكار على المسلمين فيما أطبقوا عليه، وتبعه حثالة من الناس إلى أن غص أهل البلد من مقالاته، وهووا بقتله فانقل من حرملة إلى العينية، ورئيسها يومئذ عثمان بن أحمد بن معمر فأطعمه ابن عبد الوهاب في ملك نجد، فساعده عثمان وأعلن النكير على المسلمين، فتبعه بعض أهل العينية، وهدم قبة زيد بن الخطاب (٤١) التي عند الجيلة فغظم أمره وبلغ خبره سليمان بن محمد بن عزيز الحميدي، صاحب الأحساء، والقطيف، وتوابعها فأرسل سليمان كتاباً إلى عثمان يأمره فيه بقتله ويهدده على المخالفة فلم تسعه مخالفته.

فأرسل إليه وأمره بالخروج عن مملكته، فقال له: إن نصرتي ملكت نجد فلم يسمع منه وخرج إلى الدرعية سنة ١١٦٠، وهي بلاد مسيلمة الكذاب، وصاحبها يومئذ محمد بن سعود، من قبيلة عزيمة فتوسل بامرأة الحاكم إليه وأطعمه في ملك بلاد نجد، فتبعه وبايعه على قتال المسلمين فكتب إلى أهل نجد ورؤسائهم، وقضاةهم يطلب الطاعة فأطاعه بعضهم، وبعضهم لم يخفل به فأمر أهل الدرعية بالقتال فأجابوه، وقاتلوا معه أهل نجد، والأحساء، مراراً كثيرة حتى دخل بعضهم في طاعته طوعاً أو كرهاً، وصارت إمارة نجد جميعها لآل سعود، بالقهر والغلبة. ومات ابن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦، وقيل: ١٢٠٧ هـ، ثم مات محمد بن سعود فخلفه ولده عبدالعزيز، وقام بنصرة هذا المذهب، وقاتل عليه وبلغت سراياه

وعماله أقصى بلاد نجد، ثم مات عبدالعزيز فخلفه ولده سعود، وكان أشد من أبيه في التوقف، منع المسلمين عن الحج، وخرج على السلطان، وغالى في تكفير من خالفهم، ثم مات سعود وخلفه ابنه عبدالله (٤٢).

إنّ ما ذكره المؤرخون في تضاعيف تصانيفهم، إن دلت على شيء فإنما تدلّ على أن ابن عبد الوهاب الشرير الساقط، كان طوال عمره دوامة للفساد، والعبث، والقتل، والتحرّيش، والصخب، لم تترك نفسيته الخبيثة الأمارة بالسوء إلى الهدوء والسلام لحظة من اللحظات، ولم يهدأ من اشغال الفتنة والتنازع والمخاصمة بين المسلمين في وقت ما، فهو في الواقع كان حربياً وتدميراً ومعوّلاً هداماً للقيم الإسلامية، والمثل الإنسانية تسانده اليقباتل والعشائر البدويّة الهوجاء، المناوئة لولاية الأشراف، والمعادية لأمارة الشرفاء المسلمين، المؤمنين، الراضين لمخازي الوهابية الزعوفة... القبائل الوحشية المتخلفة عن سمات الحق، والخير، والفضيلة، والدين، وفي رأسهم آل سعود... مطية الوهابية، وحالة الجرائم والرذيلة الخانعة لدستور وبرامج ذلك المخرف الأجهق الذي حارب الإسلام. والقرآن، والشريعة، ومنع المسلمين من أداء فريضة الحج عدّة أعوام وانقطع الحج، والزيارة في أيامهم... وقد قيل من قبل: لا تولد الحية إلا الحية... واليوم تعيد أبناء هؤلاء الجلاوزة الكرة ثانية، فتعمل في منع المسلمين بشق الوسائل، والحيل، والعوامل الواهية عن حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه (ص).

(وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد. إنّ الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٤٣).

لقد تأثرت عقلية ابن عبد الوهاب الفظة بفتاوى أحمد بن حنبل، وتخرصات ونظريات تلميذ مدرسته أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن تيمية الحرائي الحنبلي، صاحب البدع والفتاوى، والعقائد الخراصة المعروفة الذي حكم فقهاء المذاهب الأربعة، وأثمتهم بضلالته، وبفساد عقيدته، وبمؤلفاته السخيفة التي كانت تشغل باله في رحلاته العديدة وفي أحاديثه المختلفة، مع رجال الدين وغير رجال الدين، ففكر كثيرا ما بالوسيلة التي تعينه على تطبيق نظريات ابن تيمية... فاهتدى إلى أن خلق الفوضى. والإرعاب، والاضطراب، بالسيف والقوة الوسيلة الفذة ولكن باسم العودة إلى الدين الإسلامي... وصفائه في أيامه الأولى، وإلى أخلاق الإسلام ونهجه في الحياة، لأغراء السذج، وتحكيم سيطرته الفاسدة ونشر إعتقاداته الباطلة، فنهج منهج أحمد بن حنبل.

وابن تيمية... لقناعته إن الدعوة الإسلامية التي نهضت بالمجتمع ونمته ودفعته إلى التطور والإزدهار، ورفعت من شأنه خلال اثني عشر قرناً يمكن تحطيمها ودفعها إلى الوراء، وجعلها مجتمعاً متخلفاً يرفس على فراش الفقر والمرض والجهل والفساد.

وكان أول مكان جهر فيه الشيخ الأرعن... بدعوته الضالة مدينة البصرة، وهي مدينة عراقية مؤمنة ومكافحة ومناضلة في سبيل الولاء والحب للعترة الطاهرة عليهم السلام، وقد تأثرت هذه المدينة بما وفد عليها من معتقدات وتسربت إليها من أخبار وأحداث ومناقب وفضائل وأحاديث عن الأئمة الهادين المهديين عليهم السلام... من إيران. فلما انتقد تلکم الطقوس والمعتقدات والعادات وحمل على النبي (ص) وعترته وذريته، بكلمات قارصة إصطدم بتقاليد المجتمع، وأدى هذا الإصطدام إلى ضجة عامة ساخطة أكرهت الشيخ...؟ على الفرار وترك البصرة مشياً على الأقدام متوجّهاً إلى مدينة الزبير، في يوم شديد القيظ لينجو بنفسه. وكان في نيته أن يذهب إلى بلاد الشام، ولكن إفلاسه وضحك يده من النقود حمله بعد ذلك إلى العودة لأهله في العينية كيف لا وقد تلاحقته الحيبة والخذلان.

عاد إلى العينية، وأخذ في الدعوة وبث أراجيفه وطلب من أميرالعينية أن يشاركه في رسالته، فبايعه كرها خوفاً على نفسه وإمارته وعشيرته، وآزره في قطع بعض الأشجار، وإحراق البساتين العائدة للمخالفين له، وتهديم بعض القباب التي كان الناس يقصدونها، ويتجهون إليها في أديعتهم، وطلباتهم، وابتهالاتهم، ومشاكلهم، فأحدث تقطيع وإحراق الأشجار وتهديم القباب سخطا ملحوظا في ذلك المجتمع، فاجتمع نفر من رجال الدين وحرّضوا أمير الأحساء على طرد الشيخ، ونفيه فأرسل الأمير إلى عامله في العينية يطلب إليه أن ينذر المشعوذ بالعودة عن غيه وضلاله، وترك المجتمع يعيش وفق التقاليد التي يمارسها، وأمره بقتله إن لم ينفذ الشيخ ما طلب إليه.

كان من الطبيعي أن يصرّ ابن عبدالوهاب...؟ على غيه وضلاله وفسقه، ولا يبذل رأيه فكذلك كان، ووجد أن أمير العينية ليس من منعة الجانب بحيث يقف في وجه أمير الأحساء، فخرج منها وتوجّه إلى الدرعية مقر إمارة آل سعود... لما له فيها بعض المغترّين بدعوته، ولم يكونوا كثرة، وهنا دعا أميرها إلى نصرته واتباع طريقه فتردد الأمير في الإضطلاع بهذه المهمة خوفاً من تألب الأمراء والعشائر في نجد عليه، ولكنه استشار زوجته (موضى بنت أبي وطيان) من آل كثير في هذا الأمر، حتى أشارت عليه أن يكرم وفادة الشيخ، ويحميه بعد أن كانت قد أجريت إتصالات في الخفاء، ووراء الستار بين الشيخ والمرأة بهذا الخصوص فأمرت زوجها أمير الدرعية بالانضمام إلى دعوته وقالت له: — إن مجيء الشيخ إليك هو

عطية الساء لك ... فاغتم ما خصك الله به.

آل سعود... يحتضنون محمد بن عبد الوهاب...؟

عمل أمير الدرعية (وتعرف اليوم باسم أم الساهك) بنصيحة زوجته، وقصده مع رجاله الأشداء في بيت مضيفه أحمد بن سويلم، فرحب به وعاهده على حمايته ونصرته، وتم الإتفاق بين محمد بن عبد الوهاب، والأمير محمد بن سعود، وتعاقد الاثنان على المتاجرة بالدين، وكان الإتفاق كالآتي:

١ — الجانب الأول محمد بن سعود... أن يكون له ولذريته من بعده السلطة الزمنية أي الحكم. وأن ينصر دعوة الشيخ بسيفه إذا ما احتاجت نصرتها إلى الجهاد، والقتال.

٢ — الجانب الثاني محمد بن عبد الوهاب... أن يكون له ولذريته الإمامة والسلطة الدينية — أي الإفتاء بتكفير وقتل كل من لا يسير وفق نهجه، ولا يدفع ما لديه من مال وتجارة وأملاك، وقتل كافة الرافضين لدعوتهم والإستيلاء والسيطرة التامة على أموال المخالفين. وكان من بين بنود هذا العهد ألا يلجأ محمد إلى حى أمير آخر.

وتم هذا الإتفاق عام ١١٥٨ هـ، الموافق عام ١٧٤٠ م، وهكذا تمت الصفقة وبدأت المشاركة وسمي محمد بن سعود إمام المسلمين...؟ وكذلك سمي محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة، وسارت شركتهما على هذا النهج الفاسد، غير أن الكثيرين من القبائل والأمراء، تألبوا عليها وكان من بينهم أمير الرياض دهام بن دؤاس، وقبائل الوشم وسدير، إلا أن ابن سعود، لم يجد بداً من اغتيالهم وقتلهم، فقد بدأت معارك طاحنة ومقاتلات عنيفة، وكانت بداية أعمالها الإجرامية تلك إرسال عميل مرتزق إلى حاكم الرياض قرية العارض آنذاك لا اغتياله فاغتاؤه. وبذلك سيطروا على العارض، ثم ارسلوا بعض المرتزقة إلى حاكم بلدة العينية، فاغتاؤه أثناء أدائه لصلاة الجمعة، وزعموا أن عثمان بن معمر حاكم العينية كان مشركا كافراً فلما تحقق أهل الإسلام من ذلك، تعاهدوا على قتله بعد إنتهائه من صلاة الجمعة وقتلوه، وهو في مصلاه بالمسجد في رجب سنة ١١٦٣ هـ، وفي اليوم الثالث لمقتله جاء محمد بن عبد الوهاب إلى العينية تصحبه شزيمة فعين عليهم مشارى بن معمر وهو من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أما كيف يكون حاكم العينية مشركا كافراً وهو مقتول في مصلاه بالمسجد ويوم الجمعة..؟ فذلك سؤال يمكن الإجابة عليه أن حاكم العينية كان يعبد رباً خلاف رب اليهود... الرب الأفاك السفاك الأثيم محمد بن عبد الوهاب، وزميله محمد بن سعود اليهودي.

ولكن أهالي العينية لم يصبروا على ظلم الباغيين، فثاروا عليها ثورة رجل واحد إلا أن البطش السعودي، والباطل الوهابي، انتصرا على الحق والواقع، فدمروا بلدتهم العينية تدميراً شاملاً عن آخرها، هدموا الجدران ودموا الآبار، وأحرقوا الأشجار والحقول، واعتدوا على أعراض النساء، وبقروا بطون الحوامل منهن وقطعوا أيادي الأطفال وأحرقوهم بالنار، وسرقوا المواشي، وكل ما في البيوت وقتلوا كل الرجال...

كانت مساحة بلدة العينية تبلغ (٤٠ كيلومتراً) غاصة بالسكان، متراسة المساكن إلى حد أن النساء كن في أيام الأفراح والأعياد، والمناسبات الشعبية، يتبادلن التهانى والأحاديث، والأخبار، من طبق البيوت والنوافذ، وما تلبث هذه التهانى والمعلومات، والأخبار إلا أن تعم كافة أنحاء البلدة بسرعة لا تتجاوز الساعة نظراً لا حتشادها بالسكان، ولكن البغي قد جعل من ابلدة العينية قاعاً صفضاً خراباً تراباً. وكانوا يجرمهم الصهيونية هذه، إيقاع الرعب في نفوس سكان بقية البلدان الاخرى. ليسهل إستيلاؤهم عليها، وهكذا بقيت العينية ولا زالت خراباً منذ عام ١١٦٣ هـ، حتى يومنا هذا (٤٤).

وعندما حمل آل سعود، مهمة الدعوة الوهابية في عهد محمد بن سعود، لم تكن حدود إمارتهم تتعدى بلدين أو ثلاثاً مع القرى التابعة لها في وادى حنيفة. ولما توفي محمد بن سعود، بعد أن قاتل المسلمين بسيفه وأباد معالمهم الإنسانية الخالدة واحداً وعشرين عاماً، إستلم راية الموت والتدمير من بعده ابنه عبدالعزيز بن محمد، فبسط سيفه وظلمه على كثير من البوادي والحواضر في شبه الجزيرة ناشراً وداعياً، حيثما حلّ تعاليم محمد بن عبدالوهاب حتى بلغ الرياض ففتحها بعد غزوات متوالية إستمرت خمس سنوات ثم اجتاز برجاله الأوغاد، فوصل إلى القصيم ودخل بريدة، وغزا الأحساء، وغار على بني خالد، وتوجه نحو العراق، وكان قائد جيشه في هذه الحملة ابنه سعود، وقاتل مع قبائل كثيرة حتى بلغ إلى عريق الدسم، وملك بالقوة والقهر والجور عدة من قرى نجد، وحاصر عنيزة قرية بسام فتصدى الشريف غالب أمير مكة إلى قتالهم وردّهم، وغزا الوهابيين ما ينوف على خمسين غزوة من سنة ١٢٠٥ - ١٢٢٠ هـ، واسترجع منهم المدن والقرى المغتصبة وقتل أتباع ابن سعود.

ثم جهز جيشاً بامرة الشريف عبدالعزيز، لقتال القبائل التي دخلت في دين الوهابية، فوصل به إلى تربة ثم إلى رينة ثم إلى بيشة، فأطاعته كلها ثم عاد إلى مكة. ولم يتقاعس امراء مكة الشرفاء من محاربة الوهابية فقد أعادوا الكرة عليهم سنة ١٢٠٨ هـ، بجيش من العربان بامرة عثمان المضايقي، وصبح بن قيحان، بموضع يقال له: عقيلان، وحصلت بينهم، وبين الوهابيين معركة وملحمة دامية عظيمة انتصر فيها عثمان، وأخذ جميع ابل ابن قيحان ثم هزمه



ابن قيحان، ولم ينتزع منه الإبل. وفي سنة ١٢٠٩ هـ، جهز الشريف جيشاً بامرة أخيه عبدالمعين لغز وهادي بن قرملة، وكان ممن توهب فنذربه وهرب فقصده ابن قطنان من أتباع ابن سعود، فحصره في قصره وقبض عليه وأرسله إلى الشريف غالب فسأله العفو فعفا عنه، وأطلقه فلما وصل إلى بلده غدر وأظهر العصيان، فدس إليه من قتله، وتوجه مواضع فيها أتباع ابن سعود فقتل منهم ثم عاد إلى مكة.

وفي سنة ١٢١٠ هـ، جهز جيشاً بامرة السيد ناصر فغزا جماعة من الوهابية فقتل ونهب، وعاد سالماً. وبعث أيضاً جيشاً بامرة السيد فهيد بن عبدالله، وغزا جماعة من الوهابية، وقبض على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادي بن قرملة فقتل إثنين وأخبره الثالث بموضع القوم مخافة القتل، فعفا عنه وجد في السير، وفي اليوم الثاني وصل إلى محل هادي بن قرملة فقتل من أصحابه نحو المائة وانهمز الباقون. فتوجه إلى طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان بامرة ابن قيحان، وهو ممن توهب فقتل منهم، ونهب وصادف ابن شذير من شيوخ قحطان غازياً فقتل من أصحابه خمسة وأربعين، وأخذ ابن شذير وإبله وخمسة من الخيل وعشرين من جياذ الركاب.

ثم جهز جيشاً بامرة أخيه عبدالمعين فأرسل العيون فوجد من يريده من العريان قد ترفع وأبعد لما سمعوا به فأبقى جماعة في تربة، ورجع ثم جهز جيشاً كثيفاً بامرة السيد ناصر، حتى أتى الشماس فدهمهم جيش الوهابيين فجرت ملحمة عظيمة، وقتل من الفريقين خلق كثير، ورجع السيد ناصر إلى مكة.

وفي سنة ١٢١١ هـ، جهز جيشاً بامرة السيد فهيد، فأرسل سرية إلى الخزمة فقتلت منهم، ثم أغار على قوم من حرب توهبوا ثم ارتحل إلى روع النعام، فدهمهم الحجيلاني أمير الخرج، بجند كثير فوقعت ملحمة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين، ثم غزا هادي بن قرملة بموضع يقال له: البقرة فقتل منهم، وأخذ فرس ابن قرملة، وابله ثم رجع إلى مكة. وجهز له الشريف غالب جيشاً، وأمره بالرجوع فلك رينة، ونهبها وأحرق دورها ثم أتى الجنيينة وأرسل الجواسيس إلى قوم سماهم فأخبر بارتحالهم فعاد إلى مكة.

وفي سنة ١٢١٢ هـ، جهز جيشاً بامرة السيد فهيد، على قوم من حرب في عريق الدسم توهبوا فغنم وعاد سالماً.

ثم جهز جيشاً بامرة السيد مبارك فأغار على قوم من حرب توهبوا بموضع يقال له (العلم)، فغنم مواشيهم وصادف في طريقه خمسة وأربعين من الوهابية فقتلهم، وأراد الرجوع ففنه الشريف غالب وأمدّه بجيش بامرة السيد سعد فاجتمعوا على صلبة، وارتحلوا وأقاموا على

(مران) وبثوا الجواسيس فبلغهم أن الوهابي، جمع لهم مالا طاقة لهم به فأرادوا الرجوع فنعهم الشريف غالب، وخرج بنفسه في جيش عظيم حتى وصل إلى (مران) واجتمع بها ثم أغار على قوم من قحطان، وأخذ مواشيهم. ثم أغار على ابن قرملة في (القنصلية) وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفر ابن قرملة منهزماً ثم عاد إلى (رينة) وحاربها وقطع نخلها فطلب أهلها الصلح، فعفا عنهم وارتحل إلى (بيشة) فأقربها جماعة أطاعوه، وفر آخرون فأحرق دورهم وارتحل إلى (الخرمة) فأأادها، وجاءه خبر بقدوم الوهابيين في جمع عظيم فاتهم المخبر، وبعد يومين اقبلوا في جموعهم، والتحم القتال فقتل من الفريقين ماينوف عن ألفين، ومن الأشراف نيف وأربعون وكانت الغلبة للوهابية ثم رجع إلى مكة.

وفي سنة ١٢١٣ هـ، شهر جمادى الأولى، إنعقد الصلح بين الشريف غالب، وعبدالعزیز بن محمد بن سعود، بعد مكاتبات، وجعلوا حدوداً للأراضي والقبائل التي تحت طاعة الشريف وطاعة ابن سعود، وأخذت العهود والمواثيق بينهم على ترك الحرب، وأن يحج الوهابيون ونودي بالأمان، وحج من علمائهم، حمد بن ناصر، ومعه شردمة منهم ولم يحج أميرهم لأن سليمان پاشا والى بغداد جهز عليه جيشاً بأمره علي بك كتحدا فحاصره لكنهم دسوا دسائس أفسدوا بها أهل العسكر وفر أميره هارباً.

وفي سنة ١٢١٤ هـ، حج سعود بن عبدالعزيز ومعه أناس كثير، واجتمع بالشريف غالب في خيمة ضربت لها بالأبطح.

وفي سنة ١٢١٥ هـ، حج سعود أيضاً ومعه جند يزيد على عشرين ألفاً، وأرسل قبل قدومه هدية للشريف غالب مع حمد بن ناصر، وهي خمسة وثلاثون من الخيل، وعشر من النوق العمانيات، فقبلها الشريف وكافأهم عليها، وكان قد احتس قبل قدومهم خوفاً من غدرهم، فبنى سور الطائف والأبراج التي في أطراف مكة ومدخلها، وطلب كثيراً من القبائل وترس جميع المداخل والأبراج، فلم يدخل سعود مكة بجيشه قبل الوقوف بل نزل بعرفة. وفي الثاني عشر من ذي الحجة وقع خصام بين عرب الشريف، وقوم سعود أدى إلى القتال بالرصاص، فنع الشريف عربيه، وكف القتال ونزل الناس من منى قبل الزوال ثم رحل سعود إلى بلاده (٤٥).

وحين جبن آل سعود وانعقد الصلح بينه وبين الشريف غالب، قرّر الغارة والحملة على العراق باسم (دعوة التوحيد لدين الله) والله تعالى منهم براء... وأنهم يحكون باسم القرآن، ولكنهم كانوا يرتكبون أبشع المنكرات باسم القرآن نفسه، كل ذلك من أجل تسكين الحكم الملكي السعودي الوهابي اليهودي البغيض في الجزيرة العربية، والأراضي المقدسة

فسارت تفتك بالناس، وتسلب الأموال وتعتدى على أعراض النساء، وتبقربطون الحوامل وتقتل الأطفال، وتأخذ ماتبقى من الأحياء سبايا، تسترقهم رغم كفاح الشعب الحجازي الثابر، فقد كانت القبائل مع الحضرة تقاتل بشدة آل سعود، ودعوتهم الخبيثة التي جرت على المسلمين منذ ساعتها الأولى السوداء إلى يومنا هذا، أنواع الويلات والمصائب والتطاول والإعتداء والقتل والتدمير.

### غز والوهابية لمدينتي النجف الأشرف و كربلاء:

حين تراجع آل سعود من الغارة على مدن وأرياف الحجاز، حسب الإتفاق الحاصل بينه، وبين الشريف غالب الحسيني، لم تبدأ شرارة نفسيته الأمارية، ولم تسكن لهوب شهوته التوسعية الإجرامية إذ لم يكن للدعوة السعودية الوهابية في الحياة من أول قيامها هدفاً غير التلاعب بمقدرات الدين، ونواميس الطبيعة، والنهب، والسلب، والسرقة، والكذب، والدجل، والفجور، والفسوق، كل ذلك باسم الدين الصحيح، والتوحيد الصحيح... فقررُوا الهجوم والغارة على مدينتي النجف الأشرف و كربلاء المقدستين، بحجة تطهيرهما من آثار الشرك والأصنام والأوثان، بالإضافة إلى وجود بعض الشراذم في العراق، من الموالين للوهابية ومنهم التاجر اليهودي (الياهو كوهين ساسون) فقد كانت اليهود في العراق تدعم محمد بن عبد الوهاب وشركاه آل سعود، عن طريق هذا اليهودي.

ففي سنة ١٢١٦ هـ، جهز سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود الوهابي جيشاً عظيماً، من أعراب نجد، وغزا به العراق وتوجه إليه عن طريق الحائل، وحاصر مدينة كربلاء ثم دخلها عنوة، وأعمل في أهلها السيف، ولم ينج منهم إلا من قره أرباباً أو اختفى في نجباً، أو تحت أنقاض، وحطب ونحوه، ولم يعثروا عليه، وهم جيران قبر ابن بنت رسول الله (ص) السبط الشهيد ونهبها، وهدم قبر الحسين عليه السلام، واقتلع الشباك الموضوع على القبر الشريف، ونهب جميع ما في المشهد من الذخائر، ولم يرع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا لذريته حرمة، وأعاد بجرائمه وجريته ذكرى فاجعة كربلاء، ويوم الحرّة، وأعمال بني أمية، والمتوكل العباسي. وقال أهل العراق وهم أعلم بما جرى وحدث عليهم في بلادهم، أنه ربط خيله في الصحن الشريف وطبخ القهوة ودقها في الحضرة الشريفة.

وقال الفقيه الحجة السيد محمد جواد بن السيد محمد بن السيد حيدر بن السيد إبراهيم الحسيني الشقراطي النجفي العاملي ١١٦٠-١٢٢٦ هـ، صاحب كتاب (مفتاح الكرامة) وهو من كبار علماء الإمامية، وفضاحل فقائهم في القرنين الثاني عشر، والثالث عشر

المهجريين، وفي عصره كان غزوهم للعراق: إنَّ سعودا الوهابي الخارج في أرض نجد إخترع ما إخترع في الدين، وأباح دماء المسلمين، وتخريب قبور الأئمة المعصومين، فأغار في السنة المذكورة على مشهد الحسين (ع) وقتل الرجاا والأطفال، وأخذ الأموال، وعات في الحضرة المقدسة فأفسد بنايها وهدم أركانها.

وقال: وفي الليلة التاسعة من شهر صفر سنة ١٢٢١ هـ، قبل الصبح هجم علينا سعود الوهابي، في النجف ونحن في غفلة حتى أن بعض أصحابه صعد السور، وكادوا يأخذون البلد فظهرت لأميرالمؤمنين عليه السلام، المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة، فقتل من جيشه كثير ورجع خائباً.

قال: وفي جمادي الآخرة سنة ١٢٢٢ هـ، جاء الخارجي الذي إسمه سعود إلى العراق بنجوم من عشرين ألف مقاتل، أو أزيد فجاءت النذر بأنه يريد أن يدهمنا في النجف الأشرف غيلة فتحذرنا منه، وخرجنا جميعا إلى سور البلد، فأتانا ليلا فرآنا على حذر، قد أخطنا بالسور بالبندق والأطواب، فضى إلى الحلة، فرآهم كذلك ثم مضى إلى مشهد الحسين عليه السلام على حين غفلة نهراً فحاضرهم حصاراً شديداً، فثبتوا له خلف السور، وقتل منهم وقتلوا منه، ورجع خائبا وعات في العراق، وقتل من قتل، وقد استولى على مكة المشرفة، والمدينة المنورة، وتعطل الحج ثلاث سنين.

قال: وفي سنة ١٢٢٥ هـ، أحاطت الأعراب من عنزة القائلين بمقالة الوهابي بالنجف الأشرف، ومشهد الحسين عليه السلام وقد قطعوا الطريق ونهبوا زوار الحسين (ع) بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان، وقتلوا منهم جمأً غفيرا وأكثر القتلى من العجم، وربما قيل إنهم مائة وخمسون، وبقي جملة من الزوار في الحلة، ما قدروا أن يأتوا إلى النجف فبعضهم صام في الحلة، وبعضهم ذهب إلى الحسكة، والنجف كأنها في حصار والأعراب ممتدة من الكوفة إلى فوق مشهد الحسين (ع) بفرسخين أو أكثر (٤٦) إنتهى.

أجل هذه هي الوسيلة الوحيدة التي فكرها كثيراً ما محمد بن عبدالوهاب، لتعيينه على النهوض بمجتمع شبه الجزيرة العربية فاهتدى إلى أن العودة إلى الدين الصحيح، وإلى صفاء الإسلام، وإلى أخلاق الإسلام ونهجه في الحياة هي الوسيلة لبعث هذا المجتمع من جديد، كما بعثه الإسلام أول مرة (٤٧) وهكذا يعمى الريال السعودي وعوايد البترول عيون عصابة من المرتزقة المأجورين، ويصم أسماعهم ليجعلوا الحق باطلا، والباطل حقاً فتعسا لهم (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) (٤٨).

وهنا يقول شيخ التاريخ الفقيه المؤرخ العلامة الأميني ١٣٢٢ - ١٣٩٠ هـ، في كتابه

عند ترجمته للفقير المتكلم المولى عبدالصمد الهمداني: - إستشهد رحمه الله في هجمة الوهابيين على كربلاء المشرفة، بعد ما اخرج من داره بالخليل وذلك في يوم الأربعاء ١٨ شهر ذي الحجة الحرام، يوم الغدير سنة ١٢١٦ هـ، وقيل: إن المترجم كان يقول ويكرر: - ستخضب شيبتي من دمي - وذكره وأطراه غير واحد من أصحاب التواريخ ومعاجم الأعلام.

قتل مع المترجم جمع من أعلام الدين، والعلم، منهم علم العلم وعيلم الفضل الشيخ محمد، والحبر التقي الشيخ عين علي، والعلوي الشريف السيد صادق، والفتي السامي علي، وهؤلاء لم نعلم تفصيل تاريخ حياتهم.

(الوهابية) فئة منسوبة إلى محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التيمي ولد سنة ١١١١ وتوفي سنة ١٢٠٦ كان من أعراب نجد مقيماً في البصرة تلميذاً للشيخ محمد مهدي البصري، مخالطاً لعلماء عصره، محصلاً للعلوم في أول أمره حتى آل أمره إلى اتباع الهوى والإغترار بالأباطيل والمنى، فاخترع مذهباً خارجاً عن فرق الإسلام، بناه على إنقاص ما أسسه ابن تيمية الحراني، وتلميذه ابن القيم.

ومن مذهبهم تحريم الأحتفال بالموتى، حتى الأنبياء والأئمة عليهم السلام. وتحريم البناء على قبورهم. وزيارتهم، والتوسل إلى الله. والإستشفاع بهم. وسوق النذور والقراين التي يتقرب بها إلى الله، ويهدى ثوابها لهم. والصلاة في تلك المراقد الشريفة. ووجوب المنع عن جميع ذلك. وهدم بنايات القائمة على القبور المقدسة. وأنه يجب اتباع من شهر السيف منهم متسمى بأمام المسلمين. وأن المتبع هو رأيه حسب مقتضيات الظروف والأحوال، ولا عبرة بقول ميت أبداً، وقد بلغت به الجرأة حتى قال: (عصاي خير من محمد فإنها تنفع ومحمد لا ينفع) وهؤلاء يكفرون فرق المسلمين وينبذونهم بالشرك والإلحاد، ويبيحون دمائهم.

ثم إنه تزلف إلى عبدالعزيز وكان من مشايخ أعراب نجد حنبلياً، وقد اجتمع عليه خلق كثير فتابع أمره ونهب في أول أمره ذخاير المدينة المشرفة، وهدموا قبور أئمة البقيع، وارتكبوا المآثم وبنوا في نجد حصناً وسموه (الدرعية) ثم لما قوى أمره وغدا ملك الحرمين الشريفين، قصد الاستيلاء على النجف الأشرف، وهاجها مرتين، وقاتل ربيون كثير وأعانهم على ذلك شيعة بني خزاعة فدحروهم فردوا على أعقابهم قهقري.

ثم جاء سعود بن عبدالعزيز، بايعاز من أبيه فباغت كربلاء المشرفة، وهاجها في ذي الحجة صبيحة يوم الغدير سنة ١٢١٦ هـ، فورد عليها على حين غفلة من أهلها ومعه ١٢٠٠٠ ألفاً فأغاروا عليها ونهبوا ما وصلوا إليه، وأزهقوا النفوس وهدكوا الحرم، ولم يرقبوا

للمؤمنين إلا ولا ذمة، وأباحوا القتل فيها ست ساعات من النهار، قتل فيها سبعة آلاف من العلماء والفضلاء والأكابر والأشراف والملوك والسوقة، ومن شهداء تلك الواقعة المترجم ومن أوعزنا إليه، وقد انتهكوا حرمة رسول الله بتوهين الحرم القدسي، وهذا أركانها ونهب نفائسه إلى جرائم لا يساعديني على إثباتها الدين، وشرف الإنسانية.

وفي الليلة التاسعة من صفر سنة ١٢٢١ هـ، هجم سعود على النجف فقتل كثير من جيشه ورجع خائباً. وفي سنة ١٢٢٢ هـ جاء إلى العراق، بنحو من عشرين ألف مقاتل، فهجم على النجف، وكربلاء، ورجع خائباً واستولى على مكة بدون حرب سنة ١٢١٨ هـ، وهدم القبور والقبب بها وحاصرها سنة ١٢١٩ هـ، وفي سنة ١٢٢١ هـ، هجم على المدينة المنورة ووردها وهدم القبب التي فيها. ومنها قبة أئمة البقيع عليهم السلام، ونهب ذخاير الحجرة النبوية، وانقطع الحج من مصر، والشام، والعراق ثلاث سنين من سنة ١٢٢٠ هـ، وللهوابة في التاريخ حروب مع المسلمين تنيف على خمسين من سنة ١٢٠٥ هـ، إلى سنة ١٢٢٠ هـ (٤٩).

وجاء في مصدر تاريخي آخر— وهجمات الوهابي سنة ١٢١٦ هـ، فقد قصد النجف الأشرف للاستيلاء وهاجها مرتين، وقاتل ربيون كثير، وأعانهم على ذلك شيعة خزاعة فحروهم وردوا على أعقابهم القهقري.

وفي عام ١٢٢١ هـ، هجم سعود على النجف فقتل كثير من جيشه ورجع خائباً. وفي ١٢٢٢ هـ، جاء إلى العراق بنحو من عشرين ألف مقاتل، فهجم على النجف، وكربلاء، ورجع خائباً، وفي آخر تلك السنة جاء أيضاً للعراق، وقتل جملة من العلماء والمجاورين. وللهوابي هذا سلسلة حوادث دامية متتابعة على النجف.

هذا وبالنسبة إلى غاراتهم وغزاهم لمدينة النجف الأشرف البطلة، ينبغي القول أن المراجع التاريخية الصحيحة بأجمعها تثبت إنتكاستهم، واندحارهم وخيبتهم وفشلهم، وجبنهم، مقابل مقاومة أبناء النجف الأشرف، بحيث لم يتمكنوا بكافة قواهم وعدتهم إجتياز سور المدينة، وبعد أيام وقد تضاعف عدد قتلاهم ولوا هارين إلى جهنم وبئس المصير... والسبب أن أخبار وحوادث جرائمهم، وعيبتهم، وعيبتهم في الأراضي المقدسة، ومدينة كربلاء، كانت تصل إلى النجف الأشرف، وتعرض على زعيم الطائفة الشيعية الحققة، والمرجع الأعلى لها يومذاك الفقيه المجاهد شيخ مشايخ المسلمين، الشيخ جعفر بن الشيخ خضر بن الشيخ يحيى ابن سيف الدين المالكي النجفي ١١٥٤—١٢٢٧ هـ، صاحب كتاب (كشف الغطاء) فلقد بلغت زعامته القمة والذروة، وامتد نفوذها وسمت مكانتها، ودافع عن النجف الأشرف،

دفاعاً منيعاً صارماً، ووقف بوجه الغارات السعودية، وحملات الوهابية، وكان بطل الدفاع والقائد والمخطط الرئيسي له، فأمر من فوره بشراء وابتياح ما في الأسواق من التمر، وحمله واختزانه في داره والدور المجاورة لها، ودعا أبناء النجف الأشرف، والقبائل، والشيوخ، والشباب إلى التدريب، والتسلح فجدد الشباب، وسلحهم، وجعل بيته مشجراً للأسلحة وثكنة ومقراً للجنود، والمتطوعين للدفاع عن قدسية أمير المؤمنين (ع) وكرامته والذّب عن باب مدينة علم الرسول الأعظم (ص)، وباشر القتال والكفاح والجهاد إلى أن ردّ كيد الوهابيين اليهود إلى نحورهم.

ويقول الفقيه المؤرخ السيد محسن بن السيد عبدالكريم بن السيد علي الأمين العاملي الحسيني ١٢٨٢ - ١٣٧١ هـ، عند ترجمته للشيخ جعفر ما لفظه: - وكان شديد الغيرة على الطائفة عظيم العناية بأمورها، كثير المناهضة لخصومها، وقد انبرى للردّ على الوهابيين بيده ولسانه، لما عظم خطرهم على العراق، فردّ غاراتهم عن مدينة النجف وجمع الأسلحة، والذخائر في داره، ورّتب المقاتلة على السور، وباشر العلماء القتال بأنفسهم، وشجعوا المقاتلين بتحريضهم حتى ارتدّ سعود وأصحابه عنها خائبين، وفتحوا كربلاء عنوة ونهبوها، وقتلوا أهلها، وهم أكثر من أهل النجف. وأوفد رسالة خاصة إلى سعود بين له فيها فساد ما ينتحلونه من تكفير المسلمين ورميهم بالشرك (٥١).

وجاء في مرجع تاريخي آخر، عند ذكر قتل السيد محمود بن السيد أحمد مير جمال الدين الرحباوي الصفوي غيلة في قصر (عين الرحبة) من قبل جماعة من التجفيين - أنه لما دخل سعود الوهابي العراق من ناحية القادسية غازياً النجف ماراً بعين الرحبة، وقد دان له السيد محمود وأقره وأمره بقلع سقف قبة (قبر العلوي) إلى جانب العين، وأعطى السيد كتاباً في أمانه على مذهبه، وأودع عنده سبعة رجال من أهل النجف قبضهم في سواد العراق، بطريقه لغزو النجف ولما رأى أهل النجف يقظين مستعدين للحرب، رجع خائباً إلى كربلاء، ودخلها عنوة وفعل ما فعل في البلد، ثم مضى إلى بلد السماوة وحاصرها ثلاثة أيام، ولما رجع ابن سعود عن السماوة، جاء جماعة من أهل النجف يطالبون برجالهم السجناء عند السيد محمود الرحباوي في القصر، وامتنع السيد من إطلاقهم بزعم أنه متعهد بحفظهم، وأنه إذا رجع ابن سعود، ولم يجدهم عندنا يقتلنا بجيشه، ويحزّب ديارنا كما هي عادة غزوه، وترادا بالقول فأطلق أحد المطالبين عليه ببندقته، وقتله وأخذوا رجالهم سالمين (٥٢).

ومع هذه النصوص التاريخية الثابتة يقول الأديب المرتزق - أحمد عسّه - في بحثه عن قيام الدولة السعودية الأولى بقيادة محمد بن سعود، مانصه: - حتى بلغ بفتوحاته مدينة

كربلاء في العراق، وكان قائد جيشه في هذه الحملة ابنه سعود فبعد أن دخلها ظافراً، وهدم بعض قبائها لتنافي قيامها مع دعوة التوحيد، سار إلى النجف حيث القبور الكثيرة والقباب الشامخة، ولكنه لم يدخلها بسبب المياه التي كانت تحيط بها، وتجعل منها أشبه بجزيرة، وإن كانت هذه المياه قد جفت الآن.

بقي الأمير عبدالعزيز بن محمد يحمل راية الجهاد تسعة وثلاثين عاماً، وامتدت حدود الدولة السعودية أيامه في إتجاه الخليج العربي، حتى أصبحت تضم البحرين، وعمان، وقبائل (الجواسمة) في رأس الخيمة، مما جعل المؤرخين يقولون أنّ الشاطئ العربي، للخليج قد أصبح في ذلك الوقت جزءاً من الدولة السعودية الأولى. فلما تقدّمت به السن خلد الأمير عبدالعزيز إلى الراحة والعبادة، وأخذ البيعة في حياته لأبنة سعود. بناء على نصيحة قدمها إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب. فلما كان عام ١٨٠٣ م (١٢١٨ هـ) قتل في مسجد الدرعية غداً وهو يصلي العصر، وقيل: إنّ الذي اغتاله كان شيعياً من العراق، وإنه أقدم على ذلك إنتقاماً لغزو كربلاء (٥٣) - .

(أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) (٥٤).

هكذا تلعب العملة السعودية في أدمغة المرتزقة، فيحرفون الكلم عن مواضعها، ويختلفون معاذير مخالفة للتاريخ، والواقع والصحة، من غير خجل وحياء فيقول في أسباب عدم غز والسعودي الوهابي للنجف الأشرف: - إنه لم يدخلها بسبب المياه التي كانت تحيط بها، وتجعل منها أشبه بجزيرة، وإن كانت هذه المياه قد جفت الآن - .

توجيه وتبرير جيد...؟ يكذّبه ويفنّده الواقع، وهو أن الجميع يعلمون أن لم تكن في النجف الأشرف مياه تحيط بها لتجعلها أشبه بجزيرة... لأنها لو كانت حسب زعم الكاتب لما كانت تتقدّم أهالي النجف بمساعدة الحاج محمد حسين خان الصدر الأعظم الأصفهاني المتوفى بعد سنة ١٢٣١ هـ، ببناء البرج المثلث المستطيل، وهو السور حول النجف لمنع غارات اللصوص، وقطاع الطرق، والقنطرة أمثال محمد بن سعود، وشريكه في الكفر، والشرك، والزندقة، محمد بن عبدالوهاب.

نعم في جانب واحد من مدينة النجف الأشرف، توجد مياه بصورة جدول صغير، تسقي الحقول، والبساتين، والنخيل، ويعرف ليومنا هذا بـ(جدول) ويبعد عن المدينة في حدود ٢ كيلومتر، أما جوانبها الثلاثة الأخرى فهي صحراء وأراضي رملية قاحلة تمتد إلى مدينتي كربلاء المقدّسة، والكوفة التاريخية.



هذا بالنسبة إلى النجف الأشرف، وأما إغتيال محمد بن سعود، من قبل شيبي عراقي، أقدم على ذلك إنتقاماً لغز وكر بلاء... فكذبة اخرى فاحشة، يفندها ويضعفها ويخطأها السند التاريخي الذي يوضح عوامل إغتيال محمد بن سعود، ويشير إلى إسم القاتل ولفظه:

— في عام ١١٧٨ هـ، ١٧٦٥ م، إتفق أبناء (يام) من أهالي نجران، وقبيلتي العجمان، وبني خالد، وتحالفوا على مقاومة الإحتلال السعودي، تحالفوا على سحق محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب في جحورهما. تحالف بني يام بأن يسيروا من (نجران) بقيادة السيد حسن بن هبة الله، ويسير بني خالد، والعجمان من الأحساء، بقيادة حاكم الأحساء آنذاك (عرعر الخالدي) وتواعد الجميع على الزحف على (الدرعية) من نجران والأحساء، للقضاء على محمد بن سعود اليهودي، وابن عمه محمد بن عبدالوهاب، وحصد دعوتها في مهدها (الدرعية) وبالفعل سارت جموع بني يام، من نجران والأحساء، ولكن السيد حسن هبة الله، قد وصل بأهالي نجران إلى ضواحي الدرعية، قبل وصول العجمان، وبني خالد وتمكن أهالي نجران وحدهم من سحق الجند السعودي الوهابي الباطل شرّ سحقاً، وأسروا الأحياء منهم، واختفى محمد بن سعود، وكاد ينتهي أظلم وأقذر حكم دخيل في جزيرة العرب على أيدي أهالي نجران الأبطال، لولم يلجأ محمد بن عبدالوهاب للمكر والخداع.

لقد كاد يقضى على حكم الدخلاء، لولم يخرج محمد بن عبدالوهاب رافعاً راية الصلح على (أن يقف أهالي نجران عند حدّهم، ويمتنعوا من دخول الدرعية، وأن يسلموا ما تحت أيديهم من الاسرى السعوديين، ويتعهد كل من محمد بن عبدالوهاب، ومحمد بن سعود بدفع عشرة آلاف جنيه ذهب كتعويض لأهالي نجران عن رحلتهم هذه، وأن لا يتعدى محمد ابن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب، حدود الدرعية وأن لا يرفعا راية هذه الدعوة السعودية الباطلة مرة أخرى، وقد شهد محمد بن عبدالوهاب ببطلان دعوته أمام أهالي نجران) وهكذا جرى الإتفاق حرفياً بين أبناء يام، ومحمد بن عبدالوهاب معترفاً في آخر جملة من الإتفاقية ببطلان دعوته أمام أهالي نجران... إتفق محمد بن عبدالوهاب، نيابة عن محمد بن سعود، مع أهل نجران الشجعان على ذلك... وما أن وصلت جموع قبائل العجمان، وبني خالد من الأحساء، بقيادة عرعر الخالدي حتى فوجئوا بهذا الصلح غير المرضي للعجمان، وبني خالد لكنهم اضطروا لقبوله تمشياً مع ما اتخذه أبناء عمهم من بني يام من نجران.

وهكذا فشلت أول خطة ثورية رمزت إلى قوة الإتحاد، بين جنوب الجزيرة وشرقها، ولم يكن سبب فشلها إلا التصرفات الفردية للشيخ حسن بن هبة الله، ولولا ذلك لقضى على

الوجود السعودي الوهابي. حدثت هذه الخطة الثورية في سنة ١١٧٨ هـ، الموافق ١٧٦٥ م، رغم ما أحدثه محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب، من رعب في قلوب المواطنين حيث لم يتمكنوا من الخروج لمبارزة أهالي نجران، والعجمان، وبني خالد، الذين أوقعوا الرعب في قلب اليهودي محمد بن سعود، وأصيب بإسهال ومرض مرضاً شديداً من جراء ما انتابه من رعب شديد، حينما شاهد أبناء يام يحاصرون الدرعية بعد سحقهم للجنود السعودي... وقد تسبب ذلك في وفاة محمد بن سعود، من جراء المرض الذي أصابه من هذا الحادث ومات لسبعة أشهر من ذلك الحادث، وذلك عام ١١٧٩ هـ—١٧٦٦ م، وهكذا توفي الإمام محمد بن سعود المؤسس الثاني لدولة آل سعود الخبيثة، وكان المؤسس الأول مرخاي أو مرخان كما قلنا. وبقي الطرف الثاني، والشريك محمد بن عبد الوهاب يدير شركتها المحدودة، وحيداً لتقتيل الآمنين باسم الدين، ولكن أكبر أولاد محمد بن سعود، وهو عبدالعزيز بن محمد بن سعود، قد تمكن من تولي منصب والده محمد بن سعود، والسير في خطة أبيه الأول، في عدم فسخ الشراكة وتأييد فتاوى محمد بن عبد الوهاب، شيخ الدعوة الباطلة للشعوذة والحكم الوراثي، رافعين راية الباطل لقتل المؤمنين— باسم الله— والله منهم ومن دعوتهم براء. وكان عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، قد تزوج إبنة محمد بن عبد الوهاب وامتزج النسب الباطل ببعضه أكثر من ذي قبل، وما أن ازداد محمد بن عبد الوهاب قوة، حتى قام بالإتصال بيهود نجران طالباً دعمه مالياً، ثم أثارهم ضد الشعب في نجران. ثم أمر محمد بن عبد الوهاب جده بمواصلة غزواتهم على البلدان المجاورة في نجد، وأخذ شعبنا يقاوم ببسالة هذه الدعوة الباطلة، لكن الباطل السعودي كان أقوى فانتصر على حق الشعب المغلوب ويرجع ذلك لسببين:

١ — هو دعم اليهود في العراق عن طريق تاجر يهودي يدعى الياهو كوهين ساسون محمد بن عبد الوهاب وشركاه آل سعود.

٢ — هو تفكك الشعب... فاحتلوا القصيم، ومعظم أقطار نجد، ثم احتلوا الأحساء في عام ١٣٠٨ هـ، بعد مقاومة طويلة من شعبنا، فقتل آل سعود، ومحمد بن عبد الوهاب عدداً من شيوخ بني خالد، والعجمان، وفي الأحساء المظلة على شواطئ الخليج العربي، إجتمع عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب باثنين من رسول المخابرات الإنكليز عاقدين الإتفاق معهم ضد شعبنا، واستمر دعم الإنكليز لمحمد بن عبد الوهاب، ونسيبه عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وكانت زوجة عبدالعزيز بن محمد بن سعود، قد ولدت طفلاً من إبنة محمد بن عبد الوهاب... وباسم هذا الطفل، واصل محمد بن عبد الوهاب زحفه إلى العراق بقيادة (ابن إبنته) وإسمه سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فاحتلوا كربلاء

في عام ١٢١٦ هـ، وهدموا مساجدها ومآذنها، وهدموا قبة الحسين، وصادروا أموال المواطنين واعتدوا على نسائهم، وأخذوهن سبايا. وبقروا بطون الحوامل منهن — وهي طريقة سعودية معتادة — ثم عادوا إلى الحجاز فاحتلوا مكة، وجدة في ١٧ محرم ١٢١٨ هـ، وكانوا قبلها قد احتلوا جدة، والمدينة المنورة، ولكن أبناء الحجاز ما لبثوا مدة شهر بعد عودة سعود، وخاله محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية، حتى استعادوا الحجاز. وظهره من رجس الوهابية اليهودية السعودية. وفي ١٠ رجب ١٢١٨ هـ، قام أحد الأبطال ويدعى (محمد بن ناجي اليامي) بقتل (الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، بعدة طعنات من خنجره أودت بحياة عبدالعزيز، وقد أشاع آل سعود بعد ذلك — أن أحد الأجانب الكفرة المشركين، من كربلاء هو الذي اغتال عبدالعزيز وهو في الصلاة إنتقاماً).

هكذا قال محمد بن عبد الوهاب... ولا نعلم كيف يسبح محمد بن عبد الوهاب وشركاه الإعتداء على الشعب في كربلاء، مادامت كربلاء أجنبية، ولا يسبح الطغاة لأبناء كربلاء ردّ العدوان بالقصاص؟ إن آل سعود لم يقفوا عند هدم قبة قبر النبي محمد بن عبدالله في المدينة، وإنما أوقفوا بالقوة.

بعد قتل عبدالعزيز الأول لأنه لا يقلل إجراماً عن حفيده الأخير الملك الطاغية عبدالعزيز جرمياً وبطشاً بالآمنين ودجلاً باسم الدين، والدين منهم براء. وبعد مقتل (الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، تولى من بعده ابنه سعود الأول (ابن بنت محمد بن عبد الوهاب) ولكن الشعب ابى ان يبايع سعود، وقاومه الشعب في العراق، حتى تحررت منه الأجزاء التي استولى عليها من العراق، وبقي يدعمه جدّه محمد بن عبد الوهاب بالفتاوى الباطلة، وأموال اليهود، والإنكليز، واستمر حكمه الطاغية إحدى عشر سنة من عام ١٢١٨ الى ١٢٩٩ هـ، سار خلالها لاحتلال الحجاز مرة اخرى ثم سار لاحتلال الشام، والعراق، ورأس الخيمة في عمان، ولكنه دحر في الشام، والعراق، وعمان، ثم سار لاحتلال اليمن، ووصل إلى زبيد، ولكن شعبنا المكافح في اليمن دحره وقتل الكثير من جنده الفاسد، وهرب مذعوراً رغم دعم الإنكليز، واليهود له. وكانت عقلية سعود الأول سخيقة لا تشابهها إلا عقيلة بعض أخلافه، لقد كان مغروراً بخيوله... وكان يحب الحرم، والرقيق، والخيول، كان يدعمه الإنكليز، واليهود. وكان لكل واحد من أولاده حرس خيالة قدرهم (٢٠٠) يضاف إلى ذلك عدد من الإبل، والحرم التي يحتفظهن ويسلبهن من ذوهن ظلماً وزوراً.

وهذه الطريقة إحتل الحجاز مرة اخرى عام ١٢٢٠ هـ، بعد مقاومة قاسية من أبناء الحجاز، وراح يهدم في الأماكن المقدسة بحجة (أنه يخشى أن يعبدها الناس) وفرض على

أبناء الحجاز، أن يدرسوا رسائل جدّه محمد بن عبد الوهاب، والكتب السخيفة التي وضعها آل الشيخ، أي آل عبد الوهاب، والوهابيين، وبقي هذا الحكم السعودي يسوم الحجاز من عام ١٢٢٠ هـ، حتى عام ١٢٢٨ هـ، والأماكن المقدسة تلاقى من سعود وآله تجار دينهم في السابق ما تلاقيه الآن من آل سعود وتجار دينهم الباطل (٥٥).

إن الوثيقة التاريخية هذه تدّين آل سعود، وعبيدهم من ذوي الأقلام المأجورة، وتفند مزاعمهم الباطلة كما قرأتها إذ ليس في عرفهم للقوانين التشريعية، والأنظمة الإسلامية، والموازين الدولية إحترام، ورعاية، ومفهوم، ومعنى فليس بعد هذا بغريب أن يستسيغوا لأنفسهم قتل أبناء مدينتي النجف الأشرف، وكربلاء المثابرة المجاهدة الأجنبية... أو يعاملوا الحجاج الإيرانيين المسلمين بتلك الطريقة الدامية البشعة، ويتركوهم على تربة مكة المقدسة أشلاء ممزقة وجرحى مضرّجة بدماءهم الطاهرة.

لا غرابة لأنهم ورثوا الخيانة من أسلافهم اليهود، الذين اعتبروا بأجمعهم من غير اليهود عبيداً لهم، تحل سلب ونهب وقتل نفوسهم، وأراقة دمائهم، والسيطرة والإستطالة والبغي فيهم. وهذه الخيانة مخمّرة طبيعتهم الخبيثة وذاتهم الخسيس منذ الفطرة، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدّه إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٥٦) فقد إتفق المفسرون من الخاصة والعامة، أن مراد الله تعالى هم اليهود، وهذا بقية كلام اليهود، والمعنى ولا تصدّقوا إلا نبياً يقرر شرائع التوراة، فأما من جاء بتغيير شيء من أحكام التوراة فلا تصدّقه، وهذا هو مذهب اليهود إلى اليوم. فالله سبحانه حكى عنهم في الآية المتقدمة أنهم إدّعوا أنهم أوتوا من المناصب الدينية ما لم يؤت أحد غيرهم مثله، ثم إنّه سبحانه بين أن الخيانة مستقبحة عند جميع أرباب الأديان، وهم مصرّون عليها فذل على كذبهم. بالإضافة إنه تعالى لما حكى عنهم في الآية المتقدمة قبائح أحوالهم فيما يتعلق بالأديان، وهو أنهم قالوا: (لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) حكى في هذه الآية بعض قبائح أحوالهم فيما يتعلق بمعاملة الناس، وهو إصرارهم على الخيانة والظلم وأخذ أموال الناس في القليل والكثير.

وذهب نفر من المفسرين أن أهل الكتاب على قسمين، بعضهم أهل الأمانة، وبعضهم أهل الخيانة، وفيه أقوال:

١ - إن أهل الأمانة منهم، هم الذين أسلموا. أما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرّون على الخيانة لأن مذهبهم أنه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين، وأخذ أموالهم

وإمتلاكها بصورة عامة.

٢ — أن أهل الأمانة هم النصارى، وأهل الخيانة هم اليهود. والدليل عليه ما ذكرنا أن مذهب اليهود يحل قتل المخالف، ويحل اخذ ماله بأي طريق كان.

٣ — قال ابن عباس، أودع رجل عبد الله بن سلام ألفاً ومائتي أوقية من ذهب، فأدى إليه. وأودع آخر فنحاص بن عازوراء، ديناراً فخانه، فنزلت الآية. أما قول اليهود ليس علينا في الأميين سبيل... المعنى أنّ ذلك الإستحلال والخيانة، هو بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل. وهاهنا للمفسرين أيضاً أقوال في السبب الذي لأجله اعتقد اليهود هذا الإستحلال:

١ — أنهم مبالغون في التعصب لدينهم، فلا جرم يقولون: يحل قتل المخالف، ويحل أخذ ماله بأي طريق كان. وروى في الخبر أنه لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام: (كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي) إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر.

ب — أن اليهود قالوا: (نحن أبناء الله وأحباؤه) والخلق لنا عبيد، فلا سبيل لأحد علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا.

ج — أن اليهود إنما ذكروا هذا الكلام لا مطلقاً لكل من خالفهم، بل للعرب الذين آمنوا بالرسول الأعظم (ص) فقد روي أن اليهود بايعوا رجلاً في الجاهلية، فلما أسلموا طالبوهم بالأموال، فقالوا: ليس لكم علينا حق لأنكم تركتم دينكم. وكان من مذهب اليهود أن من انتقل من دين باطل إلى دين آخر باطل، كان في حكم المرتد. فهم وإن اعتقدوا أن العرب كفار إلا أنهم لما اعتقدوا في الإسلام أنه كفر حكموا على العرب الذين أسلموا بالردة. ونفي السبيل هنا، نفي القدرة على المطالبة والإلتزام. مع علمهم أنهم في أعمالهم وأفعالهم خلاف ما جاء في التوراة، منها: أنّ جواز الخيانة مع المخالف المذكور في التوراة، وكانوا كاذبين في ذلك وعالمين بكونهم كاذبين فيه، ومن كان كذلك كانت خيانتة أعظم، وجرمه أفحش فهم يعلمون كون الخيانة محرمة، كما يعلمون ما على الخائن من الإثم (٥٧).

لذلك تجد اليهود بكل بطشهم وظلمهم، يجتهدون في توسيع نطاق أراضيهم ومملكاتهم بأية صورة كانت، فاغتصاب أية أرض إسلامية وعربية، فهو جزء من مخططاتهم الحياتية التوسعية التي فرضت على إسرائيل الأقامة ظلماً وعدواناً فوق تراب فلسطين أولاً، ثم الزحف والتطاول في تحقيق بقية أهدافها التوسعية والعدوانية في كل جزء وشبر من الأراضي الإسلامية، ومطاردة أصحابها الشرعيين، وإيذاء المسلمين، وتعذيب المؤمنين المجاهدين،

وتنحيهم من عقرب دارهم بالقوة والبغي، والقتل، ونتيجة الموقف المتردد الذي وقفه بعض المسؤولين في بعض البلاد العربية من القضية الفلسطينية ومحاولاتهم المتكررة الهادفة إلى تجميدها وجعلها جانباً.

ومن المؤسف أن تبلور بوادر الإستسلام في ذهن بعض من قادة العرب ورؤسائهم، من غير تفكير قليلاً ما في إزالة آثار العدوان الإسرائيلي المقيت، ولو بالوسائل السياسية والديبلوماسية... والتضامن ودعم الصمود الإسلامي، والعري، والمحافظة على القيادة الإسلامية الموحدة، وخطتها وتنسيقها، والمزيد من التوعية والشعارات والتوجيهات ومقتضيات الإثارة الجماهيرية، وتوحيد الصفوف للوصول إلى وحدة إسلامية، ويكون شعارهم وهدفهم:

لا صلح مع إسرائيل...

ولا تفاوض معها...

ولا اعتراف بها...

والتمسك بحق الشعب الفلسطيني الشرعي في وطنه...

والذي ينبغي القول به هنا، أن اليهود وكافة أذناهم المنتشرة في الأرجاء الإسلامية والعربية، مهما وصلوا سياستهم التوسعية التعسفية واجتهدوا في تحقيق أحلامهم الخائبة الخاسرة الداعية إلى تكوين (أرض الميعاد) فإنهم سوف لن يسكتوا على حال، ولم يرجعوا عن غيهم وبطشهم في يوم ما، مادام يتدرج على وجه الأرض مسلم واحد... لأن الغرض الأساسي من هذا التناطح، والتكالب، والتخاصم الدموي، هو فرض شبح الإستسلام على الوطن الإسلامي، لا إرادته الله تعالى... ومن ثم جعل المسلمين أذلاء وعبيداً حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون... ولم تكن الفكرة هذه، وليدة اليوم والأمس، وإنما تمتد جذورها إلى عهد النبي الأقدس (ص) وقد صرحت الآية الكريمة بها حيث تقول: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) (٥٨) فالله تعالى، ذكر في الآية أن اليهود في غاية العداوة مع المسلمين، ولذلك جعلهم قرناء للمشركين في شدة العداوة، بل نبه على أنهم أشد في العداوة من المشركين من جهة أنه قدم ذكرهم على ذكر المشركين، ولعمري أنهم كذلك وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ما خلا يهوديان بمسلم إلا هما يقتله) وذكر الله تعالى أن النصارى أليين عريكة من اليهود، وأقرب إلى المسلمين منهم.

وقد سبق منا القول أن من مذهب اليهود، وجوب إيصال الشر إلى من يخالفهم في الدين بأي طريق كان، فإن قدروا على القتل فذاك، وإلا فبغصب المال، أو بالسرقة أو

بنوع من المكر، والكيد، والحيلة، وهذا التمرد والمعصية قد بينت لك أنه عادة قديمة لهم، ولذلك أراد الله سبحانه عرفان اليهود إلى الرسول (ص)، واللام في قوله: (لتجدن) لام القسم، والتقدير قسماً إنك تجد اليهود، والمشركين، أشد الناس عداوة مع المؤمنين فلا تبال بمكرهم وكيدهم.

وعلة هذا التفاوت بين اليهود، والنصارى، أن اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا، والدليل عليه قوله تعالى: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا) (٥٩) فقرنهم في الحرص بالمشركين المنكرين للمعاد، والحرص معدن الأخلاق الذميمة لأن من كان حريصاً على الدنيا طرح دينه في طلب الدنيا، وأقدم على كل محذور ومنكر بطلب الدنيا، فلا جرم تشتد عداوته مع كل من نال مالا أوجاهاً. وأما النصارى فإنهم في أكثر الأمر معرضون عن الدنيا، مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة، والتكبر، والترفع. وكل من كان كذلك فإنه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم ولا يخاصمهم، بل يكون لين العريكة في طلب الحق، سهل الإنقياد له، فهذا هو الفرق بين هذين الفريقين، وهو المراد بقوله تعالى: (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) (٦٠)، وقد أوضحت هذا كله في كتابي (اليهود في القرآن).

وليت شعري ماذا سيكون موقف المسلمين من الإخطبوط الإسرائيلي، والموجة الصهيونية العاتية، بعد أن دلت الآيات القرآنية المحكمات... وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة... بصراحة كما قرأتها آنفاً من أن اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين والمؤمنين من غير إمتياز واستثناء، وما زالوا يواصلون إجتهدهم في التناول والإغتصاب والسيطرة، لجعل بلاد المسلمين موطيء قدم ونقطة إرتكاز للكيان الإسرائيلي، والإستيلاء على مراكز القداصات الإسلامية فيها: لا ستغلاها في التسلط فيما بعد على العالمين العربي والإسلامي، بالإضافة إلى إستلاب الثروات البترولية والمعدنية من كافة البلاد، وحرمان شعوبها من خيراتها.

إنّ الفريضة الدينية تحتم على كل فرد من المسلمين على الإطلاق أن يقف مقاتلاً في وجه هذه الموجة العاتية التي تشق طريقها، متوجهة إلى قلب الوطن الإسلامي... وإذا تحلى كل منا عن مسئولية الدفاع والجهاد، فسوف تغتتم إسرائيل الفرصة وتعد لعدوان توسعي جديد، ضد البلاد الإسلامية لذلك يجب أن ينهه وتكسر حدته مها كان العناء، وغلت التضحيات لكي تسلم المنطقة كلها لأبنائها، وتسلم أماكن القداصات الإسلامية للمسلمين ويتحطم الكيان الصهيوني، لصالح كل شعوب بلاد الشرق الإسلامي والعربي. وتتحطم على صخرة الشريعة الإسلامية حدة إسرائيل وأذنابه في المنطقة، ومؤامراتهم لتبقى بلاد المسلمين

للمسلمين... وثروات المسلمين للمسلمين... وتبقى لهم حريّاتهم، وسياداتهم، وكراماتهم، وعدم اغيائهم... ولتترفرف للقيم الروحية والشريعة الإسلامية على بلادهم راية لا تعلو فوقها راية.

صحيح أن جرائم العدوان وآثاره، مازالت قائمة وشاخصة حتى يومنا هذا وهي آخذة بالتوسّع والازدياد... وأن إسرائيل مازالت تنكر على شعب فلسطين حقوقه المشروعة، ولكن الصحيح أيضا هو أن الاستسلام الذي حلمت بفرضه إسرائيل على البلاد الإسلامية والعربية آخذت طريقها بشكل إلى التحقق... فالصهيونية العالمية قد أقامت إسرائيل لتكون قاعدتها الأمامية، ورأس رمح الأطماع الصهيونية في تحقيق التوسّع الإستعماري في بلاد العرب والمسلمين، لذلك يمكن القول بصراحة أن الحركة الصهيونية أشد خطراً من أية حركة أو موجة إستعمارية عرفها العالم، منذ أن اصيب بويلات الاستعمار الشرقي والغربي، لأن الإستعمار إذا كانت غايته استغلال خيرات البلاد المستعمرة وذخايرها ومعادنها بأبخس الأثمان، وتشغيل اليد العاملة الوطنية لصالح استثماراته بأجور زهيدة متدنية فإنّ الحركة الصهيونية تقتلع السكان الأصليين من جذورهم في بلادهم، وترمى بهم إلى القفار، والبراري، والوديان، وتستولى على كل ثرواتهم الطبيعية، وملكيّاتهم العامة والخاصة، وتضع نصب عينها هدم وتدمير مقدسات الإسلام لتقيم على أنقاضها هيكل سليمان وتحل محل الشعب الأصلي الفلسطيني الذي لم ينقطع وجوده على امتداد التاريخ، عصابات وشراذمة من يهود العالم، وتقيم للحركة الصهيونية بؤراً في كل بلد لليهود فيه وجود لتجعل من هاتيك البؤر حركات وتحركات منظمة ولو بوسائل الخداع والضغط والإرهاب، مربوطة بها وبقاعدتها الأمامية إسرائيل تجي منها الضرائب بشكل منظم باسم المعونات، والتبرعات، وتحولها إلى قوى ضاغطة على حكومات بلادها، لتسيرها وفق أهدافها وأغراضها وتصدر إليها الأوامر بالإنقال والهجرة إلى ما اغتصبته من أراضي عربية وإسلامية، وتفرض عليها أن تدين بالولاء لأسرائيل أولاً، جاعلة منها حكومات صهيونية مقنعة داخل بلاد كثيرة في العالم.

إنّ الصهيونية الدولية التي أوجدت إسرائيل بالتعاون مع الشرق الماركسي، والغرب الاستعماري... تضع دائماً نصب عينها وفي أول قائمة مخططاتها الجهنمية، الاستيلاء على أكبر مساحات أرضية من بلاد المسلمين، وما بلاد المسلمين إلّا بلاد العرب لتضمها إلى إسرائيل. كما تضع في الوقت نفسه نصب عينها الوصول إلى السيطرة على كل ما تستطيع من مصادر الثروة الطبيعية الإسلامية لتقبض بيد من حديد على الكثير من مصادر الثروة التي يفتقر إليها العالم والشعوب لتتحكم بهم، بالإضافة إلى أنها تنفذ برنامجاً إستعماريًا آخر وضعتة بدقة



وعناية تامة، وهو برنامج التغلغل في بلاد القارتين الآسيوية والإفريقية، وقلبها يعني بلاد الإسلام... من أجل أن تسيطر على مواردها الأولية وتجعل من شعوبها سوقاً لا ستهلك، وتصريف بضائعها، ولتخضعها بالتالي إلى نفوذها مادام التغلغل الإقتصادي هو مفتاح النفوذ السياسي، والوسيلة الناجعة للتسلط والتسرب الإستعماري.

ولتنفيذ وتحقيق هذه الخطة الإستعمارية تجهد الصهيونية العالمية في كافة الميادين، والحقول، والجانب، أن تجعل بلاد العرب والإسلام مفككة، ومتمزقة، ومتصارعة، ومتناطحة، ومتخاصمة، ومتخلفة، وضعيفة، ومتخاذلة، وقدرت أن من أهم الوسائل وأقوى الدعائم التي تعينها على تحقيق وتنفيذ خطتها هذه زرع بذور الماركسية في البلاد العربية والإسلامية، مادامت الماركسية تدعو إلى محاربة الطبقات ومكافحتها، وتصرف الإنسان عن أهداف التحرر والإنطلاق.

ويؤيد القول هذا منا أن كل حركة ماركسية قامت ووجدت في أي بلد إسلامي وبقعة عربية حملها إليها في الأصل يهودي صهيوني، واحتضنها في مراحلها الأولى، ريثما سلمها إلى أفراد وعناصر ارتبطت مع مراكز الشيوعية في العالم بالولاء.

ومهما يكن من أمر فالحديث طويل وذوشجون، يخرجنا عن منهج الكتاب وخطته المرسومة له ويبعدنا عن صلب البحث الذي عقدنا له هذا الفصل... لذلك ينبغي العودة إليه، ولعلنا نعود إلى متابعته ومواصلته في مجال آخر، فعذرة للقارئ الكريم.

\*\*\*

مرّ القول منا في بداية البحث أن واضع العقيدة الوهابية السياسية... محمد بن عبد الوهاب كان في أول أمره مولعاً ومغرماً، بمطالعة وقراءة أخبار مدعي النبوة أمثال: مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث، والأسود العنسي، وطلحة بن خالد الأسدي، وأضرابهم من المشعوذين الذين إستحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله... ثم واصل دراسته في الفقه وتعاليم الإسلام على نهج فتاوى أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي المتوفى ٢٤١ هـ ومن بعده على منهاج تلميذ مدرسته، وصاحب البدع والفتاوى والمعتقدات الباطلة في القرنين السابع والثامن الهجريين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الحنبلي المتوفى في سجن مراکش عام ٧٢٨ هـ، وتلميذ ابن تيمية في الضلال والفساد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الحنبلي المتوفى سنة ٧٥١ هـ... وابن عبد الهادي يوسف بن حسن بن أحمد الصالح الحنبلي الصوفي المتوفى ٩٠٩ هـ، ومن نسج على منوالهم من الذين أجمعت المذاهب الإسلامية على كفرهم، وخرجهم عن الدين وارتدادهم،

وزندقتهم، وألفوا كتباً ورسائل في الردّ عليهم، وانتقاد معتقداتهم الباطلية، وفسادها، وضلالها، وحذروا العامة والخاصة من التقرب إليهم ومطالعة رسائلهم المفسدة وتعاطياها، وحتى من النظر إليها.

فقد كانت مؤلفات ابن تيمية الحراني الحنبلي السخيفة الضحلة، تشغل في المرتبة الأولى بال محمد بن عبد الوهاب في كافة مراحل حياته، ويلهج بمحتوياتها، ويتحدث بضامينها، ويأخذ بمفاهيمها، حتى في حله وترحاله، وأحاديثه، وبحثه، وكلماته، فشغلت عقلته وأثرت فيها تأثيراً بالغاً بحيث أنه اعتقد وآمن أن الإسلام الصحيح، يجب أن يلتبس من منبعه الصافي الصحيح، المتجسد في منهج وكتب، أحمد بن حنبل، وابن تيمية الحراني... ومن هنا يمكن القول بصراحة أن العقيدة الوهابية العاتية السياسية، وإن كان ظهورها في زمن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحراني في القرن الثاني عشر الهجري، إلا أن بذورها قد بذرت قبل ذلك في زمن أحمد بن تيمية الحراني في القرن السابع، وعلى يد تلميذه ابن القيم الجوزية.

وإذا دققنا النظر والدراسة في تاريخ التشريع الإسلامى، والسيرة المطردة منذ صدر الإسلام، وحتى في عصر الصحابة الأولين والتابعين لهم باحسان، لألفناه صحيحاً واضحاً تسلمت على مفاهيمه، ودساتيره، ونظمه، وأصوله، وفروعه جميع فرق المسلمين من دون أي نكير من آحادهم، وأي غمز من أحد منهم، على تباين مذاهبهم واختلاف جنسياتهم على ما فيهم من أئمة المذاهب، والفقهاء، والعلماء، والعطاء، وقادة الدين ورجالات المذهب، حتى ولد الدهر ابن تيمية الحراني عام ٦٦١ هـ، فجاء كالمغمور مستهتراً يهذي، ولا يبالي، فتره وأنكر التشريع الإسلامى، والسنة الجارية سنة الله التي لا تبدل لها، ولن تجد لسنة الله تحويلاً، وخالف السيرة المطردة وناهض القيم والمثل الإسلامية، وشذ عن تلكم الآداب الحميدة وشدّد النكير عليها، بلسان بذّي قارص وبيان واسلوب تافه، ووجوه خارجة عن نطاق العقل السليم، وألفاظ بعيدة عن معايير الأدب، ومقاييس النزاهة وأعلن التهريج، والتشهير، والنيل، الحط من الدين ورجال العلم والفضيلة بعيداً عن أدب العلم والأدب... أدب الكتابة والتأليف... أدب العفة والرزانة... وأفتى بمسائل وجاء بخزعبلات وأفتى وقال: بالتجسم في الله تعالى... وحرمة شد الرحال لزيارة المرقد الشريف النبويّ (ص) وحسب السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة إلى غيره من الأباطيل.

فخالفه وناهضه أعلام عصره، ورجال مذهبه الحنبلي، وقادة قومه وفرقته، فقابلوه بالظعن والردّ الشديد، فأفرد كل واحد منهم تأليفاً حافلاً في تزييف أراءه، ومعتقداته،

وبدعه، وضلالاته، وكذلك أفتى قضاة قضاة المذاهب الأربعة في عصره على كفره وفسقه، وأنه يجب أن يزجر ابن تيمية عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء، ويمنع من الفتاوى الغريبة، ويحبس إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الإقتداء به.

فهناك الكتب الكثيرة التي وضعت في الرد عليه، وتزييف آراءه ومعتقداته، أمثال: كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام لثقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي الأشعري المصري المتوفى ٧٣٣ هـ. وكتاب الدرّة المضيئة في الرد على ابن تيمية للسبكي أيضاً. وكتاب المقالة المرضية لقاضي قضاة المالكية تقي الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عيسى ابن بدران السعدي المالكي الأحنائي المتوفى عام ٧٥٠ هـ. وكتاب نجم المهتدى ورجم المقتدى لفخر الدين بن المنير المالكي المتوفى ٧٣٣ هـ. وكتاب دفع الشبه لثقي الدين أبي بكر بن محمد ابن عبد المؤمن بن حريز بن معلى الحصني الشافعي المتوفى ٨٢٩ هـ. وكتاب التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة لتاج الدين عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي الفاكهاني المتوفى ٧٣١ هـ. إلى غيرهم من الأعلام الذين تحدّثوا عن أباطيله في ثنايا وصفحات تأليفهم. وقد أصدر الشاميون فتوى وكتب عليها البرهان ابن الفركاخ الفزاري نحن أربعين سطرأ بأشياء إلى أن قال، بتكفيره، ووافقه على ذلك الشهاب بن جهبل، كتب تحت خطه كذلك المالكي، ثم عرضت الفتوى على قاضي القضاة الشافعية بمصر بدرالدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني، حاكم الإقليمين مصرأ وشامأ المتوفى ٧٣٣ هـ، فكتب على ظاهر الفتوى - أحمده الله هذا المنقول باطنها جواب عن السؤل عن قول ابن تيمية، إن زيارة الأنبياء والصالحين بدعة. وما ذكره من نحو ذلك ومن أنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه، وقد نقل جماعة من العلماء أن زيارة النبي (صت) فضيلة وسنة مجمع عليها، وهذا المفتى المذكور (يعني ابن تيمية) ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الباطلة عند الأئمة والعلماء، ويمنع من الفتاوى الغريبة، ويحبس إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليحتفظ الناس من الإقتداء به (٦١).

وكان من معاصريه من ينهاه عن غيه وبغيه وكفره وفسقه، أمثال: الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشافعي الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، المتعصب المعروف فإنه كتب إليه رسالة ينصحه فيها وإليك نصها:

(أحمد الله على ذلتي، يارب ارحمني، وأقلني عثرتي، واحفظ عليّ إيماني، واحزنه على قلة حزني، وواأسفاه على السنة وأهلها: واشوقه إلى إخوان مؤمنين يعاونوني على البكاء، واحزنه على فقد اناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى، وكنوز الخيرات، آه على وجود

درهم حلال، وأخ مونس، طوى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتبأ لمن شغله عيوب الناس عن عيبه، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك، وتنسى الجذع في عينيك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك، وتذم العلماء وتتبع عورات الناس؟ مع علمك بنهي الرسول (ص): — لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا — بل أعرف إنك تقول لي لتنصر نفسك، إنا الواقعة في هؤلاء الذين ماشموا رائحة الإسلام، ولا عرفوا ما جاء به محمد (ص) وهو جهاد بل، والله عرفوا خيراً كثيراً مما إذا عمل به فقد فاز، وجهلوا شيئاً كثيراً مما لا يعينهم ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه.

يارجل، بالله عليك كف عنا، فإنك محجاج عليم اللسان، لا تقر ولا تنام، إياكم والغلوطن في الدين، كره نبيك (ص) المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال، وقال: — إن أخوف ما أخاف على امتي كل منافق عليم اللسان — وكثرة الكلام بغير زلل، تقسى القلب إذا كان في الحلال والحرام، فكيف إذا كان في عبارات اليونانية، والفلاسفة، وتلك الكفريات التي تعمى القلوب، والله قد صرنا ضحكة في الوجود، فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية؟ لنرد عليها بعقولنا.

يارجل، قد بلعت سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرّات، وكثرة استعمال السموم يد من عليه الجسم، ونكنن والله في البدن، واشوقاه إلى مجلس يذكر فيه الأبرار، فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، بل عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة، كان سيف الحجاج، ولسان ابن حزم (٦٢) شقيقين فواخيتهما، بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس، وأكل الحبوب، وجدوا في ذكر بدع كنا نعدّها من أساس الضلال، قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون، وتعد النصراني مثلنا، والله في القلوب شكوك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فإنت سعيد، ياخيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة، والإنحلال، لا سيما إذا كان قليل العلم، والدين باطولياً شهوانياً، لكنه ينفك ويجاهد عندك بيده ولسانه، وفي الباطن عدوك بحاله وقلبه، فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط، خفيف العقل؟ أو عامي كذاب بليد الذهن؟ أو غريب واجم قوي المكر؟ أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدّقتي ففتشهم وزهم بالعدل.

يا مسلم، أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها، وتعدى الأخيار؟ إلى كم تصادقها، وتزدري الأبرار؟ إلى كم تعظمها، وتصغر العباد؟ إلى متى تخال لها، وتمقت الزهاد؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح والله بها أحاديث الصحيحين، ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك.

بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والأهدار، أو بالتأويل والإنكار، أما آن لك أن ترعوى؟ أما حان لك أن تتوب وتنب؟ أما أنت في عشر السبعين، وقد قرب الرحيل؟ بلى والله ما أذكر إنك تذكر الموت بل تزدرى بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولي، ولا تصغى إلى وعظي، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذنان الكلام، ولا تزال تنتصر حتى أقول ألبتة سكت. فإذا كان هذا حالك عندي، وأنا الشفوق المحب الواد، فكيف حالك عند أعدائك؟ وأعدائك والله فيهم صلحاء، وعقلاء، وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم، فجرة، وكذبة، وجهلة، وبطلة، وعور، وبقرة، قد رضيت منك بأن نسبي علانية، وتنتفع بمقالتني سراً — فرحم الله إمرأاً أهدى إلي عيوبي — فإني كثير العيوب غزير الذنوب، ألويل لي إن أنا لا أتوب، ووافضحتي من علام الغيوب، ودوائ عفوالله ومسامحته، وتوفيقه، وهدايته، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين (٦٣).

إن محتويات الرسالة هذه إن دلت على شيء فإنما تدل على أن ابن تيمية الحراني... حسب أئمة المذاهب الأربعة، رجل مهزار، وخراص، وساقط، وهرش، ومهتار، وفحاش، وسباب، ولعان، لا يؤمن بأصول الدين وبما أتى به المشرع الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه حليف سيف الحجاج، ولسان ابن حزم، إذ لم يسلم أحد من فتكه وبطشه وشمته وقرصه وأذاه، وإن معظم أتباعه ماهم من دون إستثناء إلا قعيد مربوط، خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوي المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم... والحجة على صحة هذه المفاهيم والدلالة الصادقة على ثبوتها وصدقها، وجود محمد بن عبدالوهاب الحراني اليهودي الذي تطوع بعد مضي خمسة قرون على وفاة شيخه ابن تيمية الحراني السخيف، إلى إنتشار وإذاعة آرائه وسخافاتِه وبدعه وضلالاته... إذ لم نجد منذ وفاة ابن تيمية سنة ٧٢٧هـ، إلى يوم ولادة محمد بن عبدالوهاب عام ١١١١هـ، من اقتفى أثر ابن تيمية ونهض بأعباء دعوته العاتية الداعية للقول والتصريح بالتجسم، والجهتية لا من المسلمين فحسب، وحتى لم نجد واحداً من الفجرة، والكذبة، والجهلة، والبطلة، والعور، والبقرة..؟

وإذا كان ابن تيمية الحراني... مصيباً في مقالته، وصادقاً في تقولاته، فلماذا بادوا عليه هنا وهناك ما ابتدعته يده الأثيمة، من المخاريق التافهة، والآراء المحدثثة الشاذة عن الكتاب، والسنة، والاجماع، والقياس، ونودي عليه في مدينة دمشق، بمسمع من أئمة المذاهب الأربعة، وبمشهد منهم (من إعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله) (٦٤) فذهبت تلكم البدع السخيفة إدراج الرياح (كذلك يضرب الله الحق والباطل. فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما

ينفع الناس فيمكث في الأرض) (٦٥).

أجل إن الله سبحانه لرؤف بعباده، ولم يتركهم سدى، تنهش بلحومهم كلاب الأموية  
المهارشة، وذئاب العباسية المستهتره لدة ابن حزم الاندلسي... وابن تيمية الحراني...  
وابن القيم الجوزية... ومحمد بن عبد الوهاب اليهودي...

كلا وألف كلا... لقد قبض الله تعالى في كل قرن، وفي كل قطر رجالاً نصرُوا  
الحقيقة، وأحيوا كلمة الحق وجعلوها العليا، وأماتوا بذرة الضلال وقابلوا تلکم الأضاليل  
المحدثه، والأقاويل الواهية المفسده بحجج قوية، وبراهين دامغة وأدلة ساطعة فجاءت الامة  
الإسلامية تتبع الطريق المهيع، وتسلک الصراط المستقيم، تباعاً وراء الكتاب والسنة، تعظم  
شعائر الله، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، إلى أن ألقى الشرجوانه، وجاد الدهر  
بولائد الجهل، وربتهم أيدي الهوى، وأرضعتهم امهات الضلال، وشاغلتهم رجالات الفساد،  
وتمثلوا في الملاء بشراً سويًا، وسجيتهم الضلال فجاسوا خلال الديار، وضلوا وأضلوا، واتبعا  
سبيل الغي، وصدوا عن سبيل الله، ومن اولئك الجماهير الضالة، محمد بن عبد الوهاب...  
فقد حذا حذو ابن تيمية، واتخذ وتيرته، واتبع هواه فجاء في القرن الثاني عشر كشيخه واله  
يموه، ويدجل، ويتسذج، ويتحرش بالسباب المقذع، ويقذف مخالفه ومناوئيه بالكفر والردة،  
ويرميهم بكل معرة ومسبة، ويرى المجتمع حسب عقله الضعيف، وحسابه الدبير أن هاتيك  
الطقوس، والتقاليد، والشعائر الدينية، من الزيارة، والدعاء، والتوسل، والبكاء عند القبور  
المشرفة، والصلاة لديها، والتبرك والإستشفاع بها، كلها من آفات البدعة، والتخلف،  
والجهل.

ولعل السذج من الناس يحسب أن لابن تيمية... وأقرانه من شدتهم وحدثهم في  
النكير والجلبة واللغظ في أقواله ومخاريقه موضعاً من الحقيقة، ولخزافاته مقيلاً من الصواب  
ورمزاً من الصدق والصحة، ذاهلاً عن أن أعلام المذاهب الإسلامية في القرون الخالية منذ  
القرن الثامن الهجري، من يوم ابن تيمية، وبعده يوم محمد بن عبد الوهاب الذي جدد وأعاد  
لتلكم الدوارس جدتها، وحتى العصر الحاضر أنكبوا على هذه السفسطات والمفاسف، وحكوا  
بكفر من ذهب إلى هذه الآراء المضلة، والمعتقدات الشاذة، عن سيرة المسلمين، وشنوا عليهم  
الغارة تلو الغارة، وبالغوا واجتهدوا في الرد عليهم.

إنّ الجلبة، واللغظ، والشتم المودوع في كتب ابن تيمية... والواهية... بألسنة حداد،  
تكفير مستهتر خارج عن أدب المناظرة والجدال، شنشنة يعرف بها ابن تيمية شيخ البدع  
والأهواء، والضلال، والمناكير، والمصدر الوحيد لهاتيك الخزيات، والخزعبلات توارثها عنه

شردمة من عملاء الإستعمار والسائرين في ركاب عقيدته الخاوية.

هذا وقد أباح ابن تيمية... وابن عبد الوهاب... وأتباعهما حمى التوحيد، وهتكوا ستوره، وخرقوا حجابيه، ونسبوا إلى الله سبحانه مالا يليق بقدس جلاله، تقدّس وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فقد أثبتوا لله تعالى، جهة الفوق، والاستواء على العرش الذي، هو فوق السماوات والأرض، والنزول إلى سماء الدنيا، والمجيئ والقرب، وغير ذلك بمعانيها الحقيقية، وأثبتوا لله تعالى الوجه واليدين، اليد اليمنى، واليد الشمال، والأصابع والكف، والعينين كلها بمعانيها اللفظية، من غير تأويل فذهبوا إلى القول بالتجسيم الصريح.

كما حملوا ألفاظ الصفات الواردة في القرآن والأحاديث، على معانيها الحقيقية فاثبتوا من هذا الطريق لله سبحانه، المحبة، والرحمة، واللطف، والرضا، والغضب، والشفقة، والانتقام، والبطش، وغير ذلك بمعانيها الحقيقية، من دون تأويل وإنه تعالى يتكلم بحرف وصوت كالإنسان فجعلوا الله، محلاً للحوادث وهو يستلزم الحدوث كما بين في محله من علم الكلام.

إنّ ابن تيمية... قال: بالجهة، والتجسيم، والإستواء على العرش حقيقة، والتكلم بحرف وصوت. وهو في الواقع أول من زقا بهذا الرأي وصنف فيه رسائل مستقلة، كالعقيدة الحموية والواسطية وغيرهما، واقتفاه في ذلك تلميذاه ابن القيم الجوزية، وابن عبد الهادي، وأتباعهم ولذلك حكم علماء عصره بضلالة وكفره، وألزموه السلطان بقتله أو حبسه فأخذ إلى مصر، ونوظرفحكوا بحبسه فحبس، وذهبت نفسه محبوساً بعد ما أظهر التوبة والندامة ثم نكث. وإليك ما قاله العلماء وأئمة المذاهب عنه لتقف على قيمة ابن تيمية عندهم:

قال العالم السياح، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن بطوطة الطنجي المتوفى بمراكش سنة ٧٧٩ هـ، في رحلته (وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية، كبير الشام يتكلم في الفنون إلّا أن في عقله شيئاً، وكان أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التعظيم، ويعظّمهم على المنبر، وتكلم مرّة بأمر أنكره عليه الفقهاء، ورفعوه إلى الملك الناصر فأمر باشخاصه إلى القاهرة، وجمع القضاة والفقهاء، بمجلس الملك الناصر، وتكلم شرف الدين الزواوي المالكي، وقال: إنّ هذا الرجل قال كذا وكذا، وعدّد ما أنكر على ابن تيمية، وأحضر العقود بذلك، ووضعها بين يدي قاضي القضاة.

وقال قاضي القضاة لابن تيمية، ماتقول؟ قال: لا اله إلّا الله. فأعاد عليه فأجاب بمثل قوله. فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن أعواماً، وصنف في السجن كتاباً في تفسير

القرآن، سمّاه بالبحر المحيط في نحو أربعين مجلداً.

ثم إن أمه تعرّضت للملك الناصر، وشكّت إليه فأمر باطلاقه إلى أن وقع منه مثل ذلك ثانية. وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة، وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر. فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته، وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكروا عليه لباسها، واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضي الخنابلة فأمر بسجنه وعزّزه بعد ذلك، فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره، ورفعوا الأمر إلى ملك الأمراء سيف الدين تنكيز، وكان من خيار الأمراء وصلحائهم، فكتب إلى الملك الناصر بذلك، وكتب عقداً شرعياً على ابن تيمية بأمر منكرة، منها: أن المطلق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه إلا طلاقة واحدة. ومنها المسافر الذي ينوي بسفره زيارة القبر الشريف زاده الله طيباً لا يقصر الصلاة، وسوى ذلك مما يشبهه. وبعث العقد إلى الملك الناصر فأمر بسجن ابن تيمية، بالقلعة فسجن بها حتى مات في السجن (٦٦).

وقال أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي، صاحب الصواعق المحرقة في كتابه (الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرّم) ما لفظه: - فإن قلت كيف تحكى الإجماع على مشروعية الزيارة والسفر إليها، وطلبها، وابن تيمية من متأخري الخنابلة منكر لمشروعية ذلك كله كما رآه السبكي في خطه، وقد أطال ابن تيمية في الاستدلال لذلك بما تمجحه الأسماع وتبفرعنه الطباع، بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً، وإنه لا تقصر فيه الصلاة وإن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه؟.

قلت: من هو ابن تيمية حتى ينظر إليه أو يعول في شيء من أمور الدين عليه؟ وهل هو إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة، وحججه الكاسدة حتى أظهروا أعوار سقطاته، وقبائح أوهامه، وغلطاته كالعز بن جماعة، عبد أظله الله تعالى وأغواه وألبسه رداء الخنزي وأردأه وبوأه من قوّة الإفتراء والكذب، ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان، ولقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام، المجمع على جلالته واجتهاده، وصلاحه، وإمامته التقى السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه، للردّ عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد، وأصاب، وأوضح بباهر حججه طريق الصواب.

ثم قال: هذا وما وقع من ابن تيمية مما ذكر، وإن كان عشرة لا تقال أبداً ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً ليس بعجيب فإنّه سوّلت له نفسه وهواه وشيطانه، إنّه ضرب مع



المجتهدين بسهم صائب ومادري المحروم إنه أتى بأقبح المعائب إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعترافات سخيفة شهيرة حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنزه سبحانه عن كل نقص، والمستحق لكل كمال انفس فنسب إليه الكبائر والعظام، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامه على المنابر، من دعوى الجهة، والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين، حتى قام عليه علماء عصره، وألزموا السلطان بقتله أو حبسه، وقهره فحبسه إلى أن مات وخذت تلك البدع، وزالت تلك الضلالات ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله لهم رأساً، ولم يظهر لهم جاهاً ولا بأساً بل ضربت عليهم الذلّة والمسكنة، وباؤا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٦٧).

وقال ابن حجر أيضاً: إن الناس افتقرت في ابن تيمية، فمنهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكره في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما، من ذلك بقوله: إن اليد، والقدم، والساق، والوجه، صفات حقيقية لله، وأنه مستوعب العرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام، فقال: أنا لا أسلم أن التحيز والانقسام من خواص الأجسام، فألزم بأنه يقول بالتحيز في ذات الله.

ومنهم: من ينسبه إلى الزندقة لقوله: أن النبي (ص) لا يستغاث به، وإن في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله (ص)، وكان أشد الناس عليه في ذلك النور البكري، فإنه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قابل بعض الحاضرين، يعزر. فقال البكري، لا معنى لهذا القول، فإنه إن كان تنقيصاً يقتل وإن لم يكن تنقيصاً لا يعزر.

ومنهم: من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي: إنه كان مخذولاً حيث ما توجه، وإنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنما قاتل للرياسة لا للديانة، وإنه كان يحب الرياسة. وإن عثمان كان يحب المال. ولقوله: أبوبكر أسلم شيخاً يدري ما يقول، وعليّ أسلم صبيّاً، والصبي لا يصح إسلامه على قول. ولكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل، وما نسبه من الثناء على قصة أبي العاص بن الربيع، وما يؤخذ من مفهومها فإنه شنع في ذلك فألزمه بالنفاق لقوله (ص): لا يبغضك إلا منافق.

ونسبه قوم إلى أنه يسعى في الإمامة الكبرى، فإنه كان يلهج بذكر ابن تومرت (٦٨) ويطره وكان ذلك مولداً لطول سجنه. وكان إذا حوقق والزم، يقول: لم أرد هذا إنما أردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً (٦٩).

وقال المفتي صدرالدين في كتابه (منتهى المقال في شرح حديث لا تشد الرحال) قال الشيخ الإمام الحبر الهمام، سند المحدثين، الشيخ محمد البرلسي في كتابه إتخاف أهل العرفان

برؤية الأنبياء والملائكة والجان: وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله تعالى بعد له، وذكر تحريمه للسفر إلى زيارة النبي (ص) إلى أن قال: حتى تجاوز الجنب الأقدس المستحق لكل كمال أنفس، وخرق سياج الكبرياء والجلال، وحاول إثبات ما ينافي العظمة والكمال، بادعائه الجهة، والتجسيم، ونسبة من لم يعتقدهما إلى الضلالة والتأثيم، وأظهر هذا الأمر على المنابر، وشاع وذاع ذكره بين الأكابر والأصاغر. وقد خالف الأئمة المجتهدين في مسائل كثيرة، واستدرك على الخلفاء الراشدين، باعتراضات سخيفة حقيرة، فسقط من أعين علماء الأمة، وصار مثله بين العوام فضلا عن الأئمة، وتعقب العلماء كلماته الفاسدة، وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة وأظهروا عوار سقطاته، وبينوا قبائح أوهامه وغلطاته (٧٠).

وعن صاحب أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل: إنه قال في بيان إرخاء العمامة بين الكتفين. قال ابن القيم، عن شيخه ابن تيمية: أنه ذكر شيئاً بديعاً وهو انه (ص) لما رأى ربه واضعاً يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة. قال العراقي: ولم نجد لذلك أصلاً — أقول: بل هذا من قبيل رأبها وضلاهما إذ هو مبني على ما ذهب إليه وأطلا في الإستدلال له، والخط على أهل السنة في نفهم له، وهو إثبات الجهة، والجسمية لله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. ولها في هذا المقام من القبائح وساء الاعتقاد، ما يصم عنه الآذان ويقضى عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان، وقبح من قال بقولها، والامام أحمد وأجلاء مذهبه مبرؤون عن هذه الوصمة القبيحة كيف وهي كفر عند كثيرين —.

وعن المولى عبدالحليم الهندي في حل المعاهد، حاشية شرح العقائد: كان تقي الدين ابن تيمية حنبلياً لكنه تجاوز عن الحد، وحاول إثبات ما ينافي عظمة الحق تعالى وجلاله، فأثبت له الجهة، والجسم. وله هفوات أخر كما يقول إن أمير المؤمنين سيدنا عثمان (رض) كان يحب المال، وأن أمير المؤمنين سيدنا علي (رض) ماصح إيمانه فإنه آمن في حال صباه، وتفوه في حق أهل بيت النبي صلى الله عليه وعليهم، مالا يتفوه المؤمن المحق. وقد وردت الأحاديث الصحاح، في مناقبهم في الصحاح، وانعقد مجلس في قلعة الجبل، وحضر العلماء الأعلام والفقهاء العظام، ورئيسهم قاضي القضاة زين الدين المالكي، وحضر ابن تيمية، فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية، وحكم قاضي القضاة بحبسه سنة ٧٠٥ هـ، ثم نودي بدمشق وغيرها، من كان على عقيدة ابن تيمية، حلّ ماله ودمه. كذا في مرآة الجنان للإمام أبي محمد عبد الله اليافعي. ثم تاب وتخلص من السجن سنة ٧٠٧ هـ، وقال: إنني أشعري ثم نكث عهده وأظهر مرموزه فحبس حبساً شديداً، ثم تاب وتخلص من السجن، وأقام في الشام وله هناك، واقعات كتبت في كتب التاريخ، وردة أقاويله وبين أحواله الشيخ ابن حجر في

المجلد الأول من الدرر الكامنة. والذهبي في تاريخه وغيرها من المحققين والمرام أنّ ابن تيمية، لما كان قاتلاً بكونه تعالى جسماً، قال: بأنه ذو مكان فإنّ كل جسم لا بد له من مكان على ما ثبت. ولما ورد في الفرقان الحميد (الرحمن على العرش استوى) قال: إنّ العرش مكانه، ولما كان الواجب أزلياً عنده وأجزاء العالم حوادث عنده اضطر إلى القول بأزلية جنس العرش وقدمه، وتعاقب اشخاصه الغير المتناهية فطلق التمكن له تعالى أزلي، والتمكّنات المخصوصة حوادث عنده، كما ذهب المتكلمون إلى حدوث التعلقات (٧١) إنتهى.

وقال الإمام أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان البافعي البيني المكي المتوفى ٧٦٨ هـ. وفي سنة ٧٠٥ وقعت فتنة شيخ الحنابلة ابن تيمية، وسؤالهم عن عقيدته، وعقدوا له ثلاث مجالس، وقرئت عقيدته الملقبة بالواسطية، وأضايقوه وثار غوغاء الفقهاء له وعليه، ثمّ أنّه طلب على البريد إلى مصر، واقبت عليه دعوى عند قاضي المالكية فاستخصمه ابن تيمية المذكور، وقاموا فسجن هو وأخوه بضعة عشر يوماً. ثمّ أخرج ثمّ حبس بحبس الحاكم ثمّ ابعده إلى الإسكندرية فلما تمكن السلطان سنة تسع طلبه فاحترمه وصالح بينه وبين الحاكم، وكان الذي ادعى به عليه بمصر. أنّه يقول أنّ الرحمن على العرش استوى حقيقة، وأنّه يتكلم بحرف وصوت. ثمّ نودى بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه (٧٢).

وقال أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي الفقيه الشافعي المتوفى ٧٧٤ هـ، في حوادث سنة ٧٠٥ هـ، وفيها استدعى تقي الدين بن تيمية من دمشق إلى مصر، وعقد له مجلس وقرئت فيه عقيدته الواسطية وامسك وادع الإعتقال بسبب عقيدته فإنّه كان يقول: بالتجسيم، وأنّ الله فوق العرش حقيقة، وأنّ الله يتكلم بحرف وصوت فحبس في برج أياماً، ثمّ نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجب. ومن عاد إلى تلك العقيدة حلّ ماله ودمه (٧٣).

وجاء في المنشور الصادر بحقه من السلطان، وكان الشقي ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه ومدّعنان كلمه، وتحدّث في مسائل القرآن والصفات ونص في كلامه على أمور منكرات، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام، وانعقد على خلافه إجماع العلماء الأعلام، وخالف في ذلك علماء عصره، وفقهاء شامه ومصره، وعلمنا أنّه استخف قومه فأطاعوه حتى اتصل بنا إنهم صرّحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم (٧٤).

وعن العالم الخير مصطفى بن عبدالله الحاجي خليفة المتوفى ١٠٦٨ هـ، أن بعضهم بالغ في الرد على ابن تيمية حتى صرّح بكفر من أطلق عليه شيخ الإسلام. هذه هي معتقدات ابن تيمية في التوحيد، القائل بالتجسيم، والإستواء، والجهة، وله

في إثبات قوله مؤلفات ورسائل، وهكذا القول في النبوة، وبمعصية من زار مرقد النبي الأعظم (ص) وصلّى لديه، ودعا عنده، وتبرّك وتوسّل به، وتقرّب إلى الله، وابتغاء الزلفة لديه، وكفر زيارة قبور ضمنت في كنفها نبياً مرسلأً أو إماماً طاهراً، أو ولياً صالحاً، أو عظيماً من عظماء الدين، وحتى زيارة مشاهد العترة الطاهرة عليهم السلام، لذلك حكم بتهديم وأبادة كافة المقابر بصورة عامة. مع العلم واليقين أن أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها أخرجت في الصحاح والمسائيد، أحاديث جمّة في زيارة قبر النبي الأقدس صلوات الله عليه وآله، وسائر القبور الشريفة (٧٥).

أما نظرتة السقيمة بالنسبة للطائفة الشيعية، الإمامية الحقّة، فكلها العداة والحقد الامويّ الدفين، واللّهجة القارصة يحذو فيها حدوشيخه في ضلاله ابن حزم الاندلسي... فراح في تأليفه يعرّبد، ويشتم، ويهرج، وليس هذا بغريب وعجيب منه لأن شنشنة الرعونة وصبغة الإحن والشحناء هي شيمة كلّ أمويّ لف عجاجته على الشيعة، وعلى أئمتها (فشله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) (٧٦).

فقال في كتابه (مناهج السنة) وهو الحزبيّ بأن يسمّى مناهج البدعة، وهو كتاب حشوه ضلالات وأكاذيب، وتحكمات وإنكار المسلمات، وتكفير المسلمين، وأخذ بناصر المبدعين، ونصب وعداء محتدم على أهل بيت الوحي عليهم السلام، فليس فيه إلاّ تدجيل محض، وتمويه على الحقائق، وتحريف الكلم عن مواضعه، وقول بالبذاء، ورمي بالمقذعات، وقذف بالفواحش، وتحكك بالوقيعه، وتحزّش بالسباب: - أصول الدين عند الإمامية أربعة: التوحيد. والعدل. والنبوة. والإمامة هي آخر المراتب، والتوحيد، والعدل، والنبوة، قبل ذلك، وهم يدخلون في التوحيد نفي الصفات، والقول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة. ويدخلون في العدل التكذيب بالقدرة. وأن الله لا يقدر أن يهدي من يشاء، ولا يقدر أن يضل من يشاء، وأنه قد يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء. وغير ذلك فلا يقولون أنه خالق كل شيء ولا أنه على كل شيء قدير، ولا أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن - (٧٧).

وقال أيضاً في كتابه: - تجرد الرافضة يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة، وليس لها عندهم كبير حرمة، وإن صلوا فيها صلوا فيها وحداناً، ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابة للمشركين، ويحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق. ومنهم من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة. بل يسبون من لا يستغنى بالحج إليها عن الحج الذي فرضه الله تعالى على عباده، ومن

لا يستغنى بها عن الجمعة والجماعة، وهذا من جنس دين النصارى والمشركين (٧٨).  
 وقال أيضاً: — الراضة يعمرّون المشاهد التي حرّم الله ورسوله بناءها، يجعلونها بمنزلة  
 دور الأوثان، ومنهم من يجعل زيارتها كالحج، كما صنّف المفيد كتاباً سماه — مناسك حج  
 المشاهد — وفيه من الكذب والشرك ما هو جنس شرك النصارى وكذبهم (٧٩).  
 هذه نماذج تافهة من كلماته الهزيلة البائرة، وعلى هذه فقس ماسواها... وإني لا  
 أتصدى بالأجابة عليها لأن الوقت أئتمن وأغلى من أن تصرف حول هاتيك المخاريق  
 والخرعبلات، بعد أن تصدى بالإجابة عليها جمع من فطاحل العلماء، والمجاهدين... وإجابتي  
 هو قول الشاعر:

لوكل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار  
 وليت شعري فإذا سيكون قول ابن تيمية، وتلاميذ مدرسته المقبورة في توجيه صفاته  
 جلّ جلاله الثبوتية الذاتية، وصفاته السلبية المنزه عنها، بعد أن أختلق للباري تعالى،  
 التجسيم، والجهة، والإستواء، وأنه يرى يوم القيامة... إلى غيره من الأقاويل الدالة على جهله  
 باصول الدين، وأحكام التشريع الإسلامي، ومفاهيمه لدى المذاهب الإسلامية. ثم يطلق  
 على تخرصاته وخرعبلاته كلمة الإسلام الصحيح، ومنبعه الصافي الصحيح..؟  
 إنّ الرجل المخرف بتخرصاته وهذيانه السافر، يفرض على الأمم والشعوب إعتناق  
 وقبول ما جاء به، والعمل طبق رأيه ليدفع بهم إلى شفير الهاوية والكفر والضلال والزندقة  
 والإلحاد... وأخيراً التخلي، والتجرّد عن كافة القيم، والمثل. ثم كيف يميز لبنيانه وقلمه  
 تعريف الله تعالى ووصفه، بهذه الصورة وقد قيل من قبل: — إن المعرف يجب أن يكون أعرف  
 وأجلى من المعروف — فهو بجهله وخبثه وحمقه يريد تعريف الله سبحانه..؟

إنّ المسلمين ومن قبلهم الأنبياء، والمرسلين، والأوصياء، والأوتاد، والزهاد، والعباد،  
 والأئمة، والعلماء، والجهلة، والأغبياء، والسماوات، والأرض، وكل دابة، وملك، ونجم،  
 وشمس، وقر، والأفلاك، والبحار، والأشجار، منذ بداية خلق الإنسان لم يعبدوا رباً بهذا  
 الشكل الذي اصطنعه ابن تيمية... ولم يتخذوه خالقاً لهم ولم يسبحوه بكرة وأصيلاً... وإنما  
 عبدوا (الله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه  
 المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن. الذي ليس لصفته حدّ محدود،  
 ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته،  
 ووتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحده، وكمال

توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنها غيرالموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنه غيرالصفة، فن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال (فيم) فقد ضمنه، ومن قال (علام) فقد أخلى منه.

كائن لاعتن حدث، موجود لاعتن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنته، وغير كل شيء لا بزميلة. فاعل لا بمعنى الحركات، والآلة. بصير إذ لا منظور إليه من خلقه. متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداءً بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها. أحوال الأشياء لأوقاتها ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهاها، عارفاً بقرائنها وأحنائها (٨٠).

لقد صرح علماء الكلام أن معرفة الصانع سبحانه على مراتب، فأولها وأدناها: أن يعرف العبد أن للعالم صانعاً. الثانية: أن يصدق بوجوده. الثالثة: أن يترقى بجذب العناية الإلهية إلى توحيده، وتنزيهه عن الشركاء، الرابعة: مرتبة الإخلاص له. الخامسة: نفي الصفات التي تعتبرها الأذهان له عنه. وهي غاية العرفان، ومنتهى قوة الإنسان فالله سبحانه الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد... منزّه عن جميع الصفات التي عليها الأجسام، والأعراض. فالمراد بالإخلاص له هاهنا هو نفي الجسمية، والعرضية، ولواز مهها عنه لأن الجسم مركب وكل مركب ممكن، وواجب الوجود ليس بممكن. وأيضاً فكل عرض مفتقر، وواجب الوجود غير مفتقر، فواجب الوجود ليس بعرض. وأيضاً فكل جرم محدث، وواجب الوجود ليس بمحدث، فواجب الوجود ليس بجرم. وأيضاً فكل حاصل في الجهة إما جرم أو عرض، وواجب الوجود ليس بجرم ولا عرض، فلا يكون حاصلًا في جهة. فمن عرف وحدانية الباري ولم يعرف هذه الامور كان توحيده ناقصاً، ومن عرف هذه الامور، بعد العلم بوحدانيته تعالى فهو المخلص في عرفانه جلّ اسمه ومعرفته تكون أتم وأكمل.

هذا وفي كتب الكلام بحوث طريفة ودراسات ممتعة، وأدلة واضحة وصریحة في هذا الحقل، إلا أن دائرتها تقريبا اتسعت بعد مزاعم ابن تيمية، فقد تصدى للإجابة والرّد عليه جمع من علماء المذاهب الإسلامية، منذ بداية القرن الثامن الهجري، وأجمعت كافة العقلاء، وحكمت أنه تعالى يستحيل أن يرى لأن الضرورة قاضية بأن ما ليس بجسم ولا حال في جسم، ولا في جهة ولا مكان ولا حين، ولا يكون مقابلاً ولا في حكم المقابل، فإنه لا يمكن رؤيته،

ومن كابر في ذلك فقد أنكر الحكم الضروري، وكان في إرتكاب هذه المقالة سوفسطائياً، مخالفاً أيضاً لآيات القرآن الكريم الدالة على إمتناع رؤيته تعالى، أمثال الخنابلة فإنهم قالوا: إنَّ لله تعالى جسم يجلس على العرش، ويفضل عنه كل جانب ستة أشبار بشبره وأنه ينزل في كل جمعة على حارينادي إلى الصباح، هل من تائب هل من مستغفر؟

والسبب في ذلك قلة تمييزهم وعدم تفتنهم بالمناقضة التي تلزمهم، وانكار الضروريات التي تبطل مقالتهم. فإنَّ الضرورة قاضية بأن كل جسم لا ينفك عن الحركة والسكون، وقد ثبت في علم الكلام أنها حادثان، والضرورة قاضية بأنَّ ما لا ينفك عن المحدث فإنه يكون محدثاً، فيلزم حدوث الله تعالى، والضرورة قاضية بأن كل محدث فله محدث، فيكون واجب الوجود مفتقراً إلى مؤثر، ويكون ممكناً فلا يكون واجباً وهذا خلف.

وقد تمادى أكثرهم فقال: إنَّه تعالى يجوز عليه المصافحة، وإن المخلصين في الدنيا يعانقونه في الدنيا. وقال داود بن علي بن خلف الإصبهاني الظاهري ٢٠١-٢٧٠ هـ، اعفوني عن الفرج، واللحية، وإسألوني عما وراء ذلك. وقال: إنَّ معبوده جسم، ذولحم، ودم، وجوارح، وأعضاء، وأنه بكى على طوفان نوح، حتى رمدت عيناه، وعادته الملائكة لما اشتكت عيناه. -

فليصف العاقل من نفسه، هل يجوز له إتباع وتقليد مثل هؤلاء، وهل للعقل مجال في تصديقهم، وتأييدهم في هذه الخرافات الرديئة، والإعتقادات الفاسدة؟ وهل تشق النفس بإصابة هؤلاء في شيء ألبتة..؟

ولم يكن ابن تيمية وحده في هاتيك المناكير، وإنَّها هي ممتدة منذ ظهور أحمد بن محمد ابن حنبل ١٦٤-٢٤١ هـ، الرجل الذي لا تخلو حياته من الأساطير، والحكايات، والأطراف، والخرافات، والأوهام، مما لا تتفق مع الواقع والإسلام، ولا يمكن قبولها من دون تمحيص إلى جانب آراء وعقائد بعيدة عن الإعتقاد الصحيح، لذلك لم ينل المذهب الحنبلي شهرة كغيره من المذاهب، وكانت خطى إنتشاره قصيرة جداً، أما في بغداد فلم تكن له شهرة إلا بين طبقة عرفوا بالشدة والشر، والعنف، في سيرتهم، وتعاملهم على غيرهم من المذاهب. أما خارج بغداد فهو غير معروف ولا منتشر، وهكذا في سائر الأقطار الإسلامية، وقد قام الخنابلة بدور صراع عنيف مع الشيعة، ولكن لم يستطيعوا التغلب عليه.

وفي سنة ٣٢٣ هـ، عظم أمر الخنابلة وقويت شوكتهم، وصاروا يكسبون دور القواد والعامّة، وإن وجدوا نبيذاً أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها، فأرهبوا بغداد، وأقلقوا بال الحكومة، كما استظفروا بالعميان الذين يأوون إلى المساجد فإذا مرَّ بهم غير حنبلي ضربوه

بعضهم حتى يموت.

فخرج توقيع الخليفة الراضي ينكر على الحنابلة فعلهم، ويوبخهم باعتقاد التشبيه، وغيره منه: (تارة إنكم تزعمون صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين، وهيثكم الرذيلة على هيئته، وتذكرون الكف، والأصابع، والرجلين، والنعلين المذهبين... والصعود إلى السماء، والنزول إلى الدنيا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. ثم طعنكم على خيار الامة ونسبتكم شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلى الكفر والضلال، ثم استدعواكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة، والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن، وإنكاركم زيارة قبور الأئمة وتشنيعكم على زوارها بالإبتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام ليس بذني شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله، وتأمرون بزيارته، وتدعون له معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. فلعن الله شيطاناً زين لكم هذه المنكرات وما أغواه.

وأمر المؤمنين (أي الراضي بالله) يقسم بالله قسماً جهداً إليه يلزمه الوفاء به، لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريققتكم ليوسعنكم ضرباً وتشريداً وقتلاً وتبذيراً، وليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم (٨١).

ومن هنا نستظهر أن أفكار المجسمة، والحشوية، كان انتشارها في الحنابلة مشهوراً، وهذا مما يؤدي إلى نقرة كثير من النفوس على ما في الحنابلة من شدة في الدعاية لنشر مذهبهم السخيف، وإثارة الفتن وغلظة المعاملة والعنف والقسوة كما هي الحالة اليوم في الحجاز بصورة عامة.

كما أن وقوع الفتن بين الحنابلة وبقية المذاهب، أدت إلى تقلصه ودفنه، ووقفت دون انتشاره وخصوصاً أن العامة من الحنابلة قد اشتهروا في الأمر الذي يعتقدونه، واتخذوا العنف ذريعة لظهور ذلك التشدد، وان مقابلتهم للشيعه ونسبتهم لهم إلى تهم وامور لا تليق بهم، قد أثر أثره في انتكاس الحنابلة وعدم إنتشار مذهبهم، لأن أغلبية بغدادهم بصورة وافرة شيعة، والحنابلة قلة اتخذوا العنف والشدة وسيلة وذريعة لانتصار مذهبهم وإنتشاره.

وحين قامت الدولة الأيوبية، كان ملوكها شديدي التعصب للمذهب الشافعي، فحاربوا غيره من المذاهب ولم يسمحوا لغيره من المذاهب إلا ما كان له من العامة كالْمذهب المالكي.

وعندما أخذ نفوذ الدولة الأيوبية يضعف ويتقلص أخذ المذهب الحنبلي ينتشر في أنحاء مصر. فلقد قال تقي الدين أحمد المقرئ في خطبه: إنه لم يكن للمذهب الحنبلي،



والحنفي كبير ذكر بمصر في الدولة الأيوبية، ولم يشتهر إلا في آخرها.

ولما امتد سلطان العثمانيين أصاب المذهب الحنبلي، ضربة قاضية وأخذ ذلك يتضائل شيئاً فشيئاً. أما في مصر فلم يكن له أي شهرة هناك، فقد كان في العصور المتأخرة عدد شيوخ الأزهر ٣١٢ شيخاً من جميع المذاهب، وعدد طلابه ٩٠٦٩ وكان من بينهم ٢٨ طالباً من الحنابلة، و ٣ شيوخ منهم فقط. وما أكثر الحوادث التاريخية التي دلت على أن حركتهم في غالب الأحوال كانت حركة جماهيرية وهي لا شعورية. وكانت نشوة الانتصار على خصومهم قد جعلتهم يتشددون ويتعصبون، وقد استمسكوا بالفاظ لا يفهمون معانيها، وإلى إيجاد أمور لا تتمشى مع روح الإسلام من التهجم على من لا يوافقهم في الرأي. وطعنوا بكثير من الشخصيات وكفروا من شأواوا تكفيره بدون ميزان شرعي.

ومها يكن من أمر فالشواهد التاريخية تثبت أن لم يكن المذهب الحنبلي من المذاهب المنتشرة، وذات أهمية وكاد يمحي أسوة بغيره من المذاهب المختلفة، ولولا قيام ابن تيمية وانتصاره لمذهب أحمد، وربطه بعقائد السلف الذين لا يرون تأويل ماورد في الصفات، وفي حينه ثارت ثورة الإسلام على ابن تيمية ولفظته وحاربت معتقده الباطلة، وألقاها في مزبلة النسيان إلى أن قام في القرن الثاني عشر الهجري محمد بن عبد الوهاب، وجاء بعقائد ابن تيمية من جديد، وأنكر على الناس استغاثتهم بالنبي (ص) عند قبره وأظهر أنه يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يعتقد في العقائد والفقهاء مذهب ابن تيمية... مع العلم أن ابن تيمية لم يكن مقلداً بل كانت له مسائل ينفرد بها، ويفتي على رأيه مع أن أقواله وفتاواه تخالف المذاهب الأربعة أو تخالف المشهور منها، فمن ذلك:

القول بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفرأ طويلاً كان أو قصيراً.

القول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء كما يشترط للصلاة.

من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل فبان نهاراً لا قضاء عليه.

وجواز الوضوء بكل ما يسمى ماء مطلقاً كان أو مضافاً.

إن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه. إلا أن يتغير قليلاً كان أو كثيراً.

ولما كانت الرسائل في الرد على ابن تيمية كثيرة وعديدة، فقد تفرّدت بذكر واحدة منها، وهي رسالة وضعت في مناقشة رأيه في التجسيم، والاستواء، والجهة، وهي من تأليف الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جبريل الكلبي الحلبي المتوفى ٧٣٣ هـ. المعروف بابن صهبل، وكان حافظاً إماماً شيخاً مؤلفاً (٨٢) وإليك نصها:

أحمد الله العظيم شأنه، القويّ سلطانه، القاهر ملكوته، الباهر جبروته، الغني عن كل شيء، وكل شيء مفتقر اليه فلا معول لشيء من الكائنات إلاّ عليه، أرسل محمداً (ص) بالحجة البيضاء، والملة الزهراء فأتى بأوضح البراهين، ونور محجة السالكين، ووصف ربه تعالى بصفات الجلال، ونفى عنه مالا يليق بالكبرياء والكمال، فتعالى الله الكبير المتعال، عما يقوله أهل الغي والضلال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطيف قدرته، مقهورون في قبضته، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، مطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، فسبحانه ما أعظم شأنه، وأعز سلطانه، يسأله من في السماوات والأرض، لا فتقارهم إليه، كل يوم هو في شأن، لا قدراره عليه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ومبلغ أنبائه وعلى آله وصحبه وسلم ٥

أما بعد فالذي دعا إلى تسطير هذه النبذة ما وقع في هذه المدة مما علقه بعضهم، في إثبات الجهة، واغترها من لم يرسخ في التعليم قدمه، ولم يتعلّق بأذيال المعرفة ولا كبجحه لجام الفهم، ولا استبصر بنور الحكمة، فأحبيت أن أذكر عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم أبين فساد ما ذكره مع أنه لم يدع دعوى إلا نقضها، ولا اطرد قاعدة إلا هدمها، ثم أستدل على عقيدة أهل السنة وما يتعلّق بذلك، وها أنا أذكر قبل ذلك مقدمة يستضاء بها في هذا المكان. (فأقول) وبالله المستعان، مذهب الحشوية في إثبات الجهة، مذهب واه ساقط يظهر فساده من مجرد تصويره، حتى قالت الائمة لولا اغترار العامة بهم لما صرف إليهم عنان الفكر، ولا خط القلم في الرد عليهم، وهم فريقان فريق لا يتحاشى في اظهار الحشو ومحسبون أنهم على شيء ألا أنهم هم الكاذبون، وفريق يتستر بمذهب السلف لسحت يأكله أو حطام يأخذه أو هوى يجمع عليه الطغام الجهلة، والرعا السفلة لعلهم أن إبليس ليس له دأب إلا خذلان أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا يجمع قلوب العامة إلا على بدعة وضلالة يهدم بها الدين، ويفسد بها اليقين، فلم يسمع في التواريخ أنه خزاه الله جميع غير خوارج أو ملاحدة أو قرامطة، واما السنة والجماعة فلا تجمع إلا على كتاب الله المبين وجبله المتين ٥ وفي هذا الفريق من يكذب على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويزعم أنهم يقولون بمقالته، ولو أنفق ملء الارض ذهباً ما استطاع أن يروج عليهم كلمة تصدق دعواه، وتستر هذا الفريق بالسلف حفظاً لرياسته، والحطام الذي يجتلبه، يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم، وهؤلاء يتحلون بالرياء والتقشف فيجعلون الروث مفضضاً، والكنيف مبيضاً ويزهدون في الذرة ليحصلوا الدرّة أظهروا للناس نسكا وعلى المنقوش داروا، ومذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه،

دون التجسيم والتشبيه، والمبتدعة تزعم أنها على مذهب السلف:

وكل يدعون وصال ليلي وليلى لا تقرهم بذاكا  
وكيف يعتقد في السلف أنهم يعتقدون التشبيه، أويكتمون عند ظهور أهل البدع، وقد قال الله:  
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون \* وقال الله تعالى: وإذ أخذنا ميثاق  
الذين أتوا الكتاب لنبيننه للناس ولا تكتمونه \* وقال الله تعالى: لتبين للناس ما نزل إليهم،  
ولقد كانت الصحابة رضى الله عنهم، لا يخوضون في شيء من هذه الأشياء لعلمهم أن حفظ  
الدهماء أهم الامور، مع أن سيوف حججهم مرهفة ورماحهم مشحونة، ولذلك لما نبغت  
الخوارج راجعهم حبر الأمة وعالمها وابتاعهم رسولها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعبدالله بن  
عباس، فاهتدى البعض بالمناظرة وأصر الباقون عناداً فتسلط عليهم السيف:

ولكن حكم السيف فيكم مسلط فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا  
وكذلك مما نبع القدر، ونجم به معبد الجهمي قيص الله تعالى له زاهد الامة، وابن فاروقها  
عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ولو لم تتبع هذان البدعتان، لما تكلمت الصحابة  
رضي الله عنهم، في رد هذا ولا يبطل هذا ولم يكن دأبهم إلا الحث على التقوى، والغزو  
وأفعال الخير، ولذلك لم ينقل عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه  
رضي الله عنهم، أنه جمع الناس في مجمع عام ثم أمرهم أن يعتقدوا في الله تعالى كذا وكذا، وقد  
صدر ذلك في أحكام شتى وإنما نتكلم فيها بما يفهمه الخاص ولا ينكره العام، وبالله أقسم  
يمينا برة ماهي مرة بل ألف مرة، أن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم، لم يقل أيها الناس  
اعتقدوا ان الله تعالى في جهة العلو، ولا قال: ذلك الخلفاء الراشدون، ولا أحد من الصحابة،  
بل تركوا الناس وأمر التعبدات والاحكام، ولكن لما ظهرت البدع قعها السلف، أما  
التحريك للقائد والتشمير لآظهارها وإقامة ثائرها فافعلوا ذلك بل حسمو البدع عند  
ظهورها \*

ثم الحشوية إذا بحثوا في مسائل أصول الدين مع المخالفين، تكلموا بالعقول وتصرفوا في  
المنقول، فإذا وصلوا الى الحشو تبدلوا وتأسوا فتراهم لا يفهمون بالعربية ولا بالعجمية، كلا  
والله والله لو فهموا الهاموا ولكن اعترضوا بحر الهوى، فشقوه وعاموا وأسمعوا كل ذي عقل  
ضعيف وذهن سخي، وخالفوا السلف في الكف عن ذلك، مع العوام ولقد كان الحسن  
البصري رضى الله عنه، إذا تكلم في علم التوحيد أخرج غير أهله وكانوا رحمهم الله تعالى  
لا يتكلمون فيه إلا مع أهل السنة منهم، إذ هي قاعدة أهل التحقيق، وكانوا يرضون به على  
الاحداث، وقالوا الأحداث هم المستقلون الامور المبتدؤن في الطريق، فلم يجربوا الامور ولم

يرسخ لهم فيها قدم، وإن كانوا أبناء سبعين سنة، وقال سهل رضي الله عنه لا تطلعوا الاحداث على الأسرار قبل تمكنهم من اعتقاد أن الآله واحد، وأن الموجد فرد صمد منزه عن الكيفية، والينية لا تحيط به الافكار، ولا تكيفه الأبواب، وهذا الفريق لا يكتفى من ايمان الناس إلا باعتقاد الجهة وكأنه لم يسمع الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا، لا إله إلا الله-الحديث.

أفلا يكتفى بما اكتفى به نبيهم صلى الله عليه وسلم حتى انه لم يأمر بالخوض في بحر لا ساحل له ويأمرهم بالتفتيش عما لم يأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفتيش عنه، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولا يشارك واكتفى بما نقل عن امامه الامام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه، حيث قال: لا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تتجاوز القرآن، والحديث، ونعلم أن ما ووصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز، ولا أحاج بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، وهو مع ذلك ليس كمثل شيء في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولا في افعاله وكامه ينبغي ان الله سبحانه له ذات حقيقة وافعال حقيقة وكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله عزوجل منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، وممتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقاً لعدم، وافتقار المحدث الى المحدث وجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

هذا نص امامه فهلا اكتفى به ولقد أتى امامه في هذا الكلام بجوامع الكلم، وساق ادلة المتكلمين على ما يدعيه هذا المارق بأحسن ردو أوضح معان مع أنه لم يأمر بما أمر به هذا الفريق، وقد قال الشافعي رضي الله عنه سألت مالكا عن التوحيد، فقال: محال إن نظن بالنبي صلى الله عليه وسلم، أنه علم أمته الإستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، وقد قال صلى الله عليه وسلم، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله-الحديث، فبين مالك رضي الله عنه أن المطلوب من الناس في التوحيد، هو ما اشتمل عليه هذا الحديث، ولم يقل من التوحيد اعتقاد أن الله تعالى في جهة العلو، وسئل الشافعي رضي الله تعالى عنه عن صفات الله، فقال: حرام على العقول أن تمثل الله تعالى وعلى الأوهام أن تحدوا على الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط الا ما ووصف به نفسه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ومن تقصى وفتش وبحث وجد أن الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين والصدر الأول لم يكن دأبهم غير الامساك عن الخوض في هذه الامور، وترك ذكرها في

المشاهد، ولم يكونوا يدسونها إلى العوام، ولا يتكلمون بها على المنابر، ولا يوقنون في قلوب الناس منها هواجس، كالخريق المشعل، وهذا معلوم بالضرورة من سيرهم، وعلى ذلك بنينا عقيدتنا وأثبتنا نخلتنا وسيظهر لك إن شاء الله تعالى موافقتنا للسلف ومخالفة المخالف طريقتهم وان إدعى الاتباع فما سالك غير الابتداء، وقول المدعى انهم أظهروا هذا ويقول علم النبي (ص) كل شيء حتى الخزأة وما علم هذا المهم هذا التبرج لا يمشی على الصير في النقاد أو ما علم أن الخزأة يحتاج إليها كل واحد، وربما تكررت الحاجة إليها في اليوم مرات وأي حاجة بالعوام الى الخوض في الصفات، نعم الذي يحتاجون إليه من التوحيد، قد تبين في حديث أمرت أن أقاتل الناس.

ثم هذا الكلام من المدعى يهدم بنيانه ويهد أركانه فان النبي صلى الله عليه وسلم علم الخزأة تصريحاً، وما علم الناس أن الله في جهة العلو، وماورد من العرش، والسماء، في الإستواء قد بنى المدعى مبناه، وأوثق عرى دعواه على أن المراد بها شيء واحد وهو جهة العلو، فما قاله هذا المدعى لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم، أمته وعلمهم الخزأة، فعند المدعى يجب تعليم العوام حديث الجهة وما علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما نحن فالذي نقوله انه لا يخاض في مثل هذا، ولنسكت عنه كما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ويسعنا ما وسعهم ولذلك لم يوجد منا أحد يأمر العوام بشيء من الخوض في الصفات، والقوم فدخلوا دأبهم الدخول فيها والأمر بها فليت شعري من الاشبه بالسلف ٥

وها نحن نذكر عقيدة أهل السنة (فتقول): عقيدتنا أن الله قديم أزلي لا يشبه شيئاً، ولا يشبه شيء ليس له جهة ولا مكان ولا يحتوى عليه وقت، ولا زمان، ولا يقال له أين ولا حيث يرى، لا عن مقابلة ولا على مقابلة كان ولا مكان، كون المكان ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان هذا مذهب أهل السنة وعقيدة مشايخ الطريق رضي الله عنهم، قال الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا شبيهه ولا نظير له بمن له شبيهه ونظير، وكما قيل ليحيى بن معاذ الرازي أخبرنا عن الله عزوجل فقا إله واحد فقيل له كيف هو. فقال: ملك قادر، فقيل له أين هو. فقال: بالمرصاد فقال السائل: لم أسألك عن هذا، فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فاما صفته فما أخبرت عنه، وكما سأل ابن شاهين، الجنيد رضي الله عنها، عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة. قال الله تعالى: إنني معكما أسمع وأرى، ومع العالم بالعلم والاحاطة، قال الله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، فقال ابن شاهين مثلك يصلح دالا للامة على الله، وسئل ذوالنون المصري رضي الله عنه، عن قوله: الرحمن على العرش استوى، فقال: أثبت ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته.

والأشياء بحكمته كما شاء، وسئل عنه الشبلي رضي الله عنه، فقال: الرحمن لم يزل، والعرش محدث، والعرش بالرحمن استوى، وسئل عنها جعفر بن نصير، فقال: استوى علمه بكل شيء، وليس شيء نقيم الحجة على نفي الجهة، والتشبيه، وعلى جميع ما يدعيه وبالله المسعان.

فأقول: ادعى أولاً أنه يقول بما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم، ثم انه قال ما لم يقله الله، ولا رسوله، ولا السابقون الاولون من المهاجرين والانصار، ولا شيئاً منه فاما الكتاب والسنة فسنين مخالفتها، وأما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فذكره لهم في هذا الموضع استعارة للتهويل، وإلا فهو لم يورد من أقوالهم كلمة واحدة لانفياً ولا اثباتاً، واذا تصفحت كلامه عرفت ذلك، اللهم إلا أن يكون مراده بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، مشايخ عقيدته دون الصحابة. وأخذ بعد هذه الدعوى في مدحه صلى الله عليه وسلم، وفي مدح دينه وأن أصحابه أعلم الناس بذلك، والامر كما قاله وفوق ما قاله، وكيف المذائح تستوفي مناقبه، ولكن كلامه كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل، ثم أخذ بعد ذلك في ذم الأئمة وأعلام الأمة حيث اعترفوا بالعجز عن إدراكه سبحانه وتعالى، مع أن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم قال: لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وقال الصديق رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك. وتجاسر المدعى على دعوى المعرفة وأن ابن الحبيص قد عرف القديم على ما هو عليه ولا غرور ولا جهل أعظم ممن يدعى ذلك، فتعوز بالله من الخذلان ثم أخذ بعد ذلك في نسبة مذهب جمهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى أنه مذهب فراخ الفلاسفة وأتباع اليونان واليهود، ستكتب شهادتهم ويسئلون، ثم قال: كتاب الله تعالى من أوله الى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها الى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو، إما نص واما ظاهر في الله تعالى أنه فوق كل شيء وعلى كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، وقال في أثناء كلامه وأواخر ما زعمه انه فوق العرش حقيقة، وقاله في موضع آخر عن السلف، فليت شعري أين هذا في كتاب الله تعالى على هذه الصورة التي نقلها عن كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وهل في كتاب الله تعالى كلمة مما قاله حتى يقول انه فيه نص، والنص هو الذي لا يحتمل التأويل البتة وهذا مراده، فإنه جعله غير الظاهر لعطفه له عليه، وأى آية في كتاب الله تعالى نص بهذا الاعتبار، فأول ما استدل به قوله تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب، فليت شعري أي نص في الآية أو ظاهر على أن الله تعالى في السماء، أو على العرش ثم نهاية

ما يتمسك به أنه يدل على علو يفهم من أقرب اليه من شيء. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء فقد أشرك، اذ لو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان علي شيء لكان محمولاً، ولو كان من شيء لكان محدثاً. وقال محمد بن محبوب، خادم أبي عثمان المغربي، قال لي أبو عثمان المغربي يوماً، يا محمد لو قال لك قائل أين معبودك ايش تقول؟ قلت، أقول: حيث لم يزل، قال: فإن قال فأين كان في الأزل ايش تقول؟ قلت: حيث هو الآن، يعني أنه كان ولا مكان فهو الآن كما كان، قال فارتضى ذلك مني ونزع قيصه وأعطانيه، وقال أبو عثمان المغربي: كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابي بمكة إني أسلمت جديداً، قال: فرجع كل من كان تابعه على ذلك.

فهذه كلمات أعلام أهل التوحيد، وأئمة جمهور الأمة سوى هذه الشذمة الزائفة، وكتبهم طافحة بذلك، وردهم على هذه النازعة لا يكاد يحصر وليس غرضنا من ذلك تقليدهم لمنع ذلك في أصول الديانات، بل إنما ذكرت ذلك ليعلم أن مذهب أهل السنة ما قدمناه، ثم إن في قولنا أن آيات الصفات وأخبارها على من يسمعها وظائف التقديس والايان بما جاء عن الله تعالى، وعن رسول صلى الله عليه وسلم، على مراد الله تعالى، ومراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتصديق والاعتراف بالعجز والسكوت والامسك عن التصرف في الالفاظ الواردة، وكف الباطن عن التفكير في ذلك واعتقاد أن ما حفي عليه منها لم يخف عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيأتي شرح هذه الوظائف إن شاء الله تعالى.

فليت شعري في اي شيء نخالف السلف هل هو في قولنا كان ولا مكان أو في قولنا أنه تعالى كون المكان أو في قولنا وهو الآن على ما عليه كان أو في قولنا تقدس الحق عن الجسمية ومشابقتها، أو في قولنا يجب تصديق ما قاله الله ورسوله بالمعنى الذي أراد، أو في قولنا يجب الاعتراف بالعجز أو في قولنا نسكت عن السؤال والخوض فيما لا طاقة لنا به، أو في قولنا يجب إمساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان. وليت شعري فيما ذا وافقوا هم السلف هل في دعائهم إلى الخوض في هذا، والحث على البحث مع الاحداث الغرين والعوام الطغام الذين يعجزون عن غسل محل النجوى، واقامة دعاء الصلاة، أو وافقوا السلف في تنزيه الباري سبحانه وتعالى عن الجهة، وهل سمعوا في كتاب الله أو أثاره من علم عن السلف أنهم وصفوا الله تعالى بجهة العلو، وان كل ما لا يصفه به فهو ضال مضل، من فراخ الفلاسفة، واليهود، واليونان، انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً، ونحن

الآن نبتدئ بافساد ما ذكره ثم بعد ذلك الصعود، وهيئات زل حمار العلم في الطين فإن الصعود في الكلام كيف يكون حقيقة مع أن المفهوم في الحقائق أن الصعود من صفات الأجسام فليس المراد الا القبول ومع هذا لا احد ولا مكان وأتبعها بقوله تعالى: إني متوفيك ورافعك الي، وما أدري من أين استنبط من هذا الخبر أن الله تعالى فوق العرش من هذه الآية، هل ذلك بدلالة المطابقة، أو التضمن، أو الالتزام، أو هوشيء أخذه بطريق الكشف والنفث في الروع، ولعله اعتقد أن الرفع إنما يكون في العلو في الجهة، فإن كان كما خطر له فذاك أيضا لا يعقل إلا في الجسمية والحدية، وانه لم يقل بهما فلا حقيقة فيما استدل به، وإن قال بهما فلا حاجة الى المغالطة هـ

ولعله لم يسمع الرفع في المرتبة والتقرب في المكانة مع استعمال العرب، والعرف ولا فلان رفع الله شأنه، وأتبع ذلك بقوله أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض وخص هذا المستدل من بالله تعالى، ولعله لم يجوز أن المراد به ملائكة الله تعالى ولعله يقول إن الملائكة لا تفعل ذلك، ولا أن جبريل عليه السلام خسف بأهل سدوم، فلذلك استدل بهذه الآية، ولعلها هي النص الذي أشار إليه وأتبعه بقوله تعالى: تعرج الملائكة والروح اليه، والعروج والصعود شيء واحد ولا دلالة في الآية على أن العروج إلى سماء ولا عرش ولا شيء من الاشياء التي ادعاها بوجه من الوجوه، لأن حقيقته المستعملة في لغة العرب في الانتقال في حق الأجسام إذ لا تعرف العرب إلا ذلك، فليته أظهره واستراح من كتمانها وأردفه بقوله تعالى: يخافون رهم من فوقهم، وتلك أيضاً لا دلالة له فيها على سماء ولا عرش، ولا أنه في شيء من ذلك حقيقة.

ثم الفوقية ترد لمعنيين، أحدهما: نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى، والآخر أسفل، بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الأسفل وهذا لا يقول به من لا يجسم، وبتقدير أن يكون هو المراد وأنه تعالى ليس يجسم فلم لا يجوز أن يكون من فوقهم صلة ليخافون، ويكون تقدير الكلام يخافون من فوقهم رهم أي أن الخوف من جهة العلو، وأن العذاب يأتي من تلك الجهة هـ

وثانيهما: بمعنى المرتبة كما يقال الخليفة فوق السلطان، والسلطان فوق الأمير، وكما يقال جلس فلان فوق فلان، والعلم فوق العمل، والصباغة فوق الدباغة، وقد وقع ذلك في قوله تعالى حيث قال: ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات، ولم يطلع أحدهم على أكتاف الآخر، ومن ذلك قوله تعالى: وانا فوقهم قاهرون. وماركبت القبط أكتاف بني اسرائيل ولا ظهورهم، وأردف ذلك بقوله تعالى: الرحمن على العرش استوى وورد هذا في كتاب الله في



سنة مواضع من كتابه، وهي عمدة المشبهة وأقوى معتمدتهم، حتى أنهم كتبوها على باب جامع همدان فلنصرف العناية الى إيضاها، فقول: اما انهم يعزلون العقل بكل وجه وسبب، ولا يلتفتون الى ما يسمى فهماً وإدراكاً فرحياً بفعلهم، وتقول: الرحمن على العرش استوى، وان تعدوا هذا، وقالوا هذا يدل انه مستو على العرش فلاحياً ولا كرامة، فإن الله تعالى ما قاله مع أن علماء البيان كالمثقفين على أن في اسم الفاعل من الثبوت مالا يفهم من الفعل، وإن قالوا: هذا يدل على انه فوّه فقد تركوا ما التزموه، وبالغوا في التناقض والتشهبي والجرأة، وإن قالوا: بل ننفي العقل ونفهم ماهو المراد، فنقول لهم ما هو الاستواء في كلام العرب، فإن قالوا الجلوس، والاستقرار، قلنا: هذا ما تعرفه العرب إلا في الجسم، فقولوا يستوى جسم على العرش، وإن قالوا جلوس واستقرار نسبه إلى ذات الله تعالى، كنسبة الجلوس الى الجسم، فالعرب لا تعرف هذا حتى يكون هو الحقيقة.

ثم العرب تفهم استواء القدر الذي هو ضد الاعوجاج، فوصفوه بذلك وتبرؤا معه من التجسيم، وسدوا باب الحمل على غير الجلوس، ولا يدونه في قوله تعالى: وهو معكم أين ما كنتم. وقوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، ولا تقولوا معهم في العلم وان قلتم ذلك فلم تحلونه عاماً وتحرمونه عاماً، ومن أين لكم أن ليس الاستواء فعلاً من أفعاله تعالى في العرش، فإن قالوا: ليس هذا كلام العرب، قلنا ولا تصرف العرب استوى بالمعنى الذي تقولونه بلاجسم، ولقد رام المدعى التفلت من شرك التجسيم بما زعمه من أن الله تعالى في جهة، وانه استوى على العرش استواء يليق بجلاله، فنقول له قدصرت الآن إلى قولنا في الاستواء.

وأما الجهة فلا تليق بالجلال وأخذ على المتكلمين قولهم ان الله تعالى لوكان في جهة فإما أن يكون أكبر، أو أصغر، أو مساوياً، وكل ذلك محال، قال: فلم يفهموا من قول الله تعالى على العرش إلا ما يشبتون لأي جسم كان على أي جسم كان، قال: وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم، وأما استواء يليق بجلال الله، فلا يلزمه شيء من اللوازم، فنقول له أتميمياً مرة، وقيسياً أخرى، إذا قلت استوى استواء يليق بجلال الله فهو مذهب المتكلمين، وإذا قلت استوى هو استقرار واختصاص بجهة دون أخرى، لم يجد ذلك تخلصاً من الترديد المذكور، والاستواء بمعنى الاستيلاء وأشهد لله في هذه الآية أنها لم ترد قط إلا في اظهار العظمة والقدرة والسلطان والملك، والعرب تكني بذلك عن الملك فيقولون فلان استوى على كرسي المملكة، وإن لم يكن جلس عليه مرة واحدة، ويريدون بذلك الملك، وأما قولهم فإن حملتم الاستواء على الاستيلاء، لم يبق لذكر العرش فائدة فإن ذلك في حق كل المخلوقات فلا يختص

فالجواب عنه: أن كل الموجودات لما حواها العرش كان الاستيلاء عليه استيلاء على جميعها ولا كذلك غيره، وأيضاً فكناية العرب السابقة ترجحه، وقد تقدم الكلام عن السلف في معنى الإستواء، كجعفر الصادق، ومن تقدم. وقولهم استوى بمعنى استولى إنما يكون فيما يدافع عليه قلنا واستوى بمعنى جلس أيضاً إنما يكون في جسم، وأنتم قد قلتم إنكم لا تقولون به، ولو وصفوه تعالى بالاستواء على العرش لما أنكرنا عليهم ذلك، بل نعددهم إلى ما يشبه التشبيه أو هو التشبيه المحذور والله الموفق ۞

واستدل بقوله تعالى حكاية عن فرعون: ياها مان ابن لي صرحاً لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى، فليت شعري كيف فهم من كلام فرعون أن الله تعالى فوق السموات وفوق العرش يطلع إلى إله موسى، أما إن إله موسى في السموات، فما ذكره وعلى تقدير فهم ذلك من كلام فرعون فكيف يستدل بظن فرعون وفهمه مع اخبار الله تعالى عنه: انه زين له سوء عمله وانه حاد عن سبيل الله عزوجل، وأن كيده في ضلال مع انه لما سأل موسى عليه السلام وقال: وما رب السموات؟ لم يتعرض موسى عليه السلام للجهة بل لم يذكر إلا أخص الصفات وهي القدرة على الاختراع، ولو كانت الجهة ثابتة لكان التعريف بها أولى، لان الإشارة الحسية من أقوى المعارف حساً وعرفاً، وفرعون سأل بلفظة ما فكان الجواب بالتحيز أولى من الصفة، وغاية ما فهمه من هذه الآية، واستدل به فهم فرعون فيكون عمدة هذه العقيدة كون فرعون ظنها فيكون هو مشيدها.

فليت شعري لم لا ذكر النسبة إليه كما ذكر أن عقيدة سادات أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا اعتقاده في مسألة التحيز والجهة الذين أحقهم بالجهمية متلقاة من لبسيد ابن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، وختم الآيات الكريمة بالاستدلال بقوله: تنزيل من حكيم حميد، منزل من ربك بالحق، وما في الآيتين لا عرش، ولا كرسي، ولا سماء، ولا أرض، بل فيها مجرد التنزيل وما أدري من أي الدلالات استنبطها المدعي، فإن السماء لا تفهم من التنزيل فإن التنزيل قد يكون من السماء، وقد يكون من غيرها، ولا تنزيل القرآن كيف يفهم منه النزول الذي هو انتقال من فوق إلى أسفل، فإن العرب لا تفهم ذلك في كلام سواء كان من غرض أو غير غرض، وكما تطلق العرب النزول على الانتقال، تطلقه على غيره كما جاء في كتابه العزيز، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ۞ وقوله تعالى: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج، ولم ير أحد قطعة حديد نازلة من السماء في الهواء، ولا جملاً ينزل من السماء إلى الأرض فكما جوزنا هنا أن النزول غير

الانتقال من العلو إلى السفلى، فلنجوزه هناك هذا ما استدل به من الكتاب العزيز.

وقد ادعى أولاً أنه يقول ما قاله الله وان ما ذكره ممن الآيات دليل على قوله إما نصاً وإما ظاهراً، وأنت إذا رأيت ما ادعاه وأمعنت النظر فيما قلناه واستقرت هذا الآيات لم تجد فيها كلمة على وفق ما قاله أولاً لا نصاً ولا ظاهراً البتة، وكل أمر بعد كتاب الله تعالى، والدعوى عليه خلل، ثم استدل من السنة بحديث المعراج، ولم يرد في حديث المعراج أن الله فوق السماء أو فوق العرش حقيقة، ولا كلمة واحدة من ذلك، وهو لم يسرد حديث المعراج ولا بين الدلالة منه حتى نجيب عنه فإن بين وجه الدلالة عرفناه كيف الجواب.

واستدل بنزول الملائكة من عند الله تعالى هـ والجواب عن ذلك أن نزول الملائكة من السماء، إنما كان لأن السماء مقرهم، والعنودية لا تدل على أن الله في السماء لأنه يقال في الرءس الآدميين إنهم من عند الله وان لم يكونوا نزلوا من السماء، على أن العنودية قد يراد بها الشرف والرتبة، قال الله تعالى: وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب وتستعمل في غير ذلك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عزوجل: أنا عند ظن عبدي بي، وذكر عروج الملائكة، وقد سبق وربما شد فقار ظهره وقوى منته بلفظة إلى ربه، وإن إلى لانتهاى الغاية وانها في قطع المسافة، وإذا سكت عن هذا لم يتكلم بكلام العرب فإن المسافة لا تفهم العرب منها إلا ما تنتقل فيه الأجسام وهو يقول إنهم لا يقولون بذلك، وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم: إني ذاهب إلى ربي، وليس المراد بذلك الإنتهاء الذي عناه المدعى بالاتفاق، فلم يجترئ على ذلك في كتاب الله تعالى ولا يجاب به في خبر الواحد هـ

وذكر قوله صلى الله عليه وسلم: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر من في السماء صباحاً ومساءً، وليس المراد بمن هو الله تعالى، ولا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، ولا خصه به ومن أين للمدعى انه ليس المراد بمن الملائكة فإنهم أكبر المخلوقات علماً بالله تعالى، وأشهدهم اطلاقاً على القرب، وهم يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين وهو عندهم في هذه الرتبة، فليعلم المدعى أنه ليس في الحديث ما ينبى هذا ولا يثبت ما ادعاه.

ثم ذكر حديث الرقية ربنا الله الذي في السماء تقدر اسمك أمرك في السماء والأرض، كما رزقك في السماء الحديث وهذا الحديث بتقدير ثبوته فالذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيه، ربنا الذي في السماء تقدر اسمك ما سكت النبي صلى الله عليه وسلم على في السماء فلاى معنى نقف نحن عليه، ونجعل تقدر اسمك كلاماً مستأنفاً، هل فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أو أمر به؟ وعند ذلك لا يجد المدعى مخلصاً إلا أن

يقول الله تقدس إسمه في السماء والأرض، فلم خصصت السماء بالذكر؟ فنقول له: ما معنى تقدس إن كان المراد به التنزيه من حيث هو تنزيه فذلك ليس في سماء ولا أرض، إذ التنزيه نفي النقائص وذلك لا تعلق له بجرباء ولا غرباء، فإن المراد أن المخلوقات تقدسه وتعرفه بالتنزيه فلا شك أن أهل السماء مطبقون على تنزيه تعالى، كما أنه لا شك أن في أهل الأرض من لم ينزه وجعل له نداً ووصفه بما لا يليق بجلاله، فيكون تخصيص السماء بذكر التقديس فيها لانفراد أهلها بالطباق على التنزيه، كما انه سبحانه لما انفرد في الملك في يوم الدين عمن يتوهم ملكه خصصه بقوله تعالى: ملك يوم الدين. وكما قال سبحانه وتعالى بعد زمان من ادعى الملك والملك، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار. وأعاد هذا المدعى الحديث من أوله ووصل إلى أن قال فليقل ربنا الذي في السماء، قال: وذكره ووقف على قوله في السماء، فليت شعرى هل جوز أحد من العلماء أن يفعل مثل هذا، وهل هذا إلا مجرد إيهام أن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم قال: ربنا الله الذي في السماء ۞

وأما حديث الأوغال وما فيه من قوله والعرش فوق ذلك كله، والله فوق ذلك كله، فهذا الحديث قد كثر منهم إيهام العوام إنهم يقولون به، ويروجون به زخارفهم، ولا يتركون دعوى من دعواتهم عاطلة من التحلى بهذا الحديث، ونحن نبين أنم لم يقولوا بحرف واحد منه ولا استقر لهم قدم بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة، بل نقضوا ذلك ووضح ذلك بتدريج ما أخر هذا المدعى، قال في آخر كلامه، ولا يظن الظان أن هذا يخالف ظاهر قوله تعالى: وهو معكم أينما كنتم، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه ونحو ذلك، قال: فإن هذا غلط ظاهر. وذلك أن الله تعالى ممنا حقيقة فوق العرش حقيقة قال كما جمع الله بانها في قوله هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير. قال هذا المدعى بملء ما ضغيه من غير تكتم ولا تلعم: فقد أخير الله تعالى أنه فوق العرش ويعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال قال صلى الله عليه وسلم في حديث الأوغال والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه، فقد فهمت أن هذا المدعى ادعى أن الله فوق العرش حقيقة، واستدل بقوله تعالى: ثم استوى على العرش، وجعل أن ذلك من الله تعالى خير أنه فوق العرش، وقد علم كل ذي ذهن قويم، وفكر مستقيم، أن لفظ استوى على العرش ليس إلا مراد فاللفظ فوق العرش حقيقة، وقد سبق منا الكلام عليه ولا في الآية ما يدل على الجمع الذي إدعاه، ولا بين التقريب في الاستدلال بل سرد آية من كتاب الله تعالى، لا يدري هل حفظها أو نقلها من المصحف.

ثم شبه الآية في الدلالة على الجمع بحديث الأوغال كما قال صلى الله عليه وسلم فيه، والله فوق العرش وقد علمت أنه ليس في الحديث ما يدل على المعية بل لا مدخل لمع في الحديث، قال وذلك ان مع اذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسه ولا محاذاة عن يمين أو شمال، فاذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال مازلنا نسير والقمر معنا، والنجم معنا، ويقال هذا المتاع معنا وهو بجماعته معك، وإن كان فوق رأسك فإن الله مع خلقه حقيقة. ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وهو معكم أينما كنتم، والله بما تعملون بصير، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، عالم بكم، قال: وهذا معنى قول السلف انه معهم بعلمه، قال: وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته، قال: وكذلك في قوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة. الآية، وفي قوله تعالى: لا تحزن إن الله معنا إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. إنني معكما أسمع وأرى، قال: ويقول أبو الصبي الذي فوق السقف لا تخف أنا معك تنبهاً على المعية الموجبة لحكم الحال، فليفهم الناظر أدب هذا المدعى في هذا المثل، وحسن ألفاظه في استثمار مقاصده، ثم قال ففرق بين المعية وبين مقتضاها المفهوم من معناها الذي يختلف باختلاف المواضع، فليفهم الناظر هذه العبارة التي ليست بالعربية ولا بالعجمية، فسبحان المسيح باللغات المختلفة، قال: فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضى في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر، هذه عبارته بحروفها، ثم قال: فأما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها وإن امتاز كل موضع بخاصية فليفهم تقسيم هذا المدعى وحسن تصرفه، قال: فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن يكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال صرفت عن ظاهرها، ثم قال في موضع آخر من علم: أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات، كإضافة الربوبية مثلاً وأن الاستواء على العرش ليس إلا العرش، وإن الله تعالى يوصف بالعلو والفوقية الحقيقة، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا تحقيقاً ولا مجازاً علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف، فليفهم الناظر هذه المقدمات القطعية، وهذه العبارات الرائقة الجليلة، وحصر الاستواء على الشيء في العرش مما لا يقوله عاقل، فضلاً عن جاهل، ثم قال: من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب، إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن أحد، فليستفد الناظر أن الفهم يسمع.

قال: ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، إن الله تعالى في السماء أنها تحويه لبادر كل أحد منهم الى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، قال: بل عند المسلمين ان الله في السماء، وهو على العرش واحد إذ السماء إنما يراد بها العلو، فالمعنى الله في العلولا في السفلى، هكذا قال هذا المدعى فليشد الناظر على هذه بالخصر، وليعضى عليها بالنواجذ، وليعلم أن القوم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، قال: وقد علم المسلمون أن كرسية تعالى وسع السموات والأرض، وأن الكرسي في العرش، كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله تعالى لا نسبة له إلا قدرة الله وعظمته، وكيف يتوهم متوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه، وقد قال تعالى: ولا صلبنكم في جذوع النخل، وقال تعالى: فسيروا في الأرض بمعنى على، ونحو ذلك وهذا كلام عربى حقيقة لا مجاز، وهذا يعلمه من عرف حقائق معنى الحروف، وأنها متواطئة في الغالب، هذا آخر ما تمسك به. فنقول: أولاً ما معنى قولك إن مع في اللغة للمقارنة المطلقة، من غير مئامة ولا محاذاة، وما هي المقارنة؟ فإن لم يفهم من المقارنة غير صفة لازمة للجسمية، حصل المقصود وإن فهم غيره فليتنبه حتى ينظر هل تفهم العرب من المقارنة ذلك أولاً؟ ثم قوله: فإذا قيد بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فنقول له: ومن نحا ذلك في ذلك، قوله إنها في هذه المواضع كلها بمعنى العلم، قلنا: من أين لك هذا؟ فإن قال من جهة قوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، الآية دل ذلك على المعية بالعلم، وأنه على سبيل الحقيقة فنقول له: قد كلت بالصاع الوافي، فكل لنا بمثله، واعلم أن فوق كما يستعمل في العلو في الجهة، كذلك يستعمل في العلو في المرتبة، والسلطنة، والملك، وكذلك الاستواء فيكونان متواطئين كما ذكرته حرفاً بحرف، وقد قال الله تعالى: وهو القاهر فوق عباده. وقال تعالى: وفوق كل ذي علم عليم. وقال الله تعالى: يدا الله فوق أيديهم. وقال تعالى حكاية عن قوم فرعون: وانا فوقهم قاهرون. وقال تعالى: ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات. ومعلوم أنه ليس المراد جهة العلو، فاعد البحث وقل فوق العرش بالإستيلاء، وكذا في حديث الأوغال، وما فعلته في مع فاعله في فوق، وخرج هذا كما خرجت ذلك والا اترك الجميع.

ثم قوله: ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات، وان الاستواء على الشيء ليس إلا العرش، قلنا: حتى نبر لك رجلا استعملها يعلم ما تقوله من غير دليل فانك إن لم تقم دلالة على ذلك وإلا أبرزت لفظة تدل على تختم فوق للاستواء في جهة العلو،

فليت شعري من أين تعلم أن المعية بالعلم حقيقة، وإن آية الاستواء على العرش، وحديث الاوغال دالان على صفة الربوبية بالفوقية الحقيقة، اللهم غفراً هذا لا يكون إلا بالكشف وإلا فالأدلة التي نصبها الله تعالى لتعرف بها ذاته وصفاته وشرائعه لم يورد هذا المدعى منها حرفاً واحداً على وفق دعوى، ولا ثبت له قدم إلا في مهوى.

ثم قوله: لا يوصف الله تعالى بالسفول والتحتية لا حقيقة ولا مجازاً، ليت شعري من ادعى له هذه الدعوى حتى يكلف الكلام فيها، ثم إن قوله بعد ذلك من توهم كون الله تعالى في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب، إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، أيها المدعى، قل ماتفهم، وافهم ماتقول، وكلم الناس كلام عاقل لعاقل، تفيد وتستفيد، إذا طلبت أن تستنبط من لفظة في الجهة وحملتها على حقيقتها هل يفهم منها غير الظرفية أو ما في معناها، وإذا كان كذلك فهل ينهم عاقل أن الظرف ينفك عن إحاطته ببعض، أو جميع أو ما يلزم ذلك وهل جرى هذا على سمع وهل من يخاطر أن في على حقيقتها في جهة، ولا يفهم منها احتواء ولا إحاطه ببعض ولا كل، فإن كان المراد أن يعزل الناس عقولهم وتكلم أنت وهم يقلدون ويصدقون، ثم تأمن أن بعض المسؤولين من المخالفين لا مسألة بأمرك بذلك أو يثبت الباطل عليك.

ثم قولك لوسئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله تعالى ورسوله: إن الله في السماء تحويه لبادر كل واحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخاطر ببالنا، فنقول: ما الذي أردت بذلك، إن أردت أن هذا اللفظ لا يعطى هذا المعنى فإياك أن تسأل عن هذا من هو عارف بكلام العرب فإنه لا يصدقك في أن هذا اللفظ لا يعطى هذا مع كون في للظرفية، وإنما على حقيقتها في الجهة وإن أردت أن العقول تأبى ذلك في حق الله تعالى، فلسنا نحن معك إلا في تقرير هذا ونفي كل ما يوهم نقصاً في حق الله تعالى ثم قولك عند المسلمين إن الله في السماء، وهو على العرش واحد لا ينبغي أن تضيف هذا الكلام إلا إلى نفسك، أو إلى من تلقيت هذه الوصمة منه، ولا تجعل المسلمين يرتكبون في هذا الكلام الذي لا يعقل، ثم استدلت على أن كون الله في السماء وعلى العرش واحد، بأن السماء إنما يراد بها العلو فالمعنى الله في العلو لا في السفلى، قل لي هل قال الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين، أن الله تعالى في العلو لا في السفلى، وكل ما قلت من أول المقدمة إلى آخرها لو سلم لك، لكان حاصله أن الله تعالى وصف نفسه بأنه استوى على العرش، وأن الله تعالى فوق العرش.

وأما إن السماء المراد بها جهة العلو فما ظفرت كفاك بنقله، ثم قولك، قد علم

المسلمون أن كرسية تعالى وسع السموات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، فليت شعري إذا كان حديث الأوغال يدل على أن الله فوق العرش فكيف يجمع بينه وبين طلوع الملائكة إلى السماء التي فيها الله؟ وكيف يكون مع ذلك في السماء حقيقة، ولعلك تقول أن المراد بها جهة العلو توفيقاً، فليت شعري أيمن أن تقول بعد هذا التوفيق العاري عن التوفيق والتوفيق أن الله في السماء حقيقة، وعلى السماء حقيقة، وفي العرش حقيقة، وعلى العرش حقيقة، ثم حقيقة السماء هي هذه المشاهدة المحسوسة يطلق عليها هذا الإسم من لم يخطر بباله السمو، وأما أصل الإشتقاق فذلك لامزية لهافيه على السقف، والسحاب، فتبارك الله خالق العقول.

ثم قولك بعد ذلك: العرش من مخلوقات الله تعالى لانسبة له إلا قدرة الله وعظمته وقع إلينا إلا قدرة الله فإن كانت بألف لام الف كما وقع إلينا فقد نفيت العرش، وجعلت الجهة هي العظمة والقدرة، وصار معنى كلامك جهة الله عظمته وقدرته، والآن قلت مالا يفهم ولا قاله أحد، وإن كان كلامك بألف لام ياء فقد صدقت وقلت الحق، ومن قال خلاف ذلك لعمرى، ولعمرى لقد رمنا لك هذا المكان ولقناك إصلاحه.

ثم قلت: كيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره أو يحويه، قلنا: نعم ومن أي شيء بلاؤنا إلا ممن يدعى الحصر أو يومه. ثم قلت: وقد قال الله تعالى: ولأصلبكم في جذوع النخل، أو ما علمت أن التمكن والاستقرار حاصل في الجذع، فإن تمكين المصلوب في الجذع كتتمكين الكائن في الظرف، وكذلك الحكم في قوله تعالى: قل سيروا في الأرض، وهذا الذي ذكرنا هو الجواب عن حديث الأوغال، وحديث قبض الروح، وحديث عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، وحديث أمية بن أبي الصلت، وما قال من قوله:

مجدوا الله فهو أهل لمجد ربنا في السماء أمسى كبيراً

فيقال للمدعي إن كنت ترويه في السماء فقط ولا تتبعها أمسى كبيراً فرما يومه ماتدعيه لكن لا يبقى شعراً ولا قافية، وإن كان قال ربنا في السماء أمسى كبيراً فقل مثل ما قال أمية وعند ذلك لا يدرى هل هو كما قلت إن الله كبير في السماء؟ فإن قلت: وهو كبير في الأرض فلم خصت السماء؟ قلنا: التخصيص بما أشرنا إليه من أن تعظيم أهل السموات أكثر من تعظيم أهل الأرض له، فليس في الملائكة من ينحت حجراً ويعبده، ولا فيهم دهري، ولا معطل، ولا مشبه، وخطاب أمية لكفار العرب الذين اتخذوا هبل، ومنات، واللات، والعزى، وغير ذلك من الأنداد وقد علمت العرب أن أهل السماء أعلم منهم، حتى كانوا يتمسكون بحديث الكاهن الذي كان يتلقى من الجنى الذي يسترق الكلمة من الملك فيضيف



إليها مائة كذبة، فكيف إعتقادهم في الملائكة، فلذلك احتج عليهم أمة بالملائكة هذا ليس ببعيد ولا خلاف قطعي.

ثم قال: من المعلوم بالضرورة أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المذعنين أن الله تعالى على العرش وانه فوق السماء فنقول له: هذا ليس بصحيح بالصریح بل ألقى إليهم أن الله استوى على العرش، هذا الذي تواتر من تبليغ هذا النبي صلى الله عليه وسلم، وما ذكره المدعى من هذا الاخبار فأخبار آحاد لا يصدق عليها جمع كثرة ولا حجة له فيها، وذلك واضح لمن سمع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، ونزله على استعمال العرب واطلاقتها، ولم يدخل عليها غير لغتها. ثم قلت: كما فطر الله جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام الامن اجتالته الشياطين عن فطرته، هذا كلام من أوله الى آخره معارض بالميل والترجيح معنا. ثم قلت عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمعت لبلغت مائتين ألوفاً، فنقول: إن أردت بالسلف سلف المشبهة كما سيأتي في كلامك، فرمما قارب وإن أردت سلف الأمة الصالحين فلا حرف ولا شطر حرف، وها نحن معك في مقام مقام ومضمار مضمار بحول الله وقوته.

ثم قلت: ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله، ولا عن أحد من سلف الامة لامن الصحابة ولا من التابعين، حرف واحد يخالف ذلك لا نص ولا ظاهر، قلنا: ولا عنهم كما ادعيت أنت، ولا نص ولا ظاهر، وقد صدرت أولاً أنك تقول ما قال الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ثم دارت الدائرة على أن المراد بالسابقين الأولين من المهاجرين والانصار، مشايخ عقيدتك وعزات العترة، وأهل بدر، والحديبية، عن السلف والتابعين عن المتابعة، وتولى هؤلاء غير الله، والله أعلم حيث يجعل رسالاته. ثم قولك لم يقل أحد منهم انه ليس في غير السماء ولا انه ليس على العرش، ولا انه في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا انه داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل. قلنا: لقد عممت الدعوى فذكرت ما لم تحط به علماء وقد ذكرنا لك عن جعفر الصادق، والجنيد، والشبلي، وجعفر بن نصير، وأبي عثمان المغربي رضي الله عنهم، ما فيه كفاية فإن طعنت في نقلنا أو في هذه السادة طعنا في نقلك، وفيمن اسندت إليه من أهل عقيدتك خاصة، فلم يوافقك على من ادعيتهم غيرهم.

ثم إنك أنت الذي قد قلت ما لم يقله الله ولا رسوله ولا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ولا من التابعين ولا من مشايخ الامة الذين لم يدركوا إلا هؤلاء فما نطق أحد منهم بحرف في أن الله تعالى في جهة العلو. وقد قلت، وصرحت، وبحثت، وفهمت، بأن

ماورد من انه في السماء وفوق السماء، وفي العرش وفوق العرش المراد به جهة العلو، فقل لنا من قال هذا؟ هل قاله الله أو رسوله أو السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان، فلم تهول علينا بالامور المغمضة وبالله المستعان.

ثم استدل على جواز الاشارة الحسية اليه بالأصابع ونحوها بما صح انه صلى الله عليه وسلم في خطبة عرفات، جعل يقول ألا هل بلغت؟ فيقولون: نعم، فيرفع اصبعه إلى السماء وينكثها إليهم، ويقول: اللهم اشهد غير مرة، ومن أي دلالة يدل هذا على جواز الإشارة اليه هل صدر منه صلى الله عليه وسلم، إلا أنه رفع إصبعه ثم نكثها إليهم، هل في ذلك دلالة على أن رفعه كان يشير به إلى جهة الله تعالى، ولكن هذا من عظيم ما رسخ في ذهن هذا المدعى من حديث الجهة، حتى انه لو سمع مسألة من عويص الفرائض، والوصايا، وأحكام الحيض، لقال هذه دالة على الجهة، ثم أتى بالطامة الكبرى والداهية الدهياء وقال: فإن كان الحق ما يقوله هؤلاء السابقون النافون من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً أو ظاهراً، كيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم على حبر الامة انهم يتكلمون دائماً بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا ييوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً، حتى يجيء أنبساط الفرس والروم وأفراخ اليهود يبينون للامة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مؤلف أو فاضل أن يعتقدها، لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا المقتضى قياس عقولهم، مادل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصول الدين، فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد، لا تطلبون معرفة الله تعالى، وما يستحق من الصفات نفياً ولا إثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الامة، ولكن انظروا أنتم فا وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه بها، ثم قال: هما فريقان أكثرهم يقول ما لم تثبته عقولكم فأبقوه، ومنهم من يقول بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون إختلافاً أكثر من جميع إختلاف على وجه الأرض فانفوه وإليه عند الشارع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا إنني امتحتنكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه لكن لتجتهدوا في تخريجهم على شواذ اللغة، ووحشى الألفاظ، وغرائب الكلام، أو تسكتواعنه

مفوضين علمه إلي هذا حقيقة الامر على رأى المتكلمين، هذا ما قاله وهو الموضح الذي صرح فيه وتخبطه الشيطان من المس.

فنقول له: ما تقول فيما ورد من ذكر العيون بصفة الجمع، وذكر الجنب، وذكر الساق الواحد، وذكر الأيدي، فإن أخذنا بظاهر هذا يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد عليه عيون كثيرة، وله جنب واحد عليه أيد كثيرة، وله ساق واحد وأي شخص يكون في الدنيا أشبع من هذا وإن تصرفت في هذا بجمع وتفريق بالتأويل فلم لا ذكره الله، ورسوله، وسلف الامة، وقوله تعالى في الكتاب العزيز: الله نور السموات والارض. فكل عالم يعلم أن النور الذي على الحيطان، والسقوف، وفي الطرق، والحشوش، ليس هو الله تعالى، ولا قالت المجوس بذلك، فإن قلت بأنه هادي السموات والارض ومنورها، فلم لا قاله الله تعالى ولا رسوله ولا سلف الامة، وورد قوله تعالى: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، وذلك يقتضى أن يكون الله داخل الرزمة فلم لا يبينه الله، ولا رسوله، ولا سلف الامة. وقال تعالى: واسجد واقترب. ومعلوم أن التقرب في الجهة ليس إلا بالمسافة، فلم لا بينه الله تعالى، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا سلف الامة. وقال تعالى: فايئا تولوا فثم وجه الله. وقال تعالى: وجاء ربك. وقال تعالى: فاني الله بنيانهم من القواعد. وقال تعالى: وما يأتيهم من ذكر من رهم محدث. وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عز وجل: من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشى أتيته هرولة. وما صح في الحديث أجد نفس الرحمن من قبل اليمن، ومن قوله صلى الله عليه وسلم: الحجر الاسود يمين الله في الأرض. ومن قوله صلى الله عليه وسلم، حكاية عن ربه سبحانه وتعالى: أنا جليس من ذكرني، وكل هذه هل تأمن من المجسم أن يقول لك، ظواهر هذه كثيرة تعدت الحصر أضعاف أحاديث الجهة فإن كان الأمر كما يقولون في نفى الجسيمة مع أنه لم يأت في شيء من هذه ما بين خلاف ظواهرها، لا عن الله تعالى، ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا عن سلف الامة، فحينئذ يكيل لك المجسم بصاعك، ويقول لك لو كان الأمر كما قلت لكان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي لهم، وإن قلت ان العمومات قد بينت خلاف ظواهر هذه لم نجد منها نافياً للجسمية إلا وهو ناف للجهة، ثم ما يؤمنك من تناسخى يفهم من قوله: في أي صورة ماشاء ركبك، مذهبه ومن معطل يفهم من قوله تعالى: مما تنبت الأرض مراده فحينئذ لا تجد مساعاً لما نقص به من ذلك إلا الأدلة الخارجة عن هذه الألفاظ.

ثم صار حاصل كلامك أن مقالة الشافعية والحنفية والمالكية يلزمها أن يكون ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي لهم، أفترأهم يكفرونك بذلك أم لا ثم جعلت أن مقتضى

كلام المتكلمين أن الله تعالى، ورسوله، وسلف الأمة، تركوا العقيدة حتى بينها هؤلاء، فقل لنا إن الله ورسوله وسلف الأمة بينوها، ثم نقل عنهم أنهم قالوا: كما تقول ان الله تعالى في جهة العلو، لا في جهة السفلى، وأن الإشارة الحسية جائزة إليه، فإذا لم تجد ذلك في كتاب الله تعالى، ولا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا كلام أحد من العترة، ولا كلام أحد من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فعد على نفسك باللائمة، وقل: لقد أئزمت القوم بما لا يلزمهم، ولو لزمهم لكان عليك اللوم.

ثم قلت: عن المتكلمين إنهم يقولون ما يكون على وفق قياس العقول فقوله، وإلا فانفوه والقوم لم يقولوا ذلك، بل قالوا صفة الكمال يجب ثبوتها لله وصفة النقص يجب نفيها عنه، كما قاله الامام أحمد رضي الله عنه، قالوا وما ورد من الله تعالى، ومن رسوله صلى الله عليه وسلم، فليعرض على لغة العرب التي أرسل الله تعالى محمداً بلغتها كما قال تعالى: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، فما فهمت العرب فافهمه ومن جاءك بما يخالفه فانبذ كلامه نبذ الخذاء المرقع واضرب بقوله حائط الحش.

ثم نعقد فصلاً إن شاء الله تعالى بعد افساد ما نزع به في سبب ورود هذه الآيات على هذا الوجه، فانه إنما تلقف ما نزع به في مخالفة الجماعة، وأسبأ القول على المسألة من حثالة الملاحدة الطاعنين في القرآن وسننين إن شاء الله تعالى ضلالهم، ويعلم إذ ذاك من هو من فراخ الفلاسفة واليهود، ثم لو استحيى الغافل العرف مقدر علماء الأمة رحمهم الله تعالى، ثم هل رأى من رد على الفلاسفة، واليهود، والروم، والفرس، غير هؤلاء الذين جعلهم فراخهم وهل اتكلوا في الرد على هذه الطوائف على قوم لا عقل لهم ولا بصيرة ولا إدراك ثم يدروهم يستدلون على اثبات الله تعالى في الحجاب على منكره بالنقل وعلى منكري النبوة بالنقل، حتى يصير مضغة للماضغ وضحكة للمستهزئ وشماتة للعدو، وفرحاً للחסود، وفي قصة الحسن بن زياد اللؤلؤي عبرة للمعتبر.

ثم أخذ بعد هذا في أن الأمور العامة إذا نفيت عنها إنما يكون دلالتها على سبيل الألفاظ، قلنا وكذلك المجسم يقول لك دلالة الأمور العامة على نفي الجسمية الغاز، ثم قال بعد هذا، يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، فيقال له ما الذي دلت عليه حتى يقولوا انه لا يعتقد هذا تشيع بحت، ثم يقول لك المجسم يا سبحان الله لم لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من سلف الأمة ان الله تعالى ليس بجسم، ولا قالوا لا يعتقدون من الأحاديث الموهمة للجسمية ظواهرها، ثم استدل بقوله صلى الله عليه وسلم في صفة الفرقة

الناجية، ومن كان عليه مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، قال المدعى: فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في آيات الاعتقاد فهو ضال، وإنما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم، فليعلم الناظر أنه هاهنا باهى وتزخرف وتشيع بما لم يعطه فإنه قد ثبت أن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، الكف عن ذلك فما نحن الآمرون به وإنه هو ليس بساكت بل طريقة الكلام وأمر الدهماء يوصف الله تعالى بجهة العلو، وتجوز الإشارة الحسية إليه، فليت شعري من الموافق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولكن صدق القائل: (رمتني بدائها وانسلت) ثم المجسم يقول له حذ والنعل بالنعل ما قاله لنا ونقول له لم لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناجية، من قال إن الله في جهة العلو، وإن الإشارة الحسية إليه جائزة، فإن قال هذه طريقة السلف وطريقة الصحابة قلنا من أين لك هذا ثم لا تأمن من كل مبتدع أن يدعى ذلك. ثم أفاد المدعى وأسند أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، قال: فإن أول من حفظ عنه هذه المقالة الجعد بن درهم، وأخذها عنه جهنم بن صفوان، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه، والجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم، قال: وكان الجعد هذا فيما يقال من أهل حران، فيقال له أيها المدعى أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود قد خالفت الضرورة في ذلك، فإنه ما يخفى على جميع الخواص وكثير من العوام أن اليهود مجسمة مشبهات فكيف يكون ضد التجسيم والتشبيه مأخوذاً عنهم، وأما المشركون فكانوا عباد أوثان وقد بينت الأئمة أن عبدة الأصنام تلامذة المشبهة، وأن أصل عبادة الصنم التشبيه، فكيف يكون نفيه مأخوذاً عنهم، وأما الصابئة فبلدهم معروف وإقليمهم مشهور، وهل نحن منه أو خصومنا، وأما كون الجعد بن درهم من أهل حران فالنسبة صحيحة وترتيب هذا السند الذي ذكره سيسأله الله تعالى عنه، والله من ورائه بالمرصاد، وليت لو اتبعه أن سند دعواه وعتقيدته أن فرعون ظن أن إله موسى في السماء، ثم أضاف المقالة إلى بشر المزني، وذكر أن هذه التأويلات هي التي أبطلتها الأئمة، ورد بها على بشر وأن ما ذكره الأستاذ أبو بكر بن فورك، والامام فخرالدين الرزاي قدس الله روحهما، هو ما ذكره بشر وهذا بهرج لا يثبت على محك النظر القويم، ولا معيار الفكر المستقيم، فإنه من المحال أن تنكر الأئمة على بشر أن يقول ما تقوله العرب، وهذان الامامان ما قالوا إلا ما قالت العرب. وما الإنكار على بشر إلا فيما يخالف فيه لغة العرب، وأن يقول عنها ما لم تقله.

ثم أخذ بعد ذلك في تصديق عزوته الى المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وشرع في

النقل عنهم، فقال قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون فنقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه فنقول له أول ما بدأت به الاوزاعي وطبقته ومن بعدهم فأين السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وأما قول الاوزاعي فأنت قد خالفته ولم تقل به، لانك قلت ان الله ليس فوق عرشه، لانك قررت أن العرش والسماء ليس المراد بهما إلا جهة العلو، وقلت: المراد من فوق عرشه والسماء ذلك فقد خالفت قول الأوزاعي صريحاً، مع أنك لم تقل قط ما يفهم فان قررت أن السماء في العرش كحلقة ملقاة في فلاة، فكيف تكون هي بعد ثم من أين لك صحة هذا النقل عن الاوزاعي، وبعد مساحتك في كل ذلك ما قال الأوزاعي الله فوق العرش حقيقة، فن أن لك هذه الزيادة، ونقل عن مالك بن أنس، والثوري، والليث، والاوزاعي، انهم قالوا في أحاديث الصفات أقروها كما جاءت، فيقال له لم لا أمسكت على ما أمرت به الأئمة بل وصفت الله بجهة العلو، ولم يرد بذلك خبر، ولو بذلك قراب الأرض ذهباً على أن تسمعها من عالم رباني لم تفرح بذلك بل تصرفت ونقلت على ما خطر لك، وما أمرت ولا أقررت ولا امتثلت ما نقلته عن الأئمة.

وروى قول ربيعة، ومالك، الاستواء غير مجهول فليت شعري من قال انه مجهول، بل أنت زعمت أنه لمعنى عينته وأردت أن تعزوه إلى الامامين، ونحن لا نسمح لك بذلك ثم نقل عن مالك أنه قال للسائل الايمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً فأمر به فأخرج، فيقال له ليت شعري من إمتثل منا قول مالك هل امتثلناه نحن حيث أمرنا بالإمساك وأجمننا العوام عن الخوض في ذلك أو الذي جعله دراسته يلقيه ويلفقه ويلقنه ويكتبه ويدرسه ويأمر العوام بالخوض فيه، وهل أنكر على المستفتى في هذه المسألة بعينها وأخرجه كما فعل مالك رضي الله عنه فيها بعينها، وعند ذلك يعلم أن ما قاله عن مالك حجة عليه لا له، ثم نقل عن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون أنه قال وقد سئل عما جحدت به الجهمية.

ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير، وكلت الألسن عن تفسير صفته وانحصرت العقول دون معرفة قدرته ردت عظمته العقول فلم تجد مساعاً فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق بالتقدير وإنما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو الا هو، وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفته لشيء منه حداً ومنتهى يعرفه عارف أو بحد قدره واصف، على أنه الحق المبين لا حق أحق منه، ولا شيء أبين منه، والدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق

صفة أصغر خلقه، فلا تكاد تراه صغيراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر بل ما يتقلب به ويحتال من عقله أعزل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادات ورهم.

ثم نقل عنه الاحاديث الواردة في الصفات وذكره قوله: والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. قال: فوالله ما دهم على عظيم ما وصف من نفسه، وما نخط به قبضته الا صغر نظرها منهم عندهم، إن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف من نفسه فسماه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم سميناه كما سماه، ولا لم يتكلم منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لا نجد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يتصف، وبسط الما جشون كلامه في تقرير هذا فنقول لهذا الحاكي نعم الحجة أتيت بها ولكن لنا ونعم السلاح حملت ولكن للعدى، أما كلام عبدالعزيز رضي الله عنه، وما ذكر من كبرياء الله وعظمته وانها تحير العقول وتبزي الفهوم فهذا قاله العلماء نظماً ونثراً، وأنت أزررت على سادات الائمة، وأعلام الأمة في ثانی صفحة ترغب بها حيث اعترفوا بالعجز والتقصير وتعيب عليهم ذلك وعددته عليهم ذنباً وأنت معذور وهم معذرون، وجعلت قول عبدالعزيز حجة وقد ذكرنا في القضية ما يقوله المتكلمون في كل موضع، وأمر عبدالعزيز أن يصف الرب بما وصف به نفسه وأن يسكت عما وراء ذلك وذلك قولنا وفعلنا وعقيدتنا، وانت وصفته بجهة العلو، وما وصف به نفسه وجزت الاشارة الحسية إليه وما ذكرها ونحن أقرنا الصفات كما جاءت، وأنت جمعت بين العرش والسماء بصفة العلو، وقلت في السماء حقيقة، وفي العرش حقيقة، فسبحان واهب العقول، ولكن كان ذلك في الكتاب مستوراً.

ثم ذكر عن محمد بن الحسن اتفاق الفقهاء على وصف الرب بما جاء في القرآن وأحاديث الصفات فنقول له نحن لا نترك من هذا حرفاً وأنت قلت أصف الرب تعالى بجهة العلو، وأحوز الاشارة الحسية إليه فاين هذا في القرآن وأخبار الثقات، ما أفدتنا في الفتيا من ذلك شيئاً، ونقل عن أبي عبيد القاسم بن سلام رضى الله عنه أنه قال: إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها وأنه قال ما أدركنا أحداً يفسرها فنقول له: الحمد لله حصل المقصود، ليت شعري من فسر السماء والعرش، وقال: معناها جهة العلو، ومن ترك تفسيرها وأمرها كما جاء، ثم نقل عن ابن المبارك رضي الله عنه أنه قال: يعرف ربنا بأنه فوق سماه على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهيمة انه هاهنا في الارض، فنقول له قد نص عبدالله انه فوق سمائه على عرشه، فهل قال عبدالله ان السماء والعرش واحد؟ وهي جهة العلو، ونقل عن حماد بن زيد انه قال هؤلاء الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء فنقول له

أيضاً أنت قلت بمقالتهم، فانك صرحت بأن السماء ليس هي ذاتها بل المعنى الذي اشتقت منه وهو السموا، وفسرته بجهة العلو فالاولى لك أن تنعى على نفسك مانعاه حماد على الجهمية. ونقل عن ابن خزيمة أن من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لثلاثين يوماً به أهل القبلة وأهل الذمة، فيقال له الجواب عن مثل هذا قد تقدم على أن ابن خزيمة قد علم الخاص والعام حديثه في العقائد والكتاب الذي صنفه في التشبيه وسماه بالتوحيد ورد الأئمة عليه أكثر من أن يذكر وقولهم فيه ما قالوه له هو في غيره معروف ٥ ونقل عن عباد الواسطي، وعبدالرحمن بن مهدي، وعاصم ابن علي بن عاصم، نحواً مما نقله عن حماد وقد بيناه ثم ذكر بعد ذلك ما صح عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات، فنقول ليس في هذا الحديث أن زينب قالت: إن الله فوق سبع سموات، بل ان تزويج الله اياها كان من فوق سبع سموات.

ثم نقل عن أبي سليمان الخطابي ما نقله عن عبدالعزيز الماجشون وقد بينا موافقتنا له ومخالفته لذلك ٥ وحكاه أيضاً عن الخطيب، وأبي بكر الاسماعيلي، ويحيى بن عمار، وأبي اسماعيل الهروي، وأبي عثمان الصابوني ٥ وحكى عن أبي نعيم الاصبهاني أن الاحاديث الثابتة في الاستواء يقولون بها ويشتمونها من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه ٥ وحكاه عن معمر الاصبهاني وقد بينا لك غير ما مرة أنه مخالف لهذا، وأنه ما قال به طرفة عين إلا ونقضه لان السماء عنده ليست هي المعروفة، وأن السماء والعرش لا معنى لهما إلا جهة العلو. وحكى عن عبدالقادر الحيلي أنه قال: الله بجهة العلو مستو على عرشه، فليت شعري لم احتج بكلامه وترك مثل جعفر الصادق، والشبلي، والجنيد، وذو النون المصري، وجعفر ابن نصير، وأضرابهم رضي الله عنهم؟ وأما ما حكاه عن أبي عمر بن عبدالبر، فقد علم الخاص والعام مذهب الرجل ومخالفة الناس له ونكير المالكية عليه أولاً وآخراً مشهور، ومخالفته لامام المغرب أبي الوليد الباجي معروفة، حتى ان فضلاء المغرب يقولون لم يكن أحد بالمغرب يرى هذه المقالة غيره، وغير ابن أبي زيد، غير أن العلماء منهم من قد اعتذر عن ابن أبي زيد بما هو موجود في كلام القاضي الاجل أبي محمد عبدالوهاب البغدادي المالكي رحمه الله، ثم انه قال ان الله فوق في السماء على العرش من فوق سبع سموات، ولم يعقل ما معنى في السماء على العرش من فوق سبع سموات. ثم ان ابن عبدالبر ما تأول هذا الكلام ولا قال بمقالة المدعى ان المراد بالعرش والسماء جهة العلو ٥ ثم نقل عن البيهقي



رحمه الله، ما لا تعلق له بالمسألة وأعاد كلام من سبق ذكره، ثم ذكر بعد ذلك شيخنا أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وأنه يقول الرحمن على العرش استوى، ولا تتقدم بين يدي الله تعالى في القول، بل نقول استوى بلا كيف \* وهذا الذي نقله عن شيخنا هو نخلتنا وعقيدتنا، لكن نقله لكلامه ما أراد به إلا قصد الإيهام أن الشيخ يقول بالجهة فإن كان كذلك فقد بالغ في البهت، وكلام الشيخ في هذا أنه قال: كان ولا مكان فخلق العرش والكرسي فلم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه، وكلامه وكلام أصحابه رحمهم الله يصعب حصره في إبطالها \* ثم حكى ذلك عن القاضي أبي بكر، وامام الحرمين، ثم تمسك برفع الأيدي إلى السماء \* وذلك إنما كان لاجل أن السماء منزل البركات والخيرات، لأن الانوار إنما تنزل منها والامطار، وإذا ألفت الإنسان حصول الخيرات من جانب، مال طبعه إليه فهذا المعنى الذي أوجب رفع الأيدي إلى السماء \* وقال الله تعالى: وفي السماء رزقكم وما توعدون. ثم اكتفى بمثل هذه الدلالة في مطالب أصول العقائد فما يؤمنه من مدع يقول الله تعالى في الكعبة لأن كل مصل بوجه وجهه إليها ويقول وجهه وجهي للذي فطر السموات والارض، أو يقول الله في الارض فإن الله تعالى قال: كلا لا تطعه واسجدوا وقرب، والاقتراب بالسجود في المسافة إنما هو في الارض. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أقرب ما يكون العبد في سجوده \* ثم ذكر بعد ذلك ما أجبتنا عنه من حديث الأوغال.

وذكر بعد ذلك ما لا تعلق له بالمسألة وأخذ يقول انه حكى عن السلف مثل مذهبه، وإلى الآن ما حكى مذهبه عن أحد لا من سلف ولا من خلف غير عبدالقادر الجيلي. وفي كلام ابن عبدالبر بعضه، وأما العشرة وباقي الصحابة رضي الله عنهم فما ثبت عنهم بحرف ثم أخذ بعد ذلك في مواعظ وأدعية لا تعلق لها بهذا، ثم أخذ في سب أهل الكلام ورجهم وما ضر القمر من نجمة، وقد تبين بما ذكرناه أن هذا الخبر الحجة، رجم فتياه أنه يقول ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار، ولم ينقل مقالته عن أحد من الصحابة، واذ قد أتينا على إفساد كلامه وإيضاح إيهامه، وإزالة إبهامه، ونقض إبهامه، وتنكيس أعلامه وأخذ بعد هذا فيما يتعلق بغرضنا، وإيضاح نخلتنا فنقول وبالله التوفيق \* على سماع هذه الآيات والاخبار المتعلقة بالصفات، ما قررناه من الوظائف، وهي التقديس والايان والتصديق والاعتراف بالعجز والسكوت والامسك عن التصرف في الالفاظ الواردة، وكف الباطن عن التفكير في ذلك واعتقاده أن ما خفي عنه لم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن الصديق ولا عن أكابر الصحابة رضي الله عنهم،

ولنأخذ الآن في إبراز اللطائف من خفيات هذه الوظائف، فأقول وبالله المستعان.

أما التقديس فهو أن يعتقد في كل آية أو خبر معنى يليق بجلال الله تعالى، مثال ذلك إذا سمع قوله صلى الله عليه وسلم، إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وكان النزول يطلق على ما يفتقر إلى جسم عال، وجسم سافل، وجسم منتقل، من العالي إلى السافل، وإلى انتقال جسم من علو إلى سفلى، ويطلق على معنى آخر لا يفتقر إلى انتقال ولا حركة جسم، كما قال تعالى: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج، مع أن النعم لم تنزل من السماء بل هي مخلوقة في الأرحام قطعاً، فالنزول له معنى غير حركة الجسم لا محالة، وفهم ذلك من قول الإمام الشافعي رضي الله عنه، دخلت مصر فلم يفهموا كلامي، فنزلت ثم نزلت ثم نزلت ولم يرد حينئذ الانتقال من علو إلى سفلى، فليستحقق السامع أن النزول ليس بالمعنى الأول في حق الله تعالى، فإن الجسم على الله محال، وإن كان لا يفهم من النزول الانتقال، فيقال له من عجز عن فهم نزول البعير فهو عن فهم نزول الله عزوجل اعجز، فاعلم أن لهذا معنى يليق بجلاله \* وفي كلام عبدالعزيز الماجشون السابق إلى هذا مزامره

وكذلك لفظة فوق الواردة في القرآن والخبر فليعلم أن فوق تارة تكون للجسمية، وتارة للمرتبة، كما سبق فليعلم أن الجسمية على الله محال، وبعد ذلك أن له معنى يليق بجلاله تعالى \* وأما الإيمان والتصديق به فهو أن يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، صادق في وصف الله تعالى بذلك وما قاله حق لا ريب فيه بالمعنى الذي أراده والوجه الذي أراده، وإن كان لا يقف على حقيقته ولا يتخبطه الشيطان، فيقول: كيف أصدق بأمر جل لا أعرف عينه بل يخرى الشيطان، ويقول: كما إذا أخبرني صادق أن حيواناً في دار فقد أدركت وجوده وإن لم أعرف عينه فكذلك ههنا \*

ثم ليعلم أن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم قد قال: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. وقال سيد الصديقين رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك \* وأما الاعتراف بالعجز فواجب على كل من لا يقف على حقيقة هذه المعاني الإقرار بالعجز، فإن ادعى المعرفة فقد كلف، وكل عارف وإن عرف فساخني عليه أكثره \* وأما السكوت فواجب على المحموم لأنه بالسؤال يتعرض لما لا يطيقه فهو إن سأل جاهلاً زاده جهلاً، وإن سأل عالماً لم يكن العالم إفهامه، كما لا يمكن البالغ تعليم الطفل لذة الجماع، وكذلك تعليمه مصلحة البيت وتديبته، بل يفهمه مصلحة في خروجه إلى المكتب، فالعامي إذا سأل عنه مثل هذا يزجر ويردع ويقال له ليس هذا بعشك فادرجي، وقد أمر مالك بإخراج من سأله فقال: ما أراك إلا رجلاً سوء وعلاه الرخصاء، وكذلك فعل عمر رضي الله

عنه بكل من سأل عن الآيات المتشابهة ۞ وقال صلى الله عليه وسلم: إنما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال، وورد الأمر بالإمساك عن القدر فكيف الصفات ۞ وأما الإمساك عن التصرف في هذه الأخبار والآيات، فهو أن يقولها كما قالها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يتصرف فيها بتفسير ولا تأويل ولا تصريف ولا تفريق ولا جمع ۞

فأما التفسير فلا يبدل لفظ لغة بأخرى فانه قد لا يكون قائماً مقامه فرما كانت. الكلمة تستعار في لغة دون لغة، وربما كانت مشتركة في لغة دون لغة وحينئذ يعظم الخطب بترك الاستعارة، وباعتقاد أن أحد المعنيين هو المراد بالمشترك، وأما التأويل فهو أن يصرف الظاهر ويتعلق بالمرجوح، فإن كان عامياً فقد خاض بجرا لا ساحل له، وهو غير سابع وان كان عالماً لم يجز له ذلك إلا بشرائط التأويل ولا يدخل مع العامي فيه لعجز العامي عن فهمه، وأما كف باطنه فلسلاً يتوغل في شيء يكون كفوفاً ولا يتمكن من صرفه عن نفسه ولا يمكن غيره ذلك ۞

وأما اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم، يعلم ذلك فليعلمه ولا يقس نفسه به ولا بأصحابه ولا بأكابر العلماء، فالقلوب معادن وجواهره ۞ ثم الكلام بعد هذا في فصلين أحدهما في تنزيه الله تعالى عن الجهة فنقول:

الاول أن القوم ان بحثوا بالأخبار والآثار فقد عرفت ما فيها، وأنهم ماظفروا بصحابي ولا تابعي يقول بمقاتلهم على أن الحق في نفس الأمر أن الرجال تعرف بالحق ولا يعرفوا بالرجال، وقد روى أبو داود في سننه عن معاذ رضي الله عنه أنه قال اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافراً او قال فاجراً، واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم ان الكافر يقول الحق؟ قال: ان على الحق نوراً ولقد صدق رضى الله عنه، ولو تطوقت قلادة التقليد لم نأمن ان كافراً يأتينا بمن هو معظم في ملته، ويقول اعرفوا الحق بهذا واذا قد علمت أن القوم لا مستروح لهم في النقل فاعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يخاطب إلا أولى العقول والأبواب والبصائر، والقرآن طافح بذلك، والعقل هو المعرف بوجود الله تعالى ووحدته ومبرهن رسالة أنبيائه، إذ لا سبيل الى معرفة اثبات ذلك بالنقل، والشرع قد عدل العقل وقبل شهادته واستدل به في مواضع من كتابه كالأستدلال بالانشاء على الاعادة وقوله تعالى: وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه، ولقد هدم الله تعالى بهذه الآية مباحث الفلاسفة في انكار المعاد الجسماني، واستدل به على التوحيد فقال الله تعالى: لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا وقال تعالى: وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض. وقال تعالى: أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وقال تعالى: انظروا ما ذا في السموات والارض. وقال تعالى:

قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا. وقال تعالى: سنرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم. فياخيبة من رد شاهداً قبله الله وأسقط دليلاً نصبه الله فهم يلقون مثل هذا ويرجعون إلى أقوال مشايخهم الذين لو سئل أحدهم عن دينه لم يكن له قوة على اثباته، وإذا ركض عليه في ميدان التحقيق جاء سكيता، وقال سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. وفي صحيح البخارى في حديث الكسوف ما يعرف به حديث هؤلاء في قبورهم، وبعد ذلك يقول العقل الذي هو مناط التكليف وحاسب الله تعالى الناس به وقبل شهادته في نضه، وأثبت به اصول دينه وقد شهد بخبث هذا المذهب وفساد هذه العقيدة وانها آلت إلى وصفه تعالى بالنقص، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وقد نهت مشايخ الطريق على ما شهد به العقل، ونطق به القرآن بأسلوب فهمته الخاصة ولم تنفر منه العامة وبيان ذلك بوجه.

البرهان الاول، وهو المقتبس من ذي الحسب الزكى والنسب العلي سيد العلماء ووراث خير الانبياء جعفر الصادق رضي الله عنه، قال: لو كان الله في شيء لكان محصوراً، وتقرير هذه الدلالة انه لو كان في جهة لكان مشاراً اليه بحسب الحس وهم يعلمون ذلك ويجوزون الاشارة الحسية اليه، واذا كان في جهة مشاراً اليه لزم تناهيه، وذلك لانه اذا كان في هذه الجهة دون غيرها فقد حصل فيها دون غيرها ولا معنى لتناهيه الا ذلك، وكل متناه محدث لان تخصيصه بهذا المقدار دون سائر المقادير لا بد له من مخصص، فقد ظهر بهذا البرهان الذي تبديه العقول أن القول بالجهة يوجب كون الخالق مخلوقاً، والرب مربوباً وان ذاته متصرف فيها وتقبل الزيادة والنقصان تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

البرهان الثاني، المستفاد من كلام الشبلي رضي الله عنه شيخ الطريق، وعلم التحقيق في قوله الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى، وتقريره أن الجهة التي يختص الله تعالى بها على قولهم تعالى الله عنها وسموها العرش، اما أن تكون معدومة أو موجودة، والقسم الاول محال بالاتفاق وأيضاً فانها تقبل الاشارة الحسية، والاشارة الحسية الى العدم محال فهي موجودة، واذا كانت موجودة فان كانت قديمة مع الله فقد وجد قديم غير الله وغير صفاته، فحينئذ لا يدري أيها الا له وهذا خبث هذه العقيدة وان كانت حادثة فقد حدث التحيز بالله تعالى فيلزم أن يكون الله قابلاً لصفات نفسية حادثة تعالى الله عن ذلك.

البرهان الثالث، المستفاد من لسان الطريقة وعلم الحقيقة وطيب القلوب والدليل على المحبوب أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه قال متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير هيئات هيئات هذا ظن عجيب، وتقرير هذا البرهان أنه لو كان في جهة فاما أن

يكون أكبر أو مساوياً، أو أصغر والحصر ضروري، فإذا كان أكبر كان القدر المساوي للقدر منه للجهة مغايراً للقدر الفاضل منه فيكون مركباً من الأجزاء والابعاض، وذلك محال لان كل مركب فهو مفتقر إلى جزئه وجزؤه غيره، وكل مركب مفتقر الي الغير وكل مفتقر الى الغير لا يكون إلهاً، وان كان مساوياً للجهة في المقدار والجهة منقسمة لا مكان الاشارة الحسية إلى ابعاضها فالمساوي لها في المقدار منقسم وان كان أصغر منها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فإن كان مساوياً لجوهر فرد فقد رضوا لا أنفسهم بأن إلههم قدر جوهر فرد، وهذا لا يقوله عاقل وان كان مذهبه لا يقوله عاقل لكن هذا في بادئ الرأي يضحك منه جهلة الزنج، وإن كان أكبر منه إنقسم فانظروا الى هذه النحلة وما قد لزمها تعالى الله عنها.

البرهان الرابع، المستفاد من جعفر بن نصير رحمه الله، وهو أنه سئل عن قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى، فقال استوى علمه بكل شيء فليس شيء أقرب اليه من شيء، وتقرير هذا البرهان أن نسبة الجهات اليه على السوية فيمتنع أن يكون في الجهة وبيان أن نسبتها إليه على السوية أنه قد ثبت أن الجهة أمر وجودي فهي ان كانت قديمة مع الله لزم وجود قديمين متميزين بذاتها لأنها إن لم يتميزا بذاتيهما فالجهة هي الله تعالى، والله هو الجهة، تعالى الله عن ذلك. وإن لم تكن قديمة فاخصاصه بها إما أن يكون لان ذاته اقتضت ذلك فيلزم كون الذات فاعلة في الصفات النفسية أو غير ذاتية فنسبة الجهات إلى ذاته على السوية فارجح جهة على جهة أمر خارج عن ذاته، فلزم افتقاره في اختصاصه للجهة إلى غيره، والاختصاص بالجهة هو عين التحيز، والتحيز صفة قائمة بذات المتحيز، فلزم افتقاره في صفة ذاته إلى غيره وهو على الله تعالى محال ۞

ثم أعلم أن هذه البراهين التي سردناها وتلقيناها من مشايخ الطريق فانما استنبطناها من الكتاب العزيز، ولكن ليس كل ما في الكتاب العزيز يعرفه كل أحد وكل يغترف بقدر انائه، وما نقصت قطرة من مائه، ولقد كان السلف يستنبطون ما يقع من الحروب والغلبة من الكتاب العزيز، ولقد استنبط ابن بركان رحمه الله من الكتاب العزيز فتح القدس، على يد صلاح الدين في سنته، واستنبط بعض المتأخرين من سورة الروم اشارة الى حدوث ما كان بعد ثلاث وسبعين وستمائه، ولقد استنبط كعب الاحبار رضي الله عنه من التوراة، أن عبد الله بن قلابة يدخل إرم ذات المعاد ولا يدخلها غيره، وكان يستنبط منها ما يجري من الصحابة رضي الله عنهم، وما يلاقيه أجناد الشام وذلك مشهور والله تعالى أنزل في كتابه ما يفهم أحد الخلق منه الكثير ولا يفهم الآخر من ذلك شيئاً، ولقد تختلف المراتب في استنباط الاحكام من كلام الفقهاء، والمعاني من قصائد الشعراء، فاما ما ورد في الكتاب العزيز مما ينفي الجهة

فتعرفه الخاصة ولا تشمئز منه العامة، فن ذلك قوله تعالى: ليس كمثلته شيء، ولو حصرته جهة نكان مثلاً للمحصول في ذلك البعض، وكذلك قوله تعالى: هل تعلم له سميّاً قال ابن عباس رضي الله عنه هل تعلم له مثلاً، ويفهم ذلك من القيوم وبناء المبالغة في أنه قائم بنفسه وماسواه قائم به، فلو قام بالجهة لقام بغيره، ويفهم من قوله تعالى: المصور، لانه لو كان في جهة لتصور فاما أن يصور نفسه أو يصوره غيره، وكلاهما محال ويفهم من قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، ولو كان على العرش حقيقة لكان محمولاً. ويفهم من قوله تعالى: كل شيء هالك الا وجهه، والعرش شيء يهلك فلو كان سبحانه وتعالى لا في جهة ثم صار في جهة لوجد التغير وهو على الله محال. والمدعى لما علم ان القرآن طافح بهذه الأشياء وهذه الاشارات، قال: هذه الاشياء دلالتها كالألغاز أو ما علم المغرور أن أسرار العقائد التي لا تحملها عقول العوام، لا تأتي إلا كذلك وأين في القرآن ما ينفي الجسمية إلا على سبيل الألغاز، وهل تفتخر الأذهان إلا في استنباط الحقيقت كاستنباط الشافعي رضي الله عنه، الإجماع من قوله تعالى: ويتبع غير سبيل المؤمنين. وكاستنباط القياس من قوله تعالى: فاعتبروا يا أولى الأبصار. وكاستنباط الشافعي خيار المجلس من نهيه صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع أخيه، وزبدة المسألة أن العقائد لم يكلف النبي صلى الله عليه وسلم الجمهور منها إلا بلا إله إلا الله محمد رسول الله. كما أجاب مالك، الشافعي رضي الله عنها، ووكّل الباقي إلى الله وما سمع منه ولا عن أصحابه فيها شيء إلا كلمات معدودات فهذا اللذي يخفى مثله ويلغز في إفادته.

الفصل الثاني، في إبطال ماموه به المدعى من أن القرآن والحبر اشتملا على ما يوهم ظاهره ما تنزه الله تعالى عنه على قول المتكلمين، فنقول: قال الله تعالى: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ. الآية دلت هذه الآية على أن من القرآن محكم ومنه متشابه، والمتشابه قد أمر العبد برد تأويله إلى الله وإلى الراسخين في العلم، فنقول بعد ذلك إنما لم تأت النبوة بالنص ظاهراً على المتشابه، لأن جل مقصود النبوة هداية عموم الناس فلما كان الأكثر محكماً وألجمت العامة عن الخوض في المتشابه، حصل المقصود لولا أن يقبض الله تعالى لهم شيطاناً يستهويهم، ويهلكهم ولو أظهر المتشابه لضعفت عقول العالم عن إدراكه.

ومن فوائد المتشابه، رفعة مراتب العلماء بعضهم على بعض كما قال تعالى: (وفوق كل ذي علم عليم...) وتحصيل زيادة الاجور بالسعي في تفهمها، وتفهمها، وتعلمها، وتعليمها. وأيضاً لو كان واضحاً جلياً مفهوماً بذاته لما تعلم الناس سائر العلوم، بل هجرت

بالكلية ووضح الكتاب بذاته، ولما احتجج إلى علم من العلوم المعينة على فهم كلامه تعالى. ثم خوطب في المتشابه بما هو عظيم بالنسبة إليهم، وإن كان في الأمر أعظم منه كما نبه عليه عبدالعزيز الماجشون. وكما قال تعالى في نعيم أهل الجنة: (في سدر مخضود وطلح منضود وظل مدود وماء مسكوب...) الآية فهذا عظيم عندهم وإن كان في الجنة ما هو أعظم منه كما قال (ص) حكاية عن الله عز وجل: — أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

نسأل الله العظيم أن يجعل قرارنا، وأن ينور بصيرتنا وأبصارنا، وأن يجعل ذلك لوجهه الكريم بمنه وكرمه ونحن ننتظر ما يرد من تمويهه وفساده، لنئين مدارج زيغه وعناده، ونجاهد في الله حق جهاده والحمد لله رب العالمين.



هذا واقفتي محمد بن عبد الوهاب الحنبلي، واتباعه إثر شيخه في الضلال ابن تيمية، وأخذ بنظرياته في كل المباحث وذهب في رسائله إلى القول، بالتجسيم، والإستواء، والجهة، وتكفير المسلمين، وقتلهم، وتعذيبهم، وأخذهم بألوان العذاب ومعصية زيارة مرقد النبي الأعظم (ص) وهكذا زيارة بقية القبور، والتوسل، والتشفع وبني على أساس أقواله عقيدته، وزاد فيها وحث على تهديم القبور، والمرقد، والبقاع المقدسة، وأثبت كل ذلك في رسائله المطبوعة في الحجاز وقرّر الله تعالى جهة الفوق، والإستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والأرض، والجسمية، والرحمة، والرضا، والغضب، واليدين اليمنى، والشمال، والأصابع، والكف كلها بمعانها الحقيقة من دون تأويل.

قال في كتابه (التوحيد الذي هو حق على العبيد) في باب قوله تعالى: (حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) (٨٣) العشرون إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة قال الشارح — الأشعرية الفرقة المنتسبة لأبي الحسن الأشعري أنكرت كثيراً من الصفات:

منها علو الله تعالى، واستواؤه على عرشه، بائنا عن خلقه ومحبه لعباده الصالحين، ورحمته لهم، ورضاه، وغضبه، وغير ذلك خلافاً لما جاء عن رسول الله (ص) وأصحابه وسائر السلف الصالحين. ثم استدك على ذلك بالأحاديث فقال باب ما جاء في قوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) (٨٤) الآية عن ابن مسعود (رض) جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله (ص) فقال: يا محمد إنا نجدن الله يجعل السماوات في إصبع والأرضين في إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبعه، وسائر الخلق

على إصبع فيقول: أنا الملك. فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الخبر ثم قرأ: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) الآية. وفي رواية لمسلم، والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الله.

وفي رواية للبخاري، يجعل السماوات على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع. أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: يطوى الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ثم يطوى الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون.

وروي عن ابن عباس، ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم. وعن ابن مسعود: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي. وعن العباس بن عبدالمطلب (رض) قال رسول الله (ص): هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينها مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة. وكشف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر، بين أسفله وأعله كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم. أخرجه أبوداود، وغيره. إنتهى.

أنا لا اجيب على هذا الكلام المضحك السخيف الذي لا يتفوه به متخبل عديم العقل والشعور، فكيف من الذي يجعل نفسه في عداد ذوي العقائد، ويرج شخصه في صفوف أئمة المذاهب وزعماء الإسلام..؟ وهو صريح في إثبات جهة الفوق لله تعالى، والإستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والأرض، وإثبات المحبة، والرحمة، والرضا، والغضب وإثبات اليدين، والأصابع، واليد اليمنى، واليد الشمال، والكف له تعالى، كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل. أما نسبة الأشعرية الذين يؤلونها إلى التعطيل، وهو عين التجسيم الذي أطبق المسلمون على كفر معتقده لا ستلزامه التركيب، والتحيز والوجود في جهة دون جهة، وكل ذلك يستلزم الحدوث كما قرأت فيما سبق. كما وينتج من إثبات المحبة، والرحمة، والرضا، والغضب، بمعانيها الحقيقية ميل القلب وانتقاله، وتنقلاته ورقته وعدم هيجان النفس وهيجانها. كونه سبحانه محلاً ومعرضاً للحوادث الموجب حدوثه كما علم من علم الكلام. مع أن حديث خبر اليهود ردّ عليه لا تأييد لقوله الغث فإنّ الضحك لم يكن لتصديق قول الخبر كما توهم ابن عبد الوهاب الحنبلي... بل للردّ عليه فهو ضحك تعجب من



نسبة ذلك إليه تعالى، مع بطلانه في العقول ويدلّ عليه قراءته (ص) وما قدروا الله حق قدره، أي ما قدروه حق قدره بنسبتهم إليه سبحانه الجسمية والأعضاء.

قال أبو القاسم الزجاجي في ذيل هذه الآية: — والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملة ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله، لا غير من غير ذهاب بالقبضة لا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز. وإنما ضحك أفصح العرب (ص) وتعجب لأنه لم يفهم منه إلّا ما يفهمه علماء البيان، من غير تصوّر إمساك ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأن الأفعال العظام التي تتحرر فيها الأفهام والأذهان، ولا تكتنفها الأوهام هينة عليه هواناً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلّا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخيل، ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن، وسائر الكتب السماوية، وكلام الأنبياء. فإنّ أكثره وعليته تخيلات قد زلت فيها الأقدام قديماً، وما أتى الزالون إلّا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً، لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه وعياله عليه، إذ لا يحل عقدها المؤرّبة، ولا يفك قيودها المكربة إلّا هو. وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضمّ وسمي الخسف بالتأويلات الغثّة والوجوه الرثة، لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير، ولا يعرف قبيلاً منه من دبر (٨٥).

أما أتباع ابن عبد الوهاب فقد حذوا حذوه فاثبتوا لله تعالى جهة العلو، والاستواء على العرش، والوجه، واليدين والعينين، والنزول إلى سماء الدنيا، والمجيء والقرب وغير ذلك بعانها الحقيقية. قال محمد بن عبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الوهاب، في الرسالة الرابعة من الرسائل الخمس الموسومة بالهدية السنية عند ذكر بعض إعتقادات الوهابية: — وأنها مطابقة لعبارة أبي الحسن الأشعري، قال: وإنّ الله تعالى على عرشه كما قال: (الرحمن على العرش استوى) وأنّ له يدين بلا كيف كما قال: (لما خلقت بيدي بل يدها مبسوطتان) وإنّ له عينين بلا كيف، وإن له وجهاً كما قال: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام).

ويصدّقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله (ص) إنّ الله ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر — إلى أن قال — ويقرّون أنّ الله يحيي يوم القيامة كما قال: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وأنه يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد).

وقال في الرسالة الخامسة: ونعتقد أن الله تعالى مستوعب على عرشه، عال على خلقه، وعرشه فوق السماوات قال تعالى: (الرحمن على العرش استوى) فنؤمن باللفظ ونثبت حقيقة الإستواء ولا نكيف ولا نمثل (٨٦).

أما اعتقادهم في الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم، أن الإستغاثة به وطلب الشفاعة منه إلى الله، والتوسل به إليه بقول: يا رسول الله، أو يا رسول الله اشفع لي، أو أتوسل بك إلى الله، والتبرك بقبره، والصلاة والدعاء عنده، وتعظيمه، كل ذلك شرك، وكفر، وعبادة للأصنام والأوثان، موجبة لحل المال، والدم. وأنه يحرم السفر لزيارته، ويجب هدم ضريحه وقبته، ويحرم التبرك بتربته، ولمس ضريحه، وتقبيله، وأن ضريحه صنم من الأصنام، ووثن من الأوثان، بل هو الصنم الأكبر، والوثن الأعظم، وكذلك سائر الأنبياء والصالحين. وفي كتاب خلاصة الكلام، كان محمد بن عبد الوهاب يقول عن النبي (ص) إنه طارش، وإن بعض أتباعه كان يقول: عصاي هذه خير من محمد، لأنه ينتفع بها في قتل الحية ونحوها، ومحمد قدمات ولم يبق فيه نفع وإنا هو طارش ومضى. وكان يقال بحضرتة ذلك أو يبلغه فيرضى وكان يقول: وجدت في قصة الحديدية كذا كذا كذبة — إنتهى.

وقد أرسل ابن عبد الوهاب سنة ١٢١٨ هـ، كتاباً إلى شيخ الركب المغربي، ومعه أوراق تتضمن دعوته وعقيدته، وفيها بعد المقدمة ما نصه: (إن الرسول (ص) أخبرنا بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه (ص) لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا يا رسول الله: اليهود، والنصارى؟ قال: فن. وأخبر في الحديث الآخر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي. إذا عرف هذا فاعلموا ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله، والتوجه إلى الموق، وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريغ الركبات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسماوات. وكذلك التقرب إليهم بالنذر، وذبح القرбан، والإستغاثة بهم في كشف الشدائد، وجلب الفوائد، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كصرف جميعها لأنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً كما قال تعالى: (فاعبدوا الله مخلصين له الدين الا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه. وان المشركين يدعون الملائكة، والأنبياء، والصالحين، ليقربوهم إلى الله زلفى.

ويشفعوا لهم عنده. وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار. وقال تعالى: (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله إلى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون) فأخبر أنه جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم. يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا. وهو لا يرضى إلا التوحيد (وفي مفهوم ابن عبد الوهاب لا موحد في الحياة إلا الوهابيين فلا شفاعة إلا لهم ولأتباعهم الأوغاد) ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله كما قال: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (٨٧) ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضررك ( فإذا كان الرسول (ص) وهو سيد الشفعاء، وصاحب المقام المحمود، وآدم فن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بإذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر الله ساجداً، فيحمده بحامد يعلمه إياها، ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطى، واشفع تشفع ثم يجد له حداً، فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء، وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم.

وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم، ببناء القباب عليها واسراجها والصلاة عندها، واتخاذها أعياداً، وجعل السدنة والنذور لها، فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبي (ص) كما في الحديث: لا تقوم الساعة حتى يلحق حيي من أمي بالمشركين، وحتى تعبد قنم من أمي الأوثان وهو (ص) حمى جناب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك فنبى أن يخصص القبر وان يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم، من حديث جابر، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثالاً إلا طمسه. ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها استست على معصية الرسول (ص) فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، وهو الذي ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله (ص)، وإجماع السلف الصالح من الامة ممثلين لقوله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) إلى أن قال: ونعتقد أيضاً أن امة محمد المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة، وانه لا تزال طائفة من امة على الحق منصوره لا يضرهم من خذلمهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك — إنتهى.

انّ ما جاء في الكتاب هذا إغواء وإغراء وإيهام وكذب وتدجيل، وألفاظ فارغة

وكلمات جوفاء، وتعايير خالية فتراهم يتمسكون بالفروع، ويتركون الجذور والاسس التي تنددهم، ولا يلتفتون إلى أقاويل النبي (ص) ولا يعملون على هديها، ويضربون جميعها عرض الحائط إلا أنهم يتقنون سرد ألفاظ وذكر آيات متشابهات ومنسوخات، تحمّل مآرهم الدنيئة وأطماعهم الخبيثة، وأفعالهم الدامية الهدامة، وأخيراً يفترون على الله تعالى ورسوله (ص) والصحابة والتابعين والسلف الصالح... الكذب والإفتراء والاختلاق، لتمشية دعوتهم اليهودية الوهابية، وانتصار سياستهم التعسفية، وهذه السيرة متخذة من قول أعداء الاسلام: (الغاية تبرّر الوسطة) مع العلم أن الله سبحانه، والأنبياء، والصحابة، والتابعين، والأئمة المذاهب، وكافة المسلمين براء منهم، ومن تخرصاتهم كبراءة الذئب من دم يوسف (ع).

وإنهم لاغراء السذج من الناس يتشدقون بكلمة الإجماع، والسلف الصالح، والصحابة، والصحا ح..؟ لأنهم يدرون أنّ الناس سوف لن يراجعوا الصحاح، والمراجع المختصة فيتضح كذبهم، ودجلهم، واختلافهم... ومع غض النظر عن هذا كله فإن سيرتهم العنيفة الشديدة، ومعاملتهم المهجبة الفتاكة، وأخذهم المسلمين بأنواع العذاب، والقتل، والنسب، والضرب ومقابلة الحجاج بالسباب، والشم، والجرح، والطرده، والتناول، والنهب، والتزويق دليل سافر على كذبهم الصريح وكفرهم بالله ورسوله (ص) والأولياء، ونفاقهم وزندقتهم في الدين... والحوادث الدامية التي حدثت على يد الحنابلة منذ القرن الثالث الهجري، ومن بعدهم على يد الوهابية الصهانية إلى يوم الناس هذا على امتداد التاريخ، حجة قاطعة تدين قادتهم وتدمغ أتباعهم.

وإن في المجلد الخامس من كتاب (الغدير) بحوث شافية، ومواضيع قيمة، ومناعة قوية، تتحطم عليه تخرصات ابن عبد الوهاب الحنبلي، وأباطيل شيوخه في الضلال أمثال ابن تيمية... وابن القيم الجوزية... وابن الخزم... فعليك بمراجعته ومطالعتة، لئلا تستحوذ عليك شياطين الكفر والإلحاد، فتنسك ذكر الله تعالى، وتخرجك عن جادة الصواب، وتبعك عن الصراط المستقيم، وقد أعذر من أنذر.

هنا يقول المؤرخ الفقيه السيد محسن الأمين العاملي، والجواب عما تضمنه هذا الكتاب مما روى عنه (ص) من اتباع هذه الامة سنن الأمم قبلها كاليهود والنصارى، أنه لا يبعد أن يكون النبي (ص) أشار به إلى الوهابية... فأولئك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقد ورد في الحديث أنهم ما صاموا لهم ولا صلوا، وإنما أحلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً، فاتبعوهم، وهؤلاء قلدوا محمد بن عبد الوهاب في كل ما يقوله فحرم عليهم حلالاً كالتشفع، والتوسل، بذوي المكانة عند الله ونحو ذلك. وحلّل لهم حراماً وهو سفك

دعاء المسلمين، واستباحة أموالهم، وأعراضهم فاتبعوه بدون تحقيق، ولا تمحيص للأدلة حتى كأن كلامه وحي منزل، وهو ممن يجوز عليه الخطأ وأدلته التي يستدل بها كلها ضعيفة واهية، كما بيناه في هذا الكتاب (كشف الأرتياب في إتياع محمد بن عبد الوهاب) وهم يأخذونها بالقبول ولا يقبلون عليها رداً، ولا في مقابلها دليلاً، ولا يحددونها عنها قيد أملة ولا يزيّدونها عليها، ولا ينقصون منها كلمة واحدة، ويتوارثها آخروهم عن أولهم بلفظ واحد، ومعنى واحد، ويسمّون أنفسهم بالسلفيين، أي أنهم أتباع السلف وإذا أورد عليهم شيء من أقوال السلف يخالف معتقدهم، لا يتحاشون من نسبة قائله إلى الشرك والكفر، ويقولون مقتدانا الكتاب والسنة فهم في خطأ على الحاليين.

فإن أقوال السلف ليست وحيّاً منزلاً، ولا أصحابها معصومون من الخطأ، حتى تقلدهم على كل حال، وإذا جاز تقليدهم فما بالناقلدهم تارة ونكفرهم أخرى. وستعرف في الفصول الآتية مخالفة السلف للوهابيين في الشفاعة، والتوسل، وزيارة القبور، والبناء عليها، وغير ذلك مما تجده في تضاعيف هذا الكتاب.

وأما ما تضمنه الكتاب المذكور من الحديث القائل، أنّ الفرقة الناجية هي من كان على مثل ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، فهو من البديهيّات والضروريات التي لا تحتاج إلى الاستدلال بالأحاديث، وإطالة الكلام إذ لا شك في أن متبع النبيّ (ص) ناج، ومخالفه هالك، وإلّا لم يكن نبياً، وقد قال الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٨٨) وما كان عليه النبيّ (ص) هو دين الإسلام، وأصحابه اقتدوا به، واتبعوه عليه فالميزان في الحقيقة هو ما كان عليه النبيّ (ص) فقط لأن اتباع أصحابه النبيّ (ص) المتبعين له أتباع له (ص) وإن خالفوه لم يجز اتباعهم. وأي مسلم يشك في وجوب إتياع النبيّ (ص) دون غيره، اللهم إنا لا نتبع إلّا طريقة رسولك وسنته، ونبرأ إليك ممن خالفها ولو ظهر لنا أنّ الاستغاثة، والتشفع، والتوسل، بذوي المكانة عندك، وتعظيم قبور الأنبياء والصالحين تخالف سنة نبيك (ص) لكننا أول من تبرأ منها، وهذا ليس محلاً للكلام، ولا محطاً للانظار وإنّما محل الكلام معرفة ما كان عليه النبي (ص) واتبعه عليه أصحابه، فقد وقع الاختلاف الكثير فيه بين المجتهدين، وعلماء المسلمين، فما أثبتته هذا نفاه ذلك (وكل يدعي وصلاً بليلي) وكل يقول: ان قوله هو ما كان عليه الرسول (ص) وأصحابه، ولا يوجد من يقول: إنّي لا أتبع ما كان عليه الرسول (ص) وأصحابه، بل الصحابة أنفسهم اختلفوا في مسائل عديدة ليس هذا محل تفصيلها، وستعرف أنّ الاستغاثة بذوي المكانة طلباً لدعائهم، والإستشفاع بهم إليه، والبناء على القبور، والصلاة عندها، سيرة المسلمين خلفاً عن سلف،

وسيرة الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين. وقد اعترف صاحب الكتاب بحجية اجماع السلف الصالح، وأن الامة لا تجتمع على ضلالة، وتقييده الامة بالمتابعين للسنة لا يظهر له معنى ولا فائدة، إذ لا يوجد مسلم تظهر له سنة رسول الله (ص) ويقول لا أتبعها، وإنما أراد بذلك أن يحفظ لنفسه خط الرجعة فيحصر اتباع السنة بالوهابيين فقط، حينما يحتج عليه أحد بإجماع الامة وآتي له لذلك فإن ثبت قول الرسول (ص) لا تجتمع امتي على ضلالة كان ذلك دالا على أن ما اتفقوا عليه، هو من سنته وعلى طبق شريعته، فهذا القيد الذي قيد به فضول فاسد، ومرّ في المقدمات أن سيرة المسلمين وإجماعهم كاشف عن أن ذلك مما كان عليه النبي (ص).

وقوله: وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين، وأجمع عليه السلف الصالح، من الصحابة والتابعين الأربعة، ستعرف في الفصول الآتية عدم صحة هذه الدعوى، وأن الذي أجمع عليه السلف الصالح، وعلماء المسلمين، خلاف ما عليه الوهابية (٨٩).

#### تكفير الوهابية عموم المسلمين

أما اعتقادهم في عموم المسلمين على الإطلاق، من دون إستثناء مذهب وملة، فاعتقادهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، أشركوا بعد توحيدهم، أو أنهم كفار بالكفر الأصلي، بل شر من الكفار، فيجب قتالهم وتحل دماؤهم، وأموالهم، وعلى بعض الأقوال تسترق ذرارهم، وهذا الكفر والشرك حصل منهم، منذ ستمائة سنة، قبل إبن عبد الوهاب على ما في كتاب (خلاصة الكلام) وذلك محاربة المسلمين ابن تيمية، ولفظهم له عن أرجائهم المعمورة، وعدم الانتصار له، وأنهم أبدعوا في دين الإسلام، وهذا هو محور وأساس مذهب الوهابية الذي يدور عليه.

إنّ عوامل كفرهم، وشركهم، فعبادتهم الأنبياء، والصالحين، بل وغير الصالحين ممن يعتقدون فيهم الولاية والإمامة، وهم من فسقة الناس وعبادتهم قبورهم، فكانوا بذلك كمشركي قريش. وغيرهم الذين عبدوا الأصنام والأوثان من الأحجار والأشجار وغيرها. وعبدوا الملائكة والجن، وكالنصارى الذين عبدوا المسيح وامه، وذلك باستغاثتهم بالأموات ودعائهم لكشف الملهمات والهتاف بأسمائهم، والتشفع بهم إلى الله، بقول: يا رسول الله أسألك، الشفاعة، ونحو ذلك. والنذر والذبح لهم، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها، وعمل الأضرحة لها، ووضع الجوخ وغيره عليها، وعمل الستور لها، وإسراجها، وتخليقها، والعكوف

عليها، كما كان المشركون يعكفون على أصنامهم، والنذر لها، وتزيينها بالقناديل، والذهب، والفضة، وغيرها، وجعل الخدمة والسدنة لها، وعمل أعياد، ومواسم لها، وتقبيلها والطواف حولها، والتمسح بها، وأخذ ترابها تبركاً، والصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وشداالرجال إليها، وكتب الرقاع عليها، يا مولاي إفعل كذا وكذا، ونحو ذلك فإن ذلك كله عبادة لها، ولأهلها، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها موجب للشرك والكفر.

وفرعوا على ذلك وجوب هدم قبور الأنبياء والصالحين، والقباب المبنية عليها، وعدم جواز تعميرها، وتعليق المعلقات فيها، والوقف عليها بل هو باطل، وعدم جواز لمسها والتبرك بها، والصلاة والدعاء عندها، وإيقاد السرج عليها، وغير ذلك. وقسموا التوحيد إلى توحيد الربوبية، وهو الاعتقاد بأن الخالق الرازق المدبر للأمر هو الله. وتوحيد العبادة، وهو صرف العبادة كلها إلى الله قالوا ولا ينفع الأول بدون الثاني، لأن مشركي قريش كانوا يعتقدون بالأول فلم ينفعهم لعدم اقرارهم بالثاني، كذلك المسلمون، لا ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية لعبادتهم الأنبياء والصالحين وقبورهم بنفس الأشياء التي مر ذكرها التي كان المشركون يعبدون أصنامهم بها.

وقال المسلمون أيضاً الكفر نوعان، مطلق ومقيد، فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول (ص)، والمقيد أن يكفر ببعضه، وهو كفر المسلمين الذين هم باعقادهم مشركون. وقسموا الشرك إلى قسمين أكبر وأصغر، فالأكبر هو الذي تقدم، والأصغر كالرياء والحلف بغير الله تعالى—.

وفرع الوهابية على هذا الاعتقاد الذي إعتقدوه من إشراك جميع المسلمين. وجوب قتالهم، واستحلال دمائهم، وجعل بلادهم دار حرب، وقاتلم جهاداً في سبيل الله وبلادهم بلاد شرك تجب الهجرة منها إلى بلاد الإسلام التي أهلها وهابية موحدون كما كانت هذه الأشياء ثابتة في حق عبدة الأوثان والأصنام.

قال محمد بن عبدالوهاب في رسالة (ثلاثة الاصول) والهجرة فريضة على هذه الامة من بلده الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة—.

أما سبي ذراري المسلمين، فهو مقتضى قواعد المذهب الوهابي الذي أساسه ومبناه ومحرره الذي يدور عليه التسوية بين عبدة الأصنام، وبين المسلمين في الإشراك بالعبادة. وقد صرح بذلك زميل ابن عبدالوهاب ومعاصره محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني الكحلاني ١٠٩٩—١١٨٢ هـ في كتابه (تطهير الاعتقاد عن إدراة الإلحاد) في عدة مواضع بما يدل على ذلك فقال: —ومن فعل ذلك (أي الإستغاثة وما يجري مجراها) لمخلوق فهذا شرك في

العبادة وصار من تفعل له هذه الامور لها لعابديه، وصار الفاعل عابداً لذلك المخلوق، وإن أقر بالله وعبده فإن إقرار المشركين بالله وتقرّهم إليه لم يخرجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمانهم، وسبي ذرارهم، ونهب أموالهم.

وجاء في موضع آخر: — فمن رجع وأقر حقن عليه وماله وذاريه، ومن أصرف قد أباح الله منه ما أباح لرسول الله (ص) من المشركين — إنتهى (٩٠).

وما إبداع المسلمين في الدين، فبإحداثهم أشياء لم تكن على عهد النبي (ص) والصحابة. والبدعة حسب عرفهم العفن، هي ما حدثت بعد القرون الثلاثة أي قرن الرسول (ص) وما بعده مذمومة مطلقاً جاء ذكرها في الرسالة (الهدية السنية) مثل — المحاريب الأربعة في المساجد للأئمة الأربعة، وجعل أئمة للصلاة من أهل المذاهب الأربعة. والترجم، والتذكير الذي يفعل في المآذن ليلة الجمعة ويومها، وليلة الأثنين، وبين الأذان والاقامة، وقبل الفجر. ورفع الصوت في مواضع الأذان بغير الأذان، من قراءة القرآن أو صلاة على النبي (ص). أو ذكر بعد أذان أو في ليلة جمعة، أو رمضان، أو العيدين، وقراءة حديث أبي هريرة قبل خطبة الجمعة، والإجتماع على قراءة سيرة المولد النبوي الشريف. وقراءة المولد النبوي بقصائد بألحان، وتخلط بالصلاة عليه، وبالأذكار، والقراءة، وتكون بعد التراويح، والتظاهر باتخاذ المسابح. والإجتماع على رواتب المشائخ برفع الصوت، وقراءة الفواتح كراتب السمان والحداد وغيرهما. وقراءة الفواتح للمشائخ بعد الصلاة الخمس، وكصلاة الخمسة فروض بعد آخر جمعة من رمضان. ورفع الصوت بالذكر عند حمل الميت. وعند رش القبر بالماء. وكاتخاذ الطرائق وتعليق الأسلحة والبيارق في التكايا والزوايا. وعمل الذكر المتعارف. ونقر الدفوف وما يتخلل ذلك من الشهيق والنهيق والتعيق. وتكرار لفظ الجلالة (الله الله) وغير ذلك .

وأحرق الوهابية كتاب (دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار) للشيخ أبي عبدالله محمد بن سليمان بن أبي بكر الجزولي السملاني المتوفى ٨٥٤ هـ، بدعوى إشتماله على البدعة أو الشرك (٩١).

وفي خلاصة الكلام: أنّ محمد بن عبدالوهاب، كان ينهى عن الإتيان بالصلاة على النبي (ص) ليلة الجمعة، وعن الجهر بها على المنابر، وأنه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً، ذا صوت حسن ناه عن الصلاة على النبي (ص) في المنارة بعد الأذان فلم ينته، فأمر بقتله فقتل. ثم قال: إنّ الربابة في بيت الخاطئة أقلّ إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي (ص) في المنائر



وذلك لأن الربابة في بيت الخاطئة لا يتجاوز إثمها صاحبها أما الصلاة على النبي (ص) بتلك الكيفية فهي بزعمه بدعة فيتعدي إثمها لكل من يقتدي بفاعلها. وكان محمد بن عبد الوهاب إذا تبعه أحد، وكان قد حج حجة الإسلام يقول له: حج ثانياً فإنَّ حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل، ولا تسقط عنك الفرض. وإذا أراد أحد الدخول في دينه يقول له بعد الشهادتين: إشهد على نفسك إنك كنت كافراً، وعلى والديك إنها ما تا كافرين، وعلى فلان وفلان، ويسمى جماعة من أكابر العلماء الماضين أنهم كانوا كافراً. فإن شهد قبله وإلا قتله. وكان يصرح بتكفير الأمة منذ ستمائة سنة، ويكفر من لا يعبه ويسميه المشركين ويستحل دماءهم وأموالهم

والذي يمكن القول في هذه الكلمات بكل صراحة أن قائلها مجنون، وأنها اثرثة وهذيان، وأضغاث أحلام. فالبدعة مثلاً هي إدخال ما ليس من الدين في الدين، كأباحة محرم أو تحريم مباح، أو إيجاب ما ليس بواجب أو ندمه أو نحو ذلك سواء كانت في القرون الثلاثة أو بعدها، وتخصيصها بما بعد القرون الثلاثة لا وجه له. ولو سلمنا حديث خير القرون قرني... فإنَّ أهل القرون الثلاثة غير معصومين بالإتفاق، وتقسيم بعضهم لها إلى حسنة وقيحة أو إلى خمسة أقسام ليس بصحيح، بل لا تكون إلا قيحة. ولا بدعة فيما فهم من إطلاق أدلة الشرع أو عمومها أو فحواها أو نحو ذلك، وإن لم يكن موجوداً في عصر النبي (ص) فتقبيل يد العالم أو الصالح، أو الأبوين، بقصد التعظيم والاحترام، تقرباً إليه تعالى جائز وراجع. وإن لم يكن ذلك في عصره (ص) ولا ورد فيه نص خاص فإنه بعد أن صار نوعاً من التعظيم عادة، وفهم من أدلة الشرع رجحان تعظيم المؤمن بوجه العموم، يكون جائزاً وراجعاً. وكذا القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) أو ذكر إسم رجل عظمه الشرع هو من هذا القبيل، ما لم يكن التعظيم بفعل حرمة الشرع كالغنا، وآلات اللهو، والكذب في المدح، والبغي، والظلم، والإفتراء ونحو ذلك.

كما أنه لا بدعة فيما فعل لا بقصد الخصوصية أو العبادة، ومنه يعلم عدم صحة الحكم بالبدعة في كل ما ذكره، وصحته في البعض فرفع الصوت بالأشياء المذكورة لا مانع منه لعموم أدلتها أو إطلاقها، وعدم تقييدها برفع الصوت، ولا بخفضه خصوصاً إذا كان في رفع الصوت فائدة كالإعلان بذكر الله، واتعاظ السامع ونحو ذلك. نعم لو فعلت بقصد الخصوصية والورد كانت بدعة.

و دعوى أنَّ السامع يتوهمها، كذلك لا تسمع لأن السامع عليه الفحص وسؤال أهل المعرفة، وكذا التذكير، والترحيم، يشمله عموم ذكر الله ودعائه، والترحم على المؤمنين

والصحابة، و نحو ذلك، وعد ذلك بدعة جمود وقلة فقه فلو أن رجلا إصططح على أن يصلي على النبي (ص) عند طلوع الشمس عشر مرات أو أن يكبر بعد العصر سبعين مرة مثلا، أو نحو ذلك ولم يقصد أن هذا مأمور به بخصوصه، لم يكن مبدعاً في الدين بعد دلالة الأدلة الشرعية بعمومها، أو اطلاقها على إستحباب الصلاة على الرسول الأكرم (ص) في أي وقت كان، واستحباب ذكر الله بالتكبير وغيره ولو فرضنا أنه يلزم فعل العبادات بجميع الخصوصيات التي كان يفعلها النبي (ص) بها، ولا يجوز فعلها بدونها بل تكون بدعة، لكانت الصلاة بالطربوش، أو الشال الهندي، أو البنطلون، أو العقال أو الكشيدة، أو المنديل بدعة، و لكانت الخطبة في الجمعة، والعيدين بدون قلنوسة بدعة، إذا فرض أنه (ص) كان يفعلها متقلناً، وبقلنوسة بيضاء بدعة إذا فرض كان يفعلها بقلنوسة حمراء مثلا، وهكذا جميع التطورات، والصناعات، وركوب الطائرات، والسيارات، والقاطرات، و وسائل المآكل، والمشروبات، والراحة، والتمام، والإستحمام، وأكل الفواكه المتنوعة، ولبس الأقمشة المختلفة، وجميع وسائل الحياة بدعة لأنها لم تكن على عهد النبي (ص) وهذا لا يقول به من عنده أدنى معرفة بأدلة الشرع، ومن لديه ذرة عقل ودين وتدين.

وكأنهم منعوا الترحيم الذي يقال فيه يا أرحم الراحمين بجاه فلان إرحمنا... أو إغفرلنا... لأن ذلك عندهم من التوسل الموجب للكفر. إلى غيره من الأعمال المفيدة ذات المنافع الدنيوية والاخروية، كالأجتماع على قراءة سيرة المولد الشريف فيه تعظيم للنبي (ص)، واستبشار بخبر ولادته التي كانت سببا لسعادتنا الأبدية، فيشملة عموم ماذل على رجحان ذلك، وقراءة المولد مع قصائد، وصلاة عليه لا مانع منها إن لم تشتمل على الغناء المحرم، لعموم الأدلة والتظاهر بجمل المسابح لا محذور فيه، لما فيها من الفوائد من عد الأذكار الموظفة بعدد خاص.

أما المحاريب الأربعة، والأئمة الأربعة للصلوات الخمس فأنها لو كانت بدعة لكانت المذاهب الأربعة بدعة، ومع كونها سنة فلا بد أن تكون المحاريب سنة. والواقع الذي لا محيص عنه أن الوهابية اليهودية... ومن قبلهم شيوخم في الغي والضلالة ابن تيمية، ومن لف لفهم من أذئاب الأموية الممقوتة... لا يرغبون في أن توجه الناس لحظة من لحظات حياتهم إلى خالقهم، وعبادته، وطاقته، وإنا يكونوا كما كانت عليه الأوائل في العصور الجاهلية، أو كالذين كانوا يعيشون في الكهوف والمغاور لأن إقبال الناس و إندفاعهم إلى الله سبحانه، وعبادته، وتعظيم شعائره، صخرة تتحطم عليه مآرب الوهابية، ومكائدهم، ورناستهم، وتنهار في ظلها عروشهم الخاوية، كما هم أيضا على هذه

الحالة من الوحشية والبربرية فإنك لا تجد على وجوه كافة أفرادهم بصيصاً من سماء الخير، والصلاح والفلاح، والعبادة، والهداية، (الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار فهم فيها خالدون) (٩٢).

إنّ الأنبياء، والمرسلين، والأوصياء، والخلفاء، والصحابة، والتابعين، والسلف الصالح، منذ الخليقة إلى يوم الناس هذا كانوا ولم يزالوا يتوجهون إلى خالقهم بالصلاة، والأذكار والأوراد، والختم، والتسبيح، ويقضون شطراً كبيراً من حياتهم في عبادة الله سبحانه، و دونك تاريخ حياة أمة الشيعة الإمامية عليهم السلام، وعلمائها، ورجالها، فإنهم على كثرة ما هم عليه من المشاعل، والمسؤوليات العلمية والفكرية، كانوا في الوقت نفسه وعلى الدوام لا تنفك ألسنتهم عن الذكر والتلاوة، والتسبيح، والتقديس، والتهجد، والصلاة على النبيّ الأعظم (ص) وآله الطاهرين... ورفع الصوت في الأذان والأقامة، والبسملة، والفتحة، وأتذكر جيداً أن المغفور له حجة التاريخ وإمام الحديث الشيخ الأكبر العلامة الأميني (صاحب كتاب الغدير) كان يختم في كل يوم من شهر رمضان قرآناً بكامله، ويصلي في كل ليلة منه ألف ركعة. وكانت له ختومات وأوراد، وأذكار، وهكذا كافة فقهاء ورجالات وأفراد الشيعة، فهم جميعاً على نصيب كبير من العبادة والتوجه إلى الله تعالى.

ومن المضحك أنّ الوهابية اليهودية... مع محاربتهم لله تعالى، ونسبة التجسيم، والجهة، والإستواء إليه... ومخالفتهم الصريحة للسنة النبوية يجعلون حالهم في الدعوة إلى مذهبهم الكاسد، و إلى تجديد التوحيد، ورفع البدع حال رسول الله (ص) والأنبياء قبله في الدعوة إلى الإسلام، والتوحيد. فكما حاءت الأنبياء لتلزم الناس بالتوحيد وتمنعها من الشرك، وترفع من بينها البدع و كما دعا النبيّ (ص) مشركي قريش ومن ضارعتهم من عبدة الأوثان إلى إخلاص التوحيد، واستحل دم، ومال، من أبي فكذلك الوهابيون، يدعون جميع المسلمين الذين هم جميعاً عندهم من عبدة الأوثان إلى إخلاص التوحيد، وترك الشرك والبدع، ومن أبي ولم يتوهب حلّ ماله ودمه، كما حلّ مال ودم عبدة الأصنام، ومشركي قريش في زمن النبيّ (ص).

فقد صرح ابن عبد الوهاب النجدي الحنبلي... في رسالته (كشف الشبهات) إسم المشرك والشرك والمشركين على عامة الناس، عدى الوهابيين فيما يزيد على أربعة وعشرين موضعاً. وأطلق عليهم إسم الكفر والكفار وعبادة الأصنام، والمرتدين، والمنافقين، و جاحدي التوحيد، وأعدائه وأعداء الله، ومدعي الإسلام، وأهل الباطل، والذين في قلوبهم

زيغ، والجهال، والجهلة، والشياطين، وإن جهال الكفار عبدة الأصنام، أعلم منهم، وإن إبليس إمامهم ومقدمهم، إلى غير ذلك من الألفاظ الشنيعة فيما يزيد على خمسة وعشرين موضعاً.

وأطلق على المسلمين الصنعاني في كتابه الأسود (تطهير الاعتقاد) إسم الشرك فيما يزيد عن ثلاثين موضعاً. وأطلق عليهم إسم الإلحاد، والكفر والكفر الأصلي، وأنهم عبدوا غير الله، وزادوا على عبادة الأصنام، وأنهم مثل أصحاب مسيلمة والسبائية، واليهود، والخوارج، وأهل الجاهلية، فيما يزيد على خمسة وعشرين محلاً. وأطلق إسم الآله، والصنم، والوثن، والندله، على من يستغيثون ويتبركون به، في نحو من عشرة مواضع. وأطلق أصحاب الهدية السنية، على المسلمين إسم الشرك، والإشراك، والشرك بالله، والشرك الأكبر، وأعظم الشرك، والشرك الوخيم، ومتخذِي الشرك، والشرك الموجب لحلية المال، والدم، والمشركين، والمشركات، و أقبح المشركين، وأنهم مشركون شأوا أو أبوا، وإن شركهم أقبح وأشنع ممن قالوا: اجعل لنا ذات أنواط، وأعظم واكبر من شرك الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم، أرباباً. وأن الوهابيين لما جاؤا إلى مكة عبدوا الله وحده، فيما يزيد على ستين موضعاً. وإسم الكفر والكفار، وأنهم كاليهود والنصارى، والسبائية، وعباد الملائكة، والشمس، والقمر، والقائلين إجعل لنا ذات أنواط بل شرّ منهم. وعباد اللات، والعزى، وعباد الأصنام، والأوثان، وأن ما هم عليه هو دين الجاهلية فيما يزيد على عشرين محلاً. ووصفوهم بعبادة غير الله، فيما يزيد عن عشرة مواضع. وسموا من يتوسل ويتبرك بهم المسلمون، وبقبورهم بالأصنام، والأوثان، والأنداد لله تعالى، فيما يزيد على إثني عشر موضعاً.

وأطلق حفيده محمد بن عبد اللطيف، على المسلمين إسم الكفر في ثلاثة مواضع. والشرك في أربعة. ومدعى الإسلام. وأنهم يحبون مع الله محبة تأله. وأنهم شرّ من جاهلية العرب. وأن شركهم أشد وأشنع وأكبر من شركها. وأنه لم يبلغ شرك الجاهلية الأولى شركهم. ونسبهم إلى الفساد. وأنهم من أجهل الخلق وأضلهم. وخارجون عن الإسلام. و عابدون لغير الله. وخارجون عن الملة إلى غير ذلك من الألفاظ الشنيعة، والكلمات القارصة، والأباطيل والتهم المختلفة المنبثقة عن حقد وبغض دفين للمشرع الأقدس (ص) و للمسلمين... كفى الله سبحانه الإسلام والمسلمين إلى يوم القيامة شرّهم، وبغيبهم، و ضلالهم، و عبثهم، و فسادهم.

يا عصابة رأيت الضلالة سنة  
عمياء تاهوا في البحار المتلفة  
والسنة الغراء أضحت عندهم  
مردودة مهجورة مستنكفة

عميت بصائرهم كما أبصارهم  
نفوا الصفات عن الاله وأثبتوا  
هم فرقة زعموا الإله كخلقه  
قد حاولوا نكراً لجهل فيهموا  
أنى لهم علم بهذا إنهم  
برهانه لا شك لولا أنهم  
شهواتهم غلبت عقولهم لذا  
فتجمعت آراؤهم في غيهم  
هم فرقة تركوا الهداية وامتطوا  
ركبوا بجمار عماية و غواية  
هم زمرة هامت بهم أهواؤهم  
عزة أذلهم الإله بعزة  
لعصاة لعبت بهم أهواؤهم  
قالوا برؤية ربهم ثم الجهة  
هم عصبة قد حكموا آراهم  
هم صحفوا القرآن في آياته  
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم  
ملثوا صحائفهم بكل قبيحة  
أقوالهم ألفاظ زور ماها  
ما عندهم إلا البلادة والقهاءة  
يا عصبة خضعت لشیطان لهم  
فلذا افتضحتم في الأنام فأصبحت  
أنتم عبید بطونكم وفروجكم  
ما تعرفون سوى القدور وهمكم  
فتى نهضتم للهداية يا بني  
أرواحكم مسحورة و عقولكم  
وركبتموا متن الغواية ثم قد  
زلت بكم أقدامكم بمزلة  
سدنت مرایاكم فأنى تجتلى  
ومتى تكون لكم هداية ربكم

ذهبت لتعمى في شواطى السفسفه  
جسماً كإنسان له كل الصفه  
هذا لعمري بدعة مستأنفه  
عن غير علم منهموا والمعرفه  
حمر لدى أهل الحقائق موكفه  
حمر لكان لهم عقول منصفه  
أبدأ ترى أقوالهم مستضعفه  
وتفرقت عن رشدهم متحرفه  
طرق الضلالة والهوى متعسفه  
غرقت مراكبهم بريح معصفه  
كالهم في الأرض الفلاة مخلفه  
تبت ذو واحبورة متغطرفه  
عمى تناهت في العمى متلهفه  
وأتوا بأقوال ترد مزيفه  
في الدين تلقاها غدت متصرفه  
فلذا مصاحفهم تكون مصحفه  
جعلوا أحاديث النبى مضعفه  
من بدعة شنعاء غير مؤلفه  
معنى و صوت كالطبول مجوفه  
والسفاهة والخنا والعجرفه  
جعل الأنام عن الهدى متحرفه  
عوراتكم بن الورى متكشفه  
ونفوسكم في كل شر مسرفه  
أن تغرفوا منها الطعام بمجرفه  
اللحم السمين ويا اسارى الأرغفه  
مسلوبة أبصاركم متخطفه  
قفيتموها بالضلالة مردفه  
تهوى إلى درك الشقا مترحلفه  
فيها عرائس بالجمال مشرفه  
وقلوبكم عن طرقها محروفه

و مهما نقول و نكتب في هذا المجال، فإننا بعدلن نوفي البحث حقه ، ولم نقف عند حد،

ولم نتوصل إلى نقطة نهاية، لأن البحث والحديث عن مآسي، و مخاريق الوهابية، و حوادثهم، و قضاياهم، و سيرتهم الدامية، و تاريخهم الأسود طويل و طويل، يفتقر إلى مجلدات و إن هي والحمد لله تعالى ومنه... قبرت و اندثرت و لم تجد لهم أثراً في البلاد الإسلامية، و انحصر وجودهم في الحجاز، ولكن شرهم و وبالهم و فسادهم يصل بين آونة و اخرى إلى بعض الأنحاء النائية عن نظم التشريع الإسلامي، و ذلك بجهود و مساعي اسرة بدوية عرفت منذ القدم بالعيث و العيث و الميوعة و الإنحلال و البطش و الجشع، و اشتهرت بولأها و إخلاصها و عمالتها لليهودية... و مسانبتها لها، و أقامتها أحلاف و معاهدات عسكرية تخدم مصالحها، و سياستها التوسعية... و دعم الرجعيين و تجار الحروب، و أذئاب الإستعمار مادياً و عسكرياً في كل أنحاء المنطقة، و آسيا، و إفريقيا، و الغاء الحريات، و مقارعة الثورات و الإنتفاضات الشعبية في الخليج، كل ذلك باسم الدين، و الإسلام، و المسلمين، و تحطيم معنويات الشعوب و إباحة مقدساتهم، و حرمتهم، و أراضيهم، و أعراضهم، و كرامتهم، و التآمر ضد كل تقدم، و وثبة اسلامية، و يقظة عربية أينما كانت، و مقاتلة الأحرار و اغتيالهم و إبادتهم... و منع الحجاج و المسلمين، من زيارة و حج بيت الله الحرام، ما لم يدفعوا أموالاً طائلة، و ثروات جسيمة كضريبة لآل سعود... و استغلال مواسم الحج في عقد مؤتمرات، و مجالس معادية للإسلام و المسلمين.

عقد المؤتمرات التآمرية على الحريات، و التحرر، و الاستقلال، و الأنظمة الإسلامية التقدمية. و منع المسيحيين من زيارة و مشاهدة مكة و المدينة بحجة أنهم (مشركون) لا يحق لهم دخول الحرمين ما عدا الامريكان، خدم الصهاينة و شركاء آل سعود... الذين لا ينطق عليهم هذا الشرك و الكفر.

إن الوهابية العميلة... لا تهدف من برامجها الشيطانية غير إعادة المسلمين إلى عصور الإنحطاط الذي مازال الشعب الحجازي يعيش في مخلفاتها، و ما من إنتفاضة أو ثورة قامت في الأرض المقدسة إلا و حطمها و أبادها و دمرها آل سعود بأموال الشعب المسروقة، و ثرواته المنهوبة... و ما برح أعداء الإسلام و المسلمين، و العروبة و العرب، يعملون يداً واحدة و في صف واحد إلى جنب عملاء الاستعمار، و الدول الباغية لدفن الشعوب المتيقظة، و المتوثبة، و المتحررة في احداث الفقر و المرض و الجهل و الإستعباد و الإستثمار و التأخر و التخلف، و الموت البطئ كل ذلك للمحافظة و الحراسة على مفاسد و منافع و مصالح أعداء المسلمين المشتركة في أراضيها.

أجل دعهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون... إن التاريخ

سيكشف للأجيال والعالم بأسره، كيف أن آل سعود، ومن لف لفهم من العملاء لا يتورعون عن ارتكاب أي رذيلة، وعن إقتراف أية فعلة نكراء، وكيف إنهم منعوا المسلمين من زيارة الحرمين الشريفين..؟ و دنسوا الأرض المقدسة بأقدام أعداء الإسلام والمسلمين من الامريكان، و الإنكليز، و اسرائيل... و كيف بذلوا و بددوا أموال الشعب بين أصحاب الجاه و النفوذ و لكل من يكتب عن تاريخهم الأسود، و يزيغ التاريخ بقدر الإمكان ليجعلهم من ذرية النبي العربي القرشي، و يجعلهم من نسل عدنان حيناً، و من نسل قحطان حيناً آخر... و هكذا كتب الكتاب عنهم، و تنافسوا في تزوير تاريخهم، و نسب بعض الكتبة الأجورين، تاريخ جد هذه العائلة المنفورة — مرد خاي إبراهيم موسى اليهودي — إلى ربيعة، و قبيلة عنزة، و عشيرة المساليم.

و لم تقف الأقلام المأجورة عند هذا الحد من التناول و التزوير، و إنما تعدى الحدود، و الموازين بحيث أن مدير مكاتب المملكة السعودية... محمد أمين التيمي... وضع و صنع شجرة لآل سعود، و آل عبدالوهاب آل الشيخ، معاً في شجرة واحدة زاعماً أنهم من أصل النبي (محمد) بعد أن تسلم هذا المدير اللئيم مبلغ ٣٥ ألف جنيه مصري عام ١٣٦٢ هـ ١٩٤٣ م، من السفير السعودي في القاهرة (عبدالله إبراهيم الفضل) و المعروف أن هذا الرجل الزائف الحقير محمد أمين التيمي، هو الذي وضع أيضاً شجرة الملك فاروق — البولوني — الذي طرده ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م، من مصر زاعماً هو الآخر بأنه من ذرية رسول الله (ص) و أن أصله عربي نبويّ جاء من ناحية أمه... و قد قلت في الصفحات السالفة أن الغاية تبرر الوسيلة خاصة إذا كان القصد و الهدف من ذلك، تبرير إستعباد شعوب بكاملها، لاسرة دخيلة فاسدة.

هذا و لم ينفرد حكام السعودية في مثل هذا الإختلاق و التبرير، و إنما تجد عليه أكثر عملاء الإستعمار في المنطقة يحذون حذوهم، و يسرون على نهجهم، و يرتكبون أبشع الجرائم الوحشية في سبيل المحافظة على منافع أسيادهم و مصالحهم الجشعة التوسعية، لأن الذي يهم العملاء على الإطلاق كما قلنا إكتساب مرضاة أسيادهم مهما كلف الأمر، و إن إقتضى إبادة شعب بكامله، و قصف الأحياء السكنية، و المصانع، و المحلات، و المستشفيات، و الجوامع، و المآثر التاريخية و الدينية، و ذبح الأطفال و النساء و الشيوخ بكرة أيهم بالصواريخ، كما حدث أخيراً على يد جزار العراق الجريح... فقد قصف أذنابه الأوغاد مدينة (حلبجة) المؤمنة المسلمة، و ضواحيها بالقنابل الكيميائية السامة المحرقة، و ذهبت ضحية هذه الجريمة الوحشية، ما ينيف على عشرين ألف مواطن كردي مسلم، بين رجال و نساء و صغير و كبير، من غير

ذمة و شرف في الوقت الذي كانوا منصرفين إلى قضاء أعمالهم اليومية.

إنني عليم و واقف على حال جزار العراق الجريح... و عارف صفاته، و عنصره، و طينته، و طبيعته، ففيه من القسوة والغلظة، والشدة، والتلهف على إراقة الدماء، والتدمير، والفساد، والعبث، والذبح، والقتل، ما لم يعهد التاريخ له مثيلاً سوى آبائه و أسلافه الأمويين السفاكين السفاحين، عليهم لعنة الله و ملائكته والناس الجمعين.

### شبه الوهابيين بالخوارج

يعتقد علماء المذاهب والأديان، أن بين الوهابيين والخوارج، تشابه قوي في الحركات والأقوال والأفعال بشكل واضح، وذلك من عدة وجوه:

١- كما أن الخوارج شعارهم (لا حكم إلا لله) و هي كلمة حق يراد بها باطل. كذلك الوهابيون شعارهم لا دعاء إلا لله. لا شفاعة إلا لله. لا توسل إلا بالله. لا إستغاثة إلا بالله. و نحو ذلك من كلمات حق يراد بها باطل. كلمات حق لأن المدعو والمتوسل به حقيقة لدفع الضر، و جلب النفع والمغيث الحقيقي، و مالك أمر الشفاعة هو الله. يراد بها باطل وهو منع تعظيم من عظمه الله تعالى بدعائه، والتوسل به ليشفع عند الله سبحانه، و يدعوه لنا و عدم جواز التشفع و الإستغاثة والتوسل، بمن جعله الله شافعاً مغيثاً، و جعل له الوسيلة. و هذا تمويه و تضليل يراد به باطل، إذ لا يوجد أحد يعتقد أن محمداً (ص) أو غيره بيده الأمر أصالة، و إنما هو التوسل و طلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة و إعتراضهم هذا يرجع إلى الإعتراض على الله الذي جعل الشفاعة للنبي (ص).

و هذا مثل قولهم لمن يقبل ضريح النبي (ص) أو المنبر الموضوع في مسجده، و في مكان منبره إنما تقبل حديداً أو خشباً جئ به من بلاد الإفرنج، ولم يعلموا أنه كما يحترم جلد الشاة بعمله جلداً للمحصف والورق والمداد، بكتابة القرآن عليه، و به كذلك يحترم الحديد والخشب الذي وضع على قبر الرسول (ص).

٢- إن الخوارج متصلبون في الدين، مواظبون على الصلوات، و تلاوة القرآن، والعبادة حتى اسودت جباههم من طول السجود. كذلك الوهابيون متصلبون في الدين، يؤدون الصلاة لأوقاتها، و يواظبون على العبادة، و يطلبون الحق و إن أخطأوه، و يتورعون عن المحرمات حتى بلغ من تورعهم المصطنع أنهم توقفوا في إستعمال (التلغراف).

٣- إن الخوارج كفروا من عداهم من المسلمين، وقالوا إن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار، واستحلوا دمائهم، و أموالهم، و سبي ذرارهم، وقالوا إن دار الإسلام تصير بظهور



الكبائر فيها دار كفر، حتى أنهم قتلوا عبد الله بن خباب، أحد أصحاب رسول الله (ص) صائماً في شهر رمضان، والقرآن في عنقه، وقتلوا زوجته وهي حبل، وبقروا بطنها لأنه لم يتبرأ من علي بن أبي طالب، وقالوا له هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك فذبحوه على شاطئ النهر. وكانوا إذا أسروا نساء المسلمين، يبيعونهم فيما بينهم، حتى أنهم تزايدوا في بعض الوقائع على امرأة جميلة وغالوا في ثمنها، فقام بعضهم فقتلها، وقال، إن هذه الكافرة كادت تقع فتنة بسببها بين المسلمين. وقالوا للحسن بن علي يوم ساباط المدائن: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك. كذلك الوهابيون، حكموا بشرك من خالف معتقدهم من المسلمين، واستحلوا ماله ودمه، وبعضهم إستحل سبي الذرية، ولم يخاطبوه إلا بقولهم يا مشرك. وجعلوا دار الإسلام دار حرب، ودارهم دار إيمان تجب الهجرة إليها، وحكموا بقتال تارك الفرض وإن لم يكن مستحلاً.

٤- كما أنّ الخوارج إستندوا في شبهتهم هذه إلى ظواهر بعض الآيات، والأدلة التي زعموها دالة على أن كل كبيرة كفر. كذلك الوهابيون إستندوا في هذه الشبهة إلى ظواهر بعض الآيات، والأدلة التي توهموها دالة على أنّ الإستغاثة، والإستعانة بغير الله شرك، وعلى غير ذلك من معتقداتهم، كما يظهر من إستشهاداتهم بالآيات التي لا دلالة فيها على معتقداتهم.

٥- إنّ الخوارج إستحلوا قتال ملوك الإسلام، والخروج عليهم لأنهم باعقدهم أئمة ضلال. كذلك الوهابيون استحلوا قتال ملوك الإسلام وامرائه، لأنهم باعقدهم أئمة ضلال ناصرون للشرك، والبدع، والكفر.

٦- كما أنّ الخوارج لا يبالون بالموت، ويقدمون على الحرب لأنهم يذهبون بزعمهم إلى الجنة حتى أنّ بعضهم طعن برمح فشى والرمح فيه إلى طاعنه فقتله، وهو يتلوا: (وعجلت إليك ربّي لترضى) كذلك الوهابيون يظهرهم بسالة وشجاعة وإقداماً ولا يبالون بالموت، لأنهم وافدون على الجنة، ويقولون في حروبهم مع المسلمين:

هبت هبوب الجنة وبن أنت يا باغيها

٧- الخوارج على جانب من الجمود، والغباوة، فبيناهم يتورعون عن أكل ثمرة ملقاة في الطريق. ويرون قتل الخنزير الشارد في البر فساداً في الأرض، تراهم يرون قتل الصحابي الصائم، وفي عنقه القرآن طاعة لله تعالى، ويكفرون جميع المسلمين، ويرون كل كبيرة كفراً. كذلك الوهابيون على جانب كبير من الجمود، فبيناهم يحرمون الترحيم، والتذكير لأنه بزعمهم بدعة، ويتوقفون في إستعمال التلغراف لعدم وقوفهم على نص فيه،

ويحرمون التدخين، ويعاقبون عليه تراهم يكفرون المسلمين، ويشركونهم، ويستحلون أموالهم،  
ودمائهم، ويقاتلونهم بالبنادق، والرشاشات، والقنابل المسيلة للدموع لطلبهم الشفاعة ممن جعل  
الله له الشفاعة، وتوسلهم بمن له عند الله الوسيلة:

٨— كما أن الخوارج قال فيهم رسول الله (ص): يرقون من الدين كما يرق السهم  
من الرمية. وفي رواية أخرى يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه، كما يخرج السهم من  
الرمية. كذلك الوهابيون أشار إليهم رسول الله (ص) بما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده،  
بإسناده عن ابن عمر أن النبي (ص) قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في  
يمننا. قالوا: وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا شامنا اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: وفي نجدنا،  
قال: هنالك الزلازل، والفتن منها. أو قال: بها يطلع قرن الشيطان.

وأخرج البخاري في كتاب الفتن، عن ابن عمر، ذكر النبي (ص) اللهم بارك لنا  
في يمننا، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل، والفتن، وبها  
يطلع قرن الشيطان.

وأخرج أحمد في مسند عبد الله بن عمر، و مسلم في صحيحه قول النبي (ص) وهو  
مستقبل المشرق، يقول: رأس الكفر من هاهنا، من حيث يطلع قرن الشمس.  
وأخرج البخاري في كتاب الفتن في باب قوله (ص): الفتنة من قبل المشرق عن  
ابن عمر إنه (ص) قام إلى جنب المنبر فقال: الفتنة هاهنا، الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن  
الشيطان، أو قال: قرن الشمس.

وأخرج البخاري عن ابن عمر، أنه سمع رسول الله (ص) وهو مستقبل المشرق يقول:  
إلا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان.

وأخرج مالك في الموطأ عن ابن عمر، رأيت رسول الله (ص) يشير إلى المشرق،  
ويقول: هاهنا الفتنة إن الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان. وفي القاموس: قرن الشيطان،  
و قرناه امته والمتبعون لرأيه، أو قوته وانتشاره وتسلطه (٩٣).

وقال القسطلاني: قيل أن الشيطان يقرب رأسه بالشمس عند طلوعها، لتقع سجدة  
عبدتها له. وأخرج مسلم في صحيحه قوله (ص)، رأس الكفر نحو المشرق. وفي رواية: الإيمان  
يمان، والكفر قبل المشرق. وفي رواية: غلظ القلوب والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل  
الحجاز. والخبر الأولان القائلان بأن طلوع قرن الشيطان بنجد، يفسران باقي الأخبار، ويدلان  
على أن المراد بالمشرق فيها هو نجد، وكذا قوله: من حيث يطلع قرن الشيطان أو قرن الشمس،  
المراد به نجد، وذلك لأن نجداً في شرقي المدينة. ومنه يعلم أن المراد بالمشرق المقابل به الحجاز

في الرواية الأخيرة هو نجد.

قال مؤلف كتاب (قاموس الأمكنة والبقاع)، بلاد نجد هي الواقعة شرقي بلاد الحجاز، وهي قسمان نجد الحجاز ونجد العارض، وقد خرج منها القرامطة، ومسيلمة الكذاب، والوهابيون، وعاصمتها مدينة الرياض، سكانها ثلاثون ألفاً. فالزلازل والفتن و طلوع قرن الشيطان التي أشار(ص) إلى وقوعها في نجد، هي خروج مسيلمة الكذاب، والقرامطة، والوهابية.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب النجدي أخو محمد بن عبد الوهاب في كتابه الذي يرد فيه على أخيه — وما يدل على بطلان مذهبكم (يعني أخاه وأتباعه) مافي الصحيحين (رأس الكفر نحوالمشرق) وفي رواية الإيمان يماي والفتنة من هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان. وفي الصحيحين، أنه(ص) قال، وهو مستقبل المشرق ألا إنَّ الفتنة هاهنا. وللامام أحمد: اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ضاعنا وفي مدنا ويمنا وشامنا، ثم إستقبل مطلع الشمس فقال: هاهنا يطلع قرن الشيطان. وقال: هاهنا الزلازل والفتن.

ثم قال الشيخ سليمان: أشهد أن رسول الله(ص) لصادق لقد أذى الأمانة، وبلغ الرسالة ثم حكى عن ابن تيمية إنه قال: المشرق عن مدينته(ص) شرقاً، ومنها خرج مسيلمة الكذاب الذي إدعى النبوة، وهو أول حادث حدث بعده(ص) و أتبعه خلائق. ثم قال سليمان، وجه الدلالة من هذا الحديث من وجوه نذكر بعضها:

منها: قوله(ص) الاسلام يماي، والفتنة تخرج من المشرق ذكرها مراراً للتعلقل.  
ومنها: إنه دعا للحجاز وأهله مراراً و أبى أن يدعوا لأهل المشرق لما فيهم من الفتن خصوصاً أهل نجد.

ومنها: أنّ أول فتنة وقعت بعده(ص) بأرضنا هذه (يعني نجد) فنقول الامور التي تجعلون المسلم بها كافراً ملأت مكة، والمدينة، واليمن، من سنين متطاولة بل بلغنا أنه ما في الأرض أكثر منها في اليمن، والحرمين، وبلدنا هذه أول بلد ظهرت فيها الفتن، ولا نعلم أن في بلاد المسلمين أكثر من فتنها قديماً وحديثاً. وأنتم الآن مذهبكم أن يتبع العامة مذهبكم، وأن من اتبعه ولم يقدر على إظهاره في بلد وعلى تكفير أهل بلده، وجبت عليه الهجرة إليكم وأنكم الطائفة المنصورة وهذا خلاف هذا الحديث.

فإن رسول الله(ص) أخبره الله بما هو كائن على امته إلى يوم القيامة وهو(ص) أخبر بما سيجرى عليهم، ومنهم فلو علم أن بلاد المشرق خصوصاً نجداً (بلاد مسيلمة الكذاب) تصير دارالإيمان، وأن الطائفة المنصورة تكون بها وأنها بلاد يظهر فيها الإيمان، ويخفي في غيرها، وأن

الحرمين الشريفين، واليمن تكونان بلاد الكفر تعبد فيها الأوثان، وتجب الهجرة منها لأخبر بذلك، ولدعا لأهل المشرق خصوصاً أهل نجد، ولدعا على أهل الحرمين واليمن وأخبر أنهم يعبدون الأصنام، وتبرأ منهم مع أنه لم يكن إلا ضد ذلك فإنه (ص) عمّ المشرق وخص نجد، وان فيها يطلع قرن الشيطان. وأن منها وفيها الفتن، وامتنع من الدعاء لها وهذا خلاف زعمكم. وان اليوم عندكم الذين دعاهم رسول الله (ص) كفار والذين أبى أن يدعوهم. وأخبر أن منها يطلع قرن الشيطان. وأن منها الفتن هي بلاد الإيمان يجب الهجرة إليها، وهذا بين واضح من الأحاديث إن شاء الله — إنتهى.

ومن الأخبار المرحح ورودها في الوهابية قوله (ص) في ذي الخويصرة التيمي: ان من ضنضني هذا قوماً يقرأون القرآن، لا يجاوز حناجرهم يرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لأن أدركتهم لقتلتهم قتل عاد. والضنضني: الأصل والمعدن فيكون المراد من ضنضه أي من أصله وعشيرته، لا من نسله وعقبه لأن عشيرة الرجل هي أصله ومعدنه، وذوالخويصرة وابن عبد الوهاب من أصل واحد، وعشيرة واحدة، فكلاهما تيمي.

كما أن جملة كبيرة من رؤساء الخوارج، كانوا من بني تميم، كشيث بن ربعي. و مسعربن فدكي. وغيرهما فبعد إنطباق أكثر صفات الخوارج على الوهابية يترجح كون هذه الأخبار شاملة لهم أيضاً.

٩— كما أن الخوارج عمدوا إلى الآيات الواردة في الكفار والمشركين، فجعلوها في حق المسلمين والمؤمنين، كذلك الوهابيون جعلوا الآيات النازلة في المشركين منطبقة على المسلمين من غير جائز ولا فارق.

١٠— إن الخوارج سيماهم التحليق أو التسييد كذلك الوهابيون سيماهم التحليق. فقد جاء عن النبي (ص) أن اناساً من امتي سيماهم التحليق، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلا قيمهم، يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. ورواية اخرى، يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه. قيل ماسيماهم؟ قال: سيماهم التحليق.

وفي خلاصة الكلام: في قوله (ص): سيماهم التحليق، تنصيص على هؤلاء الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب لأنهم كانوا يأمرؤن من اتبعهم، ان يخلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم إذا أتبعهم حتى يخلقوا رأسه، قال ولم يقع من أحد قنذ من الفرق التي مضت أن يلتزموا مثل ذلك. فالحديث صريح فيهم. قال: وكان السيد عبدالرحمن

الأهدل مفتى زبيد، يقول: لا يحتاج إلى التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب بل يكف في الرد عليه قوله (ص) سيماهم التحليق، فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة.

وقال: وكان ابن عبد الوهاب يأمر أيضا بخلق رؤوس النساء اللاتي يتبعنه، فدخلت في دينه امرأة وجددت إسلامها بزعمه فأمر بخلق رأسها، فقالت: شعر رأس المرأة بمنزلة اللحية للرجل، فلو امرت بخلق لحي الرجال لساع أن تأمر بخلق رؤوس النساء فلم يجر جوابا.

١١- كما أن الخوارج يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان كما أخبر النبي (ص) عنهم بما رواه في السيرة الحلبية ١٤٠/٢ ط ١٣٢٠ هـ، من قوله (ص) في الخوارج: - يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم أو تراقبهم، لا تفقهه قلوبهم ليس لهم حفظ منه إلا تلاوة الفم، وأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان.

كذلك الوهابيون يقتلون أهل الإسلام والقرآن، ويدعون أهل الأوثان، ولم ينقل عنهم خلال مدة عقيدتهم أنهم حاربوا أحداً سوى المسلمين أو قتلوا أحداً من أهل الأوثان. وفي قتلهم للحجاج الإيرانيين المسلمين عام ١٤٠٧ هـ، بلا ذنب واعتداؤهم عليهم بالضرب وفتح الرصاص عليهم، ومطاردتهم، وتشريدتهم، وتخويفهم، دليل ناطق على ما ذهبنا إليه فقد وجهوا بأسهم وحرهم كله إلى المسلمين خاصة، مع العلم أن أهل الأوثان إستعمرت بلادهم وممالكهم وامتلات اراضيهم كفرة والحاداً، واصبح الإسلام والمسلمين غريباً في وطنه (٩٤).

هذه هي الوهابية... الحاكمة في الأرض المقدسة، والمتربعة على دست الخلافة الإسلامية بمشهد من الشعب الحجازي المغوار، وبسمع من المسلمين من دون ان يستنكروا الحالة هذه، ويوحدا صفوفهم ويتضامنوا في حل المشكلة الخطيرة الآخذة بختناق القبلة الشريفة الثانية - كعبة - وتحريرها، وتطهيرها، وإنقاذها، وانتزاعها، من مخالب اليهودية، وراثت حليفها الوهابية. لثلا تغدو كاختها فلسطين عاراً أبدياً وذلاً دائماً للامة الإسلامية، وسيظل هذا العار وذلك الذل يسر بلان الشعوب الإسلامية إلى أن يأتي اليوم الذي تغسل فيه الامة عارها بالسيف، بعد ان تذكو في النفوس روح الثار والإقدام والتضحية.

وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم.

## أهـامش

- (١) سورة المؤمنون/٩٩ — ١٠٠.
- (٢) سورة آل عمران/١٦١.
- (٣) سورة الزلزال/٨ — ٩.
- (٤) سورة الحج/٢٧ — ٢٨.
- (٥) سورة الحج/٣٢ — ٣٣.
- (٦) دائرة المعارف القرن العشرين ٣/٣٥٠.
- (٧) سورة الحجرات/١٤.
- (٨) نهج البلاغة محمد عبده ٣/٤٠.
- (٩) شرح ابن ميثم البحراني ٥/١٥.
- (١٠) شرح ابن أبي الحديد ١٦/٦٧.
- (١١) سورة هود/٢٨.
- (١٢) الإصابة ٢/٤٥١. الإستيعاب ٣/١٥٣. جهرة أنساب العرب/١١٣. الكامل في التأريخ ١٣/٢٢٩.
- (١٣) اسد الغابة ٣/٣٥٨.
- (١٤) الأصابة ٣/٤٢٦. المنتقى في أخبار أم القرى/١٥٨. الإصابة ٣/١٥٣.
- (١٥) أعيان الشيعة ١٨/١٠٥. تاريخ الطبري ١٣/٢٤. جهرة أنساب العرب / ٢٠ و ٧٠. تنقيح المقال ٢/١٧٦.
- (١٦) الإستيعاب ١/٢٩٤. الإصابة ١/٢٧٨. أعيان الشيعة ٤/٣٠٥. تاريخ بغداد ١/١٥٩. الجرح والتعديل ٣/٧٤. جهرة أنساب العرب/٣٦٠.
- (١٧) الدرجات الرفيعة/١٥١. أصحاب ورواة أميرالمؤمنين (ع) خ. الإستيعاب ٣/٢٧٥. اسدالغابة ٤/١٥٧.
- (١٨) معجم الأدباء ٦/٩٧.
- (١٩) عمدة الطالب/١٤١. المجالس السنية ٥/١٠١. شذرات الذهب ٥/٧٦. الكامل في التأريخ ١٢/٧٩. النجوم الزاهرة ٦/٢٠٢. البداية والنهاية ١٣/٤١. المنتقى من أخبار أم القرى/٢١٤.
- (٢٠) فاطمة الزهراء/١٢١، والقصيدة ٧٢ بيت.
- (٢١) عمدة الطالب/١٤٦.
- (٢٢) سورة النور/٣٧.
- (٢٣) مخطوطات مكتبة البغدادي/٦٠-٦٢.
- (٢٤) سورة التوبة/١١١-١١٢.

- (٢٥) سورة الجاثية/٢٤ و٢٦.
- (٢٦) سورة الروم/٣٠.
- (٢٧) دائرة المعارف فريد وجدي ١١١/٤.
- (٢٨) معجزة فوق الرمال/١٦.
- (٢٩) سورة النور/٤٠.
- (٣٠) سورة الأحزاب/٥٧ - ٥٨.
- (٣١) سورة المائدة/١٣.
- (٣٢) سورة المطففين/١٥.
- (٣٣) تفسير الميزان/١٦/٣٣٩.
- (٣٤) إيضاح المكنون ٧٢/٢ و ١٩٠. معجم المؤلفين ٢٦٩/٤.
- (٣٥) سيرة ابن هشام ٧٤/٣. شذرات الذهب ٢٣/١. تأريخ الخميس ١٥٧/٢. الأعلام ١٢٥/٨.
- (٣٦) جهرة أنساب العرب/٢٢٦. أعلام النساء/١٧٧/٢. الأعلام ١٢٢/٣. الدر المنثور/٢٤٠.
- (٣٧) الكامل في التأريخ ٣٣٦/٢. جهرة أنساب العرب/٣٨١. تأريخ الخميس ١٥٥/٢. الأعلام ٢٩٩/٥.
- (٣٨) الكامل في التأريخ ٣٤٣/٢. شذرات الذهب ٣٢/١. الأخبار الطوال ١١٩. الإصابة ٢٣٤/٢. معجم البلدان ١٤٠٨/١.
- (٣٩) كشف الإرتياب/٤ - ٥.
- (٤٠) خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام/٨٣-٨٦.
- (٤١) زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي. أمه أساء بنت وهب من بني أسد، وكان أسن من عمر، وأسلم قبله وشهد المشاهد واستشهد باليامة سنة اثنتي عشرة، وكانت راية المسلمين معه. الإصابة ٥٦٥/١. الإستيعاب ٥٤١/١. جهرة أنساب العرب ١٥١/١ و ٣١١.
- (٤٢) كشف الإرتياب/٥ - ٦.
- (٤٣) سورة الحج/٢٤ - ٢٥.
- (٤٤) تاريخ آل سعود/٢٠ - ٢٢.
- (٤٥) كشف الإرتياب/١٠-١٣ نقلا عن كتاب خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام.
- (٤٦) كشف الإرتياب/١٣-١٤.
- (٤٧) معجزة فوق الرمال/١٧.
- (٤٨) سورة الكهف/٥.
- (٤٩) شهداء الفضيلة/٢٨٧ - ٣٠٣.
- (٥٠) معجم رجال الفكر في النجف/٧.
- (٥١) أعيان الشيعة ٣١٠/١٥.
- (٥٢) معارف الرجال/٣/٢٩٩.
- (٥٣) معجزة فوق الرمال/٢٠-٢١.

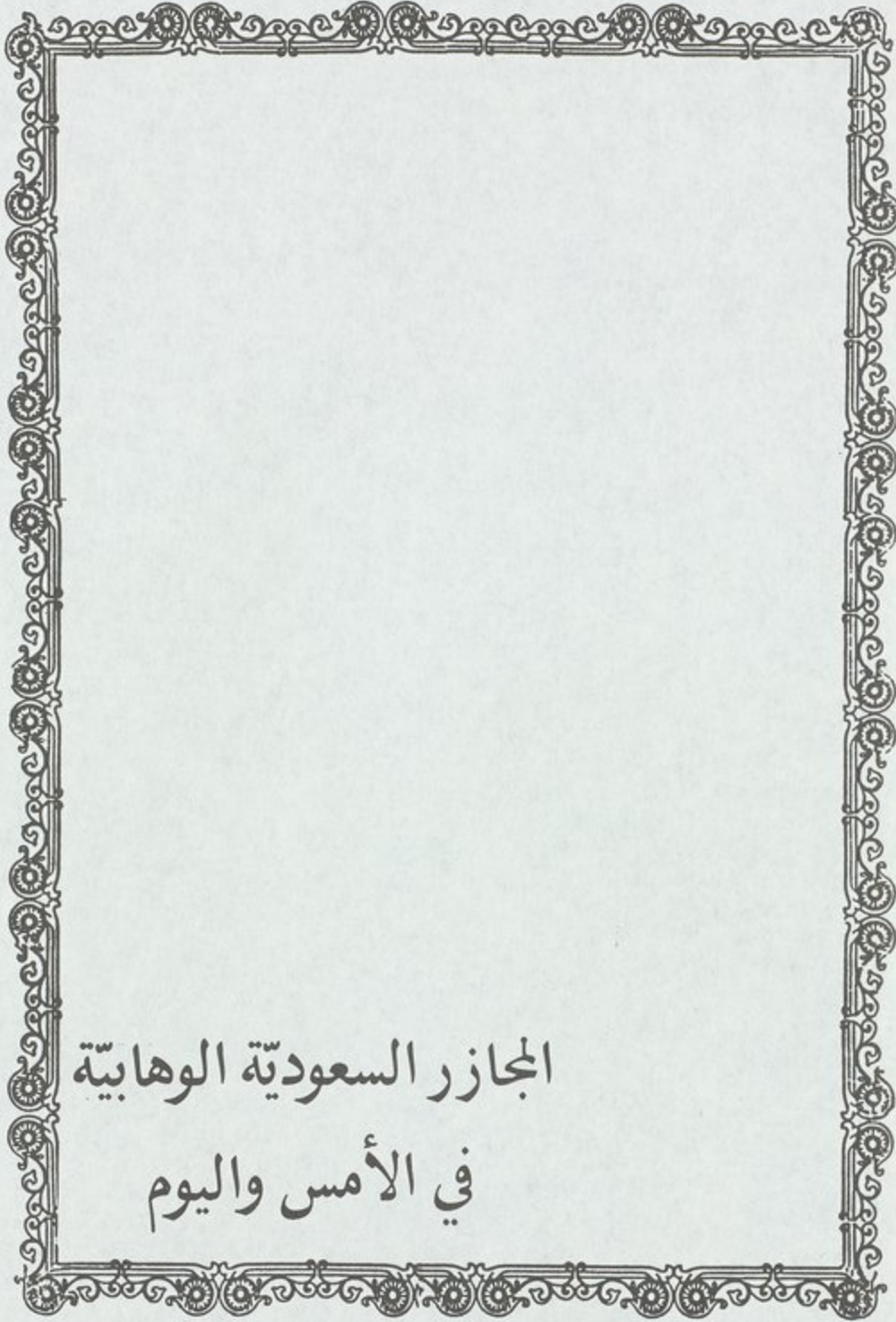
- (٥٤) سورة الجاثية/٢٣.
- (٥٥) تاريخ آل سعود/٢٩-٣٣.
- (٥٦) سورة آل عمران/٧٥.
- (٥٧) تفسير الفخر الرازي الكبير ١٠٠/٧ - ١٠٢.
- (٥٨) سورة المائدة/٨٢.
- (٥٩) سورة البقرة/١٩٦.
- (٦٠) سورة المائدة/٨٢. التفسير الكبير للفخر الرازي ٦٦/١٢.
- (٦١) الغدير ٨٧/٥.
- (٦٢) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي مات ٤٥٦ هـ، كان جده من موالي يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي. وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحد من لسانه، حتى قيل في حقه كان لسان ابن حزم: وسيف الحجاج بن يوسف الثقفي شقيقين، فنفرت منه القلوب، واستهدف لفقهاء وقته فتمالأوا على بغضه ورددوا قوله، وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه قصته الملوك وشردته عن بلاده، حتى إنتهى إلى بادية لبليبة الاندلسية فأت بها. وقد أفرد أخصى الاستاذ محمد الأميني دراسة خاصة عن ابن حزم أوضح فيها عقيدته الفاسخة وموقف علماء الإسلام منه، وقد نشرت في مجلة (كيهان) في عددها ١٢٦٣٢ - سنة ١٤٠٦ شم.
- (٦٣) تكملة السيف الصفيل/١٩٠. الغدير ٨٧/٥ - ٨٩.
- (٦٤) الدرر الكامنة ١/١٤٧.
- (٦٥) سورة الرعد/١٧.
- (٦٦) رحلة ابن بطوطة/٩٥ - ٩٦.
- (٦٧) كشف الإرتياب/٤٦٩.
- (٦٨) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودي البربري الملقب بالمهدي ٤٨٥ - ٥٢٤ هـ واضع أسس الدولة المؤمنية الكومية. سافر إلى مكة فأخرج منها فخرج منها إلى مصر فطرده حكومتها، فذهب إلى المغرب ونزل بالمهدية، فكسر مارآه من آلات اللهب وأوفى الخمر فأخرج منها، وانتقل إلى إحدى قرأها، وطرد منها ونزل بموضع حصين من جبال (تينملل) زاد في أذان الصبح (أصبح والله الحمد). الأعلام ٧/١٠٤.
- (٦٩) الدرر الكامنة ١/١٤٧.
- (٧٠) كشف الإرتياب/٤٦٧.
- (٧١) المصدر السابق/١٣١.
- (٧٢) مرآة الجنان ٤/٢٤٠.
- (٧٣) البداية والنهاية ١٤/٣٦. المختصر في أخبار البشر ٤/٥٢.
- (٧٤) كشف الإرتياب/١٣٣.
- (٧٥) الغدير ٨٦/٥ - ٢٠٧ فصل زيارة المشاهد.
- (٧٦) سورة الأعراف/١٧٦.
- (٧٧) منهاج السنة ١/٢٣.



- (٧٨) نفس المصدر ١/١٣١.
- (٧٩) المصدر السابق ١/٣٩.
- (٨٠) نهج البلاغة محمد عبده ١/١٤. الخطبة الاولى.
- (٨١) الكامل في التأريخ ٨/٣٠٨-٣٠٩.
- (٨٢) شذرات الذهب ٦/١٠٤. طبقات الشافعية ٥/١٨١. معجم المؤلفين ٢/٢٠١.
- (٨٣) سورة يوسف/٧٦.
- (٨٤) سورة الزمر/٦٧.
- (٨٥) تفسير الكشاف ٣/٤٠٨.
- (٨٦) الهدية السنية/٩٧ و ٩٩ و ١٠٥. ط المنار.
- (٨٧) سورة الجن/١٨.
- (٨٨) سورة الحشر/٧.
- (٨٩) كشف الارتباب/٢١٩ - ٢٢١.
- (٩٠) تطهير الاعتقاد عن ادران الإلحاد/٧ - ١٢ ط المنار.
- (٩١) كشف الظنون ١/٧٥٩ وفيه: - وهذا الكتاب آية من آيات الله في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام
- يوافظ بقراءته في المشارق والمغارب. -
- (٩٢) سورة البقرة/٢٥٧.
- (٩٣) صحيح البخاري ٤/٢٢٧. باب قول النبي (ص) الفتنة من قبل المشرق. صحيح مسلم ٤/٢٢٢٨.
- القاموس المحيط ٤/٢٥٨.
- (٩٤) كشف الارتباب/١١٤ - ١٢٦.





A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns surrounds the text.

المجازر السعودية الوهابية  
في الأمس واليوم



يعتبر القتل في عرف التشريع الإسلامي... من أبشع الموبقات، وأرذل المعاصي والدواهي، لكونه رجس منبعث من الحسد، والكبر، والحقد، واتباع الهوى، وادحض الحق، وتغلغل روح الجهل، والهمجية في الإنسان، وسيطرة قوة البطش، والكفر، والفتك على وجوه بصورة كاملة متوفرة، ومنبسطة ومتشعبة، وفي الوقت نفسه عامل أساسي، وركيزة فعالة في إثارة الغضب والسخط الإلهي في الدارين، الدنيا، والآخرة... لذلك تجدد القرآن الكريم يكشف في آيات متعددة، مفسد هذا الظلم الفجيع، ويوضح منزلته، وحقيقته بحسب الدقة المتناهية، ويدعو البشرية إلى مكافحته وعدم التقرب، والتزلف إليه، وانتزاعه من طباع الإنسان، لئلا يندفع أحد بأي سبب تافه، أو ميل ووسوسة رجيمة إلى ارتكاب هذا البغي العظيم.

والواقع أن التشريع الإسلامي، وكذلك بقية الرسالات السماوية، والشرايع الإلهية منذ قدم البشرية... يحذر الفرد مهما كانت إتجاهاته وطبيعته وجنسيته، وقوميته من أن يدفعه الهوى، والحسد، والحقد، والكبر إلى اتباع الهوى، والنوازع الشيطانية، والرغبات النفسية اللامتناهية، على الخلق بالناس ومنازعة الخالق، ومخاصمة الربوبية، وإبطال حكمة الخلقة بقتل أحدهم أخاه من نوعه، وحتى شقيقه من غير أبيه وأمه، لأتفه البواعث والأغراض. فاشخاص الإنسان إنما هم أفراد نوع واحد، واشخاص حقيقة قادرة، يحمل الواحد منهم من الإنسانية ما يحمله الكثيرون، ويحمل الكل ما يحمله البعض وقد شاءت الحكمة الإلهية في خلق الأفراد، وتكثير النسل وتتابع الأجيال، أن تبقى هذه الحقيقة وهذا الموجود الذي سوف لن يعيش إلا فترة قصيرة من العمر، ويدوم بقاءه بواسطة الأعقاب فيخلف اللاحق السابق إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها. ويعبد الله تعالى في أرضه. فالتطاول على الأفراد، وقتل وأبادة الفرد إفساد في الخلقة وإبطال لغاية الله سبحانه في الإنسانية المستبقة بتكثير الأفراد، عن طريق التناسيل والإستخلاف، فالقتل بعبارة أخرى بغير الحق منازعة الربوبية في مشيته. وإبطال لغرض الخلقة في الإنسانية العامة.

إن كل فرد من أفراد الإنسان كما جاء به القرآن الكريم... من حيث حقيقته المحمولة له التي تحيا وتموت، وتفتى إنما يحمل في وجوده الإنسانية التي هي حقيقة واحدة في

جميع الأفراد، والبعض والكل، والفرد الواحد، والأفراد حسب الكثرة والقلة فيه واحد، ومن هنا يستلزم القول أن يكون قتل النفس الواحدة وإبادتها بمنزلة قتل نوع الإنسان والعكس بالعكس، يعني أن إحياء النفس الواحدة بمنزلة إحياء الناس والمجتمع جميعاً. وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) (١) وهو كون الناس جميعاً ذوي حقيقة واحدة إنسانية متحدة فيها، الواحد منهم والجميع فيه سواء، فمن قصد الإنسانية المتمثلة في فرد منهم فقد قصد الإنسانية المتكوّنة في الجميع كالماء إذا وزّع بين أواني متعددة كثيرة فمن شرب من إحدى الأواني، فقد شرب الماء، وقد قصد الماء من حيث أنه ماء وما في جميع الأواني لا يزيد على الماء من حيث أنه ماء فكأنه شرب الجميع. فجملة (من قتل نفساً) إلى آخر الآية كناية في صورة التشبيه. وهكذا القول في: (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) والمراد بالاحياء ما يعد في عرف العقلاء، احياء نحو إنقاذ الغريق، وإطلاق الأسير. وقد أطلق الله سبحانه الاحياء في كلامه إلى الهداية والإيمان فقال: (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) (٢) فمن دلّ نفساً إلى الإيمان والحق فقد أحياها.

وقد استشكل بعضهم، فقال: إن قتل النفس الواحدة كيف يكون مساوياً لقتل جميع الناس، فإنّ من الممتنع أن يكون الجزء مساوياً للكل؟ فذكر المفسرون لهذا الإشكال وجوهاً من الأجوبة وهي بأسرها مبنية على مقدمة واحدة، وهي أن تشبيه أحد الشئين بالآخر لا يقتضي الحكم بمشابهتهما من كل الوجوه، لأنّ قولنا هذا يشبه ذاك أعم من قولنا إنه يشبه من كل الوجوه، أو من بعض الوجوه وإذا ظهرت صحة هذه المقدمة فنقول الجواب من وجوه:

١ — المقصود من تشبيه قتل النفس الواحدة بقتل النفوس للمبالغة في تعظيم أمر القتل العمد، والعدوان، وتفخيم شأنه. يعني كما أن قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد، فكذلك يجب أن يكون قتل الإنسان الواحد مستعظماً مهيباً، فالمقصود مشاركتها في الإستعظام، لا بيان مشاركتها في مقدار الإستعظام، وكيف لا يكون مستعظماً وقد قال تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) (٣).

٢ — أن جميع الناس لو علموا من إنسان واحد أنه يقصد قتلهم بأجمعهم، فلا شك أنهم يدفعونه دفعاً لا يمكنه تحصيل مقصوده، فكذلك إذا علموا منه أنه يقصد قتل إنسان واحد

معين، يجب أن يكون جدهم واجتهادهم في منعه عن قتل ذلك الإنسان مثل جدهم واجتهادهم في الصورة الأولى.

٣ — أنه لما أقدم على القتل العدواني، فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة، ومتى كان الأمر كذلك كان هذا الترجيح حاصلًا بالنسبة إلى كل واحد، فكان في قلبه أن كل أحد نازعه في شيء من مطالبه، فإنه لو قدر عليه لقتله، ونية المؤمن في الخيرات خير من عمله، وكذلك نية المؤمن في الشرور شر من عمله، فيصير المعنى، ومن يقتل إنساناً قتلاً عمدًا عدواناً فكأنما قتل جميع الناس.

### أنواع القتل...؟

(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتخبر رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليمًا حكيمًا. ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً) (٤).

ذهب العلماء إلى أن القتل على ثلاثة أقسام: عمد. وخطأ. وشبه عمد. أما العمد، فهو أن يقصد قتله بالسبب الذي يعلم إفضاءه إلى الموت، سواء كان ذلك جارحاً أو لم يكن.

### وأما الخطأ، فضربان:

- ١ — أن يقصد رمي المشرك أو الطائر فأصاب إنساناً.
- ٢ — أن يظنه مشركاً بأن كان عليه شعار الكفار والمشركين. والأول خطأ في الفعل. والثاني خطأ في القصد.

أما شبه العمد، فهو أن يضربه بعضاً خفيفة لا تقتل غالباً فيموت منه. قال الشافعي: هذا خطأ في القتل وإن كان عمدًا في الضرب.

إن الآية السالفة: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً) وإن نزلت في موارد خاصة إلا أنها ثابتة وعمامة، الغرض منها بيان حرمة القتل، وأنها محرمة من أول زمان التكليف. فالله تعالى حيناً رغب في مقاتلة الكفار، وحرص عليها ذكر بعد بعض ما يتعلق بهذه المحاربة. فمنها أنه سبحانه حين أذن في قتل الكفار، فلا شك أنه قد يتفق أن يرى الرجل رجلاً يظنه كافراً

حربياً فيقتله، ثم يتضح أنه كان مسلماً فذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة في هذه الآية.  
وهاهنا مسائل:

١ — ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية، أن حذيفة بن اليمان كان مع رسول الله (ص) يوم أحد فأخطأ المسلمون وظنوا أن أباه اليمان واحد من الكفار، فأخذوه وضربوه بأسيا ففهم، وحذيفة يقول: إنه أبي فلم يفهموا قوله إلا بعد أن قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. فلما سمع الرسول (ص) ذلك إزداد وقع حذيفة عنده. فنزلت هذه الآية.

وجاء أن الآية نزلت في أبي الدرداء، وذلك لأنه كان في سرية، فعُدل إلى شعب لحاجة له فوجد رجلاً في غم له فحمل عليه بالسيف. فقال الرجل: لا إله إلا الله. فقتله وساق غنمه، ثم وجد في نفسه شيئاً، فذكر الواقعة للرسول (ص) فقال عليه الصلاة والسلام: هلا شققت عن قلبه؟ وندم أبو الدرداء، فنزلت الآية.

وروي أن عياش بن أبي ربيعة، وكان أخاً لأبي جهل من أمه، أسلم وهاجر خوفاً من قومه إلى المدينة، وذلك قبل هجرة الرسول (ص) فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس تحت سقف، حتى يرجع فخرج أبو جهل، ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه، وطولا في الأحاديث. فقال أبو جهل: أليس أن محمداً يأمرك ببر الآم فانصرف وأحسن إلى أمك وأنت على دينك؟ فرجع فلما دنوا من مكة، قيدوا يديه ورجليه، وجلده أبو جهل مائة جلده، وجلده الحارث مائة أخرى. فقال للحارث: هذا أخي فمن أنت يا حارث؟ لله على وجدتك خالياً أن أقتلك. وروي أن الحارث قال لعياش، حين رجع: إن كان دينك الأول هدى فقد تركته، وإن كان ضلالاً فقد دخلت الآن فيه، فشق ذلك على عياش وحلف أن يقتله، فلما دخل على أمه حلفت أمه لا يزول عنه القيد حتى يرجع إلى دينه الأول، ففعل. ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث أيضاً، وهاجر فلقبه عياش خالياً ولم يشعر بإسلامه فقتله، فلما أخبر بأنه كان مسلماً ندم على فعله، وأتى رسول الله (ص) وقال: قتلته ولم أشعر بإسلامه. فنزلت الآية (٥).

٢ — قوله: (أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) إستثناء متصل، ورد على طريق المعنى لأن قوله: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) معناه أنه يؤاخذ الإنسان على القتل إلا إذا كان القتل قتل خطأ فإنه لا يؤاخذ به. إذا رأى عليه شعار الكفار، أو وجدته في عسكريهم فظنه مشركاً، فهذا يجوز قتله ولا شك أن هذا خطأ فإنه ظن أنه كافر مع أنه ما كان كافراً. وذهب بعضهم أن في الكلام تقديم وتأخير. والتقدير وما كان مؤمناً ليقول مؤمناً إلا



خطأ. ومثله قوله تعالى: (ما كان لله أن يتخذ من ولد) لأنه سبحانه لا يحرم عليه شيء إنما ينفي عنه ما لا يليق به.

قال أبوهاشم، وهو أحد رؤساء المعتزلة تقدير الآية: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً فبقي مؤمناً إلا أن يقتله خطأ فبقي حينئذ مؤمناً. قال: والمراد أن قتل المؤمن للمؤمن يخرج من كونه مؤمناً إلا أن يكون خطأ فإنه لا يخرج من كونه مؤمناً.

وقال أبو حنيفة: القتل بالثقل، ليس بعمد محض بل هو خطأ، وشبه عمداً. فيكون داخلاً تحت هذه الآية فتجب فيه الدية والكفارة، ولا يجب فيه القصاص. وقال الشافعي: إنه عمداً محض يجب فيه القصاص. أما بيان أنه قتل فيدل عليه القرآن والخبر. أما القرآن، فهو أنه تعالى حكى عن موسى عليه السلام، أنه وكز القبطي ففرض عليه، ثم إن ذلك الوكر يسمى بالقتل، بدليل أنه حكى أن القبطي قال في اليوم الثاني: (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس) (٦) وأجمع المفسرون على أن المراد منه قتل ذلك القبطي بذلك الوكر. وأيضاً أن الله تعالى سماه قتلاً حيث قال: (وقتل نفسك فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً) (٧) فثبت أن الوكر قتل بقول القبطي، ويقول موسى عليه السلام، ويقول الله سبحانه. وأما الخبر فقوله (ص): (ألا إن قتل الخطأ العمداً قتل السوط والعصا فيه مائة من الأبل) (٨) فسماه قتيلاً. فثبت بهذين الدليلين أنه حصل القتل. وأما أنه عمداً، فالشاك فيه داخل في السفسطة، فإن ضرب رأس إنسان بججر الرجا أو صلبه أو غرقه أو خنقه، ثم قال: ما قصدت به قتله كان ذلك إما كاذباً أو مجنوناً، وأما أنه عدوان فلا ينازع فيه مسلم، فثبت أنه قتل عمداً عدواناً. فوجب القصاص بالنص والمعقول.

أما النص، فهو جميع الآيات الدالة على وجوب القصاص كقوله: (كتب عليكم القصاص في القتلى. وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس. ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً. وجزاء سيئة سيئة مثلها. فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (٩).

وأما المعقول، فهو أن المقصود من شرع القصاص صيانة النفوس والأرواح عن الإهدار. قال تعالى: (ولكم في القصاص حياة) (١٠) وإذا كان المقصود من شرع القصاص صيانة النفوس والأرواح عن الإهدار، والاهدار من الثقل كهو في المحدد كانت الحاجة إلى شرع الزاجر في إحدى صورتين، كالحاجة إليه في الصورة الأخرى، ولا تفاوت بين الصورتين في نفس الإهدار، وإنما التفاوت حاصل في آلة الإهدار، والعلم الضروري حاصل بأن ذلك غير معتبر، والكلام في الفقهيات إذا وصل إلى هذا الحد، فقد بلغ الغاية القصوى في التحقيق لمن ترك التقليد. واحتجوا بقوله (ص): (ألا إن قتل الخطأ العمداً قتل السوط والعصا فيه

مائة من الإبل) وهو عام سواء كان السوط والعصا صغيراً أو كبيراً.

والجواب أن قوله (قتيل الخطأ) يدلّ على أنه لا بد وأن يكون معنى لخطأ حاصلًا فيه، وقد بينا أن من خنق إنساناً أو ضرب رأسه بججر الرحاء، ثم قال: ما كنت أقصد قتله فإنّ كل عاقل ببديهة عقله، يعلم أنه كاذب في هذا المقال فوجب حمل هذا الضرب بالعصا الصغيرة حتى يبقى معنى الخطأ فيه (١١).

وخشية الإطالة نضرب صفحا عن ذكر القصاص والديات، بعد أن كانت الكتب الفقهية قد شرحتها بصورة مبسطة ولا افتقار إلى تكرارها، بالإضافة إلى أنها خارجة عن نطاق الكتاب.

### موارد القتل..؟

لقد ندد التشريع الإسلامي القتل واستهجنه، وأمر بقتل القاتل كما عليه أكثر الشرائع الاوربية، ليبقى المجتمع البشري بعيداً عن روااسب العدوان، والتطاول، ولا تتسرّب إليه عوامل الفوضى، والإضطراب، لأن قتل القاتل وإعدامه يصبح عبرة للآخرين، ولكن ظهر أخيراً في الغرب رأي جديد يقضى بعدم قتل القاتل، والإكتفاء بسجنه، وقد اتبعت بعض الأمم هذا الرأي، كسويسرة، وإيطاليا، فالقاتل بحسب أنظمة تلك البلاد، لا يقتل وإنما يحبس في سجن إنفرادي لا يسمع فيه حساً، ولا همساً، بضع سنين ثم يرجع به إلى السجن العام، ويشغل في الأعمال الشاقة حتى يموت، وينتهي أجله ولا يعنى عنه، ويزعم أهل هذا الرأي أن هذه العقوبة أشد على الجناة الأشرار من القتل، لأنهم يقعون بها في حياة مرة شديدة التكاليف يفضلها القتل من وجوه مختلفة. حتى أن كثيراً من المحكوم عليهم بهذه العقوبة ينتحرون، متى ما وجدوا أداة توصلهم إلى ذلك للتخلص من هول هذه الحياة التعسة. ويذهب أصحاب هذا الرأي إنه فضلا عن أن عقوبة القتل لا تتفق مع ما يجب أن تتحلّى به الحكومات من الإنسانية والمرحمة، فإنها لم تردع الجناة عن جنائياتهم في زمن من الأزمان، فإنّ نسبة هذه الجريمة الكبرى ثابتة في كل أدوار الأمم ولما ابدلت بالسجن لم يزد المجرمون جرأة، بل يشاهد أن عدد الجريمة قد إنخفض في بعض البلدان.

ثم إنّ هذا الإبدال قد أفاد المجتمع من الوجهة الإحصائية، فلم تنقص الامة المقتول والقاتل معاً، بل ظل القاتل يعاني نتائج ما اكتسبت يده، ويعمل مع ذلك أعمالاً تعود على المجتمع بالنفع، وكان هذا أكثر ضماناً للعدل، فإنه قد حدث كثيراً أن توفرت أدلة القتل على متهم فقتل، ثم بدت براءته بظهور الفاعل الحقيقي. فقد حصل مرّة أن رجلاً قتل في غابة بيد

مجرم أثيم، فرصياد فعرابه وسقط عليه، فتلوّث ثيابه بدمه فخاف عاقبة هذا الأمر فأخذ يعدو هارباً، وكان الحراس يجتذون في ذلك الوقت في إقتفاء أثر القاتل، فعرثوا بهذا الصياد خارجاً من الغابة، يعدو فاشتبهوا فيه وألقوا القبض عليه، وزادهم شبهة تلوّث ثيابه بالدم، فلما مثل بين أيدي القضاء لم يستطع تبرئة نفسه، لأن ما حدث كله يصلح أن يجعله كقاتل متلبس بجنايته، وأثبت التحليل أن الدم الذي تلوّث به ثيابه هو دم المقتول، فبذل الصياد غاية إجتهاده في إثبات براءته فلم يفلح، فحكمت عليه المحكمة بالقتل، ونفذ عليه الحكم.

ثم تبين بعد ذلك أنه كان بريئاً، وظهر القاتل وانجلت أسرار القضية تمام الإنجلاء، لكن هيئات نفذ الحكم في البري ولم يعد في الإمكان إنصافه.

قال أصحاب هذا الرأي وأمثال هذه الحادثة لا تحصى، وقد حدثت في كل زمان ومكان، فالأولى إبدال القتل بالسجن سيما وقد دلّ الإحصاء على أن هذا الأبدال لم يوجب زيادة الجرائم بل أوجب نقصها في بعض البلاد (١٢).

هذا مجموع ما جاء في التشريع الإسلامى الخالد، بالنسبة للقتل وحكم القاتل، والأعمال المترتبة عليه، بعد أن قرأنا أن القرآن استقبحه وجعله من جملة الفواحش ووقف بوجه هذه الجريمة، وضرب على يد القاتل بيد من حديد، لئلا يقدم غيره لمثلها، ولا يخطر حتى بباله ولا يفكر بها إذ أيّ عاقل يسمح لنفسه إرتكاب جريمة تردى بحياته، وتحرمه الحياة ويصير في مجتمعه عبرة للآخرين..؟ وفي الوقت نفسه كما ندد التشريع الإسلامى بالقتل، نجده يسمح به في موارد خاصة، فقال الله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق) فقد جاءت هذه الآية في موضعين من القرآن (١٣) فواحدة في ضمن هذه الآية: (قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيتاهم ولا تقرّبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) قال المفسرون: أن هذا القتل داخل في جملة الفواحش إلا أنه تعالى أفرده بالذكر لفائدتين:

١ — أن الأفراد بالذكر يدلّ على التعظيم والتفخيم. كقوله: (وملائكته وجبريل

وميكال).

٢ — إنه تعالى أراد أن يستثنى منه ولا يتأق هذا الإستثناء في جملة الفواحش.

أما قوله: (إلا بالحق) أي قتل النفس المحرمة قد يكون حقاً لجرم صدر منها. والحديث أيضاً موافق له، وهو قوله (ص): لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث، كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق (١٤) والقرآن دلّ على سبب رابع، وهو

قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا) (١٥).

والحاصل أن الأصل في قتل النفس، هو الحرمة وحله لا يثبت إلاً بدليل منفصل، ثم إنه سبحانه لما بين أحوال هذه الأقسام الخمسة، أتبعه باللفظ الذي يقرب إلى القلب القبول. فقال: (ذلكم وصاكم به) لما في هذه اللفظة من اللطف والرأفة، وكل ذلك ليكون المكلف أقرب إلى القبول. ثم أتبعه بقوله: (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا فوائده هذه التكاليف، ومنافعها في الدين والدنيا. والخطاب لجميع الخلق، فتحللوها ما حلله الله لكم، وتحرموا ما حرّمه عليكم.

والآية الثانية جاءت هكذا: (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً. ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاً بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً) ففي هذه الآية كان القتل هو النوع الثاني مما نهى الله تعالى عنه. وربّ قائل يقول: إن أكبر الكبائر بعد الكفر بالله القتل، فما السبب في أن الله بدأ أولاً بذكر النهي عن الزنا. وثانياً بذكر النهي عن القتل؟

والجواب: أن فتح باب الزنا يمنع من دخول الإنسان في الوجود، والقتل عبارة عن إبطال الإنسان بعد تلبسه في الوجود. ودخوله في الوجود مقدّم على إبطاله وإعدامه بعد وجوده، لذلك السبب ذكر الله الزنا أولاً، ثم أردفه بذكر القتل.

والحقيقة أن الأصل في القتل هو الحرمة المغلظة، والحل إنما يثبت بسبب عارضي، فلما كان الأمر كذلك لا جرم نهى الله عن القتل مطلقاً، بناء على حكم الأصل، ثم استثنى عنه الحالة التي يحصل فيها حل القتل، وهو عند حصول الأسباب العرضية، فقال: (إلاً بالحق) ففتقر هاهنا إلى بيان أن الأصل في القتل التحريم، والذي يدلّ عليه وجوه:

١ — أن القتل ضرر، والأصل في المضار الحرمة، لقوله تعالى: (ما جعل عليكم في الدين من حرج) (١٦) ولا يريد بكم العسر. ولا ضرر ولا ضرار.

٢ — قوله (ص): (الآدمي بنيان الرب، ملعون من هدم بنيان الرب) (١٧).

٣ — أنّ البشر خلق للإشتغال بالعبادة، لقوله: (وما خلقت الجن والإنس إلاً ليعبدون) (١٨) ولقوله (ص): (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً) (١٩). والإشتغال والإنصراف للعبادة لا يتم ولا يحصل إلاً عند عدم القتل.

٤ — أنّ القتل إفساد فوجب أن يحرم، لقوله تعالى: (ولا تفسدوا).

٥ — أنه إذا تعارض دليل تحريم القتل، ودليل إباحته، فقد أجمعوا على أن جانب

الحرمة راجح، ولولا أن مقتضى الأصل هو التحريم، وإلا لكان ذلك ترجيحاً لا لمرجح، وهو محال.

٦ - إنا إذا لم نعرف في الإنسان صفة من الصفات إلا مجرد كونه إنساناً عاقلاً، حكمنا فيه بتحريم قتله، وما لم نعرف شيئاً زائداً على كونه إنساناً، لم نحكم فيه بجل دمه، ولولا أن أصل الإنسانية يقتضي حرمة القتل، وإلا لما كان كذلك فثبت بهذه الوجوه، أن الأصل في القتل هو التحريم. وإن حله لا يثبت إلا بأسباب عرضية. وإذا ثبت هذا فنقول: إنه تعالى حكم بأن الأصل في القتل هو التحريم، فقال: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) فقوله: (ولا تقتلوا) نهي، وتحريم. وقوله: (حرم الله) إعادة لذكر التحريم على سبيل التأكيد، ثم استثنى عنه الأسباب العرضية الإتفاقية فقال: (إلا بالحق).

ثم إن مجرد قوله: (إلا بالحق) مجمل ليس فيه بيان وتوضيح، لذلك الحق الذي يقتل به، ولم يعرف الحق ماهو، وكيف هو؟ فجاءت عبارة (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) أي في استيفاء القصاص من القاتل، وهذا الكلام يصلح جعله بياناً لذلك المجمل، وتقريره كأنه تعالى قال: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وذلك الحق هو أن من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً في إستيفاء القصاص. وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الحق هذه الصورة فقد فصار تقدير الآية: ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا عند القصاص، وعلى هذا التقدير فتكون الآية نصاً صريحاً في تحريم القتل، إلا بهذا السبب الواحد، فوجب أن يبقى على الحرمة فيما سوى هذه الصورة الواحدة.

هناك سنة نبوية استوضحت ذلك الحق، وأماطت اللثام عنه، وأن الحق في الآية المذكورة أحد الأمور الثلاثة، وهو قوله عليه السلام: (لا يجل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق). فالخبر هذا تفسير لقوله تعالى: (إلا بالحق) فظاهر الآية أنه لا سبب لحل القتل إلا قتل المظلوم، وظاهر الحديث يقتضي ضم شيئين آخرين إليه، وهما الكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان. ودلت آية أخرى على حصول سبب رابع وهو قوله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا) كما دلت آية أخرى على حصول عامل خامس، وهو الكفر. قال تعالى: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر). والفقهاء تكلموا واختلفوا في مواضع أخرى لا حاجة لذكرها (٢٠).

هذا حكم التشريع الإسلامي في القتل، وقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله موارد القتل فيه كما أسلفنا الحديث عنها، فليت شعري هل القتل الذريع الحاصل في الأرض

المقدسة مكة، والمدينة... منذ إقامة ديكتاتورية السعودية الوهابية المقيتة... وفي العراق الجريح الصامد... يأتي مبرر وعامل دفعوا بالآف من المظلومين والمضطهدين، إلى مجازر البغي والعدوان، ووضعوا في رقابهم السيف وما برحت الجريمة هذه، وأبطالها العملاء الأوغاد الذين يسعون في الأرض فساداً... آخذت طريقها إلى التوسع والإنتشار بكل وقاحة وزدالة ويعاملون الشعب المسلم، بضروب البطش والعدوان، من غير أي تغيير بسيط في مخططهم الهمجي العام، وكأنهم يعيشون في عهود حجرية، ويقيمون في غابات وكهوف بربرية رعناء. إنَّ الأمويين والعباسيين إذا اقترفوا على عهدهم الأسود الدفين، تلکم الجرائم الشنيعة التي لم يسجل التاريخ أفجع ولا أروع منها، ولم يخلد الدهر وأت بقصة واقعة مثل واقعة كربلاء الدامية وغيرها من الأحداث الأليمة تمتد كلما امتد الزمن، وتنتشر كلما تقادمت الأعوام، وبقيت طرية لا تبلى ما قامت السماوات والأرض... فإنَّ السعودية الوهابية، وحليفها الصدامية الحقيرة في العهود العلمية الموصوفة بالتطور والحضارة، والنور والعلم، إرتكبت من الجرائم وسفك الدماء الطاهرة، مالا تقبل عن وحشية الأمويين، وهمجية العباسيين وبربريتهم.

لقد سجل التاريخ هؤلاء الأبرياء الشهداء المجاهدين... في مواكب الخالدين، وسيبقى ذكرهم في سجلات المظلومين على امتداد التاريخ، تلهج به الأجيال والأحقاب، وتترنم وتتغنى بها الشعوب والإنسانية، لا يمسه نسيان ولا إهمال، ولا يلفه جهل ولا غموض بعد أن أشادت بهاتيك الوقائع الأليمة، والظلم الصارخ الذي ارتكب موبقاته شرذمة من أجلاف الناس في الحجاز والعراق في تطاولهم، وبغيهم على كرامة البشرية والإنسانية، لتثيبت دعائم عروشهم القائمة على السفاح، والخيانة، والدماء، والرصاص، والحديد، وإضاعة أموال المسلمين لشراء ضمائر السفلة والأوغاد فيما لا يرضى الشرائع ولا تقرر عليه الكرامة... وكان مثيراً لكل فرق المسلمين على اختلاف أهوائهم، وتباين إتجاهاتهم، ومذاهبهم.

أجل ستبقى أصداء هذه الفواجع وأنين الأرامل وآهات الإيتمام على امتداد التاريخ... وستظل هذه الكوارث خالدة حية جديدة مادامت الحياة... إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها.

لقد تجلت بطولة وشهامة وإرادة الشعب المسلم، في وقوفهم وثورتهم، ووثبتهم في إيران، والعراق، والحجاز، ومصر وفلسطين... وفي كل بقعة عربية وإسلامية ضد الطغاة، والباغين، والظالمين، والحاquدين، في مطالبه واسترداد وإحقاق حقوقهم الثابتة، العادلة المشروعة، وضحوا بنفوسهم دفاعاً عن مبدءهم، ورسالتهم، إيماناً بعقيدتهم، وضربوا ضرباتهم

القاضية التي خلدت العقيدة والإيمان، والعزة، والإباء، والقلب الشجاع... خلدها وركزتها في القلوب والتأريخ ليسير على هديها وضوءها، كل فرد شهيم بطل مخلص للحق، والإيمان، والوطن، يهدف في حياته تحقيق رسالة الكمال الإنساني، والإنسانية الكاملة، والتخلص من كابوس البغي والإستثمار، والكفر، والتحرر من قيود الفئة الظالمة المندفعة عن جشع وراء الأباطيل، والعمالة، والأموال، ومصافحة أهل الجور والطغيان.

(إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعباب أليم. أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما هم من ناصرين) (٢١).

ومهما يكن من أمر، فجرائم السعوديين، والوهابيين، والصداميين، وقتلهم للأبرياء والصالحين، ستبقى على امتداد رقعة التأريخ، تقرؤها الأجيال وتتناقلها القرون والأحقاب، وكلها صفحات عار، وخزي، وشنار، وخيانة، سجلها التأريخ بمداد من سواد. واستحقوا بها إلى يوم القيامة، لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

#### أجواز السعودية الوهابية..؟

السذاجة، والبساطة، والجهل، صفات متأصلة في طبيعة الشعب الحجازي بصورة عامة منذ القدم، فالجهل لم يزل فيهم حاكماً مع التقدم والتطور الحاصل في العالم اليوم للحركة العلمية... فالعلم لم يشق طريقه بعد إلى الحجاز، ولم يدخل البلاد، والقرى، والمدن، والبيوتات فقد شاءت السلطة الوهابية الحاكمة أن تبقى الشعب على هذه الحالة من الجهل، ولتتمكن من السيطرة وانفوذ فيهم، غير أن القاري الكرم حين يدخل مدينتي مكة، والمدينة، نلفت نظره لوحات خشبية كثيرة مختلفة الأحجام، كتبت عليها - مدرسة... للبنين الابتدائية - مدرسة... للبنات الثانوية - وهلم جرا، وهي معلقة ومودوعة على شرفات المنازل، والبيوتات المطلة على الشوارع العامة، ولا أثر فيها للتلاميذ، وقد رحلت أساتئل عن التلاميذ هناك فقالوا: هذه لوحات خشبية وضعتها وزارة التربية والتعليم، لأغراء المسافرين، والسياحين، ولا وجود لتلميذ واحد فيها. وإن جاء بعض المرتزقة في كتابه، بالحديث عن التعليم والتعلم في الحجاز، ولكنه أكاديب واختلاق لا صحة لها.

وعلى هذا الأساس من الجهل العام السائد في الشعب بمجموعه، المحروم من كل شيء في الحياة... قامت زبانية الوهابية السعودية قبل ند زحفها للإستيلاء على البلاد والمدن، بالدعاية لنفسها ونشر وتوزيع نشرات وقصاصات ورق، بين القبائل والعشائر،

وطبقات الشعب، موقعة ومصدقة من قبل تجار الثين، ووعاظ البلاط والسلاطين، وإغراء الناس بالفتاوى الصادرة عليهم، وسحق المخالفين وإخاد كل حركة وثورة مناوئة لرحفهم، لعلمهم الكامل من أن العشائر والقبائل، ستقف بوجههم، وتصدهم من السير إلى الإمام، لذلك نشروا الفتاوى، وكان لها بالفعل تأثيرها البالغ في نفوس بعض السذج، والمرزقة، والأوباش. وقد جاء في إحدى الفتاوى الصادرة مالفظه:

(كل من قتل عشرة من قبيلة شمر، أو أهالي حائل، أو ممن يعادون ابن سعود يدخل اللجنة بلا حساب، ليجد فيها عشر حوريات من الحسان الكواعب الأتراب اللاتي لا يكبرون عن ١٥ سنة، ولا يصغرن عن هذه السنين عمراً، بالإضافة إلى لحوم الطيور المشوية التي سيجدها كل من يقتل تحت بيارق آل سعود في الجنة، وما عليه إلا أن يفتح فمه فتسقط في فمه مشوية دون عظام بالإضافة إلى أنهر العسل واللبن) (٢٢).

إلى غيره من الفتاوى السامة المخدرة للمحرومين في الدنيا... وراح رجال الدين، يثون سمومهم ودجلهم بين طبقات الشعب كنوع من التضليل، ويكررون دجلهم لجنود البادية المخدوعين، من أن (مشاريع العمران قائمة عندالله لمن يقاتل المشركين من أهل حائل، وأهل الحجاز، وعسير، وتامة، واليمن، والجوف، والإحساء، وبعض الكفار من أهالي نجد. أما البعض الآخر التابعين لابن السعود، فأولئك من أهل اللجنة الذين خصص الله لكل واحد منهم قصره فيها، وفيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، من حور عين، ولبن لم يتغير طعمه، وعسل مصفى، ورعية من الخيل والإبل والأغنام).

وهذه العوامل اندلعت نيران الفتنة والتشاجر في البيوتات، وانقسمت المدينة الواحدة، والعشيرة الواحدة، والقبيلة الواحدة، والاسرة الواحدة إلى إتجاهات، وأقسام شتى، وقام الأخ منهم يقتل أخاه، وإبنة وزوجته، ويبيع كل ما يملكه ويذبح إبله وأغنامه، للتخلص منها، والتخلص حتى من أقرب الناس إليه، ومن كل ما يعوقه في الدنيا عن طريق الآخرة الذي لا يعلمه إلا الله تعالى... إلى غيره من الفتاوى الضالة التي كان لها التأثير البالغ في نفوس بعض القبائل، حتى جعلوا من الوهم عقيدة تشربت بها عقول ودماء العدد العديد من القبائل، إلى الحد الذي قتل الأخ أخاه، والأب قتل إبنة مجرد أن هذا المقتول عارض الضلال الوهابي السعودي... الذي حسبوه ديناً برقعوه ببراقع الإسلام، والإسلام منه براء مما جعل أفراد القبائل يتبرأون من كل شيء في الدنيا بحثاً عن ملذات الآخرة.

أجل وخلال هذا التشاغل والتطاحن والتشاجر، اندلعت نيران الفتن في البيوتات، وراحت الوهابية السعودية، تستولى على البلاد، وأخذت تهدم وتقصف، وتقتل، وتنهب،

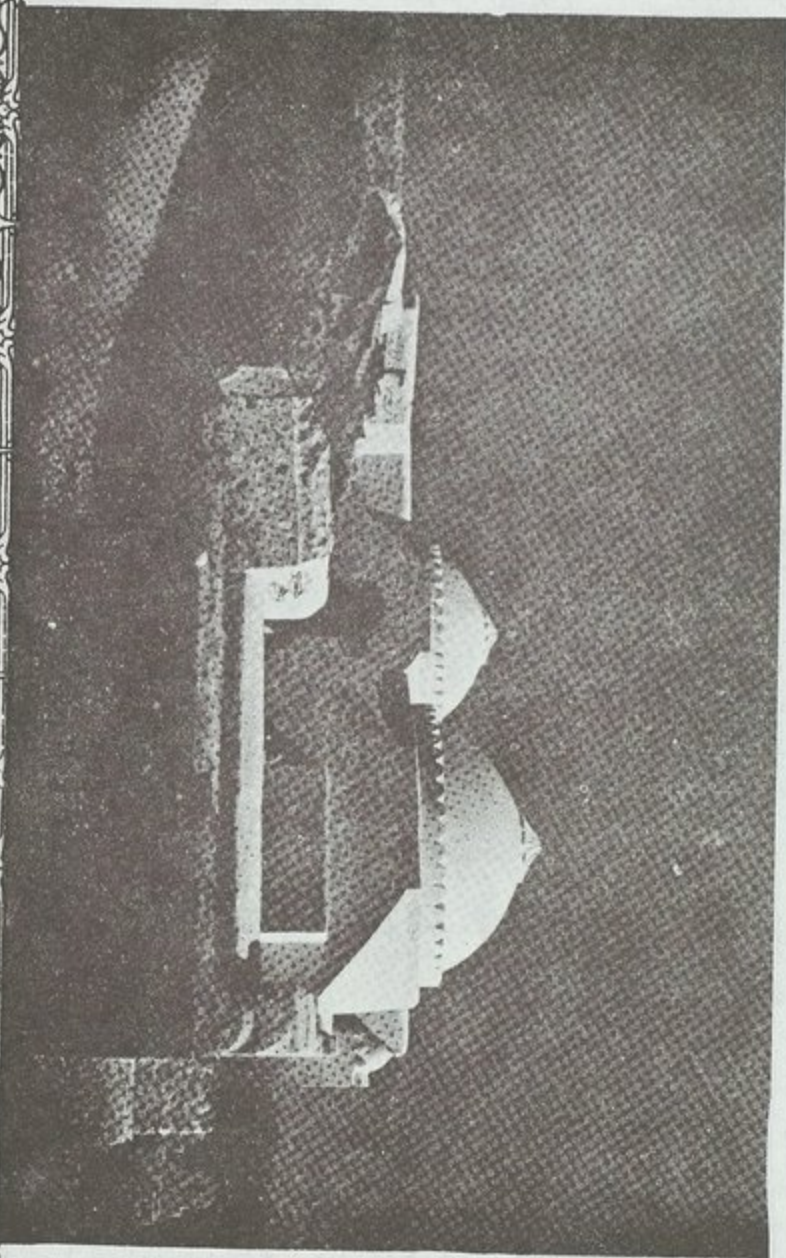


وتسلب وكان أول ما بدأوا به هو الهجوم على قريتي، بيضاء نثيل، والشبيعة، وذلك ليلة ٢٧ رمضان ١٣٢٦ هـ، حيث هجموا على المواطنين القرويين الآمنين في المسجد، أثناء أداء صلاة الفجر، وقتلوهم آمنين عزل، ولم يكن بيدهم من سلاح، سوى القرآن الكريم، رغم أنه لم يكن لهاتين القريتين، من أهمية استراتيجية في المعركة، أو أي فائدة مادية لهم، أو ضرر عليهم، كما لم يكن لأهل القريتين أي دور معروف في القتال ولا المعارضة، وواصلوا زحفهم الدامي حتى دخلوا منطقة الجبل المطل على مدينة حائل.

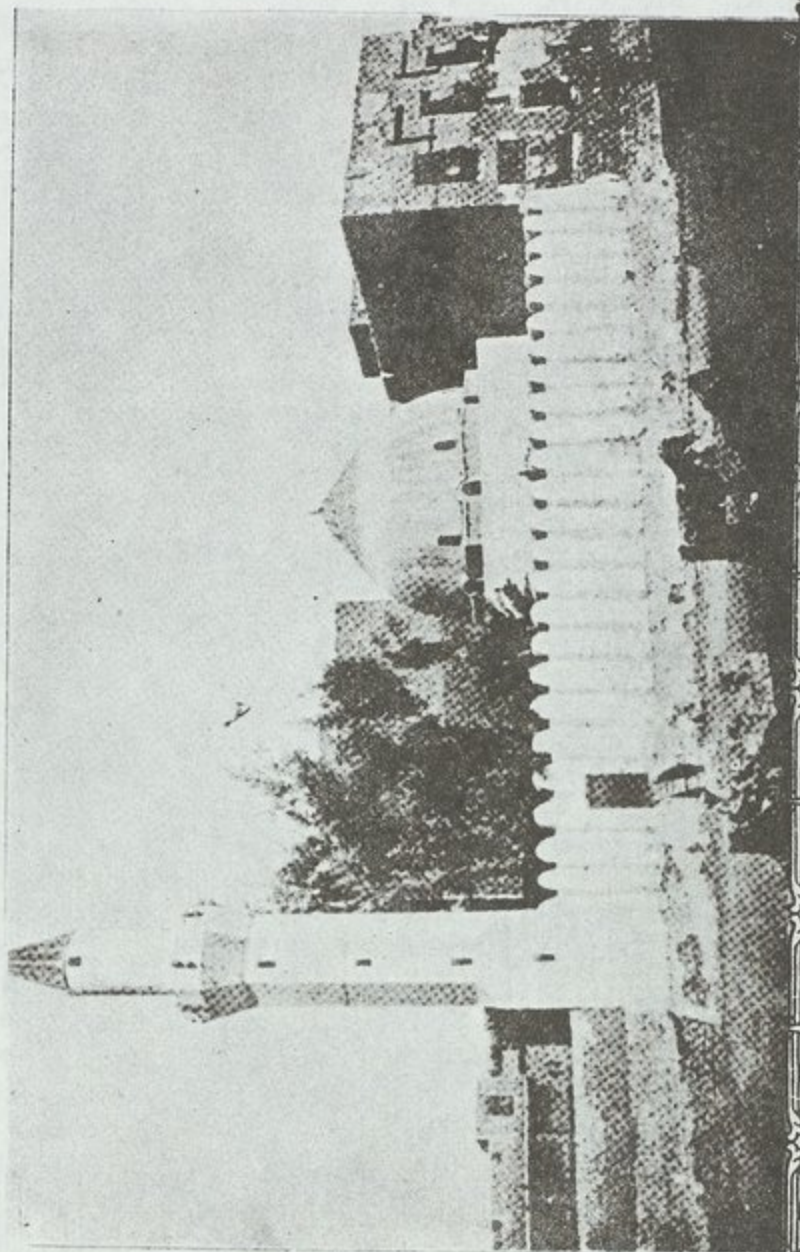
ثم توجه الزحف إلى بقية المدن والأرياف وسقطت البلاد، واتخذت الانتفاضات الشعبية، ضد الطغيان السعودي ومنها إلى مكة، وقد قتلوا فيها الكثير من الفقهاء، والعلماء، والقسم الكبير منهم هربوا، والتجأوا إلى البلاد الإسلامية المجاورة، وهدموا الأماكن الخالدة والإسلامية والتاريخية، ومنها على سبيل المثال:

- ١ - البيت الذي ولد فيه النبي الأقدس (ص) بمكة.
- ٢ - بيت السيدة خديجة بنت خويلد، زوجة رسول الله (ص).
- ٣ - موضع ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، الواقع في زقاق الحجر بمكة.
- ٤ - دار حمزة بن عبدالمطلب عم النبي (ص).
- ٥ - بيت الأرقم بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو الذي استخفى رسول الله (ص) في داره، وهي في أصل الصفا، والمسلمون معه بمكة لما خافوا المشركين، فلم يزالوا بها حتى كملوا أربعين رجلا (٢٣).
- ٦ - هدم قبور الشهداء، وقبور الفقهاء، والعلماء الواقعة في المعلي، بأعلى مكة وبعثروا رفاتهم.
- ٧ - إبادة قبور الشهداء في وادي بدر. كذلك هدموا مكان العريش التاريخي الذي نصب للنبي (ص) القائد الأعظم.
- ٨ - البيت الذي ولد فيه الإمام علي بن أبي طالب. والإمام الحسن. والإمام الحسين عليهم السلام.
- ٩ - تدمير بقية الفرقد في المدينة المنورة، حيث قبور الأئمة عليهم السلام، ومرقد المهاجرين والأنصار، وبعثروا رفاتهم.
- ١٠ - ولقد هم بنوالقينقاع آل سعود، بتدمير القبة التي تظلل، وتضم جثمان صاحب

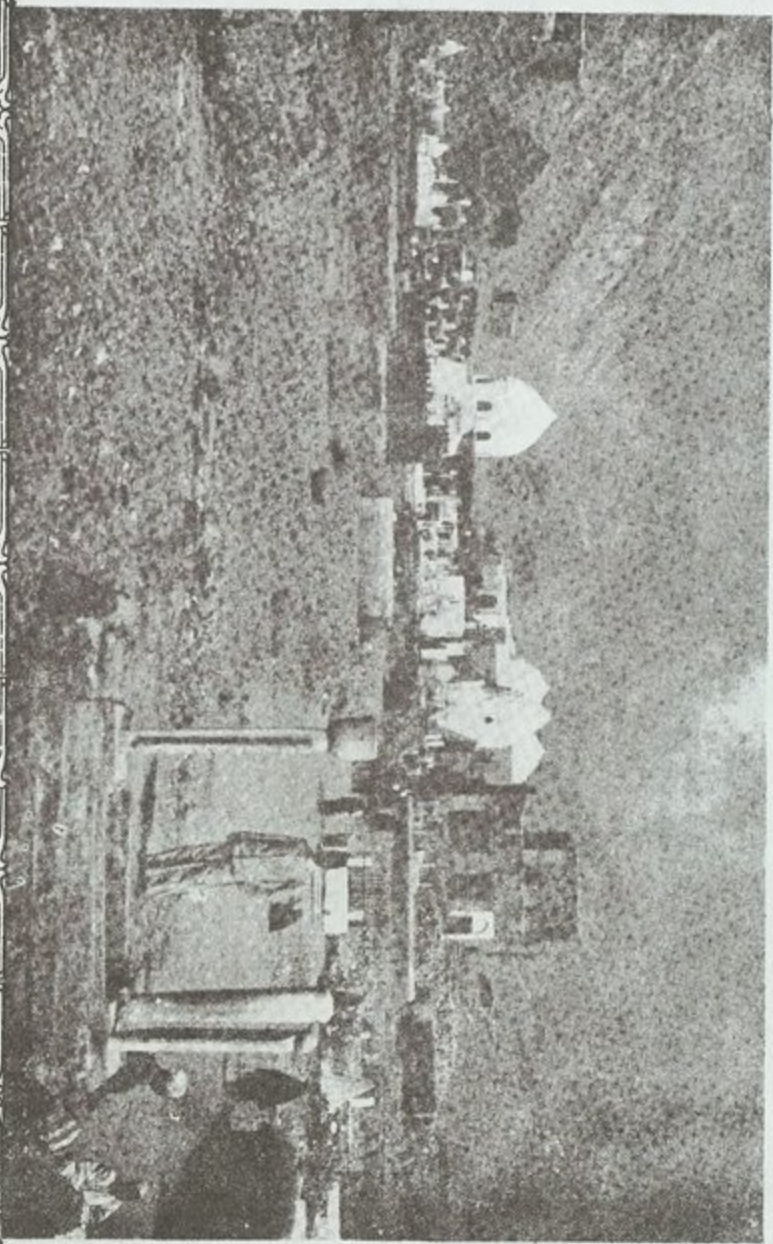
تاریخ و تمدن ایران



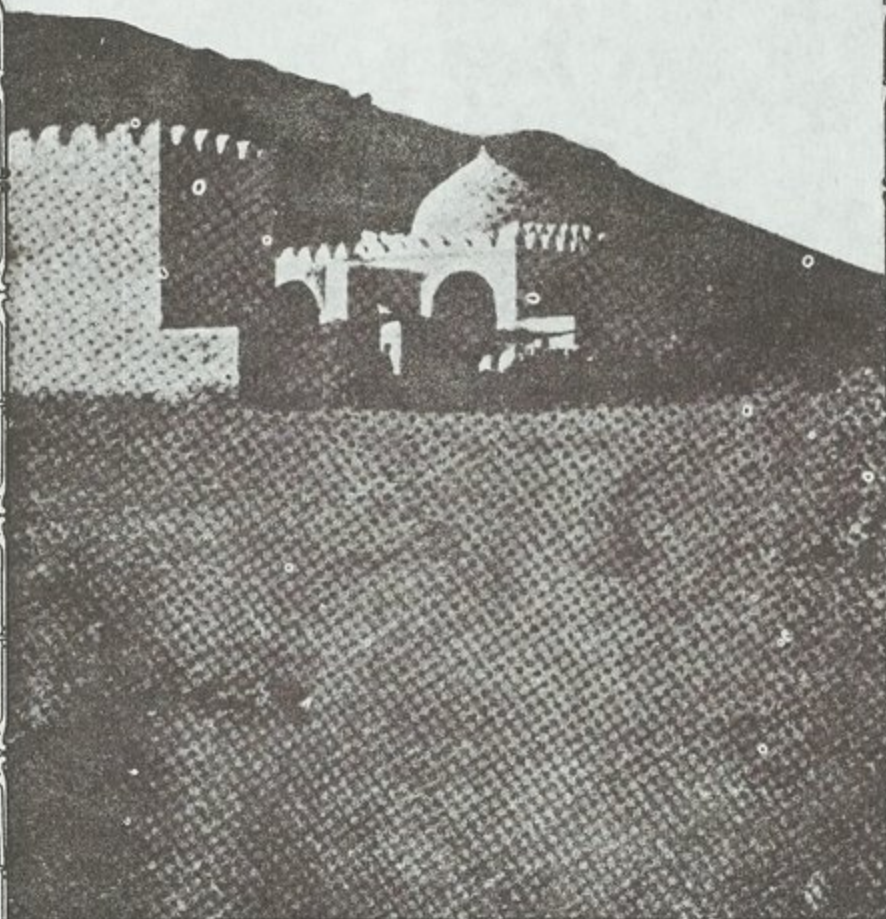
مسجد سيدنا علي في محرم سنه ١٣٢٦



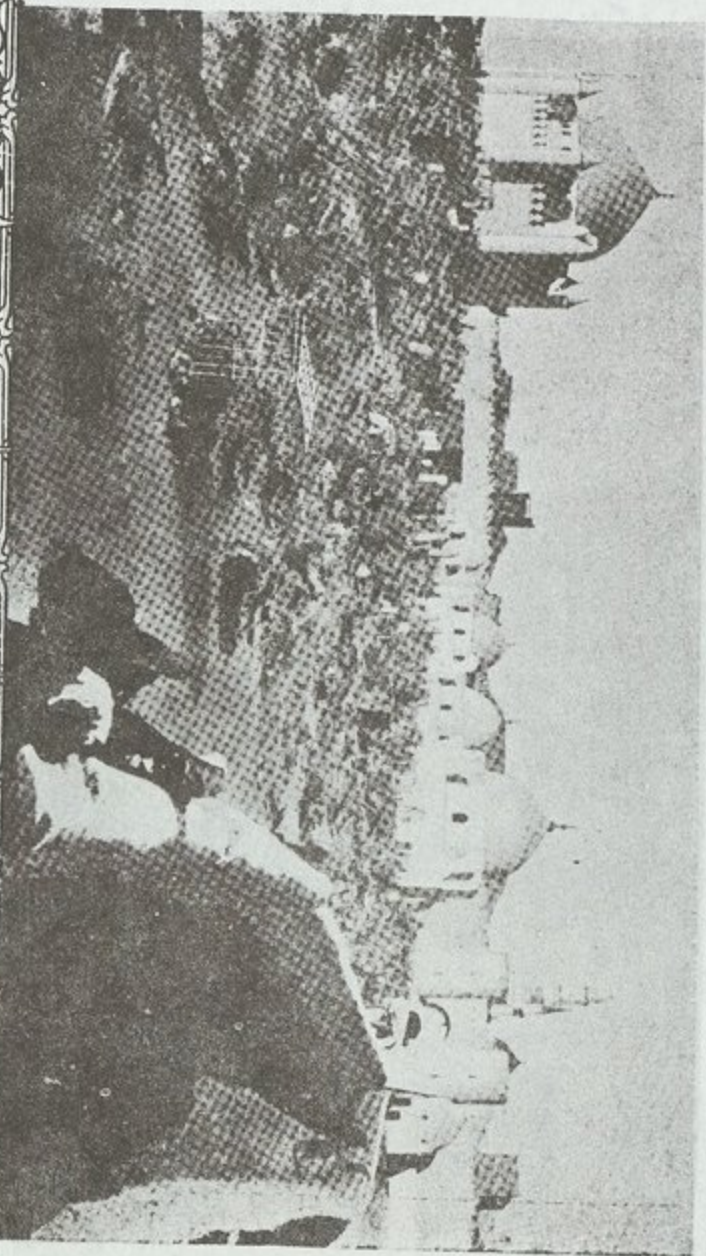
القرية القديمة والحديثة في مكة المكرمة



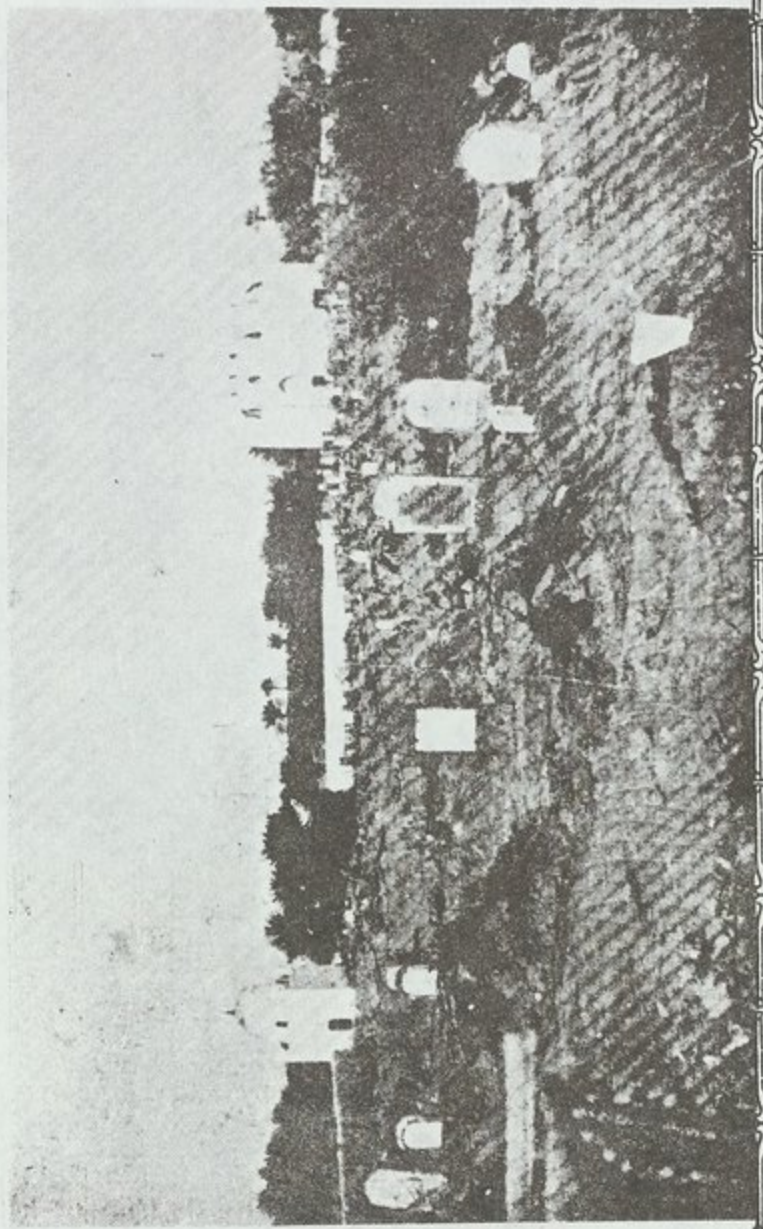
مسجد و مقام السيد ميرزا نوح النبي صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة

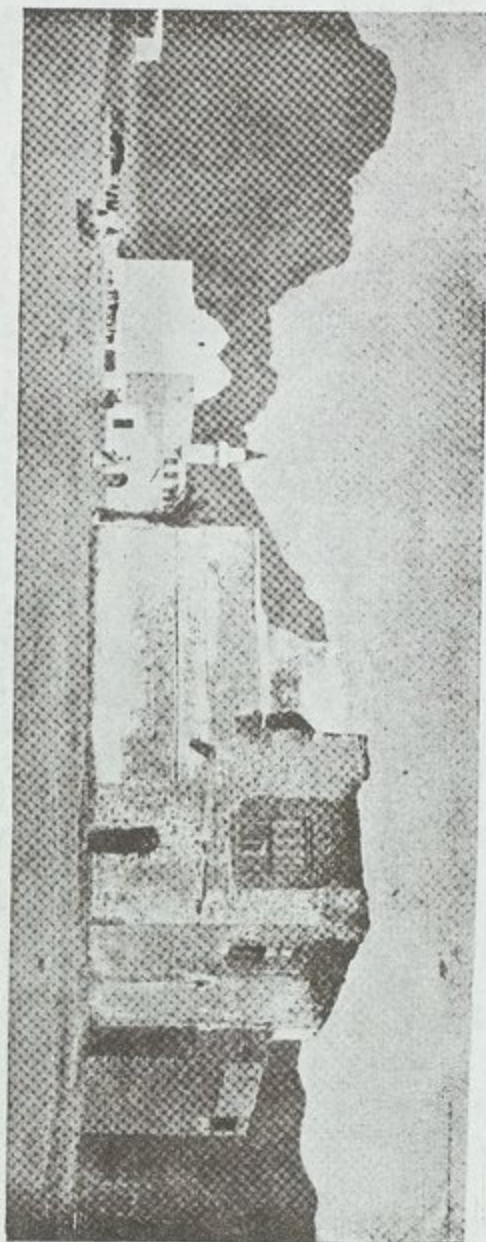


منظر البقيع وفيه مرقد أهل البيت عليهم السلام



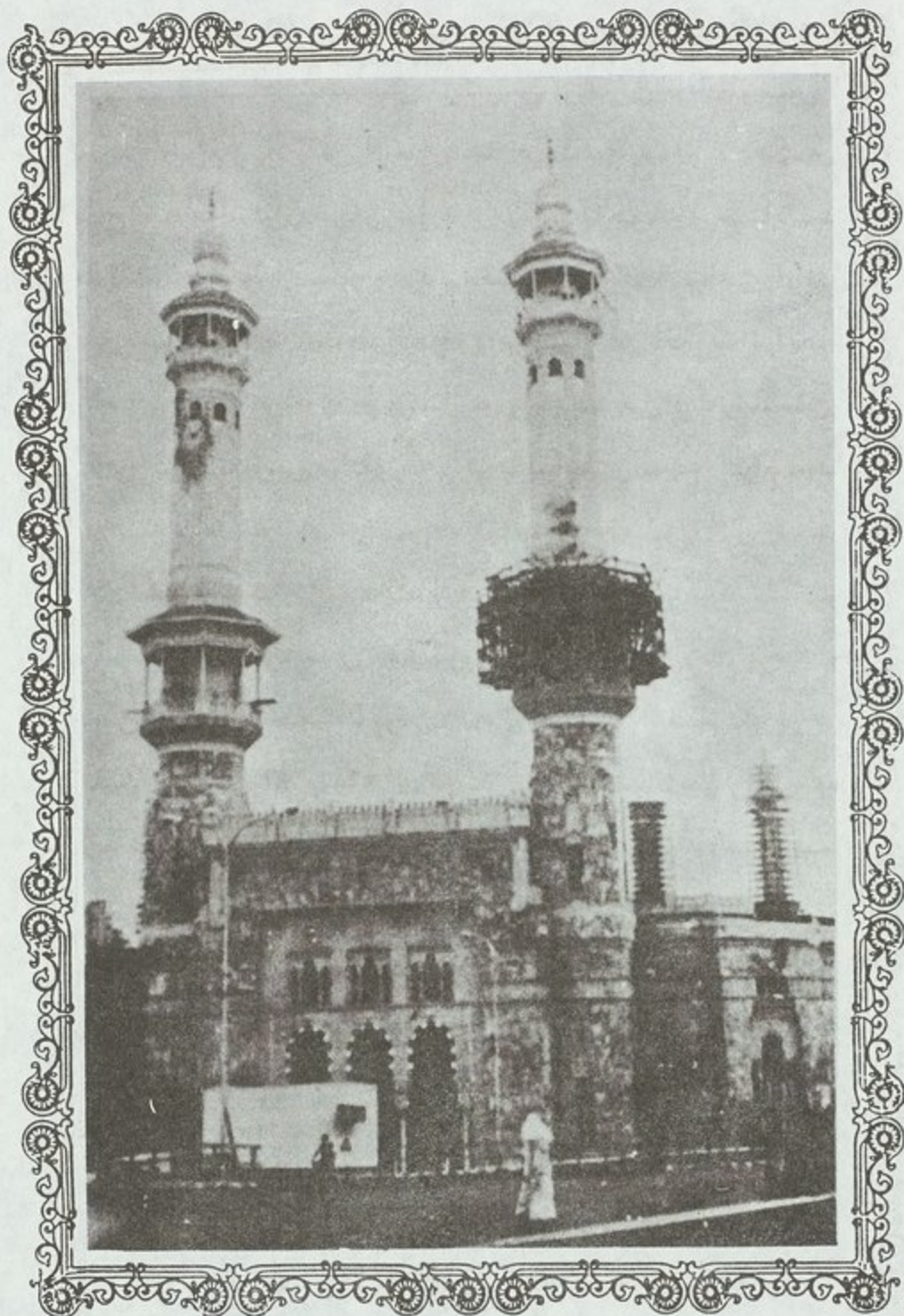
منظر البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية سنة ١٣٢١





تصویر منظر کوهستان و کوهستان کوهستان کوهستان کوهستان





آثار الرصاص على مآذن المسجد الحرام



الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم، ونبشوا ضريحه. لكنهم توقفوا حينما وقف الشعب الحجازي، وبعض العلماء الصالحين، ومن كافة البلاد الإسلامية، وحدثت ضجة كبرى عمت العالم الإسلامي، ضدّهم فارتدوا على أعقابهم خاسئين.

كل ذلك لأن لا يبقى أثر واحد من الآثار الإسلامية، ومن مآثر أولئك القادة والابطال، والمجاهدين الذين سحقوا وقتلوا أجدادهم بني القينقاع، وبني النضير، وقريضة، وأمثالهم من اليهود، ومن معهم من الأراذل الذين حاربوا التشريع الإسلامي، ورسالة النبي الأعظم (ص) بالمال والأكاذيب، وشراء أشباه الرجال الذين استهوتهم الأموال، والشهوات... ولقد توخى آل سعود الوهابيين، أن لا يبقى أي أثر وذكر للإسلام والمسلمين، كما أن لا يبقى للعرب والعروبة من تأريخهم إلا الاسم السعودي الوهابي المزيف، المهين، الأسود، القذر.

وفي ١٠ شعبان ١٣٤٨ هـ، اجتمع من قبيلة الصهقان، أحد بطون العجمان عدد كبير من أطفال ونساء، وقد خرجوا على ابن سعود، بعد أن فر رجالهم، إلى الكويت، فقاتلهم وكانت ضحايا المعركة من الأطفال والنساء ٧٤٣ وكل ماتبقى من الأطفال والنساء خمسة أطفال ذكور، وثلاث نساء، وأربع فتيات أعمارهن بين التاسعة والعاشر.

وفي عام ١٣٤٣ هـ، جهز آل سعود حملة قوامها عشرون ألفاً، لتأديب قبيلة بني مالك القاطنة في وادي مهور) فهجمت واديهم الأخضر، فأحرقته بالنار وقطعت أشجاره وهو من أخصب أودية الطائف في الحجاز، وأبادت قراه ومن فيها وقتلت نحو أربعة آلاف من الرجال، والنساء، والأطفال، وشرّدت ما تبقى من القبيلة وقوامها يزيد على العشرة آلاف نسمة. واستولت على عدد من النساء والصبيان، وردمت الآبار ودفنت الجداول، وأهلكت المزارع. وقد وصف صاحب كتاب (جزيرة العرب تتهم حكاهما) ما حلّ بهذه القبيلة من مأساة بقوله: — واكتسى الوادي بأدغال موحشة بدلا من أنسه، وصار مأوى للقردة والبوم، بعد قطانه وأبيدت زهاء ستين قرية لم يبق منها إلا الأطلال، فتوهمت أنني أمر بإقليم حلت به كارثة من كوارث الطبيعة عفت آثاره، ومحت معالمه، ومضت عليه بعدها ألوف السنين، حتى جاء من يكشفه وينقب عما أبقته الكارثة من رسومه وأصلاله).

وفي ١٠ ربيع الثاني ١٣٤٦ هـ قامت انتفاضة شعبية من قبل الطائفة الشيعية المعروفة (بالنخالة) الذين لم يصبروا على إهانات وجرائم العصابة السعودية، فأوفدوا إليهم الجزار الـ ودي عبد العزيز بن إبراهيم، فقتل وبدّد وفشلت ثورتهم وقتلوا منهم ما يزيد عن سبعة آلاف شخص رغم أن أكثر الشيعة، لم يشتركوا فيها وكان نصيب النساء والأطفال وافرا، من

هذه المجازر. وفرّ عدد كثير منهم إلى مصر، والاردن، والأقطار العربية. وكان السعوديون يعتدون على النساء عدواناً فاحشاً، بحجة إنهن نساء الكفار، وكان سهم قبائل جهينة، وبلي، والحويطات، وبني عطية كبيراً من ضحايا القتل السعودي والتشريد.

بعد هذه الإنتفاضة الشيعية الشعبية، أمرت العصابة باحتقار النخالة... وعدم مصاحبهم والإختلاف إليهم واستخدامهم في الفنادق والمحلات والبيوتات، وكذلك عدم السماح لهم بالعمل والكسب والتجارة، حتى يومنا هذا فلم يوجد منهم من يعمل في الدوائر الرسمية، ويعين في المشاغل الحكومية، وربما يستخدمون وتستخدمهم الدولة في أعمال حقيرة ومشاغل رذيلة.

وفي عام ١٢٨٦ هـ، عاثوا في وادي (الدواسر) ودمروا الآبار والبيوتات، وأحرقوا النخيل والأشجار، بعد أن قتلوا منهم ثلاثة آلاف من أبناء وادي الدواسر بحجة أنهم كفرة، رغم أن معظمهم قتل في المساجد غدرًا، وهم يؤدون صلاة الصبح وهذموا عليهم المساجد، وأحرقوا جثث المؤمنين بالنار التي أوقدها آل سعود بسقوف المساجد المهدومة على المصلين. وخرجوا على البيوت ونهبوها عن آخرها. وكانوا يقطعون أصابع أرجل الأطفال، ثم يقطعون أرجلهم ثم أصابع أيديهم ويتركونهم أحياء ليموتوا موتاً بطيئاً، وإمعاناً منهم في إرهاب البقية قاموا باستخراج عيون عدد من الأطفال بخنا جر (جند الإسلام الصحيح) المزعومين. ومن قبل حدث مثل هذه الكارثة عام ١١٧٩ هـ، على يد قائدهم محمد بن عبدالوهاب فحين زحف في آن واحد من نجران إلى (الدرعية) فإ من قبيلة أو مدينة أو قرية إلّا واتهمها بالكفر، وقتلهم باسم الكفر.

وفي ليلة ٢٧ رمضان ١٣٤١ هـ، قتلوا في مساجد قرية (الشعبية) المصلين في المساجد، وكان عددهم في هذه المجزرة ٣٧٩٠ شخصاً.

وفي منطقة الجليدة بالقرب من حائل قتلوا من المسلمين من عشيرة آل أسلم من قبيلة

شمر ٤١٠.

و ٥١٣ مسلماً من قبيلة عنزة القبيلة التي يزعم آل سعود، أنهم ينتمون إليها لكنها لفظتهم ورفضت أن يكون لهم بهم صلة القرى، فقاتلها آل سعود، وقتلوا منهم هذا العدد. ومذبحة أم غراميل، في شرقي حائل قتل فيها ٤١١ مسلماً.

وفي منطقة الغوطة بحائل ذبح ٣٧٥ مسلماً، وفي هذه المجزرة قال شعراء الشعب

العديد من القصائد.

وفي مذبحة تربة التي راح ضحيتها... ر ٤٠ مسلماً، جميعهم من المسلمين، ومن أتباع

الشريف حسين بن علي الذي كان يحكم الحجاز حتى عام ١٩٢٥ م ١٣٤٤ هـ، حينما سلم الإستعمار عرشه لآل سعود.

وفي مجزة اشتهرت بمذبحة الطائف والحوية قتل فيها ١٥/٠٠٠ ومعظمهم من أطفال ونساء مكة، الذين كانوا يصطافون في الطائف ومن أهل الطائف.

قتل ٢٨٠٠ شخص من جنود الشريف علي بن الحسين، في حصار الطائف وكانوا من أهل جدّة.

وفي مناطق القصيم مايزيد على ٢٧/٠٠٠ شخص، فقد جمعهم في الصحراء، وقتلهم بما فيهم الأطفال والنساء.

وفي مجزة النيصية، والوقيد، والجثامية ١٠/٠٠٠ من قبيلة شمر وأهن حائل.

وفي مناطق عسير وتهامة أكثر من ٥٠/٠٠٠ مسلم.

وفي وادي تنومه أكثر من ١٢٠٠ يماني، بعد أن قدموا للحج.

وفي وادي بني مالك في الطائف قتل ٧٠٠٠ عربي مسلم، وهدم ٧٠ قرية من قراهم.

وفي عام ١٩٥٣ م ١٣٧٢ هـ، في جبل القهر الواقع جنوب الحجاز قتلوا ١٥٢٠ مسلماً، من قبائل الريث.

وفي معركة الجهراء في الكويت، حيث قتل من أهل الكويت، وقبائل الجزيرة

العربية ما يقارب ١٠٠٠ عربي مسلم.

وفي مذبحة السبله. وأم الرضمة. قتلوا من قبيلة مطير وعتيبة ٥٠٠٠ عربي مسلم،

وبعد قتلهم قتلوا شيوخهم، ومنهم فيصل الدويش، وسلطان بن بجاد.

وقتلوا أكثر من ٣٠٠٠ مسلم من قبيلة العجمان، في معارك عديدة معروفة، وقتلوا

عدداً من شيوخ العجمان، منهم نايف، وصيدان بن حثلين.

وفي ثورة ابن رفادة قتلوا أكثر من ٧٠٠٠ من قبائل الحويطات، وبني عطية، وجهينة،

وبلي. وشردوا الآلاف منهم.

وفي التاريخ السعودي الوهابي الآثم... الكثير من المذابح والمجازر الدامية التي راح

ضحيتها أكثر من مليوني عربي، ومسلم من الحضر والبادية.

حركة النخالة في المدينة المنورة..؟

من البيوتات والقبائل العربية الإسلامية الأصيلة، والعريقة المعروفة في المدينة المنورة

(بيت النخلي) والعوام يقولون: (النخولي) وهو المشهور اليوم. نسبة إلى صناعة فلاحة النخيل،

وهم طوائف كثيرة، وخلائق كبيرة، وكلهم من الشيعة الإمامية الحقّة، وبينهم غاية المحبة  
وكمال الالفة والحنان، مع ابتعادهم وعدم اختلاطهم بالسنة والوهابية... واطلق عليهم اسم  
النخولي لا تقانهم فلاحة النخيل، بحيث لا يكادون يحسنون غيرها، ولا تصلح إلّا بهم غالباً،  
ولهم قدم بالمدينة الطيبة، وينتمون إلى الذريّة الطاهرة عليهم السلام، وهم حسنيون،  
وحسينيون، الذين فتحوا باب النضال والكفاح على مصراعيه لغيرهم، وقادوا خلال القرون  
السّالفة تلك الثورات العارمة التي كادت تطيح بالحكم الأموي الدامي، والعباسيين  
الفجرة... وتدفعهم إلى الإنهيار في بعض الفترات.

وقد جاء في بعض النصوص التاريخية أن الإمام موسى بن جعفر الصادق  
عليهم السلام، كان يعيل خلال إقامته في المدينة الشريفة بخمسمائة عائلة متكوّنة من أرامل  
وأطفال وأيتام بني حسن، في المدينة ويدفع نفقاتهم باستمرار. ولما طلبه هارون الرشيد  
العباسي، وأشخصه إلى بغداد تكفل نفقات الطالبين ابنه الإمام علي بن موسى الرضا  
عليه السلام (٢٤) وهكذا امتدّت جذورهم وفروعهم الكريمة إلى يومنا هذا، وأقاموا في المدينة  
يعملون ويكدحون رغم ما أصابهم من ظروف الحياة القاسية، وأوزار وجرائم العصابات  
الحاكمة فيها، فقد قتل العباسيون هؤلاء واستأصلوا شأفتهم، وحبسوه في غياهب الجب  
وأعمال السجون.

أما في العهد السعودي... الأسود فقد عاملوهم معاملة العبيد والاماء، وما زالت  
العصابة الوهابية تكرر جهودها الفاشلة، ومساعدتها المبتورة، وتجار وأذئاب دينها تحقرهم  
وتحاربهم سواء في مناطق الإحساء والقطيف، أو في المدينة. بل إنّ واحداً من أقدر مبررات  
آل سعود في غزورهم لمنطقة حائل، وجود خمسة (مشاهدة) أي من أبناء المشهد (النجف)،  
وكانوا يقيمون في حائل وهذا ما يثبت كفر أهل حائل وقبيلة شمر، لكون المشاهدة من  
الشيعة، والشيعة حسب عرفهم الخبيث كفر... كما أفتى تجار دينهم بذلك، ومنهم الوهابي  
الفاحش عبدالرحمن بن عبدالكريم المدني الحنفي المتوفى ١١٩٥ هـ، فقال في كتابه: (تحفة  
المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب) مانصه—،

— بيت النخلي، وكلهم شيعة شنيعة. وغالهم جهلة لا يكادون يفهمون شيئاً من  
مذهب الرافضة. وإنّما وجدوا آباءهم على أمة وهم على آثارهم مقتدون. وهم معهم بلا شك  
في النار يحشرون. وعلامات رفضهم وبغضهم كثيرة، منها الشهرة، وعدم إدخال أطفالهم  
الحجرة، وعدم ادخال جنائزهم إلى الحرم، وكل ذلك لوجود الشيخين فيها. ولا يدفنون  
موتاهم بين أهل السنة. ولا يحضرون جنائزهم، ولا يغسلهم، ولا يحضرهم أحد من أهل

السنة. ولا يسمون أحداً من أولادهم أبابكر، ولا عمر، ولا عائشة، ولا حفصة. ولا يتزوجون ولا يتزوجون أحداً من أهل السنة. ومنها عدم صلاتهم التراويح في شهر رمضان. وقد شاع وذاع وملاً الأسماع أن أصلهم من بقايا أولاد النساء اللواتي حملن بالزنا في قضية الحرة المشهورة في أيام الخبيث يزيد بن معاوية قبحة الله، حين استباح المدينة قتلاً ونهباً وفسقاً وسلباً. وقيل: أن النخالة بعضهم أصلهم من العبيد، وبعضهم من الهنود، وبعضهم من اليمن، وبعضهم من المغرب، وبعضهم من مصر، وبعضهم من الحجاز وغير ذلك (٢٥).

إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون. أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون. لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون (٢٦).

هذا وإن ننسى فسوف لن ينس التاريخ ذلك المشهد المروع الذي أشرف عليه عبدالله الفيصل، وزير الداخلية سابقاً، وابن الملك فيصل، حيناً تجمهر هؤلاء الفلاحين النخالة في المدينة سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م، مطالبين بإنصافهم وبعدم تحقيرهم — كبشر — وإيقاف ملاحقة رجال الدين السعودي لهم بتهمة إنهم (شيعية ونخالة) فانقل عبدالله الفيصل، من جده بطائرة خاصة إلى المدينة، ومعه مجموعة من الجنود والعبيد، وهاجوا الفلاحين في أكواخهم في داخل البلد، وأشبعوهم تعذيباً، ثم ربطوا أيدي بعضهم كما ربطوا أرجلهم بحبال لمؤخرة السيارات لتجرهم وتسحلهم من مكان حقولهم عبر الشوارع... وبعد ذلك اعتقلت الوهابية العديد منهم مما أدى إلى وفاة بعضهم، من جراء التعذيب في السجون السعودية. وخلال ذلك العذاب لم يكف وزير الداخلية. وجلاديه عن تحقير أولئك الفلاحين المساكين بشتى المسبات وترديد كلمة (يا نخالة يا شيعية) وكان الإحتلال السعودي هو الذي حول إسم (النخلي) إلى إسم النخولي، وجعل كلمة (نخولي) أي (فلاح النخيل) من أكبر الشتائم التي توجه حتى للذين لا يعملون في النخيل.

كقولهم: (روح يا نخولي) وذلك حينما يسخر شخص من آخر. وكانت لهؤلاء الفلاحين في المدينة نقابة في عهد الحكم العثماني للبلاد ألغاه الإحتلال السعودي في اليوم الأول لا حتلاله البلاد.

ولعدم إرتضاءهم بالحكم السعودي الوهابي الأسود..؟ كانت لهم في المدينة انتفاضات ضد العصاة وزبانيتهما، الذين لا قوا على أيديهم أنواع الإعتداءات بتهمة أنهم من (الشيعية) وإنهم ضد سلب السعودية لحقوقهم. وهذا ما جعل الإحتلال السعودي يعمل لحل نقابتهم، ومحقرهم ويمارس معهم أنواع بطشه، ويقطع العديد من أيديهم، وأرجلهم بحجة أنهم

من يحاربون الله ورسوله. والمقصود بكلمة (رسله) هذه - آل سعود. ونظراً لإشاعة روح الفتنة بين المواطنين أصبحت كلمة (النخوي) عند الحجازيين أكثر تحقيراً من كلمة (عميل أمريكا، واسرائيل) التهمة التي لم يعتقل أي شخص بموجبها في المملكة السعودية، مملكة أمريكا، والصهاينة.

وكلمة (نخوي) ينعت بها البعض للتقليل من قيمة المنعوت كشتيمة له... إلا أن الشتيمة (بالفلاح النخوي) بدأت تحتفى نسبياً في المدينة بعد أن أدرك الجيل الواعي أن معنى كلمة (نخوي) لا تعني إلا (النخيلي) أي الفلاح العامل بالنخيل، وإن كلمة (شيعي) لا تعني إلا أنه من شيعة ذلك البطل العظيم المثالي في ثورته على الظلم والفساد... وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده دون أي فصل واختلاف، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام... ابن الجزيرة العربية، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين، وأول القوم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأعظمهم مزية، وأقومهم بأمر الله، وأعلمهم بالقضية، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات الله، وليد الكعبة المشرفة، ومظهرها من كل وثن وصنم، والشهيد في البيت الالهي جامع الكوفة... الأعلم الذي ضحى بنفسه وأولاده، وصحبه في سبيل سعادة البشرية والإنسانية في الدارين، وإنقاذها من مغالب الجاهلية والإستعباد والإستثمار.

أما المتأرخ الضئيل إبراهيم رفعت باشا المتوفى ١٩٣٥/١٣٥٤ ذكر في كتابه إسم النخالة، فقال فيهم مالفظه: - والبساتين، والحقول، يقوم بحراستها والخدمة فيها ورعى مواشياً، بل بالخدمة في البيوت أيضاً جماعة من ذرية الأعجام يسمون النخولة، وهؤلاء بالمدينة أشبه بالفلاحين في مصرنا، ولولاهم ماقامت الزراعة، وهم رافضة يبغضون أبابكر وعمر، واحتقاراً لهم وعقاباً على نزعهم الباطلة، كلفهم رئيس البلدية بأن يقوموا بطرد الكلاب من حول المسجد النبوي، ويجتمع بهم الأعجام، في موسم الحج، ويؤجرون منهم الدور بما فيها (٢٧).

(وليحملن ألقابهم وألقاباً مع ألقابهم، وليسلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) (٢٨). وبعد هذا الفتك الفضيع والبطش الذريع الدامي الذي حفظه التاريخ للأجيال والأجيال... هل يتشقق حكام السعودية بالقول المزعوم لأحدهم: - لقد ائتمني الله على خدمة الحرمين الشريفين وأوكلني بهما... وعلى الأصد قاء إعانتنا لحمايتها من المخربين والثوريين والإشراكين والشيعيين)؟.

وهل يتراجع أديعاء التأليف والتأريخ الذين باعوا ضمائرهم للعملاء، وزيفوا



التأريخ وجاؤا بالإفك والكذب لتبرير جرائمهم، وفحشائهم، وتشببت عروشهم الواهة  
المكروهة... عن مثل هذه الأكاذيب والإفترقات الخادعة

وهل سيستيقظ ضمائرهم المعذبة، وتعود إلى رشدها وهدايا أم ستتابع غيا  
وضلالها، ليكونوا لجهنم من الداخرين...؟.

ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أركى لكم وأظهر (٢٩).

\*\*\*

إنتفاضة المسجد الحرام..؟

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى).

فتية تدرعت بقوة العقيدة، وتسلمت بسلاح الإيمان، وتجنّدت بروح القرآن...  
أقامت كتلة موحدة ركيزة وراحت تعمل على الصعيد الإسلامي، وتدعو الشبيبة للمقاومة  
والمشابرة، وإنقاذ وتطهير الجزيرة الإسلامية، والأراضي المقدسة من مكائد الصهاينة،  
ورواسب وسيطرة الاستعمار، فأرسلت بصرخاتها في الوطن الإسلامي الكبير، فاستجابت لها  
قلوب جموع غفيرة من الشبيبة المتطلعة إلى المجتمع الإسلامي الأفضل، والتكتل والتضامن  
العقائدي الذي يستطيع المسلمون على هديه، أن يكونوا أنفسهم وعقيدتهم ويحموا سلامتهم من  
ناحية، ولكي يكون وثبتهم ونهضتهم، مستمدة من روح عقيدة الإسلام والقرآن من ناحية  
ثانية، ويتعاونوا ويتضامنوا في ميادين عديدة مشتركة بينهم، لخيرهم جميعاً وخير البشرية من  
ناحية ثالثة.

إنّ التعبئة الإسلامية على مر الأيام تبلورت في أفكار الشبيبة، وأصبحوا فيما بينهم  
باتصال وثيق مترابط ومتعاقد، والهدف في المرحلة الأولى تحويل المجتمع السعودي المنهار إلى  
خلية إسلامية عاملة، حية عاملة متحررة من العوز والفقر والجهل، ومتمسكة بالقيم  
الروحية... مجتمع إسلامي متحرر من الفقر والمرض والتخلف، ويصبح في النهاية في مصاف  
الدول الإسلامية العصرية المتقدمة... ويحوّلوا الشعب من العبودية إلى الإنطلاق فيدافع عن  
الوطن كل اعتداء، ويصد الغازي، ويرهب الطامع، ويكون أهلاً للإسهام مع الجيوش  
الإسلامية في ميدان الواجب الإسلامي، والوطني فيعمل في نصرة شعب فلسطين في استرداد  
حقوقه المشروعة المغتصبة... وواجب الدفاع عن النفس والوطن في حقل كسر شوكة التطلع  
الإسرائيلي إلى المزيد من التوسع والإغتصاب.

ومها يكن من أمر فالطليعة الإسلامية بوازع من هذه القيم، انطلقت لتحرير البيت  
الحرام (مكة) في المرحلة الأولى، لأنها القبلة المقدسة للمسلمين، وأول بيت وضع للناس

ببكرة... ومن ثم تطهير وإنقاذ بقية الأراضي الإسلامية. وهنا أترك الحديث لمنظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية... لتتحدث هي عن إنتفاضة الحرم. ففي اليوم الأول من العام ١٤٠٠ هـ فوجئ العالم، بإقتحام الحرم الشريف في مكة المكرمة فاتجهت الأبصار إلى أرض المقدسات...

إنّ عملية الحرم، إنّما هي جزء من سلسلة عمليات جاءت وفق تخطيط كبير، وواسع أريد له أن يشمل أغلب مناطق الجزيرة، وتشارك فيه قطعات عديدة معارضة من الشعب... وهذا التخطيط كان المفروض فيه أن تشارك ثلاث قوى رئيسية:

- ١ - جماعة الأخوان، وهي المحرك الأساسي للجماعات الأخرى، حيث أنّها تمتلك عناصر كثيرة ومنتشرة، كما أنّ قيادة هذا التخطيط كانت تتولاها هذه المجموعة.
- ٢ - الجماعة الثانية، متكوّنة من مجموعة قبائل، تشمل عتيبة، وقحطان، وقيام.
- ٣ - الجماعة الثالثة، وتضم عناصر خيرة من الجيش والحرس الوطني، ولها إتصالات بجماعة الإخوان... وكان من المقرر أن تتحرك هذه المجموعات وفق خطة مدروسة، وأن تقوم كل مجموعة بمسؤولياتها المحددة... ومنها:

١ - ترتيب عمليات لاختطاف الملك، وهذا الترتيب أعد على احتمالات تواجد الملك في الرياض، والطائف، أو مكة، وقد بنت المجموعات احتمالاتها على أساس أن تواجد الملك في الرياض سيكون في قصره. وفي الطائف سيكون في قصر الحوية، أما حال تواجده في مكة فإنّه سيكون في قصر الإمارة، أو حاضراً لصلاة الصبح في الحرم. وقد وقعت عدة أحداث تشير إلى وجود هذا التخطيط... ففي الرياض انفجرت قبلة في القصر الملكي، وحصلت توترات صبيحة الإلتجاء إلى الحرم في الرياض. أما في الطائف مصيف الملك، فقد نشبت اشتباكات بين القوات السعودية، وجماعة الإخوان، واحتل على اثر هذه الإشتباكات مطار الحوية. أما في مكة فبالإضافة إلى إحتلال المسجد الحرام، والتخطيط لإلقاء القبض على الملك إذا ما كان هناك كانت هناك محاولة للاستيلاء على أذاعة القرآن الكريم، والسيطرة على قصر الإمارة... وقد نقلت بعض الأنباء أن طلقات مدافع رشاشة، وجهت نحو الطائرات من جبل أبي قبيس المطل على مكة المكرمة.

ب - كان من خططهم القيام بعدة عمليات ثورية في المدينة المنورة، ومدن أخرى، كما تناقلت الوكالات أنباء محاولة إحتلال مسجد الرسول (ص) في المدينة المنورة، في نفس الوقت الذي أعلن الشهيد جهيمان، إحتلال المسجد الحرام في مكة.

ج - تحرك القوات العسكرية من قواعدها، وقد أراد قائد القاعدة الجوية في تبوك

التحرك إلا أن السلطات ألقت القبض عليه، وعلى عدد من الطيارين، بينما فر ضباط آخرون إلى الخارج، كما أن قوات الحرس الملكي احتلت القاعدة الجوية في الطائف، واعتقلت قادتها، وعدد من ضباطها، بعد أن كانت القوات المرابطة فيها قد بدأت تتحرك لدعم الإنتفاضة من جانب آخر، حاصرت قوات الجيش المدرعة، معسكرات الحرس الوطني في طريق المدينة، وشمال عسير.

هذه هي جوانب عملية الإنتفاضة التي كانت مقررة، بحيث تبدأ المجموعة الأولى، والثانية لهيئة الأجواء لتحرك العسكريين بالضربة القاضية.

وهذه هي الخطة التي يمكن إستنتاجها من مختلف الأحداث والأنباء، ولكن كيف لم تتم الخطة بالشكل المطلوب..؟ وأين كان الخطأ..؟ فهذا ما نرجو أن يتضح ليكون عبرة ودرساتستفيد منه الحركات الثورية الأخرى. ومن المؤكد أن أحداثا كبيرة، وقعت أثناء ثورة الحرم، بيد أن السلطة استطاعت مواراتها واخفائها في قبر الصمت والتعتيم الإعلامي، بينما كان حادث الحرم عصياً على التعتيم.

لماذا اختيار الحرم..؟

إن اختيار المكان يحدّد بدقّة نوعية الصراع، فهو صراع بين الإسلام والكفر... بين إسلام محمد (ص)، وإسلام كارتر الذي تحاول السلطة تزريقه في المجتمع، وبالطبع فإنّ إسلام إمريكا يحاول التغطية على المسلمين الأصليين وبث الدعايات ولف الأكاذيب والإفتراءات حولهم، ولهذا كان اختيار الحرم لهدفين أساسيين:

١ - أن يخرجوا السلطة التي تدّعي الإسلام إذا ما قتلهم في الحرم، وهم لاجئون معتصمون.

٢ - إعطاء القضية بعداً إعلامياً لا تستطيع السلطة التستر عليه، وإلا فالستار الحديدي الذي تفرضه السلطة السعودية على الأحداث لا نظير له في هذا العالم... وجرأة المسؤولين السعوديين على إنكار أضخم الأحداث، لا مثيل لها في تاريخ الطغاة، وأقرب مثال لنا ما حدث في المنطقة الشرقية أثناء ثورة الحرم، من انتفاضة جماهيرية إستمرت ستة أيام من السادس وحتى الحادي عشر من المحرم... وكانت التظاهرات والمسيرات تضم عشرات الألوف من أبناء الشعب رجالاً ونساءً، تساقط خلالها عشرات الشهداء، ومئات الجرحى بينما غصت السجون بالمعتقلين، وأعلنت الحكومة الأحكام العرفية في المنطقة، ومع ذلك صرّح وزير الإعلام بكل وقاحة، أنه لم يحدث شيء يذكر هناك .

بقى أن نضيف أنهم كانوا يمتثلون وجود ملك النظام السعودي في الحرم عند صلاة الصبح، في ذلك اليوم فيلقون القبض عليه، بالإضافة إلى الإستفادة من تجمع الحجاج المسلمين، من مختلف بقاع العالم هناك ... لذلك ولأسباب أخرى أعلنوا الإعصام في الحرم، وكل ظنهم أن السلطة ستستجيب لمطالبهم، بالتفاهم والتفاوض السياسي، نظراً لصعوبة قتالهم وهم في الحرم من الناحية الدينية.

ولكن لأن الاحتمال الآخر وارد من قبل السلطة، وهو إستعمال العنف فقد أخذ المجاهدون إستعدادهم الكامل لمواجهة هذا الإحتمال.

### خطوات قبل العملية..؟

تطبيقاً لما أمر الله تعالى به في كتابه الكريم: (يا أيها الذين آمنواخذوا وحذركم) وقوله: (رخذوا وحذركم إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً) وقوله تعالى: (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) ومن هذا المنطلق القرآني كان استعداد المجاهدين تحسباً لأي طارئ نظراً لعدم ثقتهم في السلطة الكافرة... كان من ضمن إستعداداتهم:

١ - الحصول على خارطة هندسية مفصلة للحرم، ودراستها لمعرفة المواقع الإستراتيجية الهامة، وترتيب خطط الدفاع عليها إذا ماهاجمتهم قوات النظام، ولهذا تكبدت السلطة الظالمة خسائر فادحة، لعدم معرفتها بخريطة الحرم المكّي.

٢ - وصلت مجموعات من المجاهدين إلى المسجد الحرام، قبل أسابيع من تنفيذ العملية، وأعدت مستودعات للأغذية والذخيرة التي كانت تهرب إليها، بمختلف الوسائل ومنها التوايت.

٣ - توفير الأقنعة الحديثة غير المتوفرة إلا لدى الجيوش النظامية، لمواجهة قنابل الغاز المسيل للدموع، والقنابل المشتعلة الحارقة للأوكسجين.

كما أن قوات الحرس التي حاصرت الحرم في الاسبوع الأول من الإحتلال، قد زوّدت الشوار بالأقنعة الواقعية، والذخيرة مما يدلّ على ترتيب مسبق مع ضباط في الحرس الوطني بهذا الشأن.

### هكذا تمت عملية احتلال الحرم..؟

قبيل إنبلاج الضوء الأول من صباح يوم الثلاثاء، اليوم الأول من أيام القرن الهجري الجديد (١٤٠٠) كان عدد كبير من السيارات تنزل ركابها في الشارع المحيط بالمسجد

الحرام، حيث إتجه حوالي (١٠٠٠) مسلح إلى داخل الحرم الذي كانت تقام فيه صلاة الفجر، بإمامة الشيخ محمد بن سبيل، وبينما كانت تتعالى هتافات الثوار الذين سيطروا على ساحة المسجد بنداء العزة، الله أكبر... كانت مجموعات اخرى تقوم بإغلاق أبواب الحرم، واعتقال رجال الأمن الذين يحرسونها، بينما اتجهت مجموعة ثالثة إلى الطوابق العليا، من مآذن المسجد الضاربة إرتفاعا في أجواء مكة.

أما في الخارج فكانت هناك مجموعات من الثوار، تتخذ مواقعها في جبل أبي قبيس المطل على مكة، لتأمين الحماية الخلقية. وهناك أنباء أن الثوار كانوا موجودين أيضاً في عدد من البيوت المحيطة بالحرم.

في داخل الحرم، كانت مجموعة كبيرة من رجال الشرطة السرية (المباحث) حاولت التصدي للثوار بأساحتها الخفيفة المكوّنة غالباً من المسدسات والعصى، إلا أن نيران الثوار كانت من القوة بحيث اضطر جلاوزة السلطة إلى الفرار، كما قتل أحدهم وجرح آخرون، بينما كان الثوار يوزعون براميلهم المملوءة بالتمر في مختلف أنحاء المسجد.

وأسلحة الثوار كانت تتكوّن بصورة رئيسية من البنادق الاتوماتيكية. بعض الرشاشات الثقيلة. بنادق قديمة، مسدسات، وخناجر.

أمام باب الكعبة الشريفة كان أحد الثوار يلقي من خلال مكبر صوت (ميكروفون) المسجد، مطالب الثوار التي تنحصر في النقاط التالية:

١ - تصفية مظاهر الثقافة والتقاليد، والقيم المستوردة من الغرب. ونشر الثقافة، والقيم الإسلامية العادلة. وقطع العلاقات مع دول الغرب الإستعمارية.

٢ - إسقاط الحكم الملكي الوراثي، وإقامة حكومة إسلامية. ومحكمة اسرة آل سعود الخائنة. ومصادرة أموالهم المسروقة من قوت الشعب.

٣ - إعلان كفر الملك خالد، واسرته الذين حكموا بغير ما أنزل الله، وجعلوا البلاد مرتعاً للإستعماريين، والشركات الأجنبية.

٤ - وقف تصدير البترول إلى الولايات المتحدة لمواقفها المعادية للإسلام والمسلمين. وتخفيض الإنتاج، بحيث يتناسب مع حاجة البلد، وللحيلولة دون إهدار الثروة الوطنية.

٥ - إخراج كافة الخبراء، والمستشارين العسكريين الأجانب، الذين يسيطرون على الجزيرة العربية. وتصفية القواعد العسكرية الأجنبية.

## تشويه أهداف الإنتفاضة..؟

لقد حاولت السلطة التعمية على مطالب الثوار الحقيقية، كما حاولت التغطية على الأبعاد السياسية للعملية، حيث صرح وزير الداخلية نايف (أن الحادث أبعد ما يكون عن أي مضمون سياسي) وصرح فهد أن: (ليس للجماعة أهداف ومطالب عدا المهدي المنتظر... وأن المسألة لا تعدو كونها أحلاماً وكلام فاضى) كما صرح الأمير سلمان بن عبدالعزيز (أنهم - أي الثوار - أشخاص اتحدوا ضمن هدف شرير ليس إلا) كما قال وزير الداخلية أيضاً: (إنهم لم يرفعوا أي شعار سياسي، ولم يطالبوا بقطع البترول عن الولايات المتحدة) كما صرح فهد بعد ذلك: (إنهم قاتلوا من أجل تحقيق البيعة للمهدي المنتظر وحسب).

إنّ البيان الأوّل للحكومة، والذي صدر بتاريخ ١١/٢١/١٩٧٩ م وصف الثوار بأنهم (زمرة الخارجين عن الدين الإسلامي) كما وصفهم نايف... بالخروج عن الدين كغيره من الوزراء، والأمرء، فإذا كانوا خارجين عن الإسلام، فكيف يطالبون بمبايعة المهدي المنتظر... الذي يؤمن به المسلمون على اختلاف مذاهبهم.

لقد بات من المؤكد لدى جميع الصحف، ووكالات الأنباء، أن للثوار مطالب سياسية ذكرنا بعضها في الصفحات السابقة... فقد أكد مراسل وكالة الأنباء الفرنسية في جدة: (بأنه أصبح من المؤكد أن هناك أهداف سياسية للمتمردين) كما إن جريدة النهار اللبنانية هي الاخرى شككت في عدم وجود مطالب سياسية فقالت: (باتت النظرية الرسمية القائلة أن عملية مكة بعيدة عن أي دوافع سياسية، موضع تشكيك في الأوساط المطلعة في جدة) وأضافت نقلاً عن الواشنطن بوست: (أن الهجوم المسلح على المسجد الحرام يعتبر تحدياً مباشراً للحكومة السعودية، ولحقها في الحكم. ومن الصعب ارتكاب خطأ أكبر من اعتبار الحادث حلقة معزولة من الهستيريا الظلامية تنتهي بعودة الأمن) وأكملت الصحيفة حديثها في وقت لاحق فقالت: (إنّ أهداف حركة الحرم الشريف صورت ظهوراً للمهدي المنتظر... ولكن الأهداف السياسية لم تغب عنها).

والطريف أن مسؤولاً سعودياً، صرّح لمجلة (نيوزويك الأمريكية) أن هدف الجماعة التي إحتلت المسجد الحرام، كان لبث القلاقل وعدم الإستقرار في الجزيرة العربية. وحتماً فإنّه حتى هذا الهدف لا يعتبر سياسياً في نظر جهابذة السلطة السعودية. وفي الواقع لقد حاول الإعلام السعودي، أن يجعل من قضية المهدي المنتظر...

الرئيسية لثورة الحرم فقد كان يوجه الأذهان إلى أن مبايعة المهدي كانت الهدف الوحيد للثوار كما أن مناقشة فكرة المهديوية أصبحت الميدان الوحيد للتحليل والبحث في وسائل الإعلام السعودي، فكانت صحف النظام تطرح فكرة المهديوية بشكل رئيسي، على صفحاتها في تلك الفترة، والعلماء والخطباء المرتبطون بالسلطة، يركزون على هذا الموضوع في كل خطبهم وأحاديثهم... وحتى أنه صدرت مجموعة من الكتب لمعالجة فكرة المهدي بعد الحادث.

فما هو هدف السلطة السعودية من التركيز على هذا الموضوع بالذات؟ وفي الواقع أن لها أهداف عدة فقد أرادت أن تضرب عدة عصافير بحجر كذبة واحدة.

١ - لتجرد عملية الحرم من أي طابع سياسي، أو اجتماعي، ولتضفي عليها طابعاً دينياً ذو أبعاد ضيقة.

٢ - لتشتت به كل المسلمين. حيث أن المذاهب الإسلامية تختلف في تفاصيل موضوع المهديوية... وأن تركيز الإعلام على هذا الموضوع سيثير هذه الاختلافات، ويعزل الثوار عن تأييد بقية المسلمين.

٣ - وأخيراً فهي تفسح المجال لإشغال الرأي العام، بقضية ثانوية عن القضايا الخطيرة الأساسية التي طرحها ثورة الحرم، والمتمثلة في جذور الإنتفاضة، ودوافعها السياسية والاجتماعية والإقتصادية التي تحكم حياة الجماهير في الجزيرة العربية.

### جنسية الثوار..؟

رغم أنه بالنسبة لحركة الأخوان أو بالنسبة لنا كحركة إسلامية عقائدية، لا اعتبار لجنسية المناضل ذلك أن الجهاد في سبيل الله، ونصرة مستضعفي الأرض فوق الجنسيات والحدود الإقليمية والعرقية، إلا أن النظام السعودي العميل حاول إستغلال مسألة جنسية الثوار، والتركيز على أنهم غيرسعوديين، للإيهام بأنه لا معارضة ثورية إسلامية في داخل الجزيرة العربية، كما أن الحكومة الأمريكية حاولت تشويه سمعة الثورة الإسلامية في إيران بالأشارة إلى أن الثوار إيرانيون. كما صرّح بذلك مصدر رسمي في واشنطن. أما المسؤولون السعوديون فقد صرّحوا بعد أيام من بدأ العملية أن بعض الثوار سعوديون، كما أن أنورالسادات الرئيس المصري قال: أن الثوار من الشيعة الإيرانيين. وفي الواقع فإنّ الحكومة قد وقعت في مأرق لا تدري كيف تتصرّف للتخلص والخروج منها، حتى أن المراقبين والصحفيين الذين حضروا جلسات مؤتمر قادة العرب المنعقد آنذاك في تونس لا حظوا الوجوم الشديد، المرتسم على وجه الأمير فهد، ولي العهد السعودي الذي كان يمثل النظام في المؤتمر. وكيف ان مشاركته في

المباحثات قد كادت أن تتلاشى مما تسبب في استثناء مشاريع قرارات مهمة من البحث، لعدم امكان مشاركة الوفد السعودي فيها. ونشير هنا إلى قضية مشروع القرار بشأن لبنان الذي كان الوفد اللبناني يريد طرحه بدعم من السعودية.

على أن مرور اليومين الأولين، على بدء العملية أزال ذلك الغموض حول جنسية الثوار، وأظهر أن ثلاثة أرباعهم كانوا من الجزيرة العربية، وأنهم ينتمون إلى قبائل عربية صميمة، من قبائل الجزيرة، مثل: عتيبة، يام، مطير، شمر، عنيزة، وقد ظهر ذلك حتى للصحف الأجنبية، حيث كتبت الأهرام القاهرية (أن المسلحين هم من أفراد قبيلة عتيبة الذين يعارضون حكم آل سعود طوال الـ (٥٣) عاماً الماضية).

وكما كان تحبب الأعلام السعودي، بالنسبة لجنسية الثوار كان كذلك بالنسبة لعدددهم ومجموعهم. فزعم أن إمام الحرم الشيخ محمد بن سبيل قد أكد أنهم يبلغون ألف ثائر، إلا أن الأمير نايف صرح تصريحاً مضحكاً جداً في لقائه مع طلبة جامعة الرياض يوم ١٩٨٠/١/٨ م، فقد قال: إنهم مجموعة من الأشخاص لا يزيد عددهم عن أصابع اليد الواحدة... إتفقوا على أن يدخلوا الحرم.

والمضحك أن أحد أعضاء الوفد السعودي في مؤتمر تونس، صرح لمراسل (الأنوار) اللبنانية أن عدد الثوار يبلغ ثلاثين شخصاً في نفس اليوم الذي كان مسئول آخر سعودي يصرح لإذاعة (مونت كارلو) بأن عددهم يتراوح بين ٢٠٠ - ٣٠٠ مسلح، حتى أن مسئول الإعلام في قيادة القوات الخاصة التي كانت تقود عمليات قمع الإنتفاضة قد اضطر كمخرج من حيرته للتصريح بأن الثوار كانوا بين ٢٠٠ - ٥٠٠ شخصاً، وما أدق هذا التقدير.

على أننا نؤكد ومن خلال معلوماتنا بأن عدد الثوار بما فيهم ألك الذين كانوا في الجبال المحيطة، وبما فيهم جنود الحرس الوطني الذين انضموا إليهم فيما بعد يبلغ ٢٠٠٠ ثائر وأن حوالي ١٠٠٠ منهم قد استطاعوا الخروج من الحصار المضروب حول الحرم، بقيادة الرجل الثاني في الحركة (محمد بن عبدالله القحطاني) الذي أشاعت السلطة أنه قتل، لكن معلوماتنا تؤكد أنه على قيد الحياة، وقد أجرت بعض الجهات في داخل الجزيرة تحقيقات حول هذا الموضوع وتأكدت من المعلومات السابقة، وحتى الصورة التي نشرتها السلطة على أنها صورته لم تكن في الحقيقة صورته أبداً.

من أين حصل المجاهدون على الأسلحة..؟

لم يكتف الثوار بقوة الإيمان المترسخ في نفوسهم، بل مازجوا بينها وبين قوة السلاح،



واستعدوا لمواجهة النظام إمتثالا لقوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم).

ذكرت مجلة النهار العربي، والدولي أن الأمير فهد قال: (إن السلاح سوفيتي والتحريض كذلك) بينما ذكر وزير الخارجية سعود الفيصل، في وقت سابق: (أنّ السلاح الذي يحملونه هو من نوع السلاح الخفيف المتواجد، والمنتشر، ولذلك لا يمكن إعطاء هذا الحادث أي بعد أمني خاص) وتلاه نايف بقوله: (بالنسبة إلى الأسلحة فليست هناك كميات كبيرة بل هي أسلحة موجودة في البلد - ومضى قائلاً: (ولكنها طبعاً أسلحة مميتة وهي رشاشات متنوعة منها صناعة شرقية، وصناعة غربية، وعددها محدود، وكذلك بنادق قديمة مما يستعمل في البلد، ومسدسات - وأوضح مكملاً - أنه ليس غريباً أن يوجد مع هؤلاء السلاح بسبب وجود الأسلحة لدى الكثير من المواطنين في المملكة.

ويلاحظ من هذه التصريحات أن المسؤولين من الأمراء ركزوا في أحاديثهم على

مايلي:

١ - أن السلاح من الداخل ومتوقّر.

٢ - أنّ السلاح عادي ومتنوع.

فحينما ذكروا أنه من الداخل، كانوا يقصدون من ذلك أن حدود البلاد محصنة، وأضافوا عليها متوقّر كي لا يتسائل أحد من أن هذه الأسلحة سرقت من الثكنات العسكرية، ومنعاً من الإلتباس كان لا بد من ذكر مصدر الأسلحة فإذا كانت الأسلحة ليست من الخارج، وليست من الثكنات فمن أين تكون..؟ فكان الجواب السعودي: بأنها أسلحة عادية، ومتنوعة وقديمة ومتواجدة منذ الحرب اليمنية عام ١٩٦٤ م.

والواقع أن الأسلحة التي كانت في حوزة المجاهدين حصلوا عليها من طريقتين:

١ - التهريب من الداخل، أي من داخل ثكنات الجيش، ومصانع الأسلحة والذخيرة، ولقد أغلق لهذا السبب مصنع الأسلحة والذخيرة في الخرج. كما أغلق مصنع المتفجرات المشترك بين السعودية والسويد، علماً بأن السلاح لا يباع في الداخل، ومحظور حمله حتى أن بنادق صيد الطيور لا تحمل إلاّ بترخيص من قبل وزارة الداخلية

ب - التهريب من الخارج وهذا ما اعترف به نايف الذي قال: (إننا لا ننكر ان هناك محاولات قد تنجح أحياناً في تهريب بعض أنواع الأسلحة. والجدير بالذكر أن مجلة (الا سبوع العربي) ذكرت أن السلطات السعودية إعتقلت خمسمائة رجل من مهربي الأسلحة كما لم تستبعد المجلة أن تكون هناك كميات اخرى قد أمكن تهريبها إلى الداخل، في حين أن

جريدة السفير أوضحت أن تركي الفيصل، أحد أفراد الاسرة المالكة قد اختفى عن الأنظار إثر اكتشاف السلطات كميات ضخمة من الأسلحة هرباً إلى الداخل.

### إستنفار لحماية العرش..؟

لقد كان وقع انتفاضة الحرم على النظام السعودي، من الشدة بحيث زعزعت كيائها المنهار، ونشرت الخوف والذعر في قلوب المسؤولين، وأوقعتهم في مأزق لم يتمكنوا إجتيازه، حيث كان التردد والقلق والحيرة ظاهرة بوضوح على مجمل تصرفاتهم وسلوكهم، حتى أنهم ما كانوا يعرفون كيف يتصرفون، وماذا يقولون، وقد أجاب وزير إعلام النظام محمد عبده اليماني حول سؤال صحفي، عن أسباب تناقض البيانات السعودية؟ فقال: ماذا أفعل؟ لقد اتصلت بوزير الدفاع، والداخلية أسألهم هل نذيع خبر إحتلال الحرم أم لا؟ فلم تكن هناك إجابة شافية... وبيننا عاد الأمير عبدالله رئيس الحرس الوطني، بصورة عاجلة إلى البلاد تمهل الأمير فهد في العودة، حيث أسلم نفسه إلى القلق والمهوم، وقد قامت السلطة إثر اتضاح المسألة بعدد من الإجراءات التي تتخذ لأول مرة في تاريخ البلاد، فيما يشكل بمجموعة عملية إستنفار ضخمة من أجل حماية العرش السعودي الذي يكاد أن ينهار وكان أبرز هذه الإجراءات:

١ - في يوم الحادث قامت الحكومة بتجريد الشرطة والجيش من الأسلحة، بشكل غير مباشر حيث طلبت تجريد الأسلحة من العتاد وعلق عنابرها. وحول هذا الحادث علق أحد رؤساء الشرطة في جدة قائلاً: (فلو دخلت علينا جملة من اللصوص وبأيديهم السكاكين لوليننا هارين) كما صدر قرار بإجراء عملية تطهير واسعة في الحرس الوطني، والجيش، وخاصة في مخابراتها، شملت عدداً كبيراً من الضباط ومن جميع الرتب.

٢ - شددت الحراسة على الوزارات، ومبنى السفارة الأمريكية في جدة، ولوحظ أن ثلاثة من الجنود بدلا من جندي واحد، يتولون الحراسة عند أبواب الوزارات، وأن عربة مدرعة تقف قريباً من مقر السفارة الأمريكية.

٣ - إتخذت إجراءات أمنية مشددة في كافة مناطق الجزيرة العربية شملت مايلي:

١ - بدأت الرقابة على البريد، والمطبوعات، خشية توزيع نشرات معادية للسلطة.

ب - ظهور حواجز عسكرية على معظم الطرقات، تدقق في الهويات، وفق لوائح يحملها الجنود التابعون للحرس الوطني، وهم يلبسون الخوذ الحديدية. كما أن الطرق كانت مقطوعة حتى بين مكة وجدة التي تبعد عنها حوالي (٧٠) كم فقط.

ج — حظر التجول في كل من مكة، والمدينة، والطائف في الوقت الذي يجري فيه تطبيق هذا الحظر في مدن المنطقة الشرقية، وقد نفى وزير النفي (محمد عبده يماني) خبر حظر التجول، لكنه كان قد انتشر حتى في الخارج، بحيث أنّ جريدة الأهرام القاهرية نشرت (أنّ السلطات السعودية فرضت حظر التجول في المدينة المنورة، والطائف، بالإضافة إلى مكة).

د — فرضت المزيد من الإجراءات الأمنية المشددة على طول حدود الجزيرة العربية، البرية، والبحرية، لمنع تهريب الأسلحة.

٤ — قامت السلطات السعودية بطرد عدد كبير من الأجانب، وخاصة الإيرانيين، والباكستانيين، خلال إسبوعين واستخدمت لهذا الغرض (٢٦) طائرة بينها عشر طائرات (جامبوجيت ٧٤٧) لنقل هؤلاء إلى الخارج، كما تمّ اعتماد قسائم هجرة جديدة للخارج بالنسبة للأجانب وخاصة من العرب.

٥ — أصدرت الحكومة أمراً باغلاق الجامعات الإسلامية، ومعاهد العلم، لاشتراك طلبة الجامعة الإسلامية في المدينة، وطلاب كلية الشريعة في مكة، مع الثوار المجاهدين، أو بتقديم المساعدة لهم كي يهربوا من جحيم آل سعود.

٦ — منعت السلطة الصحفيين، من الإتصال بالملتجئين وحتى التقرب من المسجد، وذلك لكي لا يشاهدوا المصفحات الأمريكية والسيارات المحترقة والتي كانت تحرق الحرم في مكة، وتدوس الجماجم. وهذا ماجعل مراسل جريدة (الايكونومست) يقول: (إنّ حكومة العربية السعودية لم تكن كريمة أبداً فيما يتعلق بمنح سمة الدخول للمراسلين، وقد أصبحت أكثر تشدداً بهذا الصدد، ومنذ وقوع حوادث العنف في الشهر الماضي بمكة، وقد عرض الآن الكثير عن الذين شاركوا في الهجوم على المسجد الحرام في مكة، وكان الحدث أخطر ماوقع في المملكة منذ حدوث محاولة الانقلاب التي قامت بها القوّة الجوية قبل عشر سنوات).

٧ — قطع الإتصالات الهاتفية والداخلية والخارجية، بعد يوم من وقوع الحادث حتى أن الأمير فهد حاول الإتصال بجدة من تونس أثناء تواجده في مؤتمر القمة العربية العاشر، ولكنه لم يستطع مما حدا بالوفد أن يصّر على العودة عاجلاً.

وتناقضت أقوال المسؤولين حول صحة الخبر، ففي البيان نفى وزير البرق ذلك وقال: (إنه لا صحة للأنباء التي دسها الوكالات العالمية حول قطع الإتصالات الدولية بين المملكة والعالم الخارجي) إن حقيقة ما حدث في الواقع ما هو إلا خلل فني طارئ عادي، وقع يوم الثلاثاء الماضي، إستمر قرابة أربع ساعات حيث تم إصلاحه فوراً. ولكن الأمير عبدالله

إعترف بما حدث وقال: إنه خطأ. أما وزير الدفاع فلم يعترف. بأنه خطأ، وإنما علل ذلك بقوله: (أما التليفونات فقد اوقفت لفترة ساعات لأننا لم نكن نعرف شيئاً عن طبيعة الحركة المسلحة في الحرم، فلما عرفنا عاد كل شيء إلى طبيعته). وجاء وزير الداخلية نايف بن عبدالعزيز، بتعليل آخر قائل: (قطعت التليفونات من باب الاحتراز لقد خشينا من نقل الأحداث على غير حقيقتها، فأعدناها مع إذاعة البيان الأول بعد أربعة وعشرين ساعة من وقوع الحادث).

٨ — قطع الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، رئيس الحرس الوطني، والنائب الثاني لزيارته للمغرب وعاد إلى الجزيرة للمشاركة في قمع الثوار، وقد استقبل السفير الأمريكي (جون وست) فور وصوله، بينما عدل الأمير فهد عن الذهاب إلى لندن حيث كان من المقرر أن يشترك في المؤتمر الدولي حول القدس الذي ينضمه المجلس الإسلامي في بريطانيا، وقد أخطر فهد المجلس بأنه لن يستطيع مغادرة الجزيرة بسبب أحداث مكة).

٩ — وضعت قوات الجيش، والحرس الوطني، وقوات الأمن الداخلي، وأجهزة الاستخبارات في حالة إستنفار كامل كما الغيت جميع الإجازات في القوات المسلحة، وحتى الجنود الذين لم يستطيعوا الذهاب إلى معسكراتهم بسبب حظر التجول فإن السيارات العسكرية كانت تأخذهم من بيوتهم. ومن ناحية أخرى أوكلت مهام الأمن الداخلي، للحرس الوطني الذي حشد أعداداً من مشاته ومدرعاته على مداخل المدن الرئيسية وعند الوزارات، بينما تقوم دورياته بدوريات في الشوارع والأحياء على مدار الساعة.

١٠ — تم إغلاق المطارات لست ساعات، وقد اعترف المسؤولون السعوديون بذلك، ولكن كل واحد منهم قد نفى مسؤولية إعطاء الأوامر بذلك فقد جاء في مقابلات صحيفة أجزاها (سليم اللوزي) رئيس تحرير مجلة الحوادث، مع كل من الأمير عبدالله، والأمير سلطان، والأمير نايف. فأجاب الأول قائلاً: (على حد علمي لم تغلق المطارات). أما الثاني، فأجاب: (لم يصدر قرار باقوال المطارات، لقد توقفت حركة الطيران من باب الاحتراز لم يكن التوقف بقرار، وتقديرى أنه كان هناك خوف من أن يهرب أحد من المنتمين إلى الخارج). في حين أجاب وزير الداخلية قائلاً: (لم يصدر قرار من وزارة الداخلية أوامر من هذا النوع).

وبعد فتح المطارات ثانية (شددت عمليات التفتيش بالنسبة للواصلين والمغادرين، وقد لوحظ أن آلات الالكترونية، والأجهزة التلفزيونية الموجودة في المطار لهذا الغرض قد تضاعف عددها) جريدة السفير.

هذه هي مجمل الإجراءات التي إتخذتها السلطة في اللحظات الأولى، من وقوع الحادث إستنفاراً لحماية العرش المهجري...

### ألصواريخ تلك الكعبة..؟

على مرّ التاريخ حاول ثلاثة من الطواغيت، إنتهاك حرمة الكعبة. فكان الأول أبرهة الأشرم الذي جاء بجيشه، وفيله لهدم الكعبة، فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل، ترميمهم بجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول... والثاني كان الطاغية الأموي يزيد بن معاوية الذي دك الكعبة بالمنجنيق. والثالث، الحجاج بن يوسف الثقفي، والي عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، الذي هدم أجزاء من الكعبة أثناء ثورة عبدالله بن الزبير، الذي احتفى ورجاله بالبيت الحرام.

والتاريخ يعيد نفسه فتهتك أرض المقدسات، ويقتل المؤمنون على يد طواغيت العصر آل سعود... الذين استعانوا بالكفار في قتل الأبرياء المؤمنين، وانتهاك حرمة بيت الله الحرام... وكما قال الشهيد الثائر جهيمان، لوزير الداخلية نايف: (ولكنني أراكم كفاراً يوم استعنتم بالكفار لتقتلوا الإنسان المؤمن وتدمروا بيت الله).

وقبل إنتهاك حرمة الحرم، أرادت السلطة أن تضيي السمات الشرعية على عملها الإجرامي، فأشاعت عبر وسائل الإعلام الداخلية والخارجية، أن هناك رهائن في قبضة المسلحين، وقد أشار البيان الأول للسلطة أنه إتخذت الإجراءات لحماية أرواح المسلمين، المتواجدين في المسجد الحرام. وذكر مسئول سعودي في تونس قوله: (أن المهاجرين كانوا لا يزالون يحتفظون حتى ساعة متأخرة من ليل أمس بنحو مائة رهينة) أما وزير الخارجية، فقد صرح لجريدة السياسة الكويتية قائلاً: (خرج المصلون بطريقة رتبها وزارة الداخلية، ولم يبق إلا ٣٠ شخصاً يجري تأمين سلامتهم) وفي اليوم الثالث للعملية ذكر وزير النفى، في بيان له: (ولكن جهة الأمن المختصة كانت حريصة أن تعالج هذا الموضوع بكل حكمة وبكل تحسب لأرواح الأبرياء الذين لا ذنب لهم في هذه القضية) في حين أن أجهزة الدولة أعطت (السياسة الكويتية) خبراً مفاده (أن المسجد الحرام قد أخلى من الحجاج والمواطنين) ولكن صحيفة الدستور الاردنية نفت ذلك عن مصدر سعودي، قال: (إن عدد الرهائن يتراوح بين ٣٠ - ٥٠).

وحين لم يستطع النظام السعودي، القضاء على الثوار بسرعة عاد للعزف على وتر الرهائن، فذكر نايف (من منطلق الحرص على أرواح الأبرياء الذين لا يزالون متواجدين

داخل بيت الله الحرام، فإن قيادة قوى الأمن تحاول قدر الإمكان تجنب أي عمل قد يؤدي إلى الأضرار بالمسلمين).

والحقيقة التي لامراء فيها، أن المجاهدين لم يحتجزوا أية رهينة ولكن النظام أراد النيل منهم... وقد اعترف بذلك الأمير سلطان، حينما سأله سليم اللوزي رئيس تحرير مجلة الحوادث، قلم أن المسلحين كانوا يحتجزون رهائن... ثم ثبت أن لا رهائن... فأجاب سلطان، لم نقل رهائن، كان هناك ٢٦ حاجاً بقوا في الأقبية حتى آخر لحظة ولذلك سميناهم المسلمين الأبرياء.

إعترف بذلك الأمير حينما انتشرت الحقيقة من المسلمين الأبرياء أنفسهم ومن ذلك:

١ - قالت جريدة المحرر المغربية، في حديث مع حاج مغربي، كان موجوداً في المسجد الحرام أثناء بداية العملية أن هذا الحاج أكد عدم صحة الأنباء التي ادعت أن الثوار حاولوا إرغام جموع المصلين تحت تهديد السلاح على الإعراف بزعيمهم المهدي... وقال: إنه على العكس تماماً تحدث أحد الثوار المسلمين أمام مجموع المصلين مؤكداً أن هدف العملية الإنتحارية قد دبرت لجلب إنتباه العالم الإسلامي، وأضاف أن الرجل المسلح، خير جموع المصلين بين الإستمرار في تأدية الصلاة أو مغادرة المسجد. وقال: إنه هو نفسه غادر المسجد بعد أن إنتهى من أداء صلاة الفجر.

٢ - أجرت صحيفة السفير مقابلة، مع ثلاثة حجاج لبنانيين، قال إثنان منهم، وهم من رجال الدين: (إنّ المسلحين المقتحمين لم يتعرضوا للمصلين بالأذى، سوى أنهم أغلقوا أبواب الحرم، ومنعوا الناس من الخروج وعند صلاة الضحى بعد السابعة صباحاً فتحت بعض الأبواب، وراح الناس يخرجون وكنا بينهم، وإنّ الكثيرين خرجوا قبل ذلك من فتحات قائمة في الجدار الخارجي للحرم على إرتفاع بسيط من دون أن يمنعهم أحد). أما الثالث، وهو مدرّس فقد قال: (لم يكن المسلحون يمنعون الناس من الخروج... واستطرد قائلاً: كن معي جالون من ماء بئر زمزم، وقد تركته في الداخل وعند خروجي اكتشفت أن اثنين من رفاقي مازالا في الداخل، فعدت للبحث عنهما، وقد وجدت أحدهما وخرجنا سوياً من الحرم، على أمل أن نجد الآخر خارجاً لكن لم نجده، عدت إلى باحة الحرم مرة أخرى فوجدت جالون الماء مازال في مكانه، وبعد أن تجولت قليلاً بحثاً عن صاحبي، افتقدت جالون الماء عندها ذهبت إلى البئر ومعني جالون صغير فارغ قصدت أن املاؤه، هناك كان أحد المسلحين، قلت له: أرجوك إملائي هذا الوعاء من ماء زمزم، وما تريد من نقود أعطك، أجباني ما قيمة الفلوس بعد الآن؟ ثم ملأني الجالون ماء وهو يتسم مرحاً... بعد الساعة

الثانية عشرة ظهراً خرجت من المسجد الحرام للمرة الأخيرة).

٣ - نقلت جريدة الرأي العام، عن حاج فلبيني قوله: (وقد سمحوا لنا بمواصلة الصلاة وانضم إلينا في الصلاة بعض هؤلاء المسلحين).

٤ - ذكر حاج جزائري لصحيفة اللوموند الفرنسية: (إن أحد المتمردين كان يحمل مكبر صوت وألقى كلمة أكد فيها أن المؤمنين الذين يرغبون في الخروج يستطيعون فعل ذلك، وإن الذين يؤدون الإنضمام إلى الشائرين يمكنهم ذلك أيضاً) كما أن إمام الحرم محمد بن سبيل الذي قالت عنه السلطة في وقت سابق، بأنه قتل خرج مع جموع المصلين، ولم يشر إلى وجود رهائن.

وهكذا تبين أن ليس للنظام السعودي عذر في هجومهم على الحرم، غير حماية العرش فبعد تحصن الأخوان المجاهدين وصعودهم إلى المنائر لمراقبة ما يجري خارج الحرم، قامت السلطات السعودية بأخلاء المناطق المحيطة بالمسجد من السكان، وتوجهت أعدادا كبيرة من قوات الأمن، وقامت بتطويق منطقة المسجد، والميادين المحيطة بها. كما أوفدت أعدادا كبيرة من سلاح المهندسين وخبراء الشجرات لمسح المنطقة المجاورة بأبواب المسجد، خشية أن يكون المجاهدون قاموا بزرع ألغام بوجه تدفق قوات الأمن إلى الداخل، ولكن لم تسفر عمليات المسح هذه عن وجود أي لغم.

وفي الوقت نفسه قامت عدة طائرات هليكوبتر بالتحليق فوق المسجد، والتقاط الصور لتحديد تجمعات المسلحين ونقاط تمركزهم. ثم بدأت القوات الأمريكية التي استنجدت بها السلطة بإرسال عدد من الطائرات لم يسبق إستخدامها إطلاقاً، وهذه الطائرات مروحية تحمل الواحد منها مروحتين، مروحة في الأمام والآخرى في الخلف، بحيث تمكنها من الوقوف في الجو بالإتجاه الذي تحدده. والطائرات هذه مزودة بأشعة تحت الحمراء، حاملة عدد من القنابل السامة التي قذفتها على الثوار في مآذن المسجد وسطوحه. وقد أسقطوا منها طائرتين، لكن هذه القنابل المسمومة والمحترمة دولياً أسقطت منهم الكثير بين شهداء ومشلولين، ومن أصيبوا بعاة السمى والوصم. فاضطروا للنزول في الطابق الثاني فلا حقتهم قذائف السموم مع انهم استطاعوا إصابة أكثر من ثلاثة آلاف حندي من القوات المهاجمة، بينهم ألف قتيل، مما جعل السلطات السعودية تحسب هؤلاء الثوار ألف حساب، فاستنجدت بالقوات الأمريكية التي قامت بانزال قوة فوامها (٣٠٠٠) من الكوماندوس الأمريكي، لبسوا لباس الكوماندوس السعودي، ودخلوا مكة كما استنجدت بالكوماندوس الأردني، وعدد من كتائب الجيش، والقوة الخاصة تقدر بثلاثين ألف (٣٠٠٠٠) مسلح، وقد استطاعت هذه القوات أن تجبر







الثوار على الخروج إلى باحة الحرم، فيما كانت هذه القوات تتقدم من خلال الفجوات التي أحدثتها مدافع الدبابات في الجدار الخارجي للحرم. وذكر حاجان مصريان: (أن المدفعية السعودية قد دكت أسوار الصحن لتسمع للقوات الخاصة بالتسرب خلال الثغرات للدخول، كما أخذت الدبابات إستحكاماتها حول الصحن في الساعة السادسة، من مساء الأربعاء، وأخذت تطلق قذائف إنذار ريثما كانت طائرات القوات الجوية تطير على إرتفاع منخفض جداً فوق المدينة.

واستخدمت القوات الحكومية في هجومها الأخير على محتل المسجد، أسلحة ثقيلة واشعلت النيران في أحد أقسام المسجد الضخم، وكان شهود عيان قد تحدثوا عن أصابة جدران المسجد بأضرار واضحة... وخلال هذا الهجوم حطمت أربع صوامع من الحرم الشريف كما أن أضراراً لحقت بأبواب المسجد، ثم تقدم الجنود السعوديون إلى الفناء الواسع وأخذوا يطلقون الرصاص على الأبرياء، واعترف بذلك خطيب وإمام مسجد الأمير متعب قائلاً. (استطاعت القوات والحمد لله بواسطة مدفعيتها أن تفتح بعض أبواب الحرم من بعيد، وأن تدخل معها الدبابات التي نزلت في المسجد حتى وصلت إلى المطاف وأن تطلق النار من الداخل على هؤلاء المجرمين).

وبالرغم من كل ذلك كان الثوار يقاتلون قتال الأبطال، وهو ما أعلن عنه وزير الإعلام (وزير الني) يماني حيث قال: (إن هؤلاء المتمردين في غاية كثيفة من الأعمدة بصورة لا مثيل لها، ويحيدون الإصابات ويحددونها في أجسام العسكريين مما جعل بعض هذه القوات تخلع الملابس العسكرية للتمويه عى الثوار، وقد استمر قتال هؤلاء الأبطال حتى ضاق صدر آل سعود، والمحابرات الإمريكية بهذا الصبر الإيماني، فنعوا عنهم الكهرياء، والماء، والطعام، حتى أن جريدة السفير اللبنانية نقلت عن مصادر سعودية: (أن الحكومة إنتهجت سياسة تجويع المسلحين) بعد ذلك عادت القوات الأجنبية الغازية باستخدام طرق سمومية جديدة الأوهي حقن باحة المسجد بغازات سامة مما اضطر المجاهدين للنزول إلى الأقبية والتحصن في أكثر من (٢٧٠) غرفة ومن ثم بدأوا بحقن الأقبية التي يتحصن فيها الثوار بالمياه الملوثة، ودخان الأطنارات المحروقة فلم ينجحوا في حملهم على الإستسلام.

فاستخدموا الغازات السامة الحارقة للأوكسجين وفشلوا أيضاً. وأخيراً استخدموا القنابل المحرقة التي تلهب أقبية الحرم، وتجعل منها ححيحاً لا يطاق، وهذه القنابل أحرق أكثرهم ويقدر بـ(٤٠٠) شخص واستمرت بقية الثار في المقاومة ببسالة نادرة وصمود غريب إلى أن انهكت قواهم الأساليب البشعة التي استخدمتها السلطة من القنابل السامة والمحرقة،

وسقط كثير منهم وبينهم الشهيد جهيمان قائد العملية على شبه ميتين. لقد استمر القتال في الحرم (٢٢) يوماً تكبدت فيه السلطة (٣٠٠٠) شخص من قواتها بين قتل وجريح بينهم (٥٠) قتيلاً أو جريحاً من القوات الاردنية... هذا العدد الضخم من القتلى والجرحى لم يستطع الشيخ حمود العقيل، وصفه وألقى باللائمة على الثوار فقال: (ومهما وصفت ووصف غيري حول المعركة وضراوتها فإنّ القارئ لا يستطيع تصور معشار ما حصل من هؤلاء المجرمين، ولعله يبين بعض الشيء ما حدثني به أحد كبار القضاة في محكمة (التمييز) في مكة المكرمة، من أنه مرّ حول المسجد الحرام من جميع الجهات على سيارته لأنه يحمل تصريحاً بذلك من الجهات المسؤولة فكادت أن تصرعه روائح الجثث المتكدسة في المطاف والمسعى، وفي جميع أروقة المسجد... وكذلك ما ذكره لي بعض من تمكن من رؤية وسط المسجد، من فوق الجبال المحيطة به أن المطاف ملئ بالقتلى، سيما بين المقام والحجر الأسود... وكان هذا الخبر في اليوم التالي من العملية. أما في اليوم الخامس فقد نقلت جريدة الأهرام خبراً عن القاطنين قرب مطار جدة مفاده: (أن عدداً كبيراً من طائرات النقل في السعودية من طراز (هيركوليز- ١٣٠) الأمريكية قد شوهدت وهي تقلع وتهبط من مطار جدة منذ يوم الثلاثاء الماضي، ويعتقد أن الطائرات كانت تقوم بنقل الجرحى إلى جدة بعد أن اكتظت مستشفيات مكة... ) كما وضع المستشفى العسكري في جدة في حالة إستنفار لاستقبال الجرحى. ذكرت ذلك جريدة الرأي العام في ١٩٧٩/١١/٢٥ م.

وهكذا نرى أنه من أجل استمرار آل سعود في تسلطهم على الشعب فلا مانع عندهم ذلك الكعبة المشرفة بالدبابات، وقتل الثوار بين الصفا والمروة، وعند المقام، وبالقرب من الحجر الأسود، ويذهب ضحية شهواتهم الآلاف من أبناء شعبنا من المخدوعين في القوات المسلحة. ومن ثوارنا الأشاوس الذين لبوا نداء الله لأحقاق الحق والحرية وتخليص المستضعفين.

### صمود حتى الإستشهاد..؟

وبعد السيطرة الأمريكية على الحرم، وإبادة الإنتفاضة، وإلقاء القبض على الثوار المنهكين، بدأ التعذيب من نوع جديد، يتخلص بطعن المجاهدين بالحرايب، وتقطيع أصابعهم وأوصالهم، ومنع الطعام والماء عنهم، بحيث شوهدت آثار هذه الجرائم من على شاشات التلفزيون في فيلم عرض في الجزيرة العربية، والكويت، وعدد من أقطار الخليج، وغيرها وقد أحدث عرض الفيلم إشمئزاً واستنكاراً لهذه الجرائم السعودية البشعة، خاصة حينما جاؤوا

لتقديم الماء للثوار الاسراء، وإعطاء كل واحد منهم كأس ماء كان يسحب منه بمجرد أن يضع شفثيه على الكأس، كما رأى المشاهدون كيف أن آثار التعذيب والإرهاق والدماء والعطش والجوع والحروق بارزة على أجسامهم الطاهرة... كما شاهدوا معاملة الحرس لهم بطريقة لا يعامل بها حتى الحيوانات.

مع هذا التعذيب اللاإنساني قد جعلتهم قوة الإيمان، والصمود، والثقة بالله تعالى... ينتظرون الشهادة، وهم متماسكون لا يبدوا عليهم أي أثر للخوف والوجل، وكانوا يستعينون بالصلاة والدعاء كلما تعرّضوا للشم واللطم وجز شعر رؤسهم... فأعادوا بذلك للتاريخ صمود بلال بن رباح... وعمار بن ياسر... وخباب بن الأرت... وغيرهم من شهداء الإسلام.

هذا وبعد محاكمات سرية وخاطفة مصطنعة، نفذ حكم الإعدام بحق ١٨٠ ثائراً سراً و بدون أي إعلان. تلاها بعد عدة أيام قافلة أخرى من الشهداء وكانوا ٦٣ شهيدا، اعدمو في ثمان مدن بتاريخ ١/٨/١٩٨٠م، بناء على أوامر السلطة واستناداً إلى أمر من الملك خالد (خادم الحرمين الشريفين) لوزير الداخلية.

وهكذا عرجت أرواح شهدائنا... شهداء الإسلام إلى بارئها تشكو إليه الظلم والإستبداد الذي يمارسه الجلادون آل سعود... ولتبقى رمزاً لشعلة المقاومة الأبدية للإستقلال... الشعلة التي رفعها أنبياء الله وتداولتها الثوار على امتداد التاريخ، حتى إزالة آخر ظلمة في هذا العالم لكي لا يبقى مضطهد واحد على الأرض.



أجل وهكذا كانت آخر انتفاضة الحرم... لا آخرها... وقد تناقلتها وكالات الأنباء، إلى كافة الحواضر وتحذت بها المجامع والمحافل العامة، رغم التناقضات والبيانات المختلفة المصطنعة من قبل السلطة، حول المعركة على حقيقتها، بعد أن لعب البترول دوراً هاماً في قلب الواقع والتناقض المفضوح، في نقل الحوادث والقائمين به، غير أن العالم الإسلامي لم يتلق تلكم الأكاذيب بالصحة والصدق، لأنه على علم كامل ملتقاه الشعوب الإسلامية من ظلم ال سعود، وممارستهم الخيانة، والعمالة بحق الإسلام والمسلمين... وكيف يتقبلها بالقبول، وقد شاهد العالم ردود الفعل الشعبية وأن أهالي مكة، والمدينة، وجدة أعلنوا تأييدهم الكامل للثوار والمجاهدين، فقد سهل أهالي مكة، ومن بينهم النساء دخول الثوار في الحرم، كذلك مساعدتهم في الهروب منه، وكان عدد النساء اللاتي تم القبض عليهن داخل مكة يزيد على عدد الرجال. وكان المجموع يقدر بـ (٧٠٠٠) رجل وامرأة. والجدير بالذكر أن السلطات

السعودية شنت حملة إعتقالات في الأيام الأولى كانت حصيلتها (٥٠٠٠) معتقل. لقد كانت إنتفاضة الحرم، شعلة أنارت الدروب للمجاهدين والثائرين، وبددت اسطورة الأمن السعودي، ومن يحذو حذوه من العابثين بمقدرات الشعوب الإسلامية... ومازالت نتائج الإنتفاضة تتفاعل بحدة وعلى كافة المستويات الداخلية والخارجية... لأن السلطة لم تقض على التنظيم من خلال القضاء على الثورة المسلحة، وقتل أكثر من ١٠٠٠ شخص ينتمي أغلبهم إلى قبائل معارضة... وحسب العرف القبلي فإنّ ولاء أفراد القبيلة لبعضهم أشد من ولائهم للنظام، ولهذا فإنّ إستشهاد الثوار سيؤجج نار الثورة والغضب والإنتقام، والأخذ بالثأر منه.

ومن آثار إنتفاضة الحرم الإسلامية... يقظة الحجاج المسلمين في ٨/ذي الحجة/ ١٤٠٧ هـ، والمسيرة الشعبية الهادفة إلى تطهير الجزيرة الإسلامية، من رواسب الإستعمار وعمالة الأذئاب الحاكمين في المنطقة، والمخالفين والمعادين لكافة التحركات والحركات الإسلامية التحررية.

المسيرة الإسلامية الشعبية الدامية في مكة... سنة ١٤٠٧ هـ، والتي ساهم فيها المسلمون على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم واتجاهاتهم، وهزّت الكيان السعودي المهش، وأذنتهم بالويل والثبور، ووضعت العصاة الحاكمة في موضعها الحقيقي بتعريضها من العبادة الإسلامية التي كانت تستر بها، وتخفي ورائها جرائمها وسلوكها المعادي للإسلام والجماهير الإسلامية.

المسيرة التاريخية الدامية التي تجلت فيها شخصية الجمهورية الإسلامية الإيرانية... بأجلى مظاهرها، وبكل أبعادها، ونضالها ومثابرتها، ومقاومتها ومقارعتها للبغي والفساد، ودفعت بالجماهير الإسلامية على الصعيد الدولي في الداخل والخارج، على اليقظة والتحرر، وكسر قيود الذلّ والإستعباد، والعمالة والتخلص من برائن كابوس الإستعمار الشرقي والغربي... والنضال من أجل الحصول على الإستقلال الذاتي، في كافة جوانب الحياة الفردية والاجتماعية بكل حيوية ومناعة مهما كلف الأمر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم  
إنّ المسيرة التاريخية الدامية التي تولتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية... وإنّ قدمت المآت من القرابين، والضحايا إلا أنها مابائت بالفضل كغيرها من التحركات الجماهيرية التي قامت في الجزيرة الإسلامية في السنين الأخيرة، لأنها ضمت كافة الطبقات والفئات المسلمة في الوطن الإسلامي الكبير، بالإضافة إلى أنها كانت في مستوى عال من الرصيد الشعبي، والبعد الجماهيري، والبعد الجماهيري، والرصيد الشعبي، للتنظيم والحركة يجعله أكثر

إرتباطاً بالواقع الإجتماعي، وبالتالي أكثر كفاءة ومناعة وفتوة مع متغيراته... وحين تتركز حركة ما إهتمامها على التنظيم وتترك إعتمادها، ورصيدها الشعبي. والجماهيري، فإن أفقها يضيق إلى درجة النظر إلى العالم من خلال التنظيم... أفكاره ومصالحه، وهذه بالطبع نظرة أضيق من أن تتسع لقضايا الجماهير ومن خلفها قضايا العالم.

ففي إنتفاضة الحرم ارتكبت خلالها أخطاء معينة، عزلت الحركة عن الجماهير، والسبب في ذلك عمل الثائرين لعدم إتصالهم وتضامنهم، مع بقية الجماهير المسلمة في المنطقة، وهذا مما أدى أيضاً على تشويه حقيقة الإنتفاضة لدى كثير من الناس حتى الثورين، فهم اهتموا كثيراً ما في التنظيم الجدي، وتركوا الإهتمام بالجماهير والحركات الأخرى العاملة في الساحة بنفس الوقت.

والذي يجب القول به أن الأنظمة الإستعمارية الطاغوتية، تحاول باستمرار عزل الحركات الثورية عن بعضها، وعن الجماهير، وتسلك في ذلك بعض السبل، والطرق الخبيثة التي يجب على كل ثائر ومجاهد، أن يكون على حذر منها. فهي من دون رحمة وشفقة تعمل في أن تخنق الحركات الإسلامية، والتحرك الإسلامي الأصيل، بشتى الوسائل كما تحاول دائماً القيام بإضفاء جومن الانغلاق على التكتلات الإسلامية، وبث جذور التفرقة والتشتت بين المسلمين، واستغلال أقل خطأ في أعمالنا، وتحويله لصالحها ومصالحها... وليس معنى هذا أن نتقاعس عن العمل، ونختار العزلة والزاوية ونترك المجتمع والبيئة، تفترس بها الذناب، وتنش بها الكلاب، وتقضي عليها دون رادع ومانع... إن هذا لا يعني القعود والتواني عن المسؤولية الشرعية، والتخلف عن القيام بوجه البغي، والفساد، والطاغوت.

إن الطاغوت قوي وظالم حين يشاهد شعباً سكن إلى التخاذل والضعف والإستسلام، لأنه يستمد بطشه وقوته من تلك الحالة، ويجند حزبه من ضعف الشعب... كما أن العكس بالعكس، وهذا مالا يرتضيه الله تعالى للمسلمين في كل مراحل الحياة، وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون).

بقظة الحجاج المسلمين..؟

الشعور بالمسؤولية من أهم القضايا التي حثّ التشريع الإسلامي المقدس الإنسانية عليه، ودفعها إلى مهيعه المستقيم، ونهجه الأبلج... لتلايتخلى عنه لحظة أو ثانية من عمره،

فيجد الإنسان في كل الحالات نفسه مسؤولاً تجاه جوانب فردية وإجتماعية، وأن لا بد له من تأدية رسالته الرفيعة العالية التي تستلزم الفرد التفكير بالأفراد والمجتمع والظروف والأحوال التي يعيشون فيها... المجتمع الذي يتكوّن من الأفراد والآحاد، وقد جعلهم التشريع والقرآن بمثابة أمة واحدة، واسرة واحدة، وعائلة واحدة، يشد البعض عضد الآخر، ويقوم كل فرد منها إلى مافيه التحوّل والتضامن والتطور في كافة الحقول، في الميدان الداخلي والخارجي، لا دراهه أن ما من تحرك أو تفاعل جماعي في أي ميدان آخر يمكن أن يعطى النتائج الموجودة منه، ما لم يكن الميدان الإجتماعي مستقراً آمناً يسوده الأمن والهدوء، ويشعر كل فرد من المجموع برسالته ووظيفته المقدسة التي خلق من أجلها، وهذه لا تتحقق بغير الذبّ عن الحمى ضد أي تطاول، ومعتد، أو طامع وأخيراً إرصاد الأبواب والمنافذ بحزم وقوة خشية تسرب الأفكار الدخيلة الهدامة من الخارج إلى داخل البيئته والمجتمع والوطن... كل ذلك للإفادة من ثمرات جهود الأفراد، والمجموع لجعل حاضر المجتمع الذي يعيش فيه أفضل وأرقى وأطهر من الماضي، ومستقبله أفضل وأزكى وأطيب من الحاضر، وذلك عن طريق التضامن والتكاتف البناء، القائم على أساس المحبة والتحابب، والاخوة، والصدقة الصادقة... البتاء الركين الذي تراه الأعين، ويدعمه الواقع والحقيقة، وتؤيده الجهود والمسامي، ويشهد به العدو قبل الرفيق والصديق.

بتاء أ يشيع الأمن والاستقرار في الوطن، ويحرك دواليب العمل، والإنشاء والتعمير، والتطوير في كل القطاعات، والتحرر والإنطلاق في نفس الوقت من كافة قيود الذلّ والإستعباد، والاستثمار الداخلي والخارجي... مما يدفع سائر المجتمعات البشرية الكبرى في العالم تتسابق إلى اكباره وتجليه، والتأسي بدستوره والأخذ بمعالمه ونهجه القوم وصراطه ومسيره المستقيم... وبذلك يتحوّل المجتمع إلى خلية حية قوية عاملة متحررة من العوز، والفقر، و متمسكة بالمثل الروحية والقيم الأخلاقية والمعنوية، ومتخيلة ومنطلقة عن رواسب الفقر والمرض والجهل والتخلف.

إنّ الشعور بالمسؤولية على الصعيد الفردي، والصعيد الإجتماعي، والصعيد الإسلامي، يجعل الفرد أن يطيل التفكير دائباً، والتمعن والتدقيق با ستمرار في كل ما حوله أولاً وبالذات، ثم إلى ماوراء مجتمعه عبر حدود بلاده... ليألف الوطن الإسلامي الكبير الذي يعتبر بلده جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي، كما يرى العالم العربي يشكل جزءاً من عالم الإسلام ودياره، ومعالمه في حين أن دنيا الإسلام يضم ربع سكان الأرض بينما تكوّن ديار الإسلام قلب القارتين الآسيوية والإفريقية، اللتين هما قارتا الغد المستقبل المشرق...

كما كانتا في الأمس البعيد، وفي القرون السالفة قارقي الحضارات البشرية الأولى، ومهبط الرسالات والتشريعات الإنسانية الكبرى، خلال عبر الأزمان والأجيال وأخيراً المهدي الأول للإسلام، والمهدي الأول للعرب، وأن العروبة والإسلام يمتزجان معاً في نفس الممالك العربية والإسلامية إمتزاجاً لا انفصام له، وإن حاول الإستعمار تفكيكهما عن الآخر إلا أنه باء بالفشل والخذلان.

إن الوطن العربي وإن كانت لهجته عربية، وأرضه عربية إلا أن دينه هو الإسلام الذي أنزلته السماء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، النبي العربي، الأمي، الهاشمي، القرشي، التهامي، الأبطحي، المكي، المدني... ليكون ديناً لهم، فحمله العرب إمتثالاً لأمر الله سبحانه إلى كل بقعة وحاضرة في الأرض استطاعوا الوصول إليها فدخل الناس فيه أفواجا من كل الأجناس والملل والنحل واللغات، بعد أن لفظ الإسلام منهم كافة السمات والخلافات والإمتيازات العنصرية، والقبلية، والإقليمية، والقطرية، وجعل أرض العرب أرض الجميع وأصبحوا كتلة واحدة، وأمة واحدة، وشعباً واحداً، وصفاً واحداً، يتلون كتاباً واحداً، وهو القرآن، ويسجدون لقبله واحدة، وهي الكعبة... إلى قضايا جعلت الحضارة العربية الإسلامية كلا في واحد، وواحداً في كل.

لقد ساد التشريع الإسلامي كل الأراضي، وخيم عليها ظلال الإسلام، وجعل العناصر المناوئة المتطاحنة كتلة واحدة، وضمهم في بوتقة واحدة، على ما هم عليه من تباين الجنسيات واللغات إلا أنهم أصبحوا بفضل الدين القويم يداً واحدة على من سواهم... الدين الكامل الذي لم يتغي غيراً للبشرية الخالق تعالى، ولن يقبل منهم غيره... التشريع الخالد الذي كان أداة تعاضد، وتجمع وتعاون، وتكتيل للبشر في طريق الخير، والسلام، والحق، والفضيلة في الصعيدين المحلي، والبشري.

أما الصعيد المحلي، فقد خلص الإسلام المجتمعات والبيئات والتكتلات الأولية، من ويلات التنازع القبلي، والعنصري، ودفعها في طريق أخوة العقيدة والإيمان والصدقة. وعلى الصعيد البشري حرر الإسلام، الأقوام والقبائل من النزعات العرقية المتشنجة والإقتتال والتناطح على الثروات، ووجد بينها وعمل نحو خلافاتها القبلية والعنصرية، ليحيى في نفوس المسلمين روح الاخوة، والمحبة، والتضامن، والتعاضد، بحيث جعل إحساس المسلم العربي بعروبه، كإحساس المسلم الأعجمي بفارسيته، وإحساس المسلم الزنجي بلونه وإفريقيته، كلها خصائص لا تكتسب معنى ومفهوماً إلا من خلال تكميل الإسلام لها، وحملها على التقوى والإنسانية، وتلاحمه معها. وهذا ما أعطى العقيدة المقام الأول في بلاد الإسلام جميعاً،



ويعتبر من أجل وأكمل معطيات التشريع الإسلامي في تاريخ البشرية، فكان الإسلام بعبارة أوضح، أداة جمع، وتعاضد، وتوحيد، واتحاد، وتعاون، وأخوة، لا أداة فصل وتفریق، وتشتت، وتبدد، وتمزيق.

أهم من ذلك على أهميته البالغة والكاملة أن المسلمين وحدهم، كانوا أبرز من تكتل عبر القرون من حول العقيدة، وأقاموا وكوّنوا حضارة مشرقة، وكانت لهم دولة تجمعهم وتساندهم، وتحمي وحدة ديارهم، وتذود عن بلادهم وحياضها.

هذا وحين ولد في أوربا عصر القوميات، أخذ العامل القومي ينازع ويزاحم العامل الديني، ويحل محله في بلاد الغرب المسيحي، وقد ساعد على ذلك أن المسيحية بمجموعها وإن كانت تهتم بالعبادات والوظائف والشؤون الروحية، إلا أنها لا تشكل كالإسلام نظاماً كاملاً قوياً للحياة، مما جعل من الممكن التفریق والإنفصال بين الدولة والدين في بلاد الغرب، وبين الحكم والكنيسة، الأمر الذي أدى إلى تضائل الأثر الديني مع الزمن في الدول الأوروبية، وإلى بروز العوامل القومية لتحل وتأخذ المكان الأول فيها.

وما أن دخلت البلاد الأوروبية التي تأثرت بالفكرة القومية، عصر النهضة والتقدم بعد اكتشاف الآلة البخارية أولاً ثم ما تبع ذلك من الإكتشافات العلمية الأخرى، حتى ظن بعض دعاة التقدم والنهضة في البلاد الإسلامية أن فصل الدين عن الدولة في الغرب هو الذي أدى إلى النهضة، وإنّ مثل هذا الفصل لم يكن ممكناً لولم يلعب العامل القومي الدور الأول في إنشاء الدولة الحديثة، مما جعل بعض يدعو إلى الخلاص من التخلف ودخول عصر النهضة تقترن بالدعوة إلى إحياء القوميات المختلفة في البلاد الإسلامية، وإلى الدعوة لفصل الدين عن السياسة، وإلى المناداة بالعلمانية... فكان أن أضعفت هذه الدعوات، مشاعر التضامن الإسلامي بين الشعوب، والبلاد الإسلامية فأفاد المعسكرين الشرقي والغربي، من هذا الضعف عندما سيطر سيطرة إستعمارية مباشرة على الكثير من الحواضر الإسلامية أيام الإندفاعات العنيفة الإستعمارية.

وعندما بدأت تصفية الإستعمار ومكافحته بمفهومه القديم من العالم، عقيب الحرب العالمية الثانية، أخذت الدعوات الماركسية تزاحم الدعوات القومية الوافدة من الخارج على البلاد الإسلامية، لتأخذ النفوذ الماركسي محل النفوذ الغربي، ولكن المحاولات الماركسية منيت ببعث تلو الفشل، والخبية تلو الخيبة، وفي جميع نقاط وأجزاء البلاد الإسلامية في النهاية، لأن العقيدة الإسلامية كانت ولم تزال العقبة الكؤود التي وقفت في طريق الزحف الماركسي والسيطرة على أية بقعة عربية وإسلامية. فرأى عندها دهاقنة التخطيط لنشر الماركسية

ونظرياتها في العالم أنهم ما داموا قد فشلوا في إنتزاع أثر الإسلام وحكومته وسيطرته من نفوس المسلمين عن طريق الهجوم المباشر على الإسلام والعقيدة فإن أفضل وسيلة تساعدهم على تحقيق غاياتهم التوسعية والإستثمارية، هي أن يستغلوا العامل القومي ويقووا من أثره لكي يضرّبوا العامل الديني، بالعامل القومي. وكانت النتيجة أن تسللوا إلى الحركات القومية ليطعموها بتفكيرهم الإجتماعي في المراحل الأولى، ومن ثم العمل للسيطرة على هذه الحركات القومية من الداخل في المراحل التالية، وهذه العملية تغدوا بعض الحركات القومية، ذات محتوى ماركسي، مغلفا بالقشرة القومية فلا تشعر أفواه المسلمين بالمذاق الحقيقي للدعوة الماركسية.

وفي خضم هاتيك المخططات كانت النتيجة أن أصبحت بلاد المسلمين، تواجه خطرين في وقت واحد، خطر الدعوات القومية المنحرفة التي تمهد الطريق للوصول إلى الماركسية... وخطر الدعوات الماركسية المباشرة. وأصبح هذا الخطر شاملا العالم الإسلامي كله من أقاصي آسيا في الشرق، مروراً بالبلاد العربية وإنهاء بالبلاد الإسلامية في قلب إفريقيا السوداء.

عند هذه المرحلة الخطيرة التي كانت تنتاب البلاد الإسلامية، عاصفة هوجاء من الأفكار الدخيلة ارتأت ثلة خيرة من القادة العلماء والمجاهدين أن لا بد لهم من ردع الخطر العقائدي، والإنتصار للتشريع الإسلامي، وتبيان معالمه وينايعه الأصلية القومية للعالم... الإسلام الذي هو في الواقع والحقيقة دين ونظام للحياة، ودستور للإنسانية في كافة المجالات، ويساعد على تحقيق السعادة للبشر مادامت الحياة... والصعيد القوي المستقيم الذي تتكسر وتتحطم عليه، موجات الدعوات القومية المنحرفة، والدعايات الماركسية الفارغة المضللة لكي يستطيع المسلمون أن يكوّنوا أنفسهم وبلادهم وعقيدتهم ويصونوا إستقلالهم وحرّيتهم من ناحية... وتكون نهضتهم ويقظتهم متواصلة مستمدة من روح التشريع الإسلامي، والعقيدة الدينية السليمة الصحيحة من ناحية أخرى... وأخيراً من أجل أن يتعاونوا ويتضامنوا في ميادين الكفاح، وساحات الجهاد، ومحاربة العدو المشترك بينهم... كل هذا لخيرهم جميعاً، وخير الإنسانية والفضيلة، وحفظ أراضيهم وصيانة الأجيال والناشئة.

لقد كانت مساعيهم الإعلامية مثمرة وناجعة، وخطواتهم التوجيهية يانعة أعقبت نتائج ظافرة عمودة ومباركة... وفي الوقت نفسه محسودة من قبل أعداء الإسلام في الداخل والخارج، غير أن الركب الإسلامي المنتصر شرق عباب الفتن، والموجات بحكمة بالغة، وتقدّم نحو القمة والسمو والإزدهار والتطور والنمو... وواصل الزحف لولا أن تقيم الصهيونية العالمية

إسرائيل لتكون قاعدتها الأممية، ورأس رمح الأطماع الصهيونية في تحقيق التوسع الإستعماري في بلاد العرب والإسلام... لأن الحركة الصهيونية أشد خطراً من أية حركة إستعمارية عرفها العالم، منذ أن ابتلى بويلات الإستعمار وبطشه ومخططاته الجهنمية، ذلك أن الإستعمار إذا كانت غايته استغلال خيرات البلاد المستعمرة بأبخس الأثمان، وتشغيل اليد العاملة الوطنية لصالح استثماره بأجور متدنية، وابتزاز ونهب ثمرات جهود المواطنين، وعوائد ذخائرهم الوطنية، فإنّ الحركة الصهيونية تقتلع السكان الأصليين الشرعيين من جذورهم في بلادهم وأراضيهم، وتشردبهم وتنفيهم وتجعلهم طرائق قحدا، وتستولي على جميع ثرواتهم الطبيعية، وملكياتهم العامة والخاصة، وتضع نصب عينها تهديم مقدسات ومعالم الإسلام ومبانيه، لتقيم على أنقاضها هيكل سليمان... وتحل محل الشعب الأصلي الفلسطيني الذي لم ينقطع وجوده في بلاده، على مجرى التاريخ شتاتاً من عصابات وأراذل وأوغاد يهود العالم... وتقيم للحركة الصهيونية بؤراً في كل بلد لليهود فيه أثر ووجود، لتجعل من هذه البؤر حركات منظمة ولو بوسائل الخداع والضغط والإرهاب مربوطة بها، وبقاعدتها الأممية إسرائيل، تجي منها الضرائب بشكل منظم باسم المعونات والتبرعات، وتحولها إلى قوى ضاغطة على حكومات بلادها، لتسيرها وفق أغراضها، وتصدر إليها الأوامر بالانتقال والهجرة إلى ما احتلته واغتصبته من أرض فلسطين، وتفرض عليها أن تدين بالولاء لإسرائيل أولاً، جاعلة منها حكومات صهيونية مقنعة داخل بلاد كثيرة في العالم.

إنّ الصهيونية العالمية التي أوجدت إسرائيل الغاصبة بالتعاون مع الشرق الماركسي، والغرب الإستعماري... أيها المسلمون... تضع نصب عينها الإستيلاء على أكبر مساحات أرضية من بلاد المسلمين، وما بلاد الإسلام إلا بلاد العرب، لتضمها إلى إسرائيل، كما تضع نصب عينها، وفي أول مخططاتها التوسعية الوصول إلى السيطرة على كل ما تستطيع من مصادر الثروة الطبيعية الإسلامية، لتمتلك وتغتصب بيد من حديد على الكثير من منابع الثروة التي يفتقر إليها العالم لتتحكم به.

بالإضافة إلى أنها تنفذ مخططاً إستعماريّاً آخر وضعته بعناية دقيقة ودراسة فائقة، وهو برنامج التغلغل والتسلل إلى بلاد القارتين الآسيوية والإفريقية، وقلبها النابض بالحوية والمناعة بلاد الإسلام، للسيطرة على مواردها ومنابعها الأولية، وتجعل من شعوبها سوقاً لاستهلاك وتصريف بضائعها ومنوجاتها، ولتخضعها بالتالي إلى نفوذها مادام التغلغل الإقتصادي، هو مفتاح ومدخل النفوذ السياسي، والوسيلة السهلة الناجعة للتسلط الإستعماري.

وكوسيلة لتنفيذ هذه الخطة الشيطانية تجهد الصهيونية العالمية لكي تبقى بلاد الإسلام والعرب، مفككة كقصاصات الورق، ممزقة متصارعة متطاحنة، متضاربة، متخلفة، متخاذلة، ضعيفة. وقد رأيت أن من أهم الوسائل التي تعينها للوصول إلى ما لتصبوا إليه من امنية زرع بذور الماركسية في الحواضر الإسلامية والعربية، مادامت الماركسية تدعو إلى حرب ومكافحة الطبقات، وتصرف الإنسان عن أهداف التحرر والإنطلاق.

لذلك فإنَّ القارئ الكريم... لو أمعن ودرس الأوضاع والأحوال، لوجد أن كل حركة ماركسية في أي بلد قامت كان وراءها في الأصل يهودي صهيوني، واحتضنها في مراحلها الأولى التي حملها إلى ذلك البلد، ريثما سلمها إلى عناصر ارتبطت مع مراكز الشيوعية في العالم بالولاء.

وهكذا تسرّب وتسلل الاخطبوط الصهيوني إلى الوطن الإسلامي الكبير... والمسلمون بعزل عن دينهم، وعقيدتهم، ورسالتهم، وفي غفلة أو تغافل عن فعلة اسرائيل النكراء، وحين استيقظوا من سباتهم وجدوا أن بلاداً إسلامية منهم مغتصبة، وينكر مغتصبوها على أصحابها حق تقرير المصير والمطالبة بحقوقهم المشروعة، بالإضافة إلى أن هناك مناطق إسلامية شاسعة في إفريقيا ألحقها الإستعمار القديم بدول غريبة عنها بعد أن اقتطعها من البلد الأم.

كما أن هناك عشرات الملايين من المسلمين الذين يقيمون في بلاد تخضع لأنظمة حرمتهم من أوليات الحرية. وأخضعتهم لمفاهيم لا تسمح لهم أن يعيشوا دينهم، ولا أن يمارسوا طقوسهم ومراسمهم العقائدية، ومع ذلك لا وجود لتكتل بشري، أو قيادة إجتماعية ولا مذهبية تتم بهم، وينصر كفاحهم، رغم أن الحكومات الغربية، والكنائس المسيحية وغيرهم من الفرق والطوائف، تتم بالمسيحيين، ودينهم، ومعابدهم، وحرّياتهم في البلاد الإشتراكية وغير الإشتراكية. ورغم أن الصهيونية تضغط بكل ما أوتيت من الوسائل والقوة، لتشكيل منظمات يهودية في بلاد الشرق والغرب من العالم، تجنّدها لخدمة أغراضها، ورغم أن الشيوعية الأمية، والدول الإشتراكية، تمارس كافة أنواع التدخل والتسرّب، والضغط لحماية الماركسيين من أتباعها ومواليها في البلاد غير الماركسية.

فهل فكر المسلمون في يوم ما... أو تصدّت قادة الإسلام، وحاة التشريع الإسلامي... ورجال الدعوة الحركة الإسلامية... في حماية الشريعة، والقرآن وأهله؟ وهل تطوعوا وقاموا بانعقاد الاجتماعات والمؤتمرات للنهوض بأعباء الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض، ويرفعوا الظلم عن المظلومين، ويردوا الحرية للمضطهدين، ويدفعوا كيد المعتدين، ويسيروا ببلاد المسلمين إلى طريق النمو والتقدّم، فيبلور الدور الرئيسي الذي تستطيع البلاد

الإسلامية أن تلعبه على الصعيد العالمي، مع اليقين والجزم أن الدول الإسلامية مجتمعة وعدد سكانها يربو على ربع سكان العالم كله، تستطيع أن تفعل الكثير من أجل خيرها، وخير المسلمين جميعاً، ومن أجل دفع الشر والضرر عنها وعن المسلمين كافة.

إن منطق العصر الحديث، هو منطق الكتل البشرية الكبرى التي تلتفت حول محور العقيدة الواحدة، فإن تجمع الدول الإسلامية في كتل ينظمها معاً صف واحد، تحت راية القرآن، لهو عمل أساسي بناء وخير منيع لأنه يساعد الدول الإسلامية على الحفاظ باستقلالها، وسيادتها، ومصالحها، وخيراتها، ويردعها كل خطر يهددها كما ويعينها على أن تتبادل الإفادة أو المعونة في الخبرات الفنية وغير الفنية، وفي أن تتعاون ثقافياً وإجتماعياً، وإقتصادياً، وسياسياً لتستطيع وتتمكن التحرر من طور وقيود الدولة النامية التي هي فيها، ولترتقى إلى مصاف الدول المتقدمة المتطورة.

وكيف لا والحمد لله تعالى على أن جعل بلاد الإسلام كلها بلاد الثروات الطبيعية الأولية، وما من بلد مسلم وصل إلى المرحلة التي تمكنه من استثمار موارد بلاده وحده أو الاكتفاء بموارده الذاتية عن البلاد الأخرى. ومن هنا يمكننا القول أن هناك كثيراً من المصالح المشتركة، بين بلاد المسلمين، كما أن هناك كثيراً من التشابه في المشاكل والصعوبات والشدائد التي يعانون منها، وفي الأخطار التي تهددهم وتقتحم عليهم ديارهم وأراضيهم.

إن القضية الفلسطينية... أو مأساة البيت المقدس... لا تخص أمة وقبيلة دون غيرها، وشعباً دون شعب، إنها قضية تخص المسلمين كافة، على تباين طبقاتهم ولغاتهم وجنسياتهم، فالجميع فيها سواء، وتخص الجميع بالذات ولا يتمكن فرد أن يتخلى عنها أو يحسبها خارجة عن نطاق مسؤوليته، وإلى هذا أشار النبي الأعظم (ص) بقوله: (كلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته. والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته. والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته. والخدام راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته. والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته. فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) (٣٠).

فإلى متى ستبقى القضية الفلسطينية معقدة، ويقضى أهلها الشرعيون في التشريد، والنفي، والطرده، والقتل يأكلهم البرد، والسجون، والبيداء لا ملجأ ولا كهف ولا حصن يجمعهم، ولا شعب يهتم بشؤونهم...؟ إنني قلت قبل عشرين عاماً في حديث لي نشرته الصحافة العراقية في حينه، واليوم اكرر التصريح به، وهو أن القضية الفلسطينية لا تنحل

إلا على الصعيد الإسلامي فحسب، وذلك أن يتصدى المسلمون بأجمعهم إلى تحريرها وإنقاذها من براثن الصهيونية... وإنّ المسلمين إذا لم يتداركوا الموقف فإنّ بقية الأراضي الإسلامية ستكون عن قريب فريسة وطعمة لإسرائيل الغاصبة... أما البلاد العربية فإنّها بصورة عامة ستعترف بالكيان الصهيوني، إمّا عاجلاً أو آجلاً، شاؤا أم أبوا... لأنّ إسرائيل منذ إستيلائها على الأراضي المقدسة لم تواجه قوة وضربة حديدية تردعها عن غيها، وتدوس رأس الأفعى الصهيوني وتطوها، وتلفها وتلقي بها في مزبلة العدم والفناء.

وفي الأعوام الأخيرة تيقظ عند المسلمين روح التضامن، ووجد تفكير مماثل له لدى كثير من قادة الكفر، وزعماء الدين في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وتبلور التفكير ذلك وانتقل إلى مرحلة تدارس أمور المسلمين، وأحوالهم، وظروفهم الحالية والمراحل القاسية التي يجتازونها، ليتمكنوا من وضع خطوط رئيسية لما يجب أن يقوموا بها، ويفعلوها اليوم وبعدها لغدهم... وأكدوا في تصريحاتهم وتوصياتهم ومقرراتهم، أن يخرجوا التضامن الإسلامي إلى حيز الوجود على أساس أن العالم الإسلامي يشكل كتلة واحدة تربط بين أجزائه وشعوبه عقيدة الإسلام بنص القرآن الكريم: (وإنّ هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (٣١) وإنّ الهجمات والحملات السياسية والفكرية التي تتعرض لها الشعوب الإسلامية، تحم على المسلمين التعاون والتساند، لإقامة كتلة عالمية واحدة، يكون لها من القوّة والمناعة والقيادة الرشيدة مايساعدها على حماية عقائدها، وأراضيها، ومصالحها، ومنابعها. وإنّ الولاء للعقيدة الإسلامية، ومصالح الأمة الإسلامية في مجموعها، يجب أن يصبح فوق الولاء للقوميات والعصبيات، وأن تتجه الحكومات الإسلامية لتوثيق الروابط والصلات بينها في مختلف الحقول السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية.

وعلى ضوء هذا التضامن الإسلامي الفذ، كانت للمسلمين في السنين الأخيرة على اختلاف جنسياتهم وقومياتهم مسيرات بناءة وخيرة في الحرمين الشريفين مكة والمدينة... أيام مواسم الحج، والزيارة تشترك فيها المسلمون الوافدون على الحرمين من كل صوب وحذب، تتجمع وتنطلق من نقطة معينة وتقطع مسيرها المؤدى إلى الحرم، بكل إتزان وتجليل ومناعة مرددة شعارات وهتافات قامعة لتطاول الأعداء، وبغى المستعمرين، وكيد أعداء الشعوب الإسلامية، ومطالبة باسترداد الأراضي السليبية المغتصبة، وتحرير البلاد الإسلامية من قيود الإستعمار والإستثمار، وحقن دماء المسلمين، وعدم مواجهتهم، ومعاملتهم بسوء واضطهاد، وهضم حقوقهم الإنسانية، وتشريدتهم في بعض البلدان غير الإسلامية لكي يستطيع المسلمون بحول الله وقوته... الحفاظ على مقومات دينهم، وتراثهم، وخيراتهم،

وأراضيهم، وإستقلالهم.

وتتميز تلکم المسيرات المتعاقبة خلال السنين الأخيرة بمسيرة واحدة، حدثت يوم ٨ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ، المتصفة بطابع اليقظة، والتحرر، والإيمان، واليقين، والثبات، والعزيمة، والمثابرة، وكادت تدفع عروش السعودية إلى شفير الهاوية، لولا أن يتداركها الإستعمار بفلوله، وزبانيته، وشياطينه في المنطقة... فبعد أن أبان المسلمون عن مطالبهم وأهدافهم وغاياتهم، وتركزت في الأذهان، وتبلورت الأفكار باليقظة والعزيمة، تفرقت الجماهير والجموع المسلمة، واتجهت صوب الحرم للزيارة والطواف، حيث داهمتهم فلول وعملاء وجنود العمالة بالضرب، والإعتداء، والشتم، ورميم بالقناني الفارغة، والحجارة والآجر من على شرفات الفنادق، والمحلات والبيوتات السكنية، وفتحت عليهم نار الرشاشات والبنادق، واستعملوا القنابل المسيلة للدموع، والخانقة للأرواح، وتحولت الأرض المقدسة (مكة) إلى جبهة قتال ومعركة دامية، وبجزرة أئمة، وسقطت الآلاف من المسلمين الأبرياء، وتعالى ضجيج النساء، وصرخات الأطفال، وخيم الرعب والإرهاب أجواء مكة ورحابها.

إنّ البيان عاجز عن وصف وسرد صورة المجزرة الأئمة، والقلم كليل في أن يخطها وينقشها، ويسجلها على الورق، ويوضح أبعاد هذه الخيانة المباغته، التي كانت كاللهب الطائش الإسرائيلي الذي أحرق الوطن الإسلامي، ودمر إيمانه ومثله وقيمه بالأمس، وهي إن دلت على شيء فإنها تدلّ على التطلع الخسيس الوقح السعودي الذي يتوخى المزيد من قتل المسلمين وإبادتهم، لحساب إسرائيل الغاصبة المجرمة، إلا أن المسلمين المتدريين بالسلاح المحصن بصدق الإيمان، والعقيدة، والولاء والقادرين على التحرك السريع وفي كل الإتجاهات... أظهروا منتهى العفو والسماح، والتبذل، والتغاضي، حفظا لقدسية الأرض المقدسة، وإكبارا لحرمه الحرم الشريف مكة فحسب، وإلا فإنهم بحول الله وقوته، قادرون على قمع أية فتنة يهدف أن يحركها الأعداء إذا استطاع الأعداء تحريك أية فتنة، فالحفاظ على قدسية واحترام المسجد الحرام، والشهر الحرام، والبلد الحرام، جزء لا يتجزأ عن مثاليتهم المنبعثة عن إيمانهم القويم. وإلى هذا المعنى الخلقى المثالي تشير الآية الكريمة: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) (٣٣) أي أن عباد الرحمن يمشون بالسكينة والوقار والطاعة غير أشرين ولا بطرين، ولا مرحين ولا متكبرين، ولا مفسدين، ويمشى الرجل منهم بسجيته التي جبل عليها، لا يتكلف ولا يتبختر لا يجهلون وإن جهل وتناول عليهم، وإذا خاطبهم الجاهلون بما يكرهونه أو يثقل عليهم قالوا سداداً من القول، لا يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش والإثم والضرب (٣٣).

والذي يبدو من دراسة المجزرة من كافة أبعادها وجوانبها، ومطالعة ظروفها وأحوالها أنها لم تكن خلق الساعة أو مفاجئة وقتية، ومباغته حالية، وإتينا وضعت خطوطها قبل مدة ورسمت مخططاتها منذ حين... والخلاصة أن القرائن تدلّ بوضوح أنها كانت مدبرة ومرسومة إذ لم يكن يخالج بخاطر واحد من الحجاج آنذاك، أن هجوماً عنيفاً سيكون عليهم كما لم يكن الموضوع هذا يخامر ذهن أحد من المسؤولين القائمين بانتظام المسيرة، وتعيين مصيرها، ومسيرها، واحتمال حدوث هذه الخيانة. ولو كان المسلمون على علم بها من قبل أو كان في نيّتهم لا سمح الله تعالى... الإعتداء والتطاول وإحداث الشعب، والفوضى، والقتل، لكانوا يتصدون لمقارعة الهجوم الوحشي السعودي ويقفون بوجهه.

ومهما يكن من أمر فالخيانة كانت مدبرة للنقاط التالية:

١ - إلتقى وزير الخارجية السعودية في الرياض بإلقاء بأعمال الجمهورية الإسلامية الإيرانية... وأبلغه شكر حكومته للمسوفين الإيرانيين، الذين دعوا الحجاج قبل مغادرتهم لأراضيهم والتوجه إلى الحرمين الشريفين، بالهدوء، والسكينة والصبر والإيمان، والتجاوز والإغضاء. كما أبلغ المسؤولين، الحكومة السعودية بعدم إيجاد ما يسبب المشاكل والمصاعب للجانبين. والشكر المسبق هذا من قبل السعودية كان إيهاماً وتسترأ إذ لم يشاهد نظيره منها في السنين المتقدمة وكان هذا العام بالذات.

٢ - في اللقاء الحاصل يوم ٤/ذي الحجة، بين وزير الحج، والأوقاف السعودية، وبين ممثل ومندوب الجمهورية الإسلامية والقيادة العامة للثورة... ذكر الوزير السعودي من أن اخوة الملك وزبائنته وحاشيته والمسؤولين بطالبون الملك بعدم السماح للمسيرة هذا العام، والحيلولة دونها.

٣ - حين تحركت وانطلقت المسيرة من محل إجتماعها الخاص، وقبل أن تصل إلى النقطة التي كانت هي النهاية، أخذت مكبرات الصوت السعودية، تحذر السعوديين، وغير الإيرانيين، من التقرب والذنومن المنطقة، وتوصيهم بالإبتعاد عنها.

٤ - المتاجر والمحلات الواقعة على ضفتي طريق المسيرة، كانت قد اغلقت منذ ظهر يوم المسيرة بأمر من السلطات. مع العلم أن المحلات التجارية هذه تواصل أعمالها ليلاً ونهاراً أيام الموسم دون انقطاع.

٥ - في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة، أبلغت المستشفيات والمرافق الصحية بمجموعها بعدم قبول أي مراجع إيراني للتداوي في اليوم السادس منه.

٦ - اغلقت قبل تحرك المسيرة بساعة واحدة، أبواب ومداخل العمارات الثلاث



الكبيرة الخاصة بالحجاج الاردنيين، والفلسطينيين، ولم يسمح لأحد بالدخول والخروج منها.

٧ - كانت سطوح البنايات الواقعة على الضفة اليسرى من المسيرة، مخترزة ومعبأة بالكميات من القناني الفارغة، والصخور، والأحجار، والآجر، والأجهزة المعطوبة لمواجهة الحجاج بها من السطوح، وإلقائها على رؤسهم. وقد أخبر البعض من أصحاب الدور أن هذه الوسائل جمعت في السطوح، قبل أيام من قبل السلطة السعودية.

٨ - في السنين السالفة كانت شرطة السعودية المسماة بشرطة مكافحة الشغب..؟ تقف على جانبي طريق المسيرة لألقاء الرعب والذعر في النفوس، ومنع غير الإيرانيين من المشاركة والمساهمة في المسيرة. وفي العام هذا كانت قد وقفت على ضفتي الشارع، قوات غير مسلحة، بينما وقفت حشود من قوات الحرس الوطني، والقوات الخاصة في المنطقة الأمامية (مفرق شارع عبدالله بن الزبير) وفي مؤخرة وقوف المجتمعين والمشاهدين (مسجد الملك) ولا يخفى ما لهذا التغيير من دلالة على الإستدراج والإستعداد للهجوم الشيع.

٩ - كانت حشود الشرطة السعودية تقف في الأعوام المنصرمة في عدة نقاط وصفوف عند النقطة النهائية للمسيرة وكانت المسيرة تنقض عندها إلا أنهم في هذا العام اكتفوا بأيقاف صف واحد من البوليس غير المجهز نسبياً عند نهاية المسيرة، بينما وقف حشود القوات المسلحة بعيدة عن النقطة النهائية (أي في شارع عبدالله بن الزبير. وشارع النفق) مما يدل على أن السلطة ما أرادت الوقوف بوجه المسيرة وتقدمها إلى الأمام كما كانت تفعل في السنين الماضية، وإنما أرادت أن تتقدم المسيرة إلى الأمام فيفتعلوا نوعاً من الإصطدام والشغب فتتوفر وسائل الضرب والقتل.

١٠ - خلال السنين الأربع الأخيرة كان أمر الشرطة يقف على بعد مسافة مائة متر أمام فرقة قواته. ويتصل بمسؤولي المسيرة، ويتبادل معهم النظريات والآراء ثم يفتح طريقاً لعبور الأفراد القاصدين إلى المسجد الحرام، لأداء فريضة الصلاة، ولكن في هذا العام فكان أمراء الشرطة واقفون خلف فرقة الشرطة لأصدار أوامرهم القمعية الهمجية.

١١ - كانت شرطة المرور في الأعوام السابقة توزع وتترج السيارات في طول طريق المسيرة كي تتفرق الجماهير، وتتبعثر المتظاهرون وكان هذا العام عكس السنين السابقة تماماً، فقد منعت شرطة المرور وقوف السيارات طول الشارع وأبعدتها عنه من مسجد الملك إلى مفرق شارع عبدالله بن الزبير. وهذه الظاهرة كانت قد جلبت إنتباه الجماهير غير أن لم ينظر بذهنية أحد أن العملية هذه تستهدف منها فسخ المجال والميدان، لجريمة الجزارين وازاحة

العقبات التي تصدهم من تحقيق غنطهم الصهيوني البشع.  
كما وأن شرطة المرور أبعدت عن الشارع كل وسيلة يمكن أن تدع أطلاقات  
الرصاص عليها آثار الجريمة والخيانة.

١٢ - في الماضي كانت قوات الأمن السعودي تتوزع بين الجماهير وبين صفوف  
المسيرة بالزّي المدني، ويسيرون جنباً إلى جنب المتظاهرين لمصادرة النشرات التوجيهية  
وكراسات التوعية، والدعوة والتحرر التي توزع أثناء المسيرة، أما في هذا العام فلم يكن واحد  
منهم داخل المسيرة، وإنما احتشدوا جميعاً خلف صفوف البوليس ينتظرون لحظة الهجوم وفي  
أيديهم العصا الفتاكة، والذي ينبغي القول أن الكثير من الجرحى والقتلى، كانوا من ضحايا  
هؤلاء الوهابيين المتوحشين.

١٣ - التفاهم والتنسيق المسبق مع كافة عملاء السعودية، وقلولها وأذئابها، والدوائر  
السياسية المشبوهة في العالمين العربي والإسلامي... للحصول على تأييدهم الكامل لأبطال  
الجريمة وفتك الجزارين، وإدانة الحجاج المظلومين، المستشهدين برصاص الغدر والخيانة... في  
أول لحظات الجريمة وساعاتها الأولى، وقد حصل هذا تماماً بعد أن لعب الدولار البتروبي  
السعودي... دوره الفعال على الصعيد الدولي، فتقاطرت على السعودية تأييداتهم الباطلة  
المختلفة بكل وقاحة وخسة.

١٤ - النشاط الإعلامي الواسع في الحجاز، لمسخ الحقائق وتشويه الواقع الصحيح،  
ونشر الأكاذيب، واختلاق التهم والأباطيل من لدن أجهزة الدعاية والمذيع، والتلفزيون،  
والصحف، والمجلات، والنشرات بشكل منسق مدروس مع الإستفادة من كل ما كان في  
الرفوف والزوايا الإعلامية السعودية من تصاوير، وأفلام صنعت واختلقت لألقاء التهم  
والإفراء، والتشهير والنكسة بالمسيرة.

إنّ هذه الأدلة صريحة وسافرة من أن حكام السعودية والسائرين في ركبهم المحطم،  
كانوا قد وفروا أسباب وعوامل الإصطدام والإشتباك، والوقيعة الدامية، وهياوأ الشرارة  
الاولى لها حيث بوغتت المسيرة الظافرة بالهجوم على الحجاج العزل من كل سلاح، ومقاومة،  
غير سلاح الإيمان والثبات والعقيدة... ذلك السلاح العقائدي المنتصر الذي دفع بحول الله  
وفوته عروش الباغين، والمعتدين، إلى سفير الهاوية، وجعلهم يقتربون إلى الزوال والإنهيار  
والإضمحلال خلال الأيام القريبة القادمة إن شاء الله تعالى.

وعلى إثر تلك المباغطة الملعونة التي لم تكن في حساب أحد من المسلمين... إرتفعت  
نسبة الشهداء وعدد الضحايا والمفقودين، من النساء والمعوقين إلى حد رهيب مخيف. وفي كل

تلك اللحظات كانت الجماهير، والجموع الحاشدة متحلية، ومتخلقة بأرفع القيم، والمثل الأخلاقية الكريمة، الداعية إلى التفاهم السلمي والهدوء والحيلولة دون سفك المزيد من الدماء الطاهرة، فقابلت الهجوم بالصمود، ورباطة جأش، واصطبار والإبتعاد، والتخلي عن كل صفة ومقاومة، وعمل يؤدي حتى الى سفك قطرة دم على أرض الحرم... لولا رعاية قدسية الأرض المقدسة... وبيت الله الحرام... والشهر الحرام... لكانت مقاومة الجماهير، وغضبهم المتأججة في الصدور، لا تستقر ولا تعود إلى قرارها إلا بأبادة القوات المهاجمة المسلحة الجبناء، وأخيرا القبض على الحرمين الشريفين، وتطهيرهما من أرجاس السعودية الوهاية القذرة.

أجل وفي اليوم السادس من شهر ذي الحجة الدامية، بدأت الجموع المسلمة المؤمنة تتقاطر بعد أداء فريضة صلاة العصر، على محل تجمع الجماهير، والشروع بالمسيرة الواقع في منطقة المعابدة، وحين استقرار الأفتشار العامة من الحجاج والمسؤولين، بدأت المسيرة برناجها العقائدي بتلاوة آية من القرآن الكريم... وذلك في الساعة الرابعة والنصف. ثم رفعت الجماهير الألفات الشعبية التي جاءت عليها الشعارات التالية:

ألموت لأمریکا... الموت لروسيا... ألموت لأسرائيل... أيها المسلمون إتحدوا...  
إتحدوا... تبت يد المشركين من بلد المسلمين...

ومن ثم قرأت على المتظاهرين سطور من البيان الموجه إلى الحجاج المحترمين المجتمعين في مكة، من قبل القائد العام للشورة الجمهورية الإسلامية الإيرانية... وأعقبه مندوب القائد فألقى بمحدث تطرق فيه إلى المشاكل والظروف القاسية السياسية التي تجتاز العالم الإسلامي، وعن حاجة المسلمين الماسة فيها إلى الوحدة والتضامن والتحرك في الميدان الإسلامي... وبعد نقله إلى اللغات الحية في حينه إنطلقت المسيرة في الساعة السادسة وعشر دقائق، متجهة إلى شارع المسجد الحرام.

كانت مقدمة المسيرة تتكوّن من ثلاثة صفوف:

- ١ - جمع من الاخوة المسؤولين عن إدارة وتنظيم المسيرة، وأيديهم متشابكة.
  - ٢ - لمة كبيرة من الرجال.
  - ٣ - في الجانب الأيمن منها موكب المعوقين، الجالسين على عجلاتهم الخاصة، ومن خلفهم النساء. وفي الجانب الأيسر منها الرجال أيضا.
- واصلت المسيرة زحفها بهدوء ودقة واستقرار وسكينة، مرددة الشعارات المرفوعة الموجهة إليهم من القيادة المركزية. وفي الساعة ٦/٤٠ بلغت المسيرة نقطة النهاية، وخذت

أصداء مكبرات الصوت، وترديد الشعارات وطويت اللافتات. وقد وقفت فرقة من الشرطة السعودية عند موضع إنفصاض المسيرة، وفي هذه اللحظة تقدمت الشرطة عدة أمتار نحو المسيرة وحملت بالمهاويات على الجماهير، فضربت البعض واستفزت الآخرين. وقد استقر من ورائهم عصابة غفيرة من قوى الأمن المتلبسين بالزي المدني، والمتسلحين بأنواع العصا الفتاكة، والمتزودة بقطع الحديد، والمسامير. وحين أخذت الشرطة تضرب الجماهير علت من قوات الأمن المستقرة خلف الشرطة، وأمر وصيحات تشجعهم على التطاول والإعتداء، وهنا شنّ البوليس وقوات الأمن حملاتهم الوحشية، وانهالوا على المسلمين بالضرب، واللطم، والجرح، والشتم، فجرح نفر من الحجاج ووقع شهيداً جمع منهم على الأرض.

وقد خطت قوات الأمن السعودي من ضرب المسلمين من شتى الجهات، فألقت عليهم من شرفات البيوتات، وسطوح المنازل ركاما وتلولا عظيمة من الحجارة، والقطع الإسمنتية، والزجاجات، والقناني الفارغة، والسطول المليئة بالتراب والرمل، وقناني إطفاء الحريق، والمكيفات المعطوبة، وقطعات الزجاج، والمرابا، مما أدى إلى جرح عدد كبير من المتظاهرين واستشهاد نفر، وعلى سبيل المثال سقطت قطعة إسمنتية ضخمة على رأس واحد من الحجاج، فأردته قتيلا في اللحظة وفاضت روحه الطاهرة إلى خالقها، تشكوبطش السعوديين، وأخذهم الحجاج بأنواع العذاب والقتل.

في هذه الحالة من الهجوم الوحشي، تراجع الحجاج إلى الورا وعطفوا إلى الجانب الأيمن من المسيرة، مما أدى إلى الإزدحام والضغط والصخب، وسقوط عدد آخر من الحجاج، سوا النساء، والمعوقين، والشيوخ، والضعفاء غير القادرين على المسير والمشي.

وخلال هذا الزحام الخائق المميت، شنت عصابة من قوات الأمن هجوماً من الجانب الأيمن، من خلف مسجد الجن، يحملون العصا المدمرة على النساء أدى إلى التدافع والإزدحام، وسقوط جمع منهن جريحة وشهيدة إلى جانب عدد من المعوقين، والمعلولين.

ثم عادت الشرطة وواصلت هجومها ثانية من الجانب الأيمن والأيسر، بإطلاق الرصاص على الناس من بنادق مكافحة الشغب، وأعقبها إطلاقا الرصاص من فوهة الرشاشات.

في هذه اللحظة العصبية هامت الجماهير، وولت نحو الجبال الواقعة على الجانبين من الشارع، ونحو جسر الحجون. وأثناء تسلقهم للجبال، وجدوا أن قوات الأمن قد أختبأت فيها من قبل، فانهالوا على المسلمين بالضرب والشتم. والذين توجهوا إلى جسر الحجون للتخلص من شرارة العدوان، وجدوه موصداً بعصابات كثيفة من الشرطة المسلحة بسلاح الغدر والخيانة...

وكان الشرطة حاصرتهم من كل صوب وطوقتهم من جميع الجهات ولا يمكن الفرار والخروج. هذه كيفية معاملة خدام الحرمين...؟ مع عباد الرحمن... ودع القول مع المسلمين، فأين صارت البشرية والأنسانية؟ أي ضمير حيّ يرتضي هذا التعامل مع نملة أو حشرة، فكيف بهذا الموجود المقدس الدال على بدائع حكمة الله وعجائب صنعته، وهو أيضا من آيات الخالق تعالى، الناطقة على قدرته ووحدانيته وعظمته ويتباهى الله سبحانه به فيقول: (ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (٣٤) فالكفر بآيات الله كفر بالله تعالى، وبه يتخلى الإنسان عن الأيمان والإسلام، ويصبح في عداد الكفار، والمشركين، والمرتدين. وهو دليل أن أبطال المجزرة ليسوا بمسلمين مهما طلبوا وزمروا، وتشدقوا بالإسلام، لأن الأعمال هي الملاك والمستند فقط.

بالإضافة إلى هذا أن الوقعية النكراء حجة قاطعة، من أن العصابة هذه لم تكن بعربية، وليست متأثرة بالمثل، والقيم العربية، وإن تشدقت وتبجحت بالعروبة... لأن العرب معروفون، ومطبوعون على الوفاء، والإباء، والشيم، والعهود، والغيرة، والإستجارة، والحنو على الضعيف والضيغ والفقو.



لقد كانت الحجاج والجماهير في شرك المحاصرة، يواجهون هجوم البوليس وقوات الأمن، من كل صوب وناحية يمحطون عليهم الرصاص من شتى النواحي. وفي داخل الحصار هذا حدث أنواع القدر، والخيانة، والفحشاء، والفظاظة، والقسوة مما لم يعهد به التاريخ مثيلا حتى في الغز والمغولي الوحشي... فهجموا على النساء اللاتذات بزوايا الشوارع، وضربوهن بالهراوات على رؤسهن، وأكتافهن فسقطن مضمخات بدمائهن، ثم حملوا على الجرحى والمستشهدات، واشتغلوا بالنهب وانتزاع الأساور، والساعات، والأقراط، وتفريغ الجيوب، والحقائب إلى جانب ضرب المعوقين والمعلولين، وقتل عدد منهم.

واستشهد جمع آخر من الحجاج على أثر استعمال الغازات الخائقة المحرقة، والمسيلة للدموع، وسقط الكثير من النساء والشيوخ في وسط الزحام وجرحوا. ولم تكن الغازات الخائقة والقاتلة محصورة في داخل الحصار، وإنما امتدت آثارها إلى الجبال المحيطة بالمنطقة.

شدد البوليس السعودي...؟ الحصار والخناق، وضيق الساحة، وزحف من شارع عبدالله بن الزبير إلى مقابل شعب أبي طالب، وراحت القوات تبطش بوحشية بالمسلمين، مستخدمة كل أدوات ووسائل القتل والجرح، وبدأ الرصاص يطلق وينهال عليهم، من تحت جسر الحجون، ومن شرفات الأبنية المجاورة، وسقط في حينه عدد آخر من القتلى والجرحى.

لقد حاول بعض الحجاج إنقاذ النساء الجرحيات، وانتقلن إلى خارج المعركة فانهال البوليس عليهن بالضرب، ومنعهن من ذلك. كما حاولت سيارات الإسعاف الإيرانية دخول المجزرة، وحمل الجثث فواجهوا الشتم والمنع وعدم السماح، وترك المنطقة فوراً. إلا أن الحمية الإسلامية، والشهامة العقائدية، دفعت بسائق سيارة إسعاف تحدى أوامر البوليس، وشق طريقه إلى داخل المجزرة فانهالت القوات على السيارة، وهشموا منافذها وكسروها، وأطلقت على السائق الرصاص وأردوه قتيلاً.

ولم يتمكن أحد من البشر من إنقاذ الجرحى والقَتلى، من النساء، والرجال، والشيخ، الذين كانت أجسادهم تنزف دماً، ويستغيثون ويستصرخون... والقوات تحييمهم بالضرب، والشتم، واللوم. وهكذا إنتهت الوقعة، وبلغت المجزرة أشع صورها، وأخس حالاتها، وخيم الرعب على أجواء مكة... الجريحة... الباكية... الدامية... الشجية... الحزينة... القلفة... المبعثرة... المضطربة... وحن وقت صلاة المغرب وارتفع صوت المؤذن...

الله أكبر... الله أكبر...

الله أكبر... الله أكبر...

وهنا لجأ بعض الحجاج إلى زاوية من ساحة المعركة الدامية، لأداء فريضة الصلاة فتوجهت رجال الأمن نحوهم وفرقوهم بالضرب واللطم.

وحين شاهد العالم هذه المأساة الدامية البربرية، وماحل بالمسلمين الحجاج، بكت عليهم السماء والأرض وفتح الأخوة الفلسطينيين والاردنيون، أبواب بناياتهم بالقوة وتحذوا البوليس السعودي المجرم، وآووا الحجاج سوا النساء وأدخلوهم مساكنهم، وضمّدوا جراحاتهم، وسقوهم الماء الفرات، وأسكنوا روعهم، مؤكدين للدنيا أن الشهامة الإسلامية، والفتوة العقائدية، أقوى من بطش الإرهابيين وتنكيل الوهابيين... بعد أن كانت القوات السعودية قد أغلقت أبواب العمارات الواقعة على يمين المعركة.

(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار. مهطعين

مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) (٣٥)

كم غدرة لكم في الدين واضحة	وكم دم لرسول الله عندكم
أنتم له شيعة فيما ترون وفي	أظفاركم من بنيه الطاهرين دم
يا عصابة شقيت من بعد ما سعدت	ومعشرا هلكوا من بعد ما سلموا
يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم	لعشر بيعهم يوم الهياج دم

تنشى التلاوة في أبياتهم سحراً      وفي بيوتكم الأوتار والنغم  
الركن والبیت والأستار منزلهم      وزمزم والصنى والحجر والحرم

إنّ معرکتنا لم تبلغ النهایة... ولم نتوصّل بعد إلى خاتمة المطاف... ولنا مع الظالمین، والمفسدین، والعملاء جولات، وجولات، حتى یحقّ الله الحق، ویبطل ولوکره المشرکون... سنعود من جدید إلى قلب الجزيرة الإسلامية، وإلى بطن المجزرة الدامية، ونقیم معالم العقيدة الإسلامية... وركائز التشريع الإسلامی على حطام أشلاءهم الممزقة العفنة، وسنظهر كل شبر من الأراضي الإسلامية المقدسة، من أقصاها إلى أقصاها، من مكائد وبرائن الصهانية الأوغاد، وعملائها الجبناء، ونجعل كلمة الله هي العليا، وكلمة الباطل والظالمین هي السفلی. سنشور لدماء الآباء والأجداد... وكرامة الأمهات والأخوات... ونضرب بيد من حديد على كل من سولت له نفسه الأثیمة بهذه الخيانة الكبرى... وننزل الضربة القاضية العارمة، بحياة الباغین والمأجورین والمترزقة، وهي فی الواقع والحقیقة كلمتنا الأولى والأخيرة.

إنّ قیام الآباء والجدود، وصرخاتهم بوجه الطغاة والحاكیمین الظالمین الخاقدین، ماهو إلاّ دلیل على إیمانهم الراسخ، وعقیدتهم المترکزة المتغلغلة فی أعماق قلوبهم، والتي جعلتهم يتخذون من الموت سبیلاً للحياة، لذلك تجذبنا المغوار بالرغم من كل وسائل البطش والفتك... فی شهامة متزائدة، وشجاعة وقوة، سيعودون إلى خوض المعارك بسعة الصدر، وكرم القلب، وسیجودون بنفوسهم، ویزبون فی سبیل عقیدتهم:

ونحن اناس لا توسط عندنا      لنا الصدر دون العالمین أو القبر  
تهون علينا فی المعالي نفوسنا      ومن خطب الحسنة لم یغلها المهر  
أعزبني الدنيا وأعلا ذوی العلا      وأكرم من فوق التراب ولا فخر

شعب تعلم روح التضحية، والفداء، والمثابرة، والنضال، والاباء، من معلمه وقائده العظيم سبط النبی الأعظم (ص) الإمام الحسین بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، حين وقف يوم الخميس ۲ محرم سنة ۶۱ هـ، فقال بأعلى صوته، وكأنه یخاطب الأجيال، والأجيال، وأنّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم یبق منها إلاّ صباية كصباية الإناء، وخسيس عیش كالمرعی الویل. ألاّ ترون إلى الحق لا یعمل به، وإلى الباطل لا یتناهی عنه لیرغب المؤمن فی لقاء ربّه محملاً فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمین إلاّ برما).

## شهداء مجزة مكة..؟

فيما يلي ثبت بأسماء الذين استشهدوا في هذه المأساة الدامية، وكانت بحق مجزة إنسانية أليمة لم يشهد التاريخ لها من مثل، وقد دخلوا التاريخ وسجلت أسماءهم في صفحاته المشرقة، وسطوره النيرة التي ستبقى خالدة مادامت الحياة... تلهج بذكرهم البشرية وترددها الأجيال وتتغنى بها الركبان... عليهم صلوات الله وتسليماته ورحمته وبركاته.

المدينة	المهنة	الشهيد
صائن دژ	ربة بيت	١ - شرافت بنت السيد اكرام خسروي هاجه سو
مازندورامين	ربة بيت	٢ - منور بنت حسن كفاي زاده الطهراني
قم	ربة بيت	٣ - كبرى بنت علي أصغر تلخ آبادي
بندرعباس	ربة بيت	٤ - فاطمة بنت عباس نيك
كرج	ربة بيت	٥ - شاه زنان بنت مهدي زماني
نجف آباد	تجارة حرة	٦ - مانده علي بن محمدپور قاسميان
نجف آباد	ربة بيت	٧ - صديقة بنت السيد أحمد موسويان
شيراز	متقاعد	٨ - الحاج درويش جهانگيري
شيراز	ربة بيت	٩ - الحاجة فرخ زوربخش
فريدن	ربة بيت	١٠ - الحاجية بيگم بنت أسدالله الإسلامي
طهران	ربة بيت	١١ - زهراء بنت عزيزالله كلاغ نشين
كازرون		١٢ - محمد بن جليل ابراهيم پور
شيراز		١٣ - محمد ابراهيم بن محمد باقر فخرائي
نائين		١٤ - نجفعلی بن علي محمد اشكستاني
رشت	ربة بيت	١٥ - أقدس بنت محمد استوار جولابي
اصفهان	»	١٦ - فاطمة بنت مهدي ورشابي
اصفهان	»	١٧ - محمد حسن بن محمد متولي إمامي
زرين شهر	»	١٨ - الحاجة ربابة بنت رضا رنجير
برخدار	»	١٩ - الحاجية فاطمة بنت رحيم فتاحي الدولت آبادي
اصفهان	»	٢٠ - صديقة بنت أسدالله جلواني خدزاني



»	اصفهان	۲۱ — خدیجة بنت اسماعیل مارنابی
معلمة قرآن	قزوین	۲۲ — صفیة بنت باقر گنجینه
رَبَّة بَیت	قزوین	۲۳ — طاهرة بنت حسین کبایان
»	قزوین	۲۴ — زهراء بنت غلامحسین صادق زادگان
»	قزوین	۲۵ — زهراء بنت محمد داورسان
»	قزوین	۲۶ — عذراء بنت السید حسن باب
»	باقق - یزد	۲۷ — سکینه بنت میرزا أحمد عسکری باقرآبادی
»	طهران	۲۸ — اقدس بنت قربان حسن زاده
رَبَّة بَیت	أهواز	۲۹ — گوهر بنت حسین سراجی
	أهواز	۳۰ — زهراء بنت کرم چپ چاپ
	طهران	۳۱ — سکینه بنت شدزب احمدین
	اصفهان	۳۲ — قر بنت شکرالله الکاظمی برجی خواندی
	بوشهر	۳۳ — کمال بن حسین چترسیا
	بوشهر	۳۴ — عوض بن شنبه بازمانده
رَبَّة بَیت	أراک	۳۵ — کبری بنت حسین غفوری
	یزد	۳۶ — هاجر بنت حاجی قاسم علی رنجبر الباقی
	بسته بن	۳۷ — آل یوسف بنت محمد أنواری
	طهران	۳۸ — محمد علی بن اسماعیل بشارت — مدیر مؤسسه شهید اسلام آباد
رَبَّة بَیت	سمنان	۳۹ — سکینه خاتون بنت محمد حسن ناظمیان علائی
	سنقر	۴۰ — آل محمد بن بایزید — روحانی و مدیر قافله
	زنجان	۴۱ — أبوالحسن بن سید قدیر الموسوی
	زنجان	۴۲ — غلامرضا بن أبوالفضل عطرفی
	قزوین	۴۳ — صفت الله بن خیرالله محمد خانلو
رَبَّة بَیت	قزوین	۴۴ — رقیه بنت آقا جان مردانی
	قزوین	۴۵ — فاطمة بنت السید محمد الحسینی
	قزوین	۴۶ — لطف الله بن نعمت الله علی مرادی
	بندرعباس	۴۷ — حسین بن علی علی یاس

	دزفول	۴۸ — ساره بنت ملا اسماعیل پورخیلانی
رَبَّة بَیت	أهواز	۵۰ — قرخانم بنت نوروز علیپور
	أهواز	۵۱ — إلهام بنت حمید مهدوی
رَبَّة بَیت	تستر	۵۲ — بتول بنت فتح الله اعلائی
	أهواز	۵۳ — ملکه خانم بنت علی حسین جوادی
	أهواز	۵۴ — نظام بن شیرزاد صنیعی
	شیراز	۵۵ — سکینه بنت محمد حسین رعیتی
	شیراز	۵۶ — حسنعلی بن عیدی اسماعیلی
	شیراز	۵۷ — صفری بنت أبوالحسن شهبواری
	فیروزآباد	۵۸ — مصطفی بن نجفقلی علیپور
متقاعد	شیراز	۵۹ — نعمت الله بن مرحوم علی نعمتی
رَبَّة بَیت	»	۶۰ — رقیح بنت ابراهیم رفعت بخش آسمان
»	»	۶۱ — رقیه بنت عبدالکریم حق نگهدار
»	»	۶۲ — مفتون بنت محمد نجفی
»	آب—آده	۶۳ — فاطمه پروین بنت رضا روحی ابرقوئی
»	شیراز	۶۴ — علیاء بنت گرگلی اسماعیلی
»	»	۶۵ — منیژه بنت محمد کریمی
	کازرون	۶۶ — عبدالصاحب بن علی نظر سقازاده
	شیراز	۶۷ — خانم بنت عباسعلی ریاستی
	»	۶۸ — السید علی محمد بن السید جواد معزی
	»	۶۹ — قرتاج بنت علی حسین زارع
عالم	قم	۷۰ — محمد باقر بن السید مصطفی امامی دوره بندی
رَبَّة بَیت	»	۷۱ — زهراء بنت عباس پسندیده
»	»	۷۲ — حوراء بنت تقی صفریان
	»	۷۳ — حسین بن أبوالفضل فرخ آشتیانی — مدیر مؤسسه شهید آشتیان
رَبَّة بَیت	أهواز	۷۴ — حسنه بنت حسن آلبوکردی
	طهران	۷۵ — علیرضا بن مهدی

علی آباد	۷۶	زیباخانم بنت علی اصغر شریعی
کتول		
رشت	۷۷	قربان بن احمد بشکود
اصفهان	۷۸	توران بنت تقی کیان افواز
»	۷۹	عفت بنت حسین ناعم اصفهانی
»	۸۰	رقیه سلطان بنت محمد علی پریشانی فروشانی
کاشان	۸۱	شایسته بنت کریم محمد حاجی کریمی
اصفهان	۸۲	فاطمه بنت حاجی علی قربانی سینی
»	۸۳	رقیه بیگم بنت السید جلال موسوی اشترجانی
رَبَّة بَیت	۸۴	مهرانگیز بنت خسرو آمینی
»	۸۵	مہین بنت حیدر عشقی
»	۸۶	عزت بنت محمد علی وکیلی سہر فیروزانی
»	۸۷	راضیہ بیگم بنت محمد شہری فرد
رَبَّة بَیت	۸۸	سیدۃ خانم بنت السید جمال
رَبَّة بَیت	۸۹	صفیہ بنت نعمت اللہ مطیعی دهنوی
»	۹۰	صدیقۃ بنت عباس نم نیانی
»	۹۱	طاہرۃ بنت درویشعلی لعل شہبازی
حائکۃ سجاد	۹۲	ملک خانم بنت احمد راعی
رَبَّة بَیت	۹۳	جمیلۃ بنت یداللہ یوسفی میرآبادی
»	۹۴	کمال الدین بن السید کاظم کامروا
»	۹۵	پروین بنت محمد حسن آقا کوچکی فروشانی
»	۹۶	صفرعلی بن رمضانعلی مرادی قہدریحجانی
عالم	۹۷	جواد بن نصراللہ دہقانی کلیشادی
رَبَّة بَیت	۹۸	خاتون بنت ولی اللہ عقیقی
»	۹۹	کبری بنت شیزعلی سبزعلی قلعه میرزبانی
»	۱۰۰	کوکب بنت محمد مجیری
»	۱۰۱	فاطمہ بنت علی محمد کاظم زادہ دستجردی
»	۱۰۲	بتول بنت مہدی فیروزمند

- » ۱۰۳ — رضا بن جواد حاجي صفري
- » ۱۰۴ — فاطمة بنت مرحوم آقاجان ملائي هرندي
- » ۱۰۵ — رضا بن زين العابدين فروغي طالخونچه
- » ۱۰۶ — معصومة بنت براتعلي شاه سنائي كيرائي
- طهران ۱۰۷ — هيبث الله بن علي تركي
- » ۱۰۸ — أحمد بن غلامحسين شهرياري
- رَبَّة بَيْت ۱۰۹ — ليلي بنت محمد باقر ناصري
- » ۱۱۰ — حسين بن عبدالأمير حاتمي
- » ۱۱۱ — محمود بن عباسقلي مؤمن
- » ۱۱۲ — زهراء بنت منورالحسيني
- » ۱۱۳ — عليجان بن مرحوم حسين رحيمي
- » ۱۱۴ — خانم بالا بنت إسماعيل چشمه
- » ۱۱۵ — صورت بنت أبوطالب كاظمي
- » ۱۱۶ — عزت الله بن محمد تقي شعبانلو
- » ۱۱۷ — ناهيد بنت أحمد فولادي سمنائي
- » ۱۱۸ — حسين بن حجة الله رسولي نيا
- » ۱۱۹ — عبدالحميد بن موسى بادروج
- » ۱۲۰ — محسن بن محمد باقر ارومي
- متقاعد ۱۲۱ — محمد بن حسين ماندني بادي
- رَبَّة بَيْت ۱۲۲ — فاطمة بنت محمد جهانديده
- » ۱۲۳ — فضة بنت محمد حسن خاكپور
- شيروان تاجر ۱۲۴ — عبدالحسين بن غلامحسين عابدين باجگيران
- مشهد ۱۲۵ — رحمانعلي بن محمود درتومي
- » ۱۲۶ — محمد بن علي محمد باغبان
- تربت حيدرته ربة بيت ۱۲۷ — عشرت بنت عبدالله رحيميان
- مشهد ۱۲۸ — محمد صادق بن علي أصغر رفيعي خيرآباد
- » ۱۲۹ — خاتون بنت محمد مهديان
- » ۱۳۰ — رضا بن محمد قلي صالح دشت بياض

بیرجند	۱۳۱ - مهدي بن السيد محمد علي عندليب مقدم
مشهد	۱۳۲ - فاطمة بنت أبوطالب كفاشي فارمد
گناباد	۱۳۳ - حسين بن كربلا حسن مؤدب بيلندي
رَبَّة بَيْتِ	۱۳۴ - هاجر بنت السيد عبدالعلي حائري عراقي
سبزوار	۱۳۵ - رضا بن محمد رضادوست
كاشمير	۱۳۶ - طاهرة بنت علي جمعه أحمدنژاد
رَبَّة بَيْتِ	۱۳۷ - فاطمة بنت محمد حسن چرخكار
سبزوار	۱۳۸ - محمد بن حسين بهنامي فر
كاشمير	۱۳۹ - فاطمة بنت حسين خباز توکلي
تربت حيدرية	۱۴۰ - سرور بن غلامحسين شجاعی بوري آبادي
شيروان	۱۴۱ - رمضان بن مرحوم علي نامور
مشهد	۱۴۲ - معصومة بنت علي أكبر أعظم زاده
»	۱۴۳ - سكينه بنت نصرالله امامي ميدي
تربت جام	۱۴۴ - صغرى بنت شاه گل راشكي
مشهد	۱۴۵ - خاتون بنت كربلائي غلام عبيدي
»	۱۴۶ - خديجة بنت السيد جواد محمدنيا
»	۱۴۷ - صغرى بنت محمد صادق وطن دوست سرمزده
تربت جام رَبَّة بَيْتِ	۱۴۸ - كنيز رضا بنت صفدرعلي صفدرنيا
تربت حيدرية	۱۴۹ - عصمت بنت كربلائي علي هنرورزاده
مشهد	۱۵۰ - زهراء بنت اسماعيل بسكابادي
شيروان	۱۵۱ - ليلى بنت عباسعلي قارداش
اصفهان كاسب	۱۵۲ - محمدتقي بن السيد مصطفي امامي دره بيدسي
»	۱۵۳ - حسين بن غلامحسين گوركي
كاشان	۱۵۴ - فاطمة بنت محمد كوچي
»	۱۵۵ - أحمد بن استاد حسن ديانت كاشاني
رَبَّة بَيْتِ	۱۵۶ - أكرم بنت ماشاء الله ساعدي
»	۱۵۷ - مرجمت بنت محمد حسني ويردجي
مزارع	۱۵۸ - رجبعلي بن حسينعلي رضاني

مزارعة	»	١٥٩ — ماه نساء بنت عبدالکرم إبراهيمي
»	»	١٦٠ — قدسية بنت غلامحسين سخني قصري
خوراسگان	»	١٦١ — حميدة بنت حاجي بابا مولوي دستجردي
»	»	١٦٢ — مريم بنت عبدالحسين دهقاني حبيب آبادي
گلپايگان	»	١٦٣ — ذبيح الله بن السيد علي ياسيني
اصفهان	متقاعد	١٦٤ — أكبر بن أحمد سلحشور
		كذلك استشهدت زوجته نصرت أعظمي
خوراسگان	»	١٦٥ — مهري بنت عبدالصمد رعنايي
اصفهان	»	١٦٦ — طاهرة السادات بنت السيد باقر زرکش إصفهاني
»	»	١٦٧ — مهين السادات بنت السيد هادي محقق مطلق
»	»	١٦٨ — بتول بنت محمد حسن تحويليان
»	»	١٦٩ — ربابة بنت عبدالرحيم کرعي علويچه
رَبَّة بَيْت	خميني شهر	١٧٠ — حاجيه بيگم بنت مصطفى شفيعي خدزاني
»	اصفهان	١٧١ — أشرف بنت محمد صادق اشترى
»	»	١٧٢ — إحترام بنت باقر ملاحيان
خوراسگان	»	١٧٣ — حميدة بنت رجبعلي قضاوي خوراسگاني
فلاورجان	»	١٧٤ — محترم بنت أبوالقاسم ضيائي سهرفيروزاني
رَبَّة بَيْت	لنجان سفلي	١٧٥ — فاطمة بنت غربتعلي خسروي اجكودي
»	فلاورجان	١٧٦ — فاطمة بنت اسماعيل وکيلي سهرفيروزاني
عامل	زرين شهر	١٧٧ — کمال بن السيد مصطفى موسويان
اصفهان	»	١٧٨ — شاهزاده بن حسين مظاهري کدهانستاني
اصفهان	»	١٧٩ — رضا بن السيد علي مدرّس زماني
»	»	١٨٠ — محمد آقا بن حسين کرعي
»	»	١٨١ — صغرى بنت قربانعلي حبيب الهي
نجف آباد	»	١٨٢ — زهراء بيگم بنت أسدالله أفلاکيان
»	»	١٨٣ — خديجة بيگم بنت السيد مجتبي آيت
تاجر	همدان	١٨٤ — عبدالکرم بن محمد وحيد
لوازم صحية	»	١٨٥ — رضا بن هادي محمدزاده — والد شهيد

	»	۱۸۶ — غلامرضا بن مصیب کتابی
معمار	»	۱۸۷ — کنجعلي بن بخشعلي بخشي
	»	۱۸۸ — مهين بنت اسماعيل حبيبي
	»	۱۸۹ — غلامعلي بن يعقوبعلي يعقوبي أكبر
	»	۱۹۰ — رجبعلي بن مراد علي عزيزي
شيراز		۱۹۱ — ماه سلطان بنت اسماعيل اسماعيلي ترنگي
	»	۱۹۲ — سرافراز بنت رشيد آقا پور رشيد
فسا		۱۹۳ — مهين بنت محمد فاخرمنش
سروستان فسا		۱۹۴ — حميدة بنت محمد رفيع طالب زاده سروستاني
شيراز		۱۹۵ — الله قلي بن حسن بيگ شرفي فرد
سروستان فسا		۱۹۶ — طيبة بنت محمد ابراهيم تازنگ
همدان حلاق		۱۹۷ — حمدالله بن استاد أحمد أحمدي وحيد
فسا ربه بيت		۱۹۸ — مليحة بنت حبيب كديور
»	»	۱۹۹ — خديجة بنت حبيب كديور
بايع خشب		۲۰۰ — عبدالعلي بن سبزعلي غلامي
شيراز سائق سيارة		۲۰۱ — قربان بن شاهمراد مرادي
ربه بيت	»	۲۰۲ — ايراندخت بنت السيد آقا نماينده
»	»	۲۰۳ — نورسته بنت علي خداجي
»	»	۲۰۴ — زهراء بنت ولي محمد مرادپور
»	»	۲۰۵ — محمود بن خيرالله كارانديش
»	»	۲۰۶ — مرتضى بن زينل حدادي
»	بابل	۲۰۷ — صديقة أحمزاده كلائي
ميكانيكي	»	۲۰۸ — جمال بن السيد حسين غني پور
مزارع	»	۲۰۹ — حسين بن السيد ميرحبيب حبيب نژاد دشتي
قم ربه بيت		۲۱۰ — فاطمة بنت علي أكبر بني حسن
گرگان		۲۱۱ — معصومة بنت كرم عرب بالا جليبي
قائم شهر		۲۱۲ — سيدة مهتاب بنت السيد جلال نوربخش آهنگر كلائي
قزوین		۲۱۳ — سلطنت بنت شاه كرم ياري بيگي درويشونه

قم	رَبَّة بَيْت	۲۱۴	زهراء بنت غلامعلي أصغري
»	قزوین	۲۱۵	خدیجہ بنت محمد حسین خزانہ حلاجی
»	»	۲۱۶	رقیة بنت محمد علي رضائي
»	»	۲۱۷	محمود علي بن أحمد عليپور
رشت	مزارع	۲۱۸	عباس بن حسين مختاري
»	تاجر	۲۱۹	مرتضى بن غلامعلي مسحيان جذيري
آستانه أشرية	رَبَّة بَيْت	۲۲۰	زهراء بنت محمدرضا عليدوست جلالي
طهران	»	۲۲۱	غلامرضا بن نعمت الله رحمانی سیاکوهي
بندرآنزلی	»	۲۲۲	رضانعلي بن محمد علي اسماعیلی شاه ویر
رشت	»	۲۲۳	رضا بن السيد جلال أسدي شكار
يزد	رَبَّة بَيْت	۲۲۴	سكينة بنت مرحوم صفرخاني زارچي
»	بافق-يزد	۲۲۵	بتول بنت حسين شيخ العارفين بافقي
»	»	۲۲۶	محمد حسين بن مرحوم ملاعلي برهان
طهران	»	۲۲۷	عبدالله بن عبدالجواد حسن علائي
طالب	»	۲۲۸	عليرضا بن بمانعلي وقار
»	»	۲۲۹	منصورة بنت قلي رزاقی
»	»	۲۳۰	حسن بن محمد ابراهيمي پورسپاهي
»	»	۲۳۱	أحمد بن رضا محموديان كلهروري
بائع آقشه	قزوین	۲۳۲	يوسف بن ميرزا نظراسماعيلی
رَبَّة بَيْت	اصفهان	۲۳۳	ليلی بنت محمد جلالي ورنانخواستي
رَبَّة بَيْت	طهران	۲۳۴	پروین بنت کاظم کوثری - والده شهيد
بائع دجاج	»	۲۳۵	محمدعلي بن حسين عالمي
»	»	۲۳۶	كبرى بنت قربانعلي اروجلو
رَبَّة بَيْت	»	۲۳۷	حليمة بنت حسين عزيزآبادی
»	»	۲۳۸	نجمة بيگم بنت كربلائي ميرزا محمد كرايي
»	»	۲۳۹	خدیجہ بنت ذبيح الله أسدي
رَبَّة بَيْت	برخوار	۲۴۰	فاطمه بنت حسين صادقي برزاني
طهران	»	۲۴۱	أنيس بنت محمد بهروزی ماشالي



	»	۲۴۲ — نجمه لقا بنت عزیزالله شاکری
سائق	سمنان	۲۴۳ — عباس بن حسین کلاهی
معلمه	»	۲۴۴ — زهراء بنت حبیب الله همتیان
مریبه اطفال	»	۲۴۵ — زهراء بنت حسین مداح
عالم	مشهد	۲۴۶ — حسین بن عبدالمجید نقیبی نستری
معمل خیاطه	»	۲۴۷ — براتعلی بن حسین کلالی
	»	۲۴۸ — محمدعلی بن رمضان مهدوی پاک
عامل بناء	»	۲۴۹ — فیض الله بن یوسف شیخی
مزارع	»	۲۵۰ — ابوالقاسم بن حسن راستگو
	»	۲۵۱ — بتول بنت براتعلی جلیلی هواخواه
ریبه بیت	»	۲۵۲ — نصرت بنت مهدی ژبانی زرگرانی
»	»	۲۵۳ — شهربانو بنت عباس قویدل — زوجه شهید
»	»	۲۵۴ — بی بی طاهره بنت السید سرور سروری
»	»	۲۵۵ — صاحب جان بن کربلائی محمد شاملی طرقی
»	»	۲۵۶ — ربابه بنت حسین دهقان نیری
»	»	۲۵۷ — حافظه بنت غلامحسین سلیمان شاهی
عامل	»	۲۵۸ — براتعلی بن حسن کاخکی طرقی
	»	۲۵۹ — أحمد بن علی اکبر شایسته
مزارع	»	۲۶۰ — محمد بن اسماعیل اصغری
»	»	۲۶۱ — ابوالقاسم بن محمد ابراهیم عباس زاده صنوبری
عالم	»	۲۶۲ — حسین بن السید مراد حسینی جهانگیر — والد شهید
عالم	کاشمر	۲۶۳ — محمد مهدی بن محمد علی متدین طوسی
عالم	بجنورد	۲۶۴ — جعفر بن السید محمد الحسینی
	مشهد	۲۶۵ — علی اکبر بن محمد رضا معافیان
مزارع	شهرکرد	۲۶۶ — امیرحسین بن محمد نصیر اردلی
	بروجرد	۲۶۷ — فاطمه بنت گنجعلی گنجی
ارومیه خوی		۲۶۸ — میرعزیز بن میرحبیب سیادت
کرمان		۲۶۹ — محمد بن محمود قنبری برزی

	طهران	۲۷۰	کبری بنت رضا جوزدرختگی
رَبَّة بَيْت	زنجان	۲۷۱	طاهرة بنت أسد الله طاهري
	أهواز	۲۷۲	ملوك بنت عیدی سقرقچي
	»	۲۷۳	صدیقة بنت محمود ابراهيم نجف آبادي
	»	۲۷۴	مریم خاتون بنت عبدالحسين آقا كوچك
رَبَّة بَيْت	»	۲۷۵	توكيكة جليلي
	شيراز	۲۷۶	محمد بن السيد مهدي پور حقيقي
	آستارا	۲۷۷	علي اكبر بن فضل الله كثيري — والد شهيد
»	شیروان	۲۷۸	بدرآغا بنت مرحوم سليمان سليمان دخت — والدة شهيد
موظف اذاعة	مشهد	۲۷۹	أبو القاسم بن علي رضا تيموري نژاد
	»	۲۸۰	طوى بنت عبد الله تاجر ريزي
	اصفهان	۲۸۱	عبدالحسين بن آقا جان سالاري — موظف شركة النفط
بناء	»	۲۸۲	علي محمد بن آقا بابا معيني كركندي
رَبَّة بَيْت	طهران	۲۸۳	بهجت بنت مصطفى دهكردي زادگان
»	»	۲۸۴	فتانه بنت حسين أميني
	شاهين شهر نجار	۲۸۵	علي بن أبو القاسم الكيلي
	مشهد	۲۸۶	نرجس بنت براتعلي آهن آهنچيان
مزرعة دجاج	لنجان سفلي	۲۸۷	علي بن قاسم ابراهيمي
مزارع	» »	۲۸۸	مصطفى بن السيد ميرزا الموسوي
	فردوس	۲۸۹	حاجي قربان بن حسين مجرد نرم
	مشهد	۲۹۰	صفا بن ميرزا علي نعيمي
	اصفهان	۲۹۱	نصرت بنت حسين أعظمي —
			زوجة شهيد مكة اكبر بن أحمد سلحشور
	»	۲۹۲	غلامعلي بن نصرالله كاورزيان كيشاي
مزارع	»	۲۹۳	حسن بن حسين رحماني مطلق
	بهبهر	۲۹۴	حسن بن محمد علي يونسي كلاكي
	ساری	۲۹۵	أم هاني بنت حسن نيك بخت
مزارع	مشهد	۲۹۶	محمود بن بابا شبسائي ترك

تربت حیدریہ ربہ بیت	۲۹۷ — زہراء بنت حسین کتہ
» » مشہد	۲۹۸ — رقیہ بنت غلامرضا کاظم زادہ دریان
مشہد	۲۹۹ — ربابہ بنت رضا اکبرزادہ رضائی — والدہ الشہید سعید افشار احمدآبادی
مازندران	۳۰۰ — حسین بن ..... مجیدی
اصفہان	۳۰۱ — محترم بنت حسن اخلاقی نورانی — والدہ الشہید رسول مؤذن
طبس	۳۰۲ — لیلی بنت أسدالله الحسینی — والدہ الشہید غلامرضا زمانی
ربہ بیت	۳۰۳ — ربابہ بنت عیسیٰ عبداللہی شب عیسیٰ
بوشہر	۳۰۴ — عباس بن غلامعلی آمینی
ربہ بیت	۳۰۵ — شہین بنت یدالله کاظمی
»	۳۰۶ — صغریٰ بنت محمد پورشعبانی
»	۳۰۷ — صفیہ بنت رضا ہاشمی طاہرآبادی
اصفہان	۳۰۸ — أحمد بن ..... زائری ایرانی
بابل	۳۰۹ — حجت الله بن فیض الله شعائی
کاشمر	۳۱۰ — صاحب جان بن علی جمعہ أحمدنژاد
»	۳۱۱ — صدیقہ بنت حاجی حسین قصابی خلیل آبادی
مشہد	۳۱۲ — کنیز بنت حسین ژنگوئی
ربہ بیت	۳۱۳ — نرگس بنت أسدالله قادری
» »	۳۱۴ — إحترام بنت عبدالعلی حدّاد
»	۳۱۵ — سرور بنت جعفر داور پناہ
»	۳۱۶ — عفت بنت فتح الله شفیعی خروشانی
» »	۳۱۷ — عفت بنت السید عبدالحسین میرمحمدی
» »	۳۱۸ — معصومہ بنت قدمعلی
مزارع	۳۱۹ — محمد صادق بن محمد حسین ابراہیم زادہ
مدیرشکرتہ	۳۲۰ — محمد حسن بن حسینعلی مہتدی
اصفہان	۳۲۱ — مرتضیٰ بن اکبر حمصیان إتفاق

رَبَّة بَيْت	»	٣٢٢ — عشرت بنت حسن محمدخاني
»	»	٣٢٣ — پروين بنت محمد تقي مقاره عابد
»	تربت حيدرية	٣٢٤ — پرى بنت براتعلي إقبالي فخرآبادي
»	طهران	٣٢٥ — طلعت فلاحتي
»	استهبان	٣٢٦ — بتول بنت فتحعلي معترتي
	شيراز	٣٢٧ — رسول بن أكبر أشرف پائين دروز
رَبَّة بَيْت	مشهد	٣٢٨ — عصمت بنت السيد حسين الحسيني
فدائي	بابل	٣٢٩ — مجيد بن بابازاده

### مقطع الرجل

هؤلاء هم الَّذِينَ قتلهم البطش السعودي، وفتكت بهم مخالب الوهابية في مكة المكرمة... أما الذين اصيبوا بجروح اثر ضرباتهم بالهراوات فكثيرون وفيهم، رجال الدين، والعلماء، والشخصيات الوطنية، وأرباب الحرف والمهن في ايران، وقد دخلوا المستشفيات في الحجاز ويران، بعد عودتهم من الزيارة، وقد منّ الله تعالى عليهم بالشفاء وأسبغ عليهم الصحة وانصرفوا إلى مسؤولياتهم الفردية والاجتماعية... كما منّ على ذوي الشهداء وذرائعهم الصبر والأجر والثواب (الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مِصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون).

### في رحاب المجزرة..؟

بعد أن وقعت الواقعة الدنيئة، وكذلك قبل حدوثها هناك، للمشاهدين ذكريات وخواطرحية عالية، تدلّ على العناية الالهية، والرعاية المعنوية التي كانت تشمل الحجاج، منذ توجههم إلى الحرمين الشريفين، وحتى آخر أنفاسهم التي لفظوها. كما لم تتعاس عوائل الشهداء، ولم تنهم الحوادث عن الصبر والشكيمة، والمثابرة مع مشاهدتهم للظروف العصبية التي انتابتهم، وأردت أزواجهم، وأمهاتهم، وأخوانهم، وأخواتهم على وجه الأرض المقدسة مكة... مخرجين بدماءهم وكلهم بين قتيل وجريح. وأودعنا تسجيل، وذكر نتف من تلكم البطولات الرائعة التي تجلت على أرض المجزرة... والقضايا الدالة على الجانب الروحي، والشخصية المعنوية التي كانت عليها تلكم الشهداء الأبرياء المؤمنة المطمئنة الراضية المرضية التي دخلت في عبادالله... وتقدموا إلى الجنة.

١ — مع إنتهاء المجزرة أخذت تتقاطر الجماهير إلى المنطقة تتحسس عن شهداءها،

وتستفسر عن أبناءها، ففي حينها شوهدت أن امرأة إنقضت كالصقر على جثة زوجها انصريع الشهيد برصاص الغدر والخيانة، ووقفت على رأسه، وأمكنت الدقة فيه، ثم أرسلت بصرختها العربية المدوية التي تجاوزت لها الجبال والأجواء، بعد أن رفعت يديها إلى السماء وصاحت: اللهم تقبل منا هذا القربان... اللهم تقبل منا هذا القربان... اللهم تقبل منا هذا القربان...

٢ — كانت من جملة المؤمنات المستشهدات في الواقعة، والدة الاستاذ النبيل السيد هادي رستگار مقدم... من بلد الإمام الرضا عليه السلام — مشهد — فبعد أن انبأت باستشهادها وقد أعلمني به فضيلة الحجة الثبت آية الله الحاج السيد محمد عزالدين الحسيني الموسوي الزنجاني ببارك الله في عمره... تقدمت إليه برسالة تعزية بوالدته، فأجابني بكتاب جاء فيه: (أحمد الله سبحانه الذي وفقنا وجعلنا من عوائل الشهداء... والذي يهون الفاجعة والخطب أن المغفورة لها الوالدة تشرفت لأداء مناسك الحج، علماً منها بما سيحدث لها من الشهادة، فقد رأت قبيل السفر في المنام أنها وردت مكة وأنها تطوف حول الكعبة في السماء، والجماهير تطوف بها في الأرض. فقصت منامها على بعض العلماء فاخبرت من أنها ستموت في سفرها هذا، وحصل بالفعل ما أراده الله تعالى.

إن الشهادة لا تهمنا، وإن قتلونا جميعاً إذا كان في سبيل إنتصار الإسلام، وخيره، وأسأل الله أن يبید المشركين والكافرين على يد المسلمين وينصرنا على أعدائه).

٣ — حدثتني مؤمنة كانت قد جرحت في سفرها، فقالت: كنت داخل المنطقة فاصابني ضربات هراوات البوليس الفتاكة فسقطت مغشية على الأرض مضرجة بالدماء، أستنجد واستغيث بالإمام المنتظر عليه السلام، وبعد لحظات لم أشعر إلا برجل قوي رفعتني من الأرض وطرحني على كتفه، وأسرع بي إلى حيث لا أدري، غير أنني سمعته قال عندما رفعتني: يا فاطمة الزهراء... فأيقنت أنه من الموالين للعترة الطاهرة عليهم السلام، ثم فقدت مشاعري وبعد ساعات عادت إليّ مشاعري وانتهت وفتحت عيوني، فأبصرت نفسي على سرير في غرفة صغيرة خالية من كل أحد، فرحت أنظر إلى جدران وحيطان الغرفة فشاهدت لوحات منصوبة بالحائط كتبت عليها: الله... محمد... علي... فاطمة... حسن... وحسين عليهم صلوات الله ورحمته وبركاته. فأيقنت أن صاحب البيت وعائلته، من الشيعة فخنقتني العبرة، وأجهشت بالبكاء فدخلت عليّ ربة البيت وسلمت، وحيثي، وناولتني الحليب والغذاء، وقالت لي: لا بأس عليك إننا من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام، وإن زوجي هو الذي أنقذك من المجزة وأتى بك هنا، وأخذت تتحدث معي بلطف وحنان، وتهون عليّ الشدائد،

وتطمئني بالسلامة، والصحة والعودة إلى أهلي إن شاء الله.

وبعد دقائق دخل زوجها الدار فأسرعت ربة البيت، إليه، وأخبرته عن صحتي، فدخل عليّ الرجل فسلم ورحب بي، وقال لي: هذا البيت يعود لكم، وإننا شيعة، وحين رأيتك طريحة على الأرض اقتطفتك، وأتيت بك هنا للتداوي والإستجمام، فلا تخافي ولا تخزني ولا تخزجي من الغرفة إلا للضرورة، لئلا يشاهدك واحد من الجيران، وحين تعود قوافل الحجاج من منى إلى مكة سأوصلك إلى أهلك فشكرته له صنيعه الإنساني، وإنسانيته العالية، وانصرف إلى عمله وكانت عائلته تدخل عليّ وتخدمني برحابة صدر، وابتسامه وبعد أيام قفلت الحجاج إلى مكة فأخذ الرجل مني عنوان ورقم القافلة التي كنت بها، وراح يفتش عنها ولم تمض ساعات حتى عاد وأخبرني بوصول القافلة، وأنه التقي بزوجي وحدثه عن الواقعة، واطمأن عليها. ثم قال لي صاحب البيت سأوصلك إليه عندما تنام العيون، وبالفعل في منتصف الليل خرجت بمرافقة زوجته، وبناته في سيارته الخاصة، وأوصلوني إلى القافلة وودعوني وانصرفوا.

هذه هي الإنسانية بقيمها التي تجلت في هذه البطولية المثالية التي أعادت للمرأة حياتها وسلامتها. فحياءه الله وبيّاه، وما زالت الملائكة والسموات والأرض تشكر الرجل ذلك صنيعه. ويدعوله بالحياة والعمر المديد، كل من يقف على فعله، ويقرأ قصته مادام الكتاب هذا يتداول بين القراء الأكارم.

٤ — أخبرني واحد من الحاج، فقال: عندما انهالت علينا الرشاشات والبنادق، وحملت الشرطة بالمهازوات تفرقنا وتوجهنا نحو الجبال، وآوينا إلى الكهوف والغارات، وحيث تسلقنا الجبال، استقبلنا رجل بالزي العربي، فسلم علينا وسار بنا إلى مستقره ومجتمع عائلته الواقع خلف الجبال، وأدخلنا خيمته وأجلسنا، وجاء إلينا بالماء، والطعام، والقهوة، وأخذ يتحدث إلينا بحبة واخوة، وأمضينا عنده ساعات أدينا فيها الصلاة والدعاء، وبعد إنقضاء ساعات من الليل، سار بنا بنفسه وأوصلنا الشارع المؤدى إلى بيوتنا فوصلناها سالمين، والله على أنعمائه شاكرين.

ليقرأها الجلاوزة عملاء الصهاينة... ليتيقنوا أن الله تعالى لهم بالمرصاد... وأن الشعب الحجازي المسلم يلفظهم، وينبذهم ويمجهم، لبغيهم، وظلمهم، ونهبهم، كل ما عند الشعب وماله وكرامته وشرفه وناموسه، ومالديه من قوت... نفس الطريقة التي أتبعها ويتبعها الصهاينة... ونفس السيرة التي أتبعها أجدادهم المناكير بالإشتراك مع الأتاق محمد بن عبدالوهاب الذي زعم أنه جاء بالدين هادياً، وقتل الشعب في نجد، والحجاز ليعيده بعد

كفره كما يزعم إلى (الإسلام والإيمان بالله، حيث كان الشعب يعبد الجبال والأشجار والمقابر والأضرحة قبل خروج رسول الله؟ محمد الوهابي) كما يزعم كذباً وزوراً. فكانوا يهتمون أبناء الشعب في الحجاز بعبادة (منيف) وغير ذلك من آلهة التي أباحوا بموجبها دماء شعب، لا عرب الجزيرة وحدهم بل كل العرب... ومن ذلك أيضاً تهتمهم للنساء العوانس بأنهن يذهبن إلى (فحل النخل) ويدعونه بقولهن: (يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول) وهكذا يتخذ آل سعود من الكذب، وسيلة لتقتيل المؤمنين المسلمين، باسم الدين، وهم أفجر الفاجرين، وأكفر الكافرين بروح الدين. ولهذا فعلوا ما فعلوه من جرائم في المسلمين، وشعب الجزيرة. وارتكبوا ما ارتكبه من موبقات وخساسات وفجور في البلدان وغيرها... وأخيراً ما اقترفوه في مكة لا يختلف أبداً في كافة النواحي، عما فعله أبناء عمومته اليهود في فلسطين بل أخزى وأشد تنكيلاً.

#### خاتمة المطاف..؟

في هذه الصفحات عرض موجز لتاريخ مكة... والأحداث والظروف التي إنتابتها، واجتازت الأراضي المقدسة، بعد أن وضعت حولها مؤلفات ضخمة، وتآليف فخمة، تناولت كافة نواحيها تقريباً، غير أنني أردفتها بجمع وذكر حوادث وأحوال عصبية وقاسية طرأت عليها في السنين الأخيرة، فكانت الصفحات تلك حلقات متممة، ومتصلة بتاريخها العريق، ومجدها الأثيل، وأخيراً تناولت فيها تبيان الإنتفاضات، والوثبات الدينية، والتحررية، والشعبية الهادفة لتحرير الحرمين الشريفين... والجزيرة العربية الإسلامية، من روااسب الأفكار الدخلية، والنفوذ الأجنبي الإستعماري، الحاكم فيها منذ قرنين ونصف. المتحكم بالإستبداد، والإستعباد، والتطاول والبغي، بصورة سافرة، بعد أن وجدنا على عهده الأسود، قتلت وشردت واعتقلت جموع غفيرة من شعبنا الصامد، ومواطنينا الآمنين، وتفرقوا في البلاد، وتشتتوا في الخواضر للمتخلص من كابوس حكامها الطغاة أذئاب الشيطان، وفلول العمالة والردالة. بالإضافة إلى الجماهير الوافرة المتطوعة للإستشهاد. وبذل نفوسهم الزكية، ودماءهم الطاهرة، لتحرر من أسر الذلة والعار، والتخلف والفقر والجهل... رغم وقوف الحكام بوجوههم، وشد الخناق عليهم، وقتلهم وإيداعهم إلى قعر السجون والتعذيب والمعتقلات.

إن ما جاء في الكتاب أيها القارئ الكريم... بعض النماذج الإجرامية التي عملتها السعودية الوهابية، وما زالت تسير عليها لإذلال الشعب الحجازي الأصيل... والمسلمون بصورة عامة... الشعب الذي فقد أصله وإصالته بيد شرذمة من الجزائر الذين شرفوا أسماءهم

المنكرة (بخدم الحرمين الشريفين) وما سعوا بهذا الإسم الوصمة والخسة إلا بعد تمريرهم بالآف المجازر، وإزهاق الآف الأرواح، والتمثيل بالآف الأطفال والنساء.

وأخيراً لا آخراً... فالذي ينبغي التصريح به أنّ المسلمين اليوم على اختلاف لغاتهم وتباين جنسياتهم، أمام رسالة وواجب وطني وإسلامي، يدعوهم ويستصرخهم باسم القرآن... وباسم آلاف الشهداء... وباسم الأرض المقدسة... وباسم العترة الطاهرة من البيت النبوي الكريم (ص) للتكامل والتضامن والتكاتف والنهوض بإرادة واحدة متآخية، وبقيادة موحدة متآخرة، للتحرك السريع، ووضع حلّ حاسم، وحدّ فاصل لهاتيك المشاكل التي تهّد الإسلام بالتشويه، وتنذر المسلمين بالويل والشبور والأراضي المقدسة بالأغتصاب والعدوان... وليعلم الجميع أن الواجب هذا يفرض على المسلمين في كل نقطة من العالم المقاومة والنضال، ومن يتخلف عنه يعتبر من وجهة نظر التشريع الإسلامي، والوجدان والضمير الانساني آثماً، أمام امته ووطنه وكرامته في الدنيا... وأمام ربّه ونبيه (ص) والصحابة والتابعين لهم بإحسان في الآخرة.

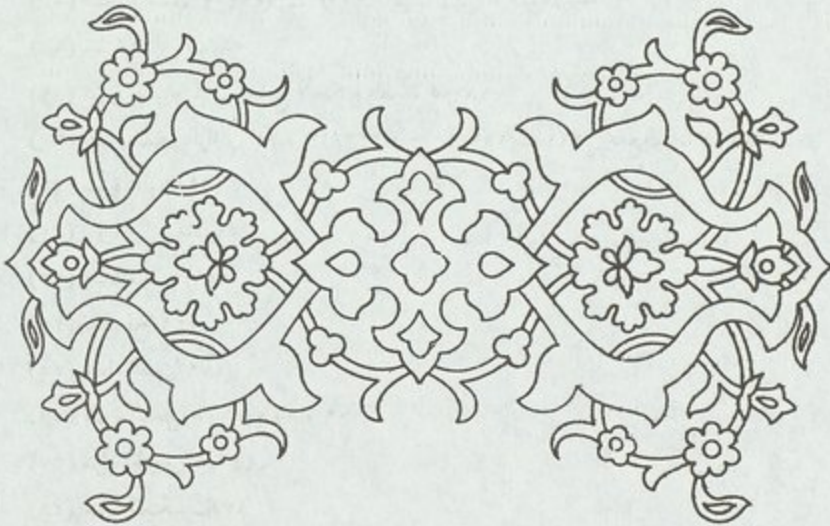
إنّ المسؤولية هذه تحتل الصدارة والأولية في كل نشاط وتحرك، يقوم به المسلمون على الصعيد الوطني، والصعيد الإسلامي... مع علمهم ويقينهم إلى أدراك مخاطر هذه المشكلة، وأهدافها التوسعية والعدوانية على حاضرهم ومستقبلهم... فالتحرك السريع، والكفاح المقدم المثمر الناجع، هو الكفيل والضامن بالخلاص من هذا الخطر وما النصر إلا من عند الله إنّ الله عزيز حكيم.

إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلاً من غفور رحيم.



- (١) سورة المائدة/٣٢.
- (٢) سورة الأنعام/١٢٢.
- (٣) سورة النساء/٩٣.
- (٤) المصدر السابق.
- (٥) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٢٧/١٠.
- (٦) سورة القصص/١٩.
- (٧) سورة طه/٤٠.
- (٨) صحيح مسلم ١٢٩٤/٣.
- (٩) سورة البقرة/١٩٤.
- (١٠) سورة البقرة/١٧٩.
- (١١) تفسير الفخر الرازي الكبير ٢٣٠/١٠.
- (١٢) دائرة معارف فريد ٦٣٤/٧.
- (١٣) سورة الأنعام/١٥١. سورة إسرائيل/٣٣.
- (١٤) صحيح مسلم ١٣٠٢/٣. الجامع الصحيح ١٩/٤.
- (١٥) سورة المائدة/٣٣.
- (١٦) سورة الحج/٧٨.
- (١٧) صحيح مسلم ١٩٩٤/٤ - ٢٠٠٣. النهاية لأبن الأثير ١٥٨/١.
- (١٨) سورة الذاريات/١٨.
- (١٩) سورة النساء/٣٦. الجامع لأحكام القرآن ١٨٠/٥.
- (٢٠) تفسير الفخر الرازي الكبير ٢٣٣/١٣ و ج ١٩٩/٢٠ - ٢٠١. مجمع البيان ٣٨٣/٤.
- (٢١) سورة التوبة/٦٩.
- (٢٢) تاريخ آل سعود/٥٩.
- (٢٣) اسدالغابة/٥٩/١.
- (٢٤) بطل فح/١٣٩.
- (٢٥) تحفة المحبين/٤٧٩.
- (٢٦) سورة النحل/١٠٥ و ١٠٨ و ١٠٩.
- (٢٧) مرآة الحرمين/٤٤٠/١.
- (٢٨) سورة العنكبوت/١٣.

- (٢٩) سورة البقرة/٢٣٢.  
(٣٠) الجامع الصغير/٢/٢٨٩.  
(٣١) سورة الأنبياء/٩٢.  
(٣٢) سورة الفرقان/٦٣.  
(٣٣) مجمع البيان/٧/١٧٨.  
(٣٤) سورة المؤمنون/١٢ و ١٤.  
(٣٥) سورة إبراهيم/٤٢ - ٤٣.



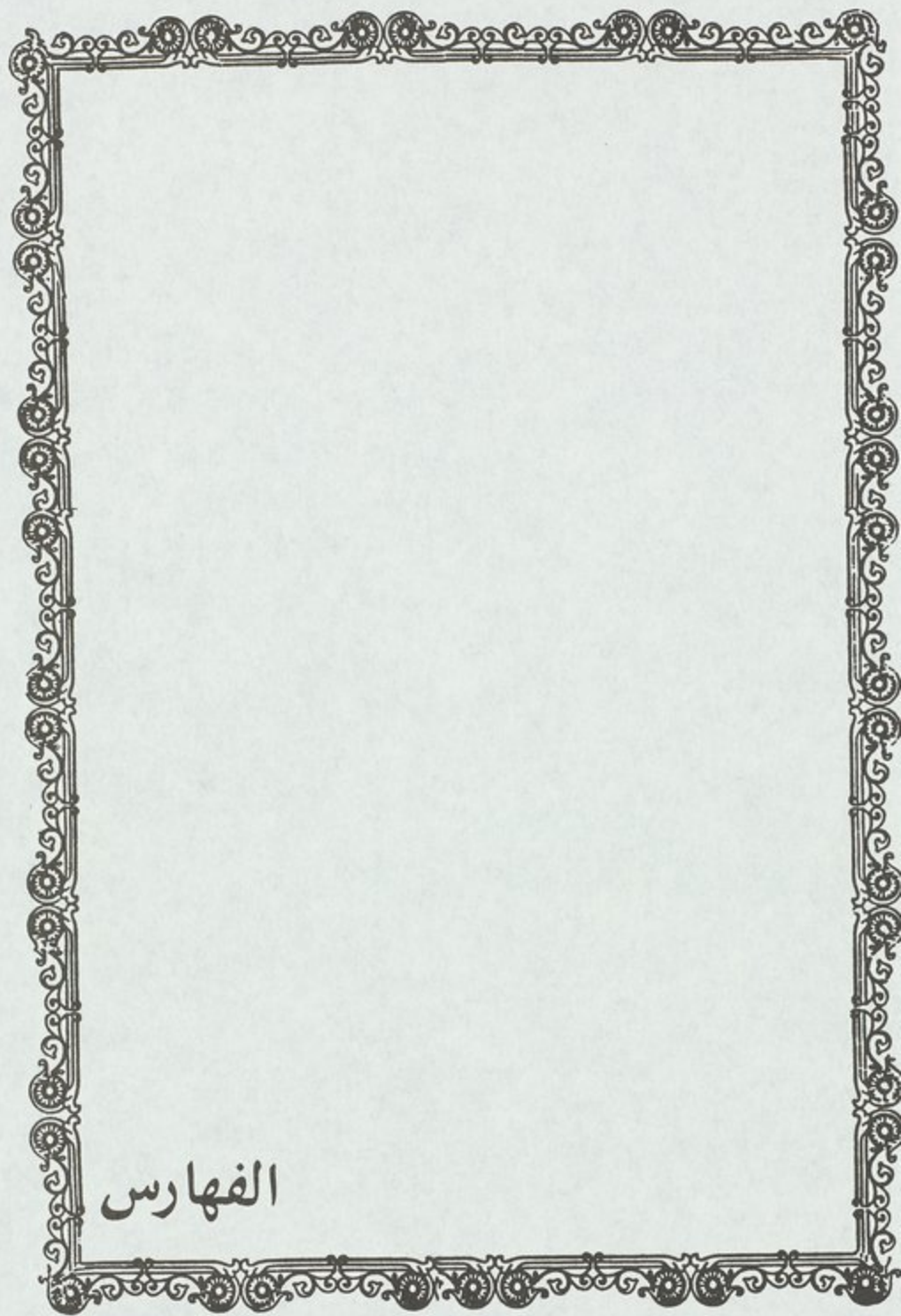
وقبل أن أودع الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ العزيز... وأضع القلم جانباً على أن أعود إليه في مجال آخر إن شاء الله... أود تقديم شكري المتواصل، وثنائي العاطر لمن آزرني في مجهودي الضئيل هذا، وغمرني بعواطفه وأرحمته المؤمنة في عملي الفكري، وفي طليعتهم الأساتذة السادة الأخوة المتحابية... المهندس الحاج حسن. والإقتصادي الحاج حسين. والاستاذ المهندس الحاج عباس، أبناء العلامة الجليل الحاج الشيخ علي الآخوندي. وأسباط آية الله العظمى المجاهد وحجة التاريخ، العلامة الكبير الشيخ الأمين النجفي (مؤلف كتاب الغدير) رضوان الله تعالى عليه. سائلاً المولى سبحانه، وجلت عظمته، وعزت قدرته، أن يسد خطانا ويحفظنا ويوقفنا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وينصرنا على عدوه وعدونا إنه نعم المولى ونعم النصير.

طهران - إيران

ص ب ١٧١٨٥/٥٤٨

محمد هادي الاميني





الفهارس



## ١- مصادر البحث...

أحمد بن داود الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ	الأخبار الطوال
محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى المتوفى ٢٤٤ هـ	أخبار مكة المشرقة
أحمد بن محمد شهاب الدين القسطلاني المتوفى ٩٢٣ هـ	إرشاد الساري
	الإستيعاب في معرفة
يوسف بن عبدالله بن عبدالبر الاندلسي مات ٤٦٣	الأصحاب
علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المتوفى ٦٣٠	اسد الغابة
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني مات ٨٥٢	الإصابة في معرفة الصحابة
	أصحاب ورواة
محمد هادي الأميني (خ)	أمير المؤمنين (ع)
خير الدين بن محمد الزركلي المتوفى ١٣٩٥	الأعلام
	الإعلام بأعلام بيت الله
محمد بن أحمد بن محمد النهرواني مات ٩٩٠	الحرام
عمر رضا كحالة	أعلام النساء
السيد محسن بن عبدالكريم الأمين العاملي مات ١٣٧١	أعيان الشيعة
	انتفاضة الحرم
منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية	إيضاح المكنون
إسماعيل پاشا بن محمد أمين الباباني المتوفى ١٣٣٩	البداية والنهاية
إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي مات ٧٧٤	بطل فخر
محمد هادي الأميني النجفي	تاريخ آل سعود
ناصر السعيد	تاريخ الامم والملوك
محمد بن جرير بن يزيد الطبري المتوفى ٣١٠	تاريخ بغداد
أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب مات ٤٤٨	

حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى المتوفى ٩٨٢	تاريخ الخميس
محمد بن إسماعيل الصنعاني مات ١١٨٢	تطهير الإعتقاد عن الإلحاد
عبدالرحمان بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١٠	تفسير الدر المنثور
محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي مات ٩٧٧	تفسير السراج المنير
محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي المتوفى ٦٠٦	التفسير الكبير
محمود بن عمر بن محمد الزمخشري مات ٥٣٨	تفسير الكشاف
محمد حسين بن السيد محمد الطباطبائي المتوفى ١٤٠٤	تفسير الميزان
إسماعيل بن عمر بن كثير مؤلف البداية والنهاية	تفسير القرآن
محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود المتوفى ٩٨٢	تفسير القرآن
محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السمرقندي...	تفسير القرآن
عبدالله بن الشيخ حسن المامقاني المتوفى ١٣٥١	تنقيح المقال
محمد بن عبدالوهاب النجدي مات ١٢٠٦	التوحيد حق على العبيد
محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري المتوفى ٦٧١	الجامع لأحكام القرآن
محمد بن عيسى بن سورة الترمذي مات ٢٧٩	الجامع الصحيح
عبدالرحمان السيوطي، صاحب الدر المنثور	الجامع الصغير
محمد بن أمين بن ظهيرة المتوفى بعد ٩٦٠	الجامع اللطيف في فضائل مكة
محمد بن إدريس بن المنذر أبوحاتم الرازي مات ٢٧٧	الجرح والتعديل
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي مات ٤٥٦	جمهرة أنساب العرب
محمد أمين بن فضل الله المحبي المتوفى ١١١١	خلاصة الأثر
أحمد بن زيني دحلان المكي مات ١٣٠٤	خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام
محمد فريد بن مصطفى وجدي المتوفى ١٣٧٣	دائرة المعارف
حسين بن الشيخ محمد تقي النوري مات ١٣٢٠	دارالسلام



صدرالدين علي بن أحمد المدني المتوفى ١١٢١ هـ	الدرجات الرفيعة
أحمد بن علي بن حجرالعسقلاني مات ٨٥٢	الدررالكامنة
محمد محسن بن علي بن محمدرضا المتوفى ١٣٨٩	الذريعة إلى تصانيف الشيعة
محمد بن محمد بن عبدالله بن بطوطة مات ٧٧٩	الرحلة
جماعة من رجال الوهابية	رسائل الهدية السنية
صدرالدين المدني الشيرازي	سلافة العصر
محمد بن يزيد بن ماجة القزويني المتوفى ٢٧٣	السنن
سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني مات	السنن
٢٧٥	
عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى ٢١٨	السيرة النبوية
عبدالبديع صقر	شاعرات العرب
عبدالحي بن أحمد بن محمد بن العماد مات ١٠٨٩	شذرات الذهب
عبدالحميد بن محمد بن محمد بن أبي الحديد مات	شرح نهج البلاغة
٦٥٥	
ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى ٦٧٩	شرح نهج البلاغة
محمد بن أحمد بن علي الفاسي المالكي مات ٨٣٢	شفاء الغرام بأخبار البلد
عبدالحسين بن الشيخ أحمد الأميني المتوفى ١٣٩٠	الحرام
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري مات ٢٥٦	شهداء الفضيلة
مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري المتوفى ٢٦١	الصحيح
عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي المتوفى	الصحيح
٧٧١	الطبقات الشافعية
عبدالرحمان بن حسن بن إبراهيم الجبرتي مات	عجائب الآثار في التراجم
١٢٤٠/١٢٣٧	
أحمد بن علي بن عنبة الحسيني المتوفى ٨٢٨	عمدة الطالب في الانساب

عبدالحسين بن الشيخ أحمد الأميني مات ١٣٩٠	الغدِير
عبدالرزاق بن السيد محمد بن عباس المقرّم المتوفى	فاطمة الزهراء (ع)
١٣٩١	
محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي مات ٨١٧	القاموس المحيط
الجمهورية الإسلامية الإيرانية	القانون الأساسي
شاكر كسرائي	قيام كعبة
محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى	الكافي
٣٢٨	
علي بن أبي الكرم بن الأثير الجزري مات ٦٢٨	الكامل في التاريخ
محسن بن السيد عبدالكريم الأمين مؤلف أعيان الشيعة	كشف الإرتياب
مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة المتوفى ١٠٦٨	كشف الظنون
محسن الأمين العاملي، صاحب كشف الإرتياب	المجالس السنية
فخرالدين بن محمد علي بن أحمد الطريحي مات	مجمع البحرين
١٠٨٧	
الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المتوفى ٥٤٨	مجمع البيان
إسماعيل بن علي بن محمود أبوالفداء الحموي مات	المختصر في أخبار البشر
٧٣٢	
محمد هادي بن الشيخ عبدالحسين الأميني	مخطوطات البغدادي
عبدالله بن أسعد اليماني اليافعي المتوفى ٧٦٨	مرآة الجنان
إبراهيم رفعت پاشا مات ١٣٥٤	مرآة الحرمين
علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى ٣٣٣	مروج الذهب
حسين بن المولى محمد تقي النوري، مؤلف دارالسلام	مستدرک الوسائل
محمد بن الشيخ علي بن عبدالله حرز الدين مات	معارف الرجال
١٣٦٥	

أحمد عسه	معجزة فوق الرمال
ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي المتوفى ٦٢٦	معجم الأدباء
ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي المتوفى ٦٢٦	معجم البلدان
محمد هادي الأميني (مؤلف الكتاب)	معجم رجال الفكر والأدب
عمر رضا كحالة	معجم المؤلفين
أ.ى. فنسك — ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي	مفتاح كنوز السنة
محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المتوفى ٢٧٢	المنتقى في أخبار أم القرى
أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحنبلي	منهاج السنة
المتوفى ٧٢٨	
مالك بن أنس	الموطأ
يوسف بن تغرى بردي الظاهري القاهري المتوفى	النجوم الزاهرة
٨٧٤	
محمد علي بن العلامة صادق علي الكشميري مات	نجوم السماء
١٣٠٩	
مركز الحج للدراسات والنشر	نظرة على مذبحه الحرم
المبارك بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى	النهاية في غريب الحديث
٦٠٦	
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام — محمد عبدة	نهج البلاغة
علي بن السيد عبدالله بن أحمد السمهودي مات ٩١١	وفاء الوفا

\* \* \*



## ٢ - مواضيع الكتاب...

- ٩ المقدمة
- ١٣ المدخل...
- مكة
- ٣١ شرافة الكعبة وأفضليتها على بيت المقدس  
إجلاء رسول الله (ص) اليهود من جزيرة العرب  
إجلاء عمر بن الخطاب اليهود من الجزيرة
- ٥٥ قدسية مكة عند غير الطوائف المسلمة  
تكريم الحجاج في الجاهلية
- ٧١ عوامل إجلاء رسول الله (ص) والصحابة اليهود من الجزيرة، والبراءة من المشركين
- ١١٣ الأحداث الطارئة على مكة عبر القرون  
السيول والأمطار التي أدت إلى تدمر الكعبة  
العمارة الأخيرة للبيت الحرام سنة ١٠٤٠ هـ  
الفقيه الشهيد السيد زين العابدين الكاشاني الحسيني، يقوم ببناء الكعبة  
عواصف سياسية تجتاح الكعبة وتقضي عليها  
حركة عبدالله بن الزبير عام ٦٣ هـ  
الحجاج بن يوسف عام ٧٣ هـ  
حركة القرامطة سنة ٣١٧ هـ
- ١٣٩ مكة في مخالاب الوهابية والصهبانية  
ولاية مكة منذ عصر النبي (ص)  
الوهابية في عقيدتها  
آل سعود محتضنون محمد بن عبدالوهاب النجدي  
الحرب بين القبائل الحجازية والوهابية  
غز والوهابية لمدينتي النجف الاشرف وكربلاء  
مقارعة أئمة المذاهب الإسلامية للوهابية  
الوهابية تثبت لله تعالى، التجسيم، والجهة، والإستواء



رسالة الإمام ابن صهبل الحلبي، في الردّ على ابن تيمية

معتقدات الوهابية حسبما جاءت في كتبهم

تكفير الوهابية عموم المسلمين

شب الوهابيين بالخوارج

أبجازر السعودية الوهابية في الأمس واليوم

تهديم الأماكن الإسلامية، التاريخية

ثورة القبائل الحجازية عام ١٣٤٨ هـ على آل سعود

حركة التخالوة في المدينة المنورة سنة ١٣٧١ هـ

إنتفاضة المسجد الحرام عام ١٤٠٠ هـ

لماذا اختيار الحرم..؟

خطوات قبل العملية

هكذا تمت عملية إحتلال الحرم

تشويه أهداف الإنتفاضة

جنسية الثوار

من أين حصل المجاهدون على الأسلحة؟

استتفار لحماية العرش

الصواريخ تذك الكعبة

صمود حتى الإستشهاد

يقظة الحجاج المسلمين الإيرانيين سنة ١٤٠٧ هـ

شهداء مجزرة مكة

في رحاب المجزرة

خاتمة المطاف

الفهارس...

مصادر البحث

مواضيع الكتاب

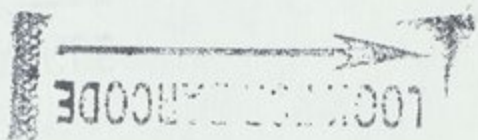
COLUMBIA UNIVERSITY



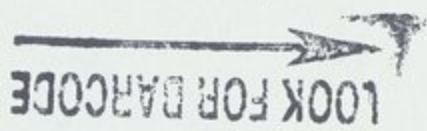
0025939351







2000



LOOK FOR BARCODE



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

